فلسطين واليهود

جريمة الصهيونية والعالم

يعقوب كامل الدجاني

لينا يعقوب الدجاني





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

فلسطين واليهود

جريمة الصهيونية والعالم

فلسطين واليهود

جريمة الصهيونية والعالم

دراسة وتحقيق

يعقوب كامل الدجاني　　　لينا يعقوب الدجاني

تحرير

مفلح سليمان الخوالدة

راجعه

فـــؤاد إبراهيـــم طهبـــوب　　　محمد صالح الحورانـــي

د. زهير عبد الرحمن خليفة　　　فاروق عبد الحليم بدران



رقـــــــم التـصـــــنيف : 956.4
رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : 1992/4/357
المـؤلـــــف ومن هـــو في حكم : يعقوب الدجاني، لينا الدجاني
عـــنـــوان الـكــتـــاب : فلسطين واليهود جريمة الصهيونية والعالم
الموضـــوع الـرئـيـسي : 1. فلسطين
2. تاريخ
بيـــانات الـنـــشـــر : عمان - دار الفكر
• - تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى
1421هـ - 2001م



دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

سوق البتراء (الحجيري) - هاتف ٤٦٢١٩٣٨
فاكس ٤٦٥٤٧٦١ ص.ب ١٨٣٥٢٠ عمان ١١١١٨ الأردن

Hussein Mosque
Tel. : 4621938 Fax: 4654761
P.OBox: 183520 - Amman - 11118 Jordan

ISBN 9957-07-198-X (ردمك)

الإهداء

إلى حبيبتي، ابنتي «ريما»، وجيلها.

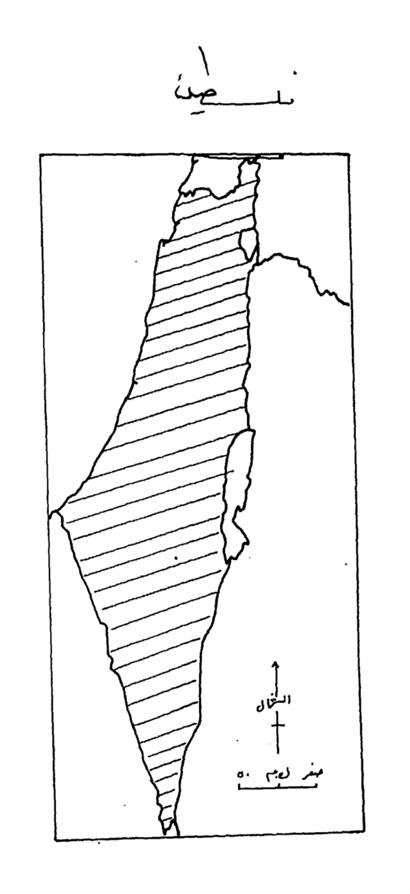
إلى أختي الحبيبة «ريما».

حيث سيرضعن هذا الجيل القادم، جيل طلائع التحرير وسيرعينه، سيعلمنه أن هناك فلسطين واحدة، وهناك شعب واحد.

وسيجعلنه يؤمن وينفذ بأن الكتب ستذكر: «بعد وبعد وبعد . . . عاد العرب إلى فلسطين، إلى القدس، كما دخلها الشيخ سالم، والفاروق، وصلاح الدين». «وسيصبح هذا الكتاب وأمثاله: «تاريخ فلسطين القديم».

يعقوب، لينا

١٩٩٣/١/٢


فلسطين
الشمال
صفر كم ٥٠

المقدمة

سطرت صفحات هذا الكتاب منذ قرابة عام، والهدف من إصداره تعريف الأجيال القادمة باليهود والصهيونية التي طمعت ببلادنا فلسطين فاحتلتها على دفعات كان آخرها عام ١٩٦٧ .

والشعب الفلسطيني لا ينسى مهما يقال هذه الأيام عن النوايا السليمة، وكيف ينسى جيل آبائنا الذين ما زالوا يحتفظون بمفاتيح منازلهم في يافا وحيفا وصفد وبئر السبع واللد والرملة وكيف ينسى جيلنا الذي نشأ وترعرع على جبال الكرمل، وشطآن بحيرة طبريا وفي بساتين البرتقال بين يافا والرملة.

أما اليهود، الذين أصبحوا اليوم - بحكم الواقع- يحكمون بلادنا ويسكنونها، فلقد تمكنوا من ذلك نتيجة الضعف والتفكك الذي حل بنا.

لقد انتهت الدولة العثمانية التي كانت توحد بلادنا، وقبيل انتهائها أصدروا وعد بلفور، وعاشوا في حمى الدولة المنتدبة يقيمون المستعمرات ويحصنونها بكل هدوء، وبعد ذلك بثلاثين عاماً استلموا من الإنجليز فلسطيننا العزيزة، مغتنمين وجود جيران ضعفاء لفلسطين من الدول العربية، فمن دولة قد جلا عنها الفرنسيون عام ١٩٤٦م، وتركوا فيها قوات من الشرطة والدرك ولكنها بلا جيش مدرب، وقد تمثل ذلك بسوريا ولبنان، وأما دولة قليلة الموارد كالأردن. وأما دولة يحكمها الإنجليز مثل مصر.

وفي فترة الضعف هذه قامت دولتهم التي سموها إسرائيل، وهذا الكتاب يسرد الحقوق التاريخية لنا ولهم وكيف أن سكانها الأصليين كانوا من الكنعانيين العرب واليبوسيين العرب وأن العبرانيين الغزاة قد أجتازوا نهر الأردن واحتلوا أريحا عام ١٢٦٠ق.م.

لقد خرج موسى وأخوه من مصر عام ١٣٠٠ق.م. وتاهوا في سيناء أربعين عاماً، دخلوا بعدها فلسطين بقيادة يوشع بن نون، أما موسى فلم يدخل فلسطين بل أطل عليها من جبال مأدبا.

ويذكر الكتاب الدول التي سيطرت على فلسطين ابتداء من عام ٣٥٠٠ ق. م حين يومنا هذا (ص ٦٤) كما أنه يذكر سكان سوريا (ومنها بلاد كنعان) وهم يسكنون الخيام ويعيشون معيشة البداوة.

أما عرب فلسطين فكانوا اليبوسيين والكنعانيين وهم أهل البلاد الأصليين الذين رفدوا بإخوانهم العرب من سكان بلاد الشام ومن هاجروا في الفتوحات الإسلامية إلى هذه البلاد.

يرد الكتاب على مقولة الحق التاريخي لليهود في بلادنا، هذا الحق الذي يذكرونه في تلمودهم، ويقول أن هناك أكثر من تلمود كالتلمود البابلي الذي دون عام ٥٠٠ ميلادية، والتلمود الفلسطيني الذي دُون ٢٠٠ ميلادية، بينما لا يعتقد بعض المجددين بأن التلمود منزل. وعلاوة على ذلك فإن الكتاب يؤكد على أن فحوى الإنجيل هو رفض اليهودية واليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح وبأنهم (الأغبياء) و(أولاد الأفاعي) وأنهم (مرتدين عن الحق).

ثم يورد الكتاب علاقة اليهود بالعرب والمسلمين منذ مطلع الرسالة الإسلامية حتى الآن، وهؤلاء العرب المسلمون الذين جاءوا إلى البلاد فاتحين كانوا يقاتلون حكام البلاد من الرومان، أما السكان فلا. حيث ذكر المؤرخ اليهودي هياسون أنه (عملياً فيما يتعلق بيهود فلسطين، فإن المسلمين قد جاءوا كمنقذين وليس كمضطهدين) (ص١٥٣) ورغم ذلك منذ قاوم اليهود الإسلام في سنواته الأولى متدرجين من السلبية إلى الصراع المسلح، ورغم ذلك أعتبر الإسلام اليهود أهل كتاب مواطنين في دولته، تسامحاً منه، ثم وظفهم في كثير من وظائف الدولة، وكانت لهم الحرية في العمل الاقتصادي، سواء أكان ذلك في بلاد الشام أم الدولة العباسية في العراق، أم في بلاد الأندلس أم الدولة العثمانية، لدرجة أن اليهود بعد سقوط الأندلس لم يجدوا ملاذاً سوى استنبول وشمالي إفريقيا.

وأخيراً يأتي الكتاب على دور الغرب في استعمار فلسطين، ابتداءً من نابليون الذي وّجه نداء إلى جميع يهود العالم يستحثهم فيه على الانضمام تحت لوائه (لإعادة بناء مجد إسرائيل الضائع في القدس) (ص١٨٤) لدرجة أن وايزمان أول رئيس لدولتهم وصف نابليون بأنه أول الصهيونيين الحديثين من غير اليهود.

وفي نهاية الكتاب يصف المؤلفان الهجرة اليهودية إلى فلسطين منذ الدولة الفاطمية في القرن العاشر الميلادي وحتى عام ١٩٢٣ . ثم يصف الصهيونية ونشوءها، وتنظيماتها ودور هرتسل فيها، والتفاعل حول قيام دولتهم، الذي أدى عام ١٩٠٧ إلى انتصار (العمليين) منهم الذين ثبتوا فكرة الاهتمام بفلسطين وراحوا يشقون طريقهم عبر التغلغل الاقتصادي.

ورحم الله السلطان عبد الحميد الثاني الذي أبى أن يبيع فلسطين، ومن هذا الإباء جاءت فكرة هذا الكتاب.

المؤلفان

نشيد فلسطين الثورة

هو نشيد الثورة العربية الكبرى[(١)]

أيهـــا المـــولـــى العظيـــم	فخـــر كـــل العـــرب
ملكـــك الملـــك الفخيـــم	ملـــك جـــدك النبـــي
نحـــو هـــذا الملـــك سيـــروا	قبـــل فـــوت الـــزمـــن
وعلـــى الخصـــم أغيـــروا	لخـــلاص الـــوطـــن
لـــم نعـــد فـــي ذا الـــزمـــان	أمـــة مستعبـــدة
ليـــس يجـــدينـــا التـــوانـــي	والليـــالـــي مسعـــدة
نحـــن فـــي الهيجـــاء نقبـــل	كـــالآتـــي المنهمـــر
وعلـــى الأعـــداء نحمـــل	ليـــس فينـــا مـــن يفـــر
أن نعيـــش عشنـــا كـــرامـــاً	أو نمـــت متنـــا كـــرام
همنـــا نـــردي اللئـــام	همنـــا نـــردي اللئـــام

علم فلسطين هو العلم العربي

وهو يتألف من الألوان التالية:

التي تعبر عن أمجاد العروبة:

فاللون الأبيض كان رمز الأمويين.

واللون الأسود كان رمز العباسيين.

واللون الأخضر كان رمز الفاطميين.

واللون الأحمر كان رمز الهاشميين.

---

(١) خليل حداد - السكاكيني - حياته مواقفه وأثاره، دمشق الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ١٩٨٣.

«لم يختر اليهود فلسطين لمعناها التوراتي والديني بالنسبة لهم، ولا لأن مياه البحر الميت تعطى بفضل التبخر ما قيمته ثلاثة آلاف مليار دولار من المعادن وأشباه المعادن، وليس أيضاً لأن محزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشرين مرة مخزون الأميركيتين مجتمعين، بل لأن فلسطين تشكل بالواقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم، ولأنها المركز الاستراتيجي العسكري للسيطرة على العالم».

هذا كلام للدكتور «ناحوم غولدمان، رئيس المؤتمر اليهودي العالمي من محاضرة له في مدينة مونتريال في كندا عام ١٩٤٧».

كنت أنشد عام ١٩٤٦ ما أنشده عرب فلسطين وعرب العرب في الذكرى السادسة عشرة لاستشهاد الأبطال الثلاثة: محمد جمجوم، عطا الزير، وفؤاد حجازي، يوم أعدموا في السابع من حزيران عام ١٩٣٠، وقد اقترن هذا النشيد بذكرى إعدامهم في فلسطين، وردد النشيد العربي جميع أبناء العروبة في سائر أرجاء وطننا العربي الكبير.

«يا ظلام السجن خيم»

يا ظلام السجن خيّم — أننا نهوى الظلاما
ليس بعد الليل إلا — فجر مجد يتسامى
أيها الحراس رفقا — واسمعوا منا الكلاما
متعونا بهواء — منعه عنا حراما

☆☆☆

يا رنين القيد زدني — نغمة تشجي فؤادي
أن في صوتك معنى — للأسى والاضطهاد
لست والله نسيا — ما تقاسيه بلادي
فأشهدي يا نجم أني — ذو وفاء ووداد

☆☆☆

ايـــه يـــا دار الفخـــار	يـــا مقـــر المخلصينـــا
قـــد هبطنـــاك شبـــابـــا	لا يهـــابـــون المنـــونـــا
وتعـــاهـــدنـــا جميعـــا	يـــوم أقسمنـــا اليمينـــا
لـــن نخـــون العهـــد يـــومـــا	واتخـــذنـــا الصـــدق دينـــا

الفصل الأول

١- موقع فلسطين وأهميتها.

٢- أهمية فلسطين بالنسبة للوطن العربي.

موقع فلسطين

تقع فلسطين في الغرب من قارة اسّيا بين خطي عرض: ٣٠ر٢٩ و١٥ر٣٣. وبين خطي طول: ١٥ر٣٤ و٤ر٣٥ شرقي غرينتش، وتتوسط مفارق الطرق بين آسيا وإفريقيا وأوروبا، وتصل ما بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، ويحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشرق سوريا والأردن، ومن الشمال لبنان وسوريا، ومن الجنوب شبه جزيرة سيناء، وخليج العقبة، ويبلغ طولها من رأس الناقورة شمالاً إلى رفح جنوباً (٢٤٠) كيلومتراً وعرضها نصف هذا الطول تقريباً، وتبلغ مساحة فلسطين (٢٧٠٠٩) كيلومتر مربع، أي ما يعادل (١٠٤٢٩) ميلاً مربعاً.

من الواضح أننا حين نتحدث عن فلسطين اليوم نقصد منطقة الانتداب البريطاني السابقة للفترة ما بين ١٩٢٣ وحتى ١٩٤٨.

إن حدود الانتداب حين رسمت لم تكن حصيلتها نتاجاً اعتباطياً للوحة رسمتها القوى الاستعمارية بل إن فلسطين اتخذت ببطء خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين شكلاً محدداً في وعي سكانها، ووعي الحكومة المركزية أيضاً [١].

كان جميع الأوروبيون وخصوصاً الصهيونيون في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين يفكرون تفكيراً توراتياً تاريخياً، وهم يحاولون تعيين حدود «الأرض المقدسة»[٢]، غير أن السكان المحليين والدولة العثمانية لم يعيروا هذه التعبيرات التوراتية أي اهتمام.

وكان التصور الأعم والأكثر انتشاراً في هذا الشأن هو البلاد التي تمتد من «دان» حتى «بئر السبع» في الجنوب، ومن البحر الأبيض المتوسط في الغرب، حتى بادية الشام في

---

(١) الكزاندر شولس - تحولات جذرية في فلسطين - ترجمة الدكتور كامل العسلي - منشورات الجامعة الأردنية - عمان ١٩٨٨، ص: ٢٠.

(٢) نفس المرجع ص: ٢٠.

الشرق، أي أنه كان يشمل قطعة من الأرض المسكونة على جانبي نهر الأردن وهذا التصور هو الأساس الذي قامت عليه نشاطات «صندوق استكشاف فلسطين» The Palestine Exploration Fund. P.E.F في نهاية الستينات حتى أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر(١).

وقد تأثرت الصحف المحلية برأي الصندوق هذا، وصنفت فيه الحدود من دان إلى بئر السبع، ومن نهر الأردن حتى البحر المتوسط(٢)، كما أن المؤرخ اللبناني يني كتب سنة (١٨٨١) يقول:

«إن نابلس تعتبر أجمل مدينة في فلسطين من دان إلى بئر السبع»(٣).

وقد ظهر المفعول السياسي الكامل لهذا التصور بعد الحرب العالمية الأولى، عندما جرت في أعقاب مؤتمر الصلح في فرساي عام ١٩١٩ مناقشة الحدود الممكنة لفلسطين (بريطانية - صهيونية).

وقد بعث لويد جورج ببرقية إلى لندن طلب فيها إرسال نسخة عبر القنال من كتاب جورج آدم سميث المعنون باسم(٤) . Historical Geography of the Holy land.

والأطلس الملحق به إلى كل مشترك من المشتركين لكي يتسنى النظر في الحدود الدقيقة التي تترتب في الواقع على صيغة «من دان إلى بئر السبع» بل إن بيرتلو Berthelot السكرتير العام لوزارة الخارجية الفرنسية الذي درس أيضاً كتاب سميث بناء على رجاء لويد جورج، استفاد من هذه الصيغة والتفسير الذي وضعه سميث لهما فيما بعد لتنفيذ الدعاوى الصهيونية الأبعد مدى، وخاصة تلك المتعلقة بجنوب لبنان (حدود الليطاني).

---

(١) حول نشاطات صندوق استكشاف فلسطين، انظر علاوة على تقارير الصندوق التي أصدرها - خيرية قاسمية «نشاطات صندوق استكشاف فلسطين» دمشق.

(٢) المقتطف مجلد ٣ (١٨٧٨) ص: ١٥٤.

(٣) جويفي يني، تاريخ سوريا - بيروت، ١٨٨١، ص: ٥٢١.

(٤) لندن ١٨٩٤، وقد استعملت نسخة أعيدت طباعتها في نيويورك سنة ١٩٦٦ عن الطبعة الخامسة والعشرين للكتاب المقدس الذي صدر سنة ١٩٣١.

فالحدود، البحر المتوسط، لم تكن تمثل مشكلة، أما فيما يتعلق بالحدود الشرقية فإن بعض الأوروبيين جعلوا نهاية «الأرض المقدسة» عند نهر الأردن، أما أكثرهم فقد جعلوا شرائط عريضة من الأرض في شرقي نهر الأردن، قلت أو كثرت تابعة فلسطين، وقد أشاع التعريف القائل بأن نهر الأردن يقسم البلاد إلى فلسطين غربية وفلسطين شرقية، بشكل خاص، في المؤلف المعروف بـ The survey of western palestine (مسح فلسطين الغربية) الذي صدر عن «صندوق استكشاف فلسطين (P.E.F)».

ولما كانت مصر جزءاً من الدولة العثمانية، فإن الثبت الدقيق للحدود في الجنوب، الجنوب الغربي لم يكن مسألة ملحة، ولكن المسألة أصبحت ملحة بعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢. فقد كانت غزة تدار من القدس، والعريش من القاهرة، وفي منتصف الطريق بين هاتين المدينتين يرتفع في السماء عمودان قديمان من الغرانيت: «عمد رفح»، ولقد كنت ترى على هذين العمودين علامة الحدود بين مصر وفلسطين.

وقد قام الباب العالي منذ سنة ١٨٣١ بعدة محاولات لتوحيد فلسطين ادارياً، ولحكمها دون واسطة بيروت ودمشق، ولكنه تباطأ في هذه الإجراءات حتى لا يتيح تسهيل الأمور أمام التغلغل الأوروبي.

وقد وزع الوفد الصهيوني على مؤتمر الصلح في باريس خريطة (الدولة الصهيونية) في فلسطين وحدّدها كالتالي:

- بدأ شمالا من نقطة على البحر المتوسط قرب صيدا، ويسير خطها بمحاذاة مساقط المياه عند سفوح جبال لبنان إلى جسر القرشون، ومن هناك إلى البيرة، ويتبع الخط الفاصل بين المنحدر الشرقي والمنحدر الغربي، من جبل الشيخ إلى مقربة من غرب بيت جن، ومن هناك تتجه شرقاً تبعاً لمساقط المياه الشمالية لنهر مغنية على مقربة من الخط الحديدي الحجازي وإلى مقربة منه، ويمر خط الحدود الشرقية قرب الخط الحديدي الحجازي وإلى الغرب منه وينتهي بخليج العقبة[١].

---

(١) Halpren, Ben "The Edea of The jewish state" Harvard univesity press 1961, pl. 303-301.

عن أحمد طربين - قضية فلسطين.

وتشمل المطالب الصهيونية ما يعرف حديثاً:

١- كل فلسطين الموضوعة تحت الانتداب البريطاني.

٢- لبنان الجنوبي بما في ذلك مدينتا صور وصيدا ومنابع نهر الأردن، وجبل الشيخ والقسم الجنوبي من نهر الليطاني.

٣- سورية، مرتفعات الجولان، بما في ذلك مدينة القنيطرة ونهر اليرموك وينابيع مياه الحمة المعدنية.

٤- الأردن: وادي الأردن، بأكمله، البحر الميت، المرتفعات الشرقية حتى مشارف عمان (يذكرنا ذلك بمعركة الكرامة ومحاولة تحقيق ذلك).

فلسطين

أهمية فلسطين بالنسبة للوطن العربي.

١- تحتل فلسطين قلب الوطن العربي.

٢- تشكل فلسطين حلقة الاتصال بين قسمي الوطني العربي: الآسيوي والإفريقي.

أ- أهميتها في العصور القديمة:

كانت فلسطين معبراً لغزوات كثيرة منها:

١- قدم إليها العرب الكنعانيون واستقروا فيها، فهم أول من سكنها.

٢- غزاها الفراعنة المصريون ومن أشهرهم تحتمس.

٣- ومن العراق غزاها سرجون الثاني الأشوري.

٤- اتخذها كل من قورش الفارسي، والاسكندر المدوني جسرا لهما حيث شكلا إمبراطورية واسعة.

ب- أهميتها في العصور الوسطى.

١- قدم إليها الفاروق عمر بن الخطاب، وتسلم مدينة القدس من الأروام سلماً.

٢- على أرض فلسطين وقعت معركة اليرموك وحطين وعين جالوت.

جـ- أهميتها في العصر الحديث.

١- من فلسطين دخل سليم العثماني مصر.

٢- من مصر دخل نابليون فلسطين محاولا الوصول إلى الهند، ولكنه هزم عند أسوار عكا.

٣- تعتبر فلسطين خط الدفاع الأول عن قناة السويس.

٤- تشكل أرض فلسطين نهاية أنابيب النفط العراقي على البحر الأبيض المتوسط.

☆ أهمية فلسطين بالنسبة للعالم على مر العصور:

أ- العصور القديمة:

١- كانت فلسطين أرضا امتزجت فيها حضارات بابل وأشور ومصر وفينقيا وبلاد أيجة وآسيا الصغرى، وقد انتقل هذا المزج إلى أوروبا ورفد حضارة الإغريق، وظهر أثره في الفن والعمارة والفلسفة، ومن الإغريق انتقل إلى الحضارة الغربية.

٢- أنزلت الديانات السماوية اليهودية والمسيحية في فلسطين، ومنها انتشرت إلى أوروبا والعالم.

ب- في العصور الوسطى:

١- امتلأت أسواق فلسطين بمنتجات الشرق والغرب التجارية.

٢- وفدت إليها الحملات الصليبية المتعددة.

جـ- في العصر الحديث:

١- أصبحت فلسطين هدفاً للاستعمار الفرنسي والبريطاني والاميركي.

٢- أقيمت دولة إسرائيل في فلسطين.

الفصل الثاني

اليهود لا حق
تاريخياً لهم في فلسطين

١- سكان فلسطين قبل التاريخ.
٢- جزيرة العرب وموجات الهجرة؟
٣- العموريون.
٤- الكنعانيون.
٥- اليبوسيون.
٦- لا آثار يهودية في القدس.
٧- الفلسطينيون.
٨- اليهود.
٩- تسمية فلسطين.
١٠- أصل العبرانيين.
١١- اليهود يغزون فلسطين.
١٢- شاؤول / داود/ سليمان.
١٣- انقسام مملكة يهوداً.
١٤- الأنباط العرب يفدون إلى فلسطين.
١٥- مكانة دولة يهودا في التاريخ.
١٦- مدن كنعانية.
١٧- سكان سوريا وبلاد كنعان. في أواخر القرن الأول فبل الميلاد.
١٨- نهاية صلة اليهود بفلسطين.

لقد أدركت مبلغ الفائدة الدعائية التي يظفر بها من يحتكر وسائل الاعلام فيتولى نشر وجهة نظره.

وأدركت أننا نظرنا إلى . . . الفلسطينيين والفينيقيين بعيون الاسرائيليين.

إذا أردنا الرؤية الصحيحة فعلينا أن نعاين الأشياء من وجهة نظر الجانب الصامت أيضاً، وأن تكون للجانب الصامت الكلمة الأخيرة كما كانت له الكلمة الأولى.

ارنولد توينبي

١٩٦٧

☆ جزيرة العرب وموجات الهجرة.

«يذهب الأستاذ فنكر إلى أن جزيرة العرب هي المهد الأول للساميين، ففي موجات متتالية خرج من جزيرة العرب العموريون، والكنعانيون والأراميون، ومثالاً على ذلك موجة الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي»[١].

سكان فلسطين قبل التاريخ:

إذا كان «الإنسان العاقل» قد ظهر في فلسطين قبل العصور التاريخية وتطور أولاً، فإن ظهوره قد وقع خلال العصور الحجرية والمعدنية التي تليها.

والعلماء يقسمون العصور التاريخية إلى:

١- عصور ما قبل التاريخ.

٢- العصور التاريخية.

والحد الفاصل بينهما هو اختراع الكتابة.

وعندما اخترعت الكتابة في بلاد الرافدين ووادي النيل، ساهمت سيناء وفلسطين مساهمة أساسية في هذا الاختراع الحاسم، وجاء ذلك في خلال الألف الرابع قبل الميلاد.

وقد قسم المؤرخون والأثريون عصور ما قبل التاريخ على أساس المادة التي صنع الإنسان منها أدواته، فكان:

١- العصر الحجري الذي ظهرت فيه بدايات الإنسان العاقل (٠٠و٦٠٠) سنة قبل الميلاد وينتهي في (٥٠٠٠) قبل الميلاد، ويقسم إلى أربعة مراحل:

أ- العصر الحجري القديم.

ب- العصر الحجري المتوسط.

---

(١) حتى - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - ترجمة حداد ورافق، مراجعة جبور - دار الثقافة - بيروت: ١٩٥٧، ص: ٢٦.

جـ- العصر الحجري الحديث (وهو عصر استعمال المعادن).

٢- العصر البرونزي والنحاسي: ٤٥٠٠-٣٥٠٠ ق. م، وفيه عاش الإنسان العربي متمثلاً بالعموريين والكنعانيين والأراميين والعمالقة[١].

٣- العصر الحديدي: ١٢٠٠ قبل الميلاد، وقد وجد في فلسطين إنسان البحر الأبيض المتوسط المهاجرين من اليونان وتركيا.

٤- الحضارة الناطوفية[٢]:

اكتشفت آثار حضارة النطوف بجوار القدس، وبدأت بعد نهاية العصر الجليدي ٠٠٠و١٠-٦٠٠٠ ق.م. وتشير بعض المراجع إلى أن سكان النطوف من الشعوب التي يدعونها السامية / الحامية، وإليها تنتمي الشعوب السامية[٣].

وكان السكان يشتغلون في الزراعة، ويزرعون القمح والكرمة.

وقد سكن النطوفيون في المغر، ثم انتقلوا إلى البيوت التي شيدوها من الحجارة.

٥- حضارة العسول:

٦٠٠٠-٣٠٠٠ (العصر الحجري النحاسي). ق. م.

اكتشفت هذه الحضارة في تليلات الغول الواقعة على بعد عشر كيلومترات إلى الشرق من البحر الميت، وهي حضارة مستقرة ذات مجتمع زراعي، ولم يكن حول الموقع أسوار وكان أهلها يصنعون أدواتهم من الصوان، ومن ثم استخدموا النحاس، وكانوا يقومون بالزراعة وخزن الأطعمة، كما عاش في نفس الفترة جماعة منهم في غزة ومغارة الوادي في الكرمل وفي مرج ابن عامر.

٦- حضارة جازر:

---

(١) Bibical Ar chacolo gist, Aeader Vol. 1,p:1341.

(٢) الحضارة الناطوفيه نسبه إلى وادي النطوف شمالي غربي القدس.

(٣) Albrigh, Arch. of palestine, p:61.

عاش سكان جازر في فترة العصر الحجري النحاسي، وقد استدل على تراث أهل المنطقة في قرية أبو شوشة بجوار الرملة، وكانت مدينتهم مسّورة، وقد دلت الحفريات على أن سكان جازر ذابوا في الحضارة الكنعانية، وقد انتهت حضارة الإنسان الجازري وغيره في فلسطين بقدوم الكنعانيين.

بعد هذه المستويات من الحضارات النطوفية والعسولية والجازرية وما شابهها، أصحبت الأحوال في فلسطين مهيأة لبزوغ فجر جديد[١].

وكان هذا فجر الكتابة وبداية التاريخ المدّون الثابت الذي صادف عصر الهجرات الرئيسية من قلب الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب، وكان ذلك خلال فترة ٤-٣ آلاف قبل الميلاد.

☆ الهجرة الأمورية /الكنعانية:

كانت الهجرة الأمورية / الكنعانية التي توجهت من الجزيرة العربية إلى شرقي النهر وفلسطين عام ٢٥٠٠ ق. م. هجرة كثيفة[٢]، حيث سكن الأموريون شرقي النهر وداخل بلاد الشام، والكنعانيون غربي النهر (فلسطين)، وتعتبر هذه الهجرة من أقدم الهجرات التي خرجت من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب[٣].

ويرى جفريز أن الأموريين كانوا يمثلون الطراز السامي الحقيقي، وأنهم قد أورثوا ملامحهم إلى أخلافهم العرب[٤].

وقد عرفت الشعوب بأسماء الأماكن التي سكنها، فالعرب الذين سكنوا الآرام، أو المرتفعات عرفوا بالآراميين، والذين سكنوا السواحل واشتهروا بصباغ الأرجوان الأحمر عرفوا بالفنيقيين، أما الذين سكنوا الأراضي الكانعة أو الواطنة، فقد عرفوا بالكنعانيين[٥].

---

(١) محمد أديب العامري - عروبة فلسطين في التاريخ - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٩٧٢، ص٥٣.

(٢) مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين - قسم ١ جزء ١، ص ٣٨٧.

(٣) Keller, The Bible as History, 1987,p.120.

(٤) جفريز، ج م ن، فلسطين: اليكم الحقيقة - ترجمة خليل الحاج - مراجعة د. محمد أنيس - دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٧١، الجزء الأول، ص ٣٧.

(٥) الدكتور محمود السمرة ورفاقه - فلسطين: أرض وشعب وقضية - منظمة التحرير الفلسطينية دائرة=

ولم تمكنهم طبيعة المنطقة التي عاشوا فيها من تأسيس دولة قوية موحدة، بل انتظموا في جماعات صغيرة يحكم كلا منها ملل ويتركزون حول مدينة محصنة تحيطها أسوار وأبراج قوية تلجأ إليها تلك الجماعات عند تعرضها إلى أي هجوم، وبعضها كان يلجأ إلى جزر محصنة ويلجأ إلى نظام دفاع مزدوج.

والفينيقيون أول أمة بحرية وهم من الذين استعملوا الأبجدية الراقية.

وكانت «التوراة» أهم مرجع عن تاريخ الكنعانيين، وقد شوهت التوراة تاريخهم، أما اليوم فلدينا مصادر موثوقة عن الكنعانيين، وهي الحفريات الأثرية التي أجريت في المنطقة، وخاصة الحفريات التي أجراها الأستاذ «ستيوات مكلاستر»، في تلة جازر المعروفة باسم خربة «أبو شوشة» بين الرملة ويافا، وقد جرى الحفر على مدى أربع سنوات، ونشر في المجلات الآثرية المتخصصة، وبكتاب خاص عن ذلك[١].

☆ العموريون:

العموريون في التوراة والتاريخ.

تشير التوراة إلى أن تسمية أرض كنعان كانت تطلق على جزء من فلسطين، وتشير التوراة لذلك إلى وجود «الأموريين والعموريين» في فلسطين.

كان يسكن فلسطين العمالقة[٢]، في أرض الجنوب، والحثيويون واليبوسيون، واليبويون والعموريون سكنوا في الجبال، والكنعانيون سكنوا عند البحر وعلى جانب النهر، وتجمع المصادر على أن العموريين ساميون، وأنهم خرجوا من جزيرة العرب[٣]، قبل بداية الف الثالث قبل الميلاد إلى سورية ولبنان ومنها إلى الأردن وفلسطين، وتختلف صلة العموريين بالكنعانيين، ولكن المرجح أن الكنعانيين انبثقوا عن العموريين، أو كانوا من القبائل التي تألف منها العموريون[٤].

= التعليم العالي، ص: ١٠٤.

(١) Macalister, History of civlization, palestine p:92.

(٢) التوراة – سفر العدد (١٣/ ١٩).

(٣) محمد أديب العامري – عروبة فلسطين خلال التاريخ (مرجع سابق) ص: ٥٥.

(٤) Amorites, 64g, Brit, 1968, Vol. 1.p:3.

لذا نجد الأسمين مستعملين، مكان بعضهما في التاريخ، ويظن العالم «نبيولاند سيرج» أن الأسمين كانا في القديم مترادفين»[١].

وعلى كل حال، حين بدأ التسلل اليهودي إلى البلاد كان التمييز بين العموريين والكنعانيين صعباً.

وكانت عاصمة العموريين القديمة (ماري الذهبية) التي تقوم على حدود سوريا الشمالية قرب البوكمال، وتقوم مكانها الآن مدينة تل الحرير. ومدن العموريين هي: الخليل وعاي (ديردبوان) وحسبان في شرقي الأردن، وسبصلتم بجوار اللد[٢].

وحين وصفنا حضارة (ماري الزاهرة) رجعنا إلى مصدر من مصادر التوراة والأفكار الإسرائيلية.

وتم العثور على آثار المدينة سنة ١٩٣٣، إذ قامت بها حفريات أثرية كبيرة بإشراف الباحث الأفرنسي طوماس باير، وقد عاود البحث في آثارها ست عشرة مرة.

وعثر في المدينة على خمسة وعشرين ألف لوح أو يزيد كتب عليها بالخط السماوي.

كما عثر على قصر الملك (زعيري ليم)، وهو يشبه القصر الملكي في رأس شمرة الكنعانية. وفي القصر لوحة فنية.

وعلى الرغم من أن الهجرات العقادية والكلدانية سبقت هجرة العموريين، إلا أن مدة استقرار العموريين كانت كافية لكي يشيدوا حضارة ذات قيمة[٣].

اعتمد العموريون باديء الأمر على الرعي، ثم انتقلوا إلى الزراعة والصناعات اليديوية، وقد كان لهم مراكز للغزل في جبلة وحلب، وفي فلسطين صنعوا الفخار على أشكال تميزوا بها، وكانت أسلحتهم القوس والنشاب والسهم والرمح، وكانوا يهتمون بموتاهم عند دفنهم ويجهزونهم للحياة الثانية.

---

(١) الدباغ - بلادنا فلسطين - القسم الأول - الجزء الأول، ص٤٠٣-٤٠٤.
(٢) محمد أديب العامري - عروبة فلسطين - (مرجع سابق) ص:٥٩.
(٣) Ar chaclogy and old trsta ment, study, p: 136.

وكانت ديانتهم طبيعية بدائية، وكان اسم (حدو) عندهم اسم إله العواصف والأمطار، وقد تحول (حدو) مع الزمن إلى «بعل» الذي اتخذه الكنعانيون إلههم، ثم أصبح كبير الآلهة[١].

ويشير (بارو) إلى أن هيكل سليمان مقتبس من حيث التسمية والشكل من الطقوس العمورية.

وقد عثر في القصر الملكي على لوحة كبيرة معلّقة على أحد جدران القصر، وسميت بـ (التنصيب)، لأنها تصور تنصيب الملك، والصورة كما يقول (بارو) تذكر بقضية جنة عدن كما وردت في التوراة (سفر التكوين، ١، ٢).

وقد تداخلت هجرة الكنعانيين بهجرة العموريين إلى فلسطين، ولم تكن الجماعات العبرية موجودة آنذاك، فقد تكونت فيما بعد واحتاج ذلك ألفي سنة.

☆ الكنعانيون

توجه الكنعانيون العرب الذين وفدوا من سواحل الخليج العربي في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد إلى فلسطين، وهم يمثلون أكبر موجة خرجت من جزيرة العرب، ويقول بعض المؤرخين بأن الكنعانيين سكنوا فلسطين، قبل ذلك بكثير، وكانت فلسطين تُسمى أرض كنعان[٢]، كما سُميت الأرض التي تفيض لبنا وعسلاً، ثم سميت بفكي الرحى لكثرة المعارك التي كانت تدور فوق أرضها.

والكنعانيون والفنيقيون شعب واحد: نسباً ولغة وديناً، وقد سكن الفنيقيون حول مصب نهر العاصي وجنوبي الكرمل.

وكان الفنيقيون والكنعانيون متفوقين بصناعة الخزف والمعادن من البرونز والنحاس، وقد أزهرت الاكتشافات الأثرية في أوغاريت (رأس الشمرة) وصور وصيدا وجبيل وأريحا والكرمل تقدم صناعة المعادن والصياغة في البلاد الكنعانية[٣].

---

(١) أديب العامري - عروبة فلسطين في التاريخ (مرجع سابق)، ص:٥٩.
(٢) محمد أحمد أبو خوصة - لمحات من تاريخ فلسطين - الجزء الأول- ١٩٨٦، ص: ٢٢.
(٣) المطران الدبس - تاريخ سوريا، المجلد الأول - الجزء الأول، ص٣٥٧.

لقد تبين لعلماء الآثار الذين أجروا التنقيبات الأثرية في بعض المدن التي تحمل أسماء كنعانية مثل: أريحا، بيت شان، مجدو، وجازر، أن هذه المدن كانت قبل الألف الثالث قبل الميلاد، فقد أرجع علماء الآثار تاريخ بلدة أريحا إلى ما قبل سبعة آلاف سنة[١]، وتقع أريحا الحالية في غور الأردن بجوار أريحا التاريخية، وهذا ما جعل العلماء يعتبرون أريحا أقدم مدينة ما زالت باقية حتى الآن.

ومن أجل سهولة البحث، اصطلح العلماء على تسمية «أريحا الأولى» وهي التي سبقت تاريخ ٦٠٠٠ ق.م، وأريحا الكنعانية هي التي ظهرت بعد سنة (٣٠٠٠) ق. م، وتقدر الدكتورة (كاثلين كنيون) التي قامت بآثر حفريات عام (١٩٥٢-١٩٥٨) والتي تعتبر الحجة الأولى في هذا الموضوع هي التي قدرت عمر المدينة، وهذا يقارب بداية السكن فيها من العصر الحجري المتوسط ويجعلها أقدم مدينة معروفة، وعلى هذا لا تكون أقدم الحضارات قد ظهرت في وادي النيل أو الرافدين وأعالي وادي الأردن[٢].

أما من الذين سكنوا مدينة أريحا لأول مرة حوالي ٨٠٠٠ سنة قبل الميلاد فهم من الهجرات العربية القديمة التي أشارت إليها بعض المراجع. وكان قدومهم إلى فلسطين قبل العموررين والكنعانيين.

لقد عثر في حفريات (تليلات الغول) الواقعة شمال شرق البحر الميت في سنة ١٩٢٩، وما بعدها على آثار أقدم مدينة كنعانية في فلسطين، أي أقدم من أريحا، وكانت ذات حضارة راقية، وقد خربت في أوائل العهد الحجري المعدني أو البرونزي (٥٠٠٠-٣٠٠٠) ق. م. نتيجة حريق هائل حولها إلى رماد[٣]. ويروي الأستاذ محمود العابدي عن هذه المجينة فيقول:

أنها إحدى مدن سدوم وعمورية الوارد ذكرها في القرآن الكريم[٤].

---

(١) Reccioti, History of israel, Vol. 1p.p 70-104.

(٢) محمود العابدي - من تاريخنا - المجموعة الثالثة- ١٩٧٤، عمان، ص:٤٣.

(٣) Ricciotі, History of israel, vol.1p.p. 70-104.

(٤) محمود العابدي - من تاريخنا- المجموعة الثالثة - ١٩٧٤، عمان، ص: ٤٣.

ويقول الأستاذ أولبريت William Al bright أن لدينا من البراهين والأدلة على أن الكنعانيين أصحاب اللغة السامية العربية، أستقروا في فلسطين في أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد، حيث عثر على أسماء مدن تحمل أسماء كنعانية في المجونات المصرية عن عصر الأهرام، القرن الثامن والعشرون قبل الميلاد[١].

وقد حافظ الكنعانيون حفدة العرب الأوائل على ملكيتهم لفلسطين منذ أقدم العصور، وكانت حيازتهم للأرض مستمرة، وإن شهدت موجات غزو عديدة، إلا أن صمود الكنعانيين العرب سكان فلسطين الأصليين بوجه الغزاة حفظ لها طابعها العربي خلال التاريخ[٢].

ويقول الأستاذ جفريز «إن رأي الفقهاء من أهل الخبرة والمعرفة، أن فلاحي فلسطين الناطقين بالعربية أخلاف القبائل الوثنية التي كانت تعيش هناك قبل الغزو العبراني ظلت أقدامهم ثابتة في التربة منذ ذلك التاريخ، وتوالت عليهم موجات الفتح المتعاقبة التي طغت على البلاد دون أن تحطمهم[٣].

وكان للقبائل الكنعانية بطون وأفخاذ تشمل: اليبوسيين والفينيقيين والعمالقة والغرزيين. وكانت مساكن الكنعانيين تشبه إلى حد بعيد مساكن المواطنين العرب في مدن فلسطين اليوم.

حضارة الكنعانيين:

لم يكن عدد مدن الكنعانيين يقل عن (٢٠٠) مدينة في فلسطين وذلك قبل غزو العبرانيين لها، وقد ذكر أحد الباحثين أن المدن في القسم الجنوبي الغربي من فلسطين كانت آنئذ غزيرة العدد[٤].

---

(١) الدكتور أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ - الطبعة السادسة - العربي للأعلان والنشر والطباعة والتوزيع - دمشق - ١٩٧٣، ص: ٣٤٨.

(٢) الدكتور أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ - الطبعة السادسة - العربي للاعلان والنشر والطباعة والتوزيع - دمشق ١٩٧٣، ص: ٣٤٨.

(٣) جفريز. ج. م. ن. فلسطين اليكم الحقيقة - ترجمة خليل الحاج، مراجعة د. محمد أنيس، دار الكاتب العربي القاهرة - ١٩٧١، الجزء الأول ص: ٣٦-٣٧.

(٤) Noth, The History of Israel, p:31.

وقد مارس الكنعانيون زراعة الشعير والزيتون والقمح والكرمة - فكلمتا قمح (gmhw) وكرمة (Karmu) هما بالأصل كنعانيتان - وزرعوا مختلف أنواع الفواكه والخضار، كما دجنوا الماشية والطيور، وهذا ما دعا الناس في ذلك الوقت أن يصفوا البلاد بأنها «تفيض لبناً وعسلاً».

وقد صنعوا أسلحتهم من البرونز والحديد، وصنعوا الفخار، وصنعوا الدولاب الذي لا يزال نموذجه حتى الآن قائماً في البلاد، واستخدموا الصوف لصنع الملابس، واستعملوا الخشب في صنع الآثاث والبيوت واستوردوه من أخوانهم الفنيقيين.

وكان بعل عندهم إله الخصب والانتاج، وقد كشفت الآثار في أوغريت عن هيكل لبعل يعود تاريخه إلى (٢٦٠٠) ق. م، وقد بني هيكل سليمان على طرازه، وفكرة «بيت يهوه» مقتبسة من فكرة «بيت بعل» عند الكنعانيين. والعموريين، الذين سموا هذا البيت أيضاً «الهيكل» و«القصر».

وكان «إيل» إلها أكبر و«بعل» إبنه، وقد اقتبس العبرانيون عنهم عبادة هذا الإله، «إيل» وذكر أنهم جعلوا «يهوه» ابنا له، وهم بإبراهيم فينسبون إليه في التوراة أنه بني مذبحاً لهذا الإله[1].

وكان الكنعانيون يتكلمون لهجة خاصة بهم مشتقة من العربية الأولى، ثم حلت محلّها اللغة الآرامية العربية. ومن ثم بعد الفتح الإسلامي حلت محلها اللغة العربية الحديثة، وقد وجد ضمن حفريات مملكة أوغاريت نماذج من الأبجدية المسمارية، وهي أقدم أبجدية في تاريخ البشرية.

الأدب الكنعاني والعبري:

ودلت الحفريات أيضاً على أن «هنالك مقارنات ومشابهات من حيث اللغة والأفكار بين أدب أوغاريت (الكنعاني) وسفر أيوب (التوراتي). وتوجد موازنات في شعر أوغاريت كما في الشعر العبري. ومما يستلفت النظر التشابه في المفردات والأفكار

(١) الدكتور نسيب وهيب الخازن - أوغاريت، ص: ٣٠.

والأوزان الشعرية والتركيب الأدبي بين الأدب الأوغاريتي والمزامير العبرانية. ونجد في الوثائق الأوغاريتية أن بعل يوسف بـ «راكب الغيوم»، كذلك يصفون الله في العبرية (المزمور ٦٨/ ٤). وفي أحد نصوص أوغاريت نجد أن الرعد هو صوت بعل، وفي سفر أيوب (٣٧/ ٢) - ٥ والمزمور ٢٩٥/ ٣ -٥، نجد أنه صوت يهوه، وهذا المزمور بكامله من أصله كنعاني ظاهر[١].

ويقول العالم ج - جراي عن وثائق أوغاريت الأثرية: «أن الدراسة التفصيلية لهذه الوثائق تكشف عن نقاط اتصال غزيرة بينها وبين التوراة. وفوائدها في دراسة التوراة «حجة» فهي تسجل بصورة وثائقية عبارة الخصب عند الكنعانيين التي تأثر بها العبرانيون، كما تسجل العادات الاجتماعية والعلاقات العائلية والفضائل المتبعة عند الإسرائيليين المقتبسة من الكنعانيين»[٢].

ويقول (حتّى) في هذا المعنى:

«أن الكثير من خير ما تركه التراث الأدبي الكنعاني اقتبسه العبرانيون ودخل في كتاباتهم المقدسة وينطبق هذا خاصة على القطع الغنائية والحكم التي استعارها سفر الامثال والمزامير ونشيد الأناشيد، وعلى الأخبار الخرافية التي دخلت في سفر التكوين وقصص الأنبياء ولم يكن هذا الأمر معروفاً إلى أن اكتشفت «مدينة أوغاريت[٣].

ويتناول الدكتور نسب وهيب الخازن موضوع الاقتباس العبري عن التراث الكنعاني بشيء من التفصيل في كتابه الرائد «أوغاريت»، وهو كتاب يقوم تأليفه على نتائج الحفريات الأثرية. وفي هذا يقول:

«إن التسميات الإلهية الواردة في سفر التكوين في الفصول ١٤-١٥ هي بلا شك سابقة لعهد الاسرائيليين، ويكفي أن نحيل إلى بعض الأسماء لنجد ثلاثة أرباع التسميات كنعانية.

---

(١) فيليب حتى - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (مرجع سابق)، ص: ١٢٤.

(٢) Gray, Arch and old Testo. study p:160.

(٣) فيليب حتي - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (مرجع سابق) ص: ١٢٣.

بيت ايل - بيت ايل عولام - الأبدي.

«يشمع ايل - ليسمع ايل (اسماعيل) رؤى - الذي يرى.

«عليون - العالي - العلي يضحك ايل - ليبتسم ايل»[١].

ويورد الدكتور الخازن أمثلة عديدة في كتابه، نأتي فيما يلي على أقل القليل منها:

نصوص أوغاريت	نصوص التوراة
طُبُخ جد بحلب (كنعاني) (اطبخ جديا بالحليب)	ولا تطبخ جديا بحليب أمه
	(تثنية ١٤/ ٢١)
سمم شمن تمطرن (السموات سمنا تمطر)	يسيل الحليب والعسل
نحلم بكل بنتم (عسلا الينابيع يشمل	وفي ذلك اليوم تقطر الجبال
	سلافا وتفيض الأكام لبنا
	(مزامير ٦/ ٧)
أن أعداءك يا بعل	إن اعداؤك يا يهوه
أن أعداءك ستضربم	إن أعداءك يبيدون[٢].
	(مزامير ٩٢/ ١٠)

وقد ألقت نصوص أوغاريت الضوء على شيء من مصادر الأدب اليوناني، وفي ذلك يقول الدكتور الخازن نقلاً عن الأب دي لانج:

«إن كثيراً من كبار العلماء الآن يرون أن آداب اليونان وآداب إسرائيل تعود إلى مصدر واحد هو الأدب الكنعاني[٣].

---

(١) الدكتور نسيب وهيب الخازن - (أوغاريت) - مرجع سابق، ص: ٤٥.

(٢) نفس المرجع، ص٨٧-٨٨.

(٣) الدكتور نسيب وهيب - أوغاريت (مرجع سابق)، ص: ٧٩.

☆اليبوسيون

اليبوسيون بطم من الكنعانيين، اسمهم مشتق من جدهم الأول «يبوس»، وقد سكنوا القدس والمرتفعات المحيطة بها، وكانت يبوس مملكة كبقية مدن الكنعانيين، ومن ملوكها أدومي صادق، وملكي صادق، وسالم اليبوسي، وهي أسماء عربية قديمة، والقدس التاريخية (يبوس) هي غير القدس القديمة التي تقع ضمن أسوار القدس الحالية[١].

وكانت القدس أشهر مدن العالم القديم على الإطلاق، وقد ظهرت القدس في خارجة كنيسة الأرثوذكس بمأدبا على أنها مركز العالم، وقد رسمت هه الخارطة في القرن السادس للميلاد، وقد أسس اليبوسيون القدس منذ حوالي (٦٠٠٠) سنة من اليوم.

ويقول ونتون طوماس «إن استيطان موقع القدس في الألف الثالث قبل الميلاد يضفي على آثار المدنية حرمة زائدة، وقد مر بها إبراهيم فزاره ملكي صادق ملكها وكاهنها الأعلى، فدعا لإبراهيم وباركه، فأعطاه إبراهيم جزية العشر من كل ما يملك[٢]، (سفر التكوين ١٤/١٨-٢٠).

وقد عثر في القدس وما حولها، قبل بداية التاريخ، بزمن طويل على آثار تدل على حياة بشرية، وعثر على رؤوس سهام ومقاشط صوانية، وأواني طبخ في كهف تحت جبل صهيون[٣].

ووجد فيها أيضاً آثار عمورية وكنعانية ويبوسية، وكلها عربية الأصول، وهي تدل على أن موقع المدينة كان مسكوناً في الألف الرابع قبل الميلاد[٤].

وقد قالت التوراة أيضاً أن أصحاب يبوس هم«اليبوسيون» الذين قاوموا غزوة الإسرائيليين، فقد جاء في التوراة «أما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهودا على طردهم. فسكن اليبوسيون مع بني يهودا في أورشليم إلى هذا اليوم».

---

(١) القدس الاريخية هي مدينة اليبوسيين الأثرية على مرتفع الفهور (أوخل) ويقع خارج السور، أما «القدس القديمة» ما يقع داخل السور.

(٢) A. A. Thomas Arch and Old Test. study p: 282. Kenyon.

(٣) Arch,in The Holy Iand, p:317.

(٤) وليد الخالدي - الحق العربي في حائط المبكى في القدس - منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٦٨، ص:٨.

وفي التوراة إشارة أن الإسرائيليين لم تكن لهم علاقة بنشوء القدس، فحين دخل بعض الإسرائيليين إلى فلسطين بقيادة يشوع، ذكرت التوراة أنه كان رجل إسرائيلي وإمرأته وغلامه الإسرائيلي أيضاً مسافرين ذات يوم، فأدركهم الليل، وهنا تقول التوراة: «وفيما هم عند يبوس (القدس) والنهار قد انحدر جداً، قال الغلام لسيده: تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها، فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة لا أحد فيها من بني إسرائيل».

وهذا يدل على أنه لا أثر لوجود الإسرائيليين في القدس.

☆ لا آثار يهودية في القدس:

تقول الدكتورة كينيون عن حفرياتها الحديثة في القدس (١٩٦١ وما بعدها)، أنه لا أثر لأي أبنية يهودية في القدس، ثم تؤكد أنه لا اثر لما بناه سليمان.

وقد حضرت إلى فلسطين لجنة دولية مشهورة بالآثار عام ١٩٣٠، وأصدرت قرارها الذي وافقت عليه الحكومة وعصبة الأمم والذي نص على أن «للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي. وأن «حائط المبكى بالذات أثر إسلامي مقدس، وهو ملك عربي، ووقف إسلامي»، وأن لليهود حق الزيارة إلى حائط المبكى ليس إلا[1].

وقد نشر الأستاذ رفيق وفا الدجاني المساعد الفني لمدير الآثار الأردنية تحت عنوان «لماذا تحفر إسرائيل حول سور الحرم» ما يلي:

«ما أن استولت إسرائيل على القدس في حرب حزيران ١٩٦٧ حتى سارعت إلى عمل حفريات حول حائط الحرم الغربي والجنوب الغربي - لماذا...؟ لأن الحفريات الأثرية التي قامت بها المدارس الأثرية والتبشيرية في القدس منذ سنة ١٨٦٤ وحتى ١٩٦٨ قد عجزت عن العثور على أي برهان أثري من آثار الهيكل داخل أسوار مدينة القدس القديمة.

«وقد يسأل البعض، وهل عثرت إسرائيل على آثار من عهد الهيكل في حفرياتها هذه...؟ والجواب كلا، وأقول بتأكيد لن تعثر على آثار من عهد الهيكل أو زمن

---

(١) وليد الخالدي - الحق العربي في حائط المبكى في القدس - منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٦٨، ص:٨.

سليمان أو داود داخل المدينة القديمة لأنه قد سبق وحفر قبلها في نفس المكان الذي يحفر فيه الآن كل من السير شارل وارن وربنسون وولسون وباركلي المبشر الأميركي والمدرسة البريطانية الاثرية في القدس ودائرة الآثار الأردنية ومدرسة اللاهوت الفرنسسكانية. وقد وصل الحفر مع بعضهم للصخر وكشفوا عن مداميك حائط البراق وباب مسجد البراق تحت المحكمة الشرعية القديمة قرب باب السلسلة والتي أرجع تاريخها السير شارل ولسون وفيرغسون إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين، أي العصر البيزنطي.

وقد صمدت القدس أكثر من مائتي سنة في وجه الغزاة العبرانيين الذين اجتازوا نهر الأردن واحتلوا أريحا سنة (١٢٦٠) ق. م.

ورغم احتلال اليهود لجزء من فلسطين، فإن أهل البلاد الأصليين من يبوسيين عرب وكنعانيين عرب وغيرهم ظلوا قائمين في الأرض يستوطنونها ويعمرونها، ويقادمون المحتلين كلما سنحت لهم الفرصة حتى زالت المملكة التي أقامها الغزو العبراني لفلسطين.

☆ شعوب دخيلة سكنت أرض فلسطين:

تحول من قلب الجزيرة العربية. الكلدانيون والأشوريون والبابليون في العراق، والعموريون في العراق وسوريا وفلسطين، والكنعانيون في سورية وفلسطين، وقد ألفوا جبهة حضارية «ترفدها مصادر الثروة الجنوبية في شمال بلاد العرب»[١].

هذه الجبهة الحضارية ناهضتها جبهة حضارية مقابلة، وهي جبهة الشعوب الهندو أوروبية «الآرية»، وقد كانت هاتان الجبهتان متنافستين[٢].

وتلاقت شعوب هاتين الجبهتين في صفين متقابلين:

صف الشعب العربي ممتدا من العراق، والخليج إلى المحيط الأطلسي.

وصف الشعوب الهندو أوربية من الهند وفارس إلى فرنسا.

---

(١) محمد أديب العامري - عروبة فلسطين في التاريخ (مرجع سابق)، ص: ١٠٢.

(٢) جيمس هنري برستد، العصور القديمة - ترجمة داود قربان، المطبعة الأميركية - بيروت (١٩٢٦) ص: ١٣٢.

ولما كانت الشعوب العربية قد سبقت غيرها في سلّم الحضارة وازدهرت، فقد طمعت فيها الشعوب الهندو أوروبية من الهند وفارس إلى فرنسا.

وقد تخطت حدود الهلال الخصيب، بما فيها فلسطين، شعوب غازية منها: الحثيون والحوريون، والفلسطينيون من كريت، ثم غزاها العبرانيون.

الحثيون: شعب من سكان آسيا الصغرى، وكانت عاصمتهم إلى الشرق من أنقرة.

أسس الحثيون مملكة دامت للفترة ما بين (١٧٥٠-١٤٥٠) قبل الميلاد، وقد امتدت وأصبحت إمبراطورية واسعة الأطراف امتدت إلى دمشق وبابل، وقد زال حكمها عام ١٢٠٠ ق. م.

ولم يمتد حكم الحثيين إلى فلسطين، ولكن يظهر أن جماعات قليلة منهم سكنت البلاد، ولكنها ظلت دائماً قليلة العدد بالنسبة إلى سكان فلسطين الكنعانيين(١).

ويقول الأستاذ الدباغ: أن الحثيين نزلوا في الخليل وبتين بجوار رام الله، وأن فلسطين لم تدخل في إمبراطوريتهم(٢). ويؤيد غرني ذلك يقول: أن كنعان (فلسطين) كانت دائماً خارج حدود الإمبراطورية الحثية(٣).

☆ الحوريون:

وهم من الشعوب التي انحدرت إلى الهلال الخصيب، وقد زحف الحوريون من مواطنهم حول البحر الأسود وأرمينيا نحو الغرب والجنوب إلى أن وقف زحفهم شمالي سوريا، وقد وجدوا في الهلال الخصيب للفترة ما بين ٢٣٠٠-١٢٠٠ ق. م. وقد سميت مملكتهم غياني، وكانت ممالك الكنعانيين والفنيقيين في الجنوب، واشتهر من مدنهم (نوزي) التي تقع قرب كرلوك.

ويرى اسم الحوريين في التوراة كشعب من شعوب فلسطين(٤)، وكانت جماعات

---

(١) Gurney Ard. and old Tastament study p. 114.

(٢) مصطفى مراد الدباغ - بلادنا فلسطين - الجزء الأول - القسم الأول - دار الطليعة - بيروت ١٩٦٥، ص: ٤١١.

(٣) Gurney, Arch, and old Testament study, p:113.

(٤) Albrigh, W.F. the Archaclogy of palestine, penguin books, Baltimore, U.S.A. 1961.

منهم تقيم في نابلس (سفر التكوين ٢٤/٣) وشمالي فلسطين (صموئيل الثاني ٢٤/٧)، إلا أن عددهم كان محدوداً بالنسبة للكنعانيين، وتذكر التوراة عدداً من بلدانهم ومنها بصيرة الواقعة بجوار الطفيلة[1].

ومن المكتشفات الأثرية ألواح «نوزي»، وتدل هذه الألواح على تأثير الحوريين في العبرانيين وذلك بانتقال كثير من عادات الحوريين وشرائعهم إلى الإسرائيليين الأوليين.

وبالإشارة إلى «العبيرو»، تذكر ألواح «نوزي» أنهم غرباء، وأنهم مرتزقة يتعاطون أعمال الخدمة، الشغل لدى الدولة أو الأفراد، وأن كلمة عبيرو مرادفة لـ «مهاجر بائس».

وهذا يذكرنا بكلمة «العبرانيون» في مصر (سفر الخروج ٣٠/١) وسفر التثنية (١٥/٢-١٢)، وأن التوراة تستعمل هذه الكلمة لتدل على الإسرائيليين.

ومن الشرائع التي أحبها العبرانيون عن الحوريين تعدد الزوجات واتخاذ السراري وتوريث الابن الأكبر حصة مضاعفة.

وفي القسم الأخير من الألف الثاني قضى الحثيون على الحوريين، وذاب الحوريون في الشعب الآرامي، كما أن من استقر منهم بفلسطين ذاب في الكنعانيين.

☆ الفلسطينيون:

زحفت جماعات كبيرة من الهندو أوروبيين حوالي سنة (١٢٢٥) ق. م، من الشمال إلى الجنوب على اليونان، وجزر بحر إيجة وجزيرة «كريت»، وقد أدى هذا الزحف إلى هروب جزء كبير من سكان بحر إيجة بسفنهم، وقد حاولوا غزو مصر إلاّ أن المصريين صدوهم، واندفع هؤلاء بعد ذلك بسفنهم إلى السواحل الكنعانية ما بين يافا وغزة[2]، وكان ذلك عام (١١٩٠)، وكذلك غزت جماعة هندو أوربية نفس المنطقة، ونزلت هناك عام (١١٨٥) ق.م، فدعي الساحل باسم فلسطين، والقبائل باسم «الفلسطينيين» والاسم مشتق من بالستا Palesta.

---

(١) لانكستار هارونج، آثار الأردن - اخراج مجلة رسالة المعلم، عمان ١٩٦٥، ص٢٦.

(٢) فيليب حتي - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (مرجع سابق) ص: ٢٠٠.

وقد توسع الفلسطينيون خلال مائة سنة، واستولوا على معظم الأراضي السهلية الواقعة بين الساحل والجبل، وقد انتصروا على الكنعانيين بسبب استعمالهم أسلحة جديدة من العربات والحديد والخوذ والدروع والرماح، وبسبب تزامن غزواتهم مع غزوة العبرانيين. وكان في الساحل الذي أقام فيه الفلسطينيون خمس مدن رئيسية هي: اسدود وعسقلان وغزة وعاقر وجات (عراق المنشية).

وكان النفوذ المصري موجوداً في فلسطين، وقد نسي الفلسطينيون لغتهم الكريتية، وتعلموا اللغة الكنعانية، وعبدوا آلهة الكنعانيين وصاروا يعبدون بعلا ودجن وغيرها. وكانوا مهرة في الصناعة، واستعملوا الحديد واحتكروا صنعه.

وقد حارب الفلسطينيون العبرانيين في منتصف القرن الحادي عشر وهزموهم، واستمرت الحروب سجالا بين الطرفين إلىأن دخلت فلسطين كلّها في حكم الأشوريين. ولم يبق للفلسطينيين سلطان يذكر، وقد ذابوا في سكان البلاد الكنعانيين والعموريين بعد أن طبعوا اسمهم على فلسطين.

☆ اليهود:

«العبراني» هو المنحدر من إبراهيم أو إسحق أو يعقوب «الآباء» والتوراة تدعو إبراهيم «العبراني»، وعلى هذا تطلق الكلمة على الإسرائيليين واليهود على السواء.

ويقول البعض أن الكلمة أخذت من العبير وهم مرتزقة مأجورون غرباء، وهم يتعاطون أعمال الخدمة والشغل لدى الدولة والأفراد، وأن كلمة عبيرو مرادفة لـ «مهاجر بائس»، والتوراة تستخدم هذه الكلمة للدلالة على الإسرائيليين.

«الإسرائيلي»: هو المنحدر من إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحق، ولكن الكلمة تعرف تجاوزا إلى غير أبناء يعقوب من العبرانيين.

«اليهودي»: هو العبراني أو الإسرائيلي الي كان تابعاً لمملكة يهوذا، ولكن استعمالها بعدئذٍ شمل الجميع.

ويقول الدكتور محمد أبو المحاسن منصور: أن العبرانيين نزحوا من شبه الجزيرة العربية، إلى سوريا عن طريق كنعان في نفس الوقت الذي وصلها فيه الآراميون تقريباً، كان النزوح كالتالي: الأموريون وتركزوا في الشمال والآراميون في الساحل والكنعانيون في المنطقة الداخلية والعبرانيون في الجنوب[1].

---

(١) الدكتور محمد أبو المحاسن منصور - معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم - دار النهضة العربية =

كان اليهود منذ أقدم العصور يتطلعون نحو فلسطين كأرض ميعاد، وكانت تعاليمهم تنص: على كل يهودي صبيحة كل يوم أن يتجه ببصره نحو القدس كائناً من كان، وأينما كان ويقول:

«إن نسيتك يا أورشليم تنساني يميني، ليلتصق لساني بحنكي أن لم أذكرك،إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحي.

ويجب تصحيح مفهوم خاطىء سائد، فالإسرائيليون ليسوا أول من سكن فلسطين، بل كانوا غزاة، وعندما غزت القبائل الإسرائيلية أرض فلسطين وجدت هناك أهلا قاطنين وثقافة قائمة، وكان من جملة سكان البلاد في ذلك الحين: الكنعانيون، والحبقانيون، والفلسطينيون، ولم يحدث قط إذعان الكنعانيين أو الفلسطينيين للاحتلال إذعاناً كاملاً [١].

وادعاء اليهود بانتمائهم إلى فلسطين باطل، فهم لم يعيشوا في فلسطين أصلاً، بل أتوا إليها من مصر محتلين كغيرهم من الأمم التي غزت فلسطين وطردت، فقد كان اليهود في بابل (جماعة السبي) يمثلون بقايا جماعة موسى، وهم في الأصل مصريون، خرجوا مع موسى بعد أن فر من بلاط فرعون وعبر البحر إلى طور سيناء، ولا صلة لهم ببني إسرائيل، وقد احتلوا جزءاً من فلسطين لأنها كانت مقسمة إلى ثلاثين دولة[٢]، ثم اختلط معهم من اعتنق الديانة اليهودية من الأجناس، وجاءت تسميتهم باليهود من اسم مملكة (يهوذا) المنقرضة، وأصبحت هذه التسمية تشمل جميع المنتسبين إلى الديانة اليهودية[٣].

وقد كان الكنعانيون أبناء فلسطين العربية يقاومون هذه الغزوات، فالكنعانيون العرب وجدوا في فلسطين منذ أربعة آلاف سنة، واليهود هاجموا فلسطين مع المصريين وبقايا الهكسوس حوالي عام ١٢٦٠ ق. م.

= للطباعة والنشر - بيروت، ص٢٨٤١.

(١) Palestine and Transjordan, Grographical Hand Book serie p. 87.

(٢) الدكتورة محمود السمرة ورفاقه - فلسطين: أرضاً وشعباً وقضية - منظمة التحرير الفلسطينية - دائرة التربية والتعليم العالي. ص: ٧٢.

(٣) عبد الرزاق محمود الأسود - الموسوعة الفلسطينية - المجلد الأول - الدار العربية للموسوعات- دمشق ص: ١٣.

☆ تسمية فلسطين:

أطلقت شعوب كثيرة على هذه الأرض تسميات مختلفة، ولعل أقدم أسماء هذه الأرض هما اسما: خارو Kharu (الجزء الجنوبي) ورتينو Retenu (الجزء الشمالي)، وقد أطلق هذين الإسمين قدماء المصريين[١]، ثم سميت هذه الأرض بأرض كنعان و(كينا هي) وأصله كنعان Kan'an.

تروي لنا كتب التاريخ القول السائد أن الفلسطينيين كانوا قبيلة اسمها (فيلست) قدمت من جزيرة كريت إلى أرض كنعان عام (١٢٠٠) ق. م، واحتل أفراد هذه القبيلة الساحل الكنعاني من غزة جنوباً إلى الكرمل شمالاً وحتى سفرح الجبال شرقاً، وسميت تلك البلاد (فلسطين، بالستين، Palestine). نسبة إلى هذه القبيلة، ثم أصبحت التسمية تشمل جميع فلسطين، بحدودها المعروفة. غير أنه يرد في بطون الكتب[٢] أن إيليا (القدس) وفلسطين بحدودها المعروفة والأردن وحمص ودمشق ضم بلاد الشام، وسبب تسميتها تعود إلى أبناء (آرام بن سام أبو العرب) حيث كان له خمسة أولاد هم: (إيليا) وفلسطين وأردن، وحمص، ودمشق)، كل واحد من هؤلاء الأخوة سكن في منطقة من بلاد الشام، وسميت هذه المناطق بأسمائهم.

☆ أصل العبرانيين:

تذكر بعض المراجع بأن العبرانيين الذين هاجروا من فلسطين كانوا الساميين الذين خرجوا من جزيرة العرب[٣].

ويقول المؤرخ فيليب حتي أنهم جيران العرب الأقربون، وأنهم من الناحية العرقية أقرب الشعوب نسباً للعرب.

---

(١) الشيخ ظاهر محمد موسى العمري - فن القيادة في الإسلام عن ياقوت الحموي - معجم البلدان- مجلد عام ١٩٧٧، ص: ٤٦٤.

(٢) ظفر الإسلام خان - تاريخ فلسطين القديم - دار النفائس -بيروت ص:١٥.

(٣) فيليب حتي، تاريخ العرب المطول، ص:٥١.

ويقول بعض المؤرخين أن اسم «العبرانيين» مشتق من عابر بن شالح بن سام بن نوح، ومن هنا جاء القول أن اليهود ساميون، غير أن الوثائق الأثرية الحديثة والدراسات تدل على أن العبرانيين المذكورين في التوراة هم جماعة من «العبيرو» (هيبرو) وأن نسبة الجنس السامي منهم ضئيلة.

ويقول جون برايت أن العبرانيين من حيث الأصل، يتألفون من عناصر ذات أصول مختلفة للغاية[١]، بينما يقول نوث أن اليهود ظاهرة فريدة بين الأمم التاريخية الأخرى، وأنه لا يمكن إطلاق معنى «الأمة عليهم، وأنهم يرجعون إلى أصول متنوعة جداً» وهو ما يوحد ما بين «العبرانيين و«العبيرو»[٢].

يكاد يتفق الباحثون على أن العبرانيين المذكورين في التوراة هم من «العبيرو» الذين اشارت إليهم رسائل تل العمارنة، ووثائق أوغاريت وماي، وأن العبيرو في رأي معظم العلماء لا يمكن الاعتراف بهم كجماعة تنتسب إلى جنس (عرق) واحد، وهم لا يحترفون حرفة معينة، بل هم أحياناً جنود ومرتزقة، وأحياناً كانوا عمالا عاديين، وأحياناً عبيداً مستخدمين، والصفة المشتركة بينهم هي أنهم أجانب أو غرباء، لا مأوى لهم، لذلك تكون هذه الجماعات ذات أصل مختلط، وكان طواف العبيرو واقامتهم غالباً في بلاد سامية، لذا اقتبسوا التراث السامي، وأن الإسرائيليين هم أحفاد جماعة العبيرو التي دخلت إلى فلسطين من شمالي سوريا في هذا الوقت في حوالي عام ١٩٠٠ ق. م.

«ومع أن تحركات العبيرو جاءت إلى فلسطين بجماعات من أجناس مختلفة كالهكسوس والحقيين والحوريين، فإن الأساس في سكان فلسطين في القرن السادس عشر، ق.م. كان من الجنس السامي، وتتميز خصائصه بقدرة كبيرة على البقاء، وامتصاص غيره من العناصر[٣].

إن مصطلح «عبيرو» لا يرجع في الأصل إلى وحدة عرقية. وإنما إلى طبقة في المجتمع، فمن الممكن أن يكون العبيرو من أي جنس، ومع ذلك يكون عبيرو، فالمصطلح يشير إلى طبقة من الناس لها جنسية.

(١) Thon Bright, Hist. of Israel p: 120.
(٢) Noth, The Hist of Israel pp 5,34,81.
(٣) Kenyon, Arch, in the Holy Iand, p. 183,184.

ويضيف جراي، أنه خلال الألف الثاني قبل الميلاد كان في أوغاريت، وهي الحاضرة الكنعانية المشهورة، وفي جميع دول الشرق الأدنى، جماعات من العبيرو، وأنهم كانوا طبقة أجنبية عن البلاد تسكن مقاطعات خاصة بها، يمكن ضبطهم فيها وتجنيدهم منها، وكان ذلك أفضل لئلا يلجأ إليهم أحد يغزو بهم بلاداً يطمع في السيطرة عليها[١].

والعبيرو يؤدون الخدمات في المكان المطلوب وبالصورة المبتغاة ويمثلون عناصر مفككة قلقة لا جذور لها في الأرض[٢].

وهناك نقطة جانبية لها أهمية خاصة بالنسبة لتاريخ التوراة، أن «العبرانية»، في نظر أكثر الثقاة هي تشكيلات «العبيرو»، وعند المصريين العبر، وكان إبراهيم يدعى عبرانياً، وفي فترة تحركت عصابات العبيرو، وتقع تحركات الآباء العبرانيين، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن أحداً أسباط إسرائيل وهو سبط بنيامين قد صنف مع العبيرو، وذلك بناء على الاكتشافات الأثرية الحديثة في ماري. وتضيف الاكتشفات إلى ذلك «إن ذكر البنياميين في أواحماري، يدل على أن جماعات من البدو أو أشباه البدو كانت معروفة باسم البنياميين قبل يعقوب[٣].

ويقول أندريه بارو ان الألواح المكتشفة ترسم صورة لا مجاملة فيها للعبيرو، والبنياميين معاً، وتصف كلا بأنه «سراق نهاب»[٤]، ويبد هذا الوصف التوراة إذ تقول: «بنامين ذئب مفترس، في الصباح يأكل غنيمة، وعند المساء يهتم نهباً».

وبعد بحث في وسائل تل العمارنة يلخص بروس موضوع العبيرو، فيقول: «نستطيع أن نرى «العبرانيين» الذين تصفهم التوراة جماعة من «العبيرو تربط بينهم أواصر دينية قوية، وقد تخلوا عن حياتهم البدوية السابقة، ونزلوا في كنعان (مع جماعات أخرى ملتحقة بهم) في نهاية العصر البرونزي الأخير[٥].

---

(١) فيليب حتي - تاريخ العرب المطول ص: ٥١.

(٢) Noth, The Hist. of Israel p. 34.

(٣) Parrot, Arch. and old Test -study, p: 141.

(٤) التوراة، سفر التكوين، ٤٩/ ٢٣.

(٥) Bruce, Arch, and old Test. p:15.

☆ اليهود يغزون فلسطين:

طالب النبي موسى وأخوه هارون قومه بالهجرة إلى فلسطين تخلصاً من المعيشة الضنكة الحقيرة التي كانوا يعيشونها تحت حكم الفراعنة.

ولما هم موسى بالخروج أوصاه يهوه يومئذ أن لا يخرج هو وقومه منها خالي الوفاض، بل تطلب كل إمرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهباً وثياباً وتعصونها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين(١).

وخرج موسى وأخوه من مصر حوالي سنة (١٣٠٠) قبل الميلاد، ويقال أن عدد اليهود كان آنذاك ستة آلاف، ومعهم خليط من الفقراء والعبيد، ووصف برايت الجماعات التي تألف منها هؤلاء الخارجون بأنها من العبيرو وأنها اشتملت على عبيد من سائر الأصناف، تمسك بعضهم بعادات وتقاليد الأبوية «تقاليد إبراهيم وإسحق ويعقوب»، ولم يهتم بها الآخرون، وقد ألفت هذه الجماعات التي خرجت بقيادة موسى نواة إسرائيل(٢).

وقد قضى موسى في صحراء سيناء أربعين سنة، وكان سبب تأخرهم هذا الزمن الطويل في رأي المؤلف اليهودي (ايزادور أبشتين) أن الإسرائيليين كانوا متفرقين بلا ضابط، وقد انحطت معنوياتهم، وضعفت همتهم، ولم تكن لهم قدرة على الشعور المشترك والعمل الموحد حتى في الشؤون التي تفيدهم.

ولقد كان لسكان فلسطين في نفوس اليهود رهبة، فلم ينهضوا لدخول البلاد حتى حين دعاهم موسى، بل قالوا:

﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ [المائدة: ٢٢].

لذا اتجه موسى شرقاً، فدخل فلسطين من الجنوب واتجه من هناك إلى شرقي الأردن، وقد قاومه الأدميون والعموريون، فاضطر دخول العقبة فمعان فمأدبا، وقد توفي موسى في مأدبا.

وقد قاد اليهود يشوع بن نون، وعبر نهر الأردن عام ١٩٩٠ ق. م. وحاصر أريحا واحتلها.

---

(١) التوراة - سفر الخروج ٣/ ٢٢.

(٢) Bright, A History of Israel, pp 120-125.

«وضربوا وأهلكوا كل من في المدينة، من رجل وامرأة وطفل وشيخ والبقر والغنم والحمير بحد السيف، واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها، إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد اجعلوها في خزانة الرب»[١].

وضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهول والسفوح وكل ملوكها، لم يبق شارداً، بل حّرم كل نسمة كما أمر الرب، إله إسرائيل، فضربهم يشوع من قادس برنيع إلى غزة، وجميع ارض إلى جعبون[٢].

قبل نهاية العصر البرونزي[٣] شهدت فلسطين التي كان يسكنها الفلسطينيون واليبوسيون وقبائل كنعانية أخرى غزوا جديداً جاء من صحراء سيناء، في صور اليهود الذين كان يقودهم يشوع، وكان هذا الغزو بربرياً همجياً.

أما كيف غزا اليهود فلسطين. . .؟ أن التوراة تكفينا مؤونة القاء الضوء على هذه القضية، قضية الشعب اليهودي الفريدة في التاريخ والتي لا مثيل لهمجتها وشراستها، وحقدها، وقد لا نتمكن من مقارنة الوحشية اليهودية الأولى إلا بما فعلوا في غزوهم الجديد لأرض كنعان في دير ياسين، وكفر قاسم وقبية وغيرها، المئات من القرى والمدن العربية، ويمكننا أن نستبدل أسم يشوع دايان، وأسماء المدن الفلسطينية القديمة بالأسماء الجديدة.

وقد مات يشوع قبل أن يفتح القدس وآلت الزعامة في القبائل العبرية إلى زعماء من اليهود وأسموهم القضاة ولسيرة القضاة سفر خاص بالتوراة يُعرف بسفر القضاة.

وقد دام عصر القضاة (١٥٠) عاماً، وقد سادت عصرهم النكبات، والفوضى والإنحلال الخلقي والديني، وقد قام السكان الكنعانيون بمناوشة اليهود ومقاتلتهم، وعزا اليهود تأخرهم لغضب الإله عليهم.

---

(١) سفر يشوع - مقتطفات من الأصحاح ٦.

(٢) سفر يشوع - مقتطفات من الأصحاء ١٠.

(٣) Ensyclopedia Britancal 1960 Ed U.S.A.

فوعدوا بالتوبة، ونصبوا شاؤول ملكاً عليهم مقلدين نظام الحكم عند الكنعانيين ولم يكتمل هذا الغزو رغم استمرار الحروب سنوات طويلة. ولم ينجح الإسرائيليون في طرد القبائل العربية والفلسطينية، كما أنهم تركوا بعضها في اوطانها دون تحرش، ولذلك قامت فيما بعد ممالك المؤابيين.

مصير الملك شاؤول:

تذمر بنو إسرائيل على الملك شاؤول بسبب فشله في إخضاع الكنعانيين والفلسطينيين وبني عمّون، وقد طلب اليهود من زعيمهم الديني صمئيل أن يمسح لهم ملكاً بدلاً من شاؤول. واختار صمئيل الابن الأصغر داود ومسحه ملكاً.

ولما علم شاؤول بذلك قرر قتل داود، فهرب داود إلى بيت صموئيل، فتبعه شاؤول فهرب داود إلى المنطقة الجنوبية حيث أقام عند (اخبس بن معرك) الزعيم الفلسطيني لاجئاً.

وقد جرت معركة في جبل جلبوع انتهت بهزيمة الإسرائيليين، وقتل أبناء شاؤول الثلاثة، وأصيب شاؤول بجراح خطيرة، وعندما أدرك شاؤول فداحة الهزيمة انتحر[١].

☆ داود ومملكته:

وأصبح داود ملكاً بعد موت شاؤول عام (١٠٠٤) ق.م. وكان خاضعاً في مملكته لنفوذ فينيقيا ومصر.

كانت مدينة أورشليم الكنعانية اليبوسية مزدهرة، وهذه المدينة أسسها اليبوسيون قبل مجيء المسيح بثلاثة آلاف سنة، واليبوسيون قبيلة كنعانية كبرى استقرت في المنطقة الوسطى من أرض كنعان، واسس شيخها سالم اليبوسي مدينة أطلق عليها اسم أورشليم، ومعناها باللغة الكنعانية والآرامية مدينة ويلفظ اسم سالم: شالم.

وقد قامت بين داود واليبوسيين معارك ضارية حول أورشليم وجبل صهيون، وقطعت الإمدادات عن الحصن اليبوسي شهوراً، وقد تمكن الملك داود من احتلال أورشليم الكنعانية. وفي عهد داود بلغت المملكة اليهودية أقصى إتساعها فامتدت من جبل

---

(١) ظفر الإسلام خان - تاريخ فلسطين القديم - دار النفائس - بيروت، ص: ٤٤.

الكرمل وتل القاضي إلى جبل الشيخ شمالاً، وإلى حدود مصر ونهر الموجب جنوباً وإلى الصحراء شرقاً، لكن الساحل الفلسطيني الممتد من شمالي يافا إلى جنوبي غزة، كان تابعاً لمصر، وبالتالي فإن عموم فلسطين لم تقع تحت حكم اليهود حتى في ذروة فتوحاتهم[١].

ولم يكن داود يعتمد على اليهود في جيشه، إذ أن القوة الأساسية لهذا الجيش كانت تستمد من عناصر أجنبية لأن الشرطيين والبلطيق كانوا فلسطينيين، ولم يكونوا يشكلون عماد قوة داودالشخصية فحسب، بل إن وجودهم في جيشه ذهب إلى مدى تنصيبه على العرش، وقد حدث في زمن داود شجار بين اقليمي الشمال والجنوب (يهودا وإسرائيل).

☆ عهد الملك سليمان:

ومسح صادق الكاهن سليمان بن داود ملكاً على سرائيل وقد أمر الملك سليمان بقتل أخيه أرونيا لمنافسته له[٢]. وقد شجع سليمان تنظيم الحياة الاقتصادية في البلاد، وقد فقد السيطرة على بعض الأقطار التي فتحها داود، وبدأت الانشقاقات تظهر في الداخل بين اليهود أنفسهم، وقد أقام سليمان علاقة اقتصادية جيدة مع حيرام ملك صور ومع اليمن، وكان كوالده يخضع في علاقاته لمصر وفنيقية.

وقد سخر سليمان ثلاثين ألف من رعاياه لنقل الخشب في لبنان، وسخر أيضاً آلاف الرجال لقلع الأحجار ونحتها، وقد استعان بالمهندسين الفنيقيين لبناء هيكل في أورشليم.

وكان تصميم الهيكل وزخرفته اقتباساً من الطراز الكنعاني، وكلمة هيكل كنعانية معناها البيت الكبير.

الترف في بلاط سليمان:

لقد فاق الترف في بلاط سليمان، الترف الموجود عند ترف الفراعنة وملوك باب وأشور، وكان سليمان يحب الأبهة والثراء وحياة الترف، وقد استغرق بناء مقره ثلاثة عشر عاماً.

---

(١) Luke, sir Henry and Edward Keith Roch Hand book of palestine and Trans Jordan 3rd Ed. macmillan and company Ltd, London 1954 p:11.

(٢) سفر صمويل الثاني (١٩، ٤٠، ٤٣).

وقد أحب سليمان نساء كثيرات، وكان في بلاطه نساء مؤابيات وعموريات وأدوميات وحثيات، وتزوج بنت فرعون ملكة مصر، وكان له ٧٠٠ زوجة و٣٠٠ من السراري.

وقد شهد عهد سليمان محاولات ناجحة لتقبل الحضارة الكنعانية القيمة وحضارات شعوب مجاورة كمصر.

وقد كان حكم سليمان قاسياً اسرف في فرض الضرائب، وفرض على الشعب العمل الأجباري، وكانت سياسيته بعيدة جداً عن دمج وتوحيد عرى اليهود الشماليين واليهود الجنوبيين، بل كان يعمل إلى توسيع الهوة التي تفصل بينهما.

وبعد موت سليمان، انقسمت مملكته إلى جزئين:

- يهودا (Juda) في الجنوب.

وإسرائيل في الشمال.

ويفخر اليهود في فترة حكم داود وسليمان، ودعنا نلقي الضوء على هذه الفترة.

يقول المؤرخ جفريز.

«لقد حكم داود نحواً من أربعين عاماً من تاريخ حوالي ١٠١٦ ق. م. وخلفه سليمان حكم ما يماثل هذه المدة. وبعد هذين انهار كل شيء، لا بد أنه اقتضى داود أن يصرف جزءاً لا بأس به من النصف الأول من فترة حكمه لكي يبلغ أوج سلطانه. أما سليمان فقد أخذ يبيع قبل نهاية حكمه أجزاء من ممتلكاته أو يفقدها. فدعنا نسقط عشر سنوات من هذه الفترة وهذا هو أقل ما يمكن لنا أن نُسقطه عقلاً من مجموع فترتي حكم سليمان وداود. وعندئذ يتبقى سبعون عاماً. . .

«ولم يحدث إلا في بحر هذه السبعين سنة أن سيطر العجاف على كل شيء، يقرب من ثلثي البلاد»[1].

---

(١) جفريز، ج م ن، فلسطين: إليكم الحقيقة - ترجمة خليل الحاج، مراجعة د. محمد أنيس - دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٧١، الجزء الأول ص: ٤٢.

وقد نفي المؤرخ الأميركي (فيليب منيافس مرز) عن اليهود أي اثر حضاري، فقد قال: «لم يقم العبرانيون بتقديم أية خدمة تذكر للعلم، ولا ابتكروا أسلوباً جديداً في هندسة البناء، ويكفينا دليل على ذلك هيكل سليمان الذي يفاخر به اليهود، فقد بناه المهندسون والعمال الفنيقيون، كما تعترف بذلك التوراة نفسها».

وقد كشفت آثار رأس الشمرة في شمالي اللاذقية بسوريا أن الانفتاح الأدبي في ديار الشام هو المورد الذي نهل منه كتاب التوراة، وما جاء في المجونات الأثرية في رأس الشمرة تطابقاً يكاد أن يكون نسخة طبق الأصل.

بل إن هذه الموروثات الأثرية قد أثبتت أن اليهود قد أخذوا الكثير من أعيادهم وطقوسهم الدينية عن الكنعانيين، حتى أنهم عبدوا آلهة الكنعانيين، مما دعا أحد المحققين إلى القول: بأن «الدين العبري هو طراز خاص من الدين الكنعاني»[١].

ويقول أحد المؤرخين «إن العبرانيين أخذوا من الكنعانيين الشعائر الدينية وأن رقص داود عارياً أمام التابوت، كما جاء في التوراة، ليس إلا صدى للرقص الكنعاني الخاص بالخصب[٢].

كما أن الموسيقى والمغنين الأوائل في الهيكل كانوا كنعانيين في أشخاصهم وتدريبهم، وعندما بدأ داود بالموسيقى العبرانية القديمة المقدسة لم يكن هناك نموذج يمكن اتباعه سوى النموذج الكنعاني[٣].

هذا ولم يؤثر خلال احتلالهم جزءاً من فلسطين ولمدة قصيرة في حضارة الكنعانيين، بل تأثروا بها.

ويضيف المؤرخ الفلسطيني الأستاذ مصطفى الدباغ إلى ذلك قوله: «وأهم الأسباب التي ساعدت على قيام المملكة اليهودية هي فترة الفراغ التي كانت تمر بمصر وآشور

---

(١) أحمد الشقيري - خرافات يهودية ١٩٨١، عن كتاب أوغاريت - دار الطليعة - بيروت - ص: ١٨٢.
(٢) سليم حتي - مصر القديمة - ص: ٥٣٣.
(٣) فيليب حتي - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين جزء ١، صفحة: ٢٢٣.

(العراق) وضعف الدولة المصرية التي استشرى فيها الفساد، وسار عليها الانحلال، وانقطعت عن أن تكون قوة ضاربة في ميادين الفتح والغزو[١]، ويضيف المؤرخ المصري الكبير سليم حتي ويقول «لم يكن بمقدور اليهود العبرانيين أن ينالوا أي نجاح في تثبيت أقدامهم في هذه البلاد لو كانت الإمبراطورية المصرية قادرة على استعمال كل نفوذها هناك»[٢].

أما عن حدود مملكة داود، فيقول وايد في كتابه العهد القديم:

«أغلب الظن هو أن إمبراطورية داود لم تلامس البحر إلا في مكان قريب من يوبا (يافا)، وقد تركت مدينتا صور وصيدا الفينيقيتان الواقعتان إلى الشمال من هذه المدينة دون أن يتحرش بهما أحد، في حين احتفظ الفلسطينيون في الجنوب الشرقي، من هذه البلاد، (فنيقية) باستقلالهم بالرغم من أنهم كانوا مضعفين».

وبهذا يتبين أن حدود المملكة الإسرائيلية في أوجها لم تكن ذات قيمة داخل فلسطين نفسها، فهذه الحدود في أوج خيلائها، كما يصف بيللوك، كانت «مائة وعشرون ميلاً في أطول أطوالها وستون ميلا في أعرض عرضها، وأقل من ذلك بكثير في أغلب الأحيان، كان شيئاً أشبه بالملك النمسوي المجري الذي يتربع على عرش إمبراطورية النمسا والمجر في حين تحارب النمسا والمجر إحداهما الأخرى!!»[٣].

أن كلمة إسرائيل ليست عبرية، بل كنعانية، فهي تتألف من (إسر)، وإيل ومهما كان معنى كلمة إسر، أما إيل فهو الإله الأعلى عند الكنعانيين.

☆ انقسام مملكة يهودا:

كانت إفرائيم (أو إسرائيل أو ساماريا) ويهودا قوتين مختلفتين، ولم تتحدا إلا لوقت قصير تحت حكم واحد[٤]، وكذلك كانتا تختلفان في الأمور الدينية فإسم الإله في

---

(١) مصطفى الدباغ - بلادنا فلسطين - الجزء الثاني، ص:٥٥٨.

(٢) الدكتور سليم حتي - مصر القديمة ٩/ ص:٥٠٥.

(٣) يوسف سامي اليوسف - تاريخ فلسطين عبر العصور- الأهالي للطباعة والنشر- دمشق، ص:٥١.

(٤) =Bentwich, Harbert, palestine of the Jews, past, present and

إسرائيل يختلف عن اسم الإله في يهودا، فهو إيل في الشمال، وهو يهوه في الجنوب[١]، وعقب انقسام مملكة سليمان، ظلت الدولتان إسرائيل ويهودا تتخاصمان، وكانت الدولة الشمالية المحيطة هي التي تعتدي على الدولة الجنوبية.

وقد قامت بينهما حروب ومنازعات خاصة في الشؤون الدينية، مما حدا بملك يهودا آسا Asa إلى الدخول في تحالف مع دمشق. وهذا مما خفف الضغط الواقع على يهودا[٢]، وهذه المملكة إسرائيل التي يُسميها محرر دائرة المعارف البريطانية ازدراءً بالمملكة الذيلية Rump Kingdom بقيت لمدة قرنين، وشاركت مع جاراتها يهودا الصغيرة في عبادة يهوه، وفي اتباع التقاليد الموسوية[٣]، وبسبب الخلاف بين يهودا وإسرائيل تمكن جيرانهما من التوسع على حسابهما.

فقد كانت نهاية اليهود، ومملكة إسرائيل على يد الأشوريين الذين سبقوا نخبة أهلها إلى بلادهم في العراق، فأصبحت إسرائيل منقرضة سياسياً.

وبعد تحطيم إسرائيل أرسل الأشوريون سكانها إلى الشرق، واستبدلوا بهم سكاناً جدداً[٤]. ومن المعتقد أن السكان الذين نفاهم الأشوريون قد اندمجوا تماماً مع الشعوب المجاوزة في مناطق النفي[٥].

وحاصر الأشوريون (يهودا) ودفعت له يهودا الجزية، ولولا انتشار وباء غريب في الجيش الأشوري لدمرت يهودا أيضاً.

☆ تحطيم دولة يهودا: (٥٩٧) ق. م.

غزا نبوخذ نصر مملكة يهودا عام (٥٩٧) ق. م. وأخذ معه إلى بابل ملكها يواقيم jehei akim وعشرة آلاف من خيرة السكان، وأبقى المملكة اليهودية تابعة

= Future,Kegan paul, Lindon 1919, p.4.

(١) Luke p:11 (مرجع سابق)

(٢) Noy, Brjt, vol, 17.p:126.

(٣) Luke p: 12.(مرجع سابق)

(٤) Luke p: 10. (مرجع سابق)

(٥) Marlowe, Rebellio in palestine pp: 10-11.

لامبراطورايته ولكن الملك زيد يكياه Zeid ekiah قام بثورة مع أنه أقسم يمين الولاء لنوخذ نصر الذي كان قد أقامه ملكاً على يهودا[١]، فجاء نبوخذ نصر مرة أخرى وحطم القدس نهائياً وسبى كثيراً من سكانها بعد حصار دام (١٨) شهراً، وبعد هذا هاجر من بقي من اليهود إلى مصر.

وفي خلافة إقامة اليهود في بابل (السبي) فكروا بأمور دينهم، ودون أحبارهم التوراة، التي جمعوا فيها كتابات أسلافهم وأقوالهم وتقاليدهم، ولم يتم هذا الجمع بأكمله إلا بعد بدء التاريخ المسيحي[٢]، وقد منع عزرا خلال السبي زواج اليهود بغيرهم.

وهنا ينبغي أن نؤكد على حقيقة هامة:

لقد كانت آلام اليهود والفجائع التي أصابتهم على أيدي الشعوب الأخرى، تعود، إلى حد كبير، إلى اشتراكهم النشيط في السياسات العالمية حينذاك (مثلما يفعلونه في هذا القرن وقد جنوا ثماره على أيدي هتلر قبيل وإبان الحرب العالمية الثانية بسبب دورهم المقيت في إسقاط المانيا في الحرب الأولى وتحالفهم مع بريطانيا والحلفاء)، فقد تحالف اليهود، في وقت أو آخر، مع جميع الأجناس والشعوب التي حكمت العالم القديم أو ذلك الجزء كان اليهود يسكنونه، لقد تحالفوا مع الفرس، والمصريين القدماء والرومان، والبيزنطيين، والآشوريين، والأنباط وغيرهم من الشعوب.

ويتضح أن السبي الذي يبكي عليه اليهود كثيراً ويؤكدون بذلك حقهم في العودة، لم يكن أسلوباً من أساليب بختنصر المعتادة، ولم ينج العرب أنفسهم منه.

☆ عودة اليهود من سبي بابل:

في السبي البابلي حصل اليهود على امتيازات ومناصب كثيرة، واستطاع عديدون من اليهود الذين كانوا يتمتعون بمناصب إدارية كبيرة لدى البابليين أن يستعطفوا السادة

---

(١) Buch Master palestine and pamela p: 5.

(٢) برستد: جيمس هنري، العصور القديمة - ترجمة داود برقان، المطبعة الأميركية - بيروت ١٩٢٦، ص: ١٢٧.

الجدد[١]. وبعد أن انتصر الامبراطور الإيراني كورش الثاني cyrus II على ميديا سنة (٥٣٩) ق. م. واحتل بابل، كان أول أحكامه إعادة يهودا لليهود وبناء الهيكل، غير أن عدداً كبيراً من اليهود بقوا في بابل حيث امتهنوا الأعمال التجارية المربحة، وقد ذكر «جوز يقدس» أن الراجعين من اليهود كان عددهم (٤٢٠٠٠) وهذا العدد يمثل أقلية إلى العدد الموجود في بابل، وأن هؤلاء العائدون هم الذين فشلوا في الحصول على موطىء في تلك البلاد التي نفوا إليها[٢].

وقد قام اليهود الذين عادوا إلى فلسطين ببناء الهيكل عام (٥١٦) ق. م. كما تمكنوا من وضع مجموعة قوانين دينية عرفت بالديانة اليهودية، ونصبوا رئيس الكهنة زعيماً لهم، وقد كان السكان العرب المحليون يقاومون بناء الهكيل، وقد لجأوا إلى العنف ومهاجمة العمال اليهود، مما اضطر اليهود إلى تخصيص نصف العمال للترميم ونصفهم يمسك الرماح لحماية القائمين على البنا، (تحميا ٧/٤)، ويلاحظ أن التوراة بدأت تستخدم كلمة عرب بدل الكنعانيين في هذه الآيات[٣].

امتد عهد الفرس في فلسطين من (٥٣٨-٣٣٢) ق. م. وكانت نهاية الحكم الفارسي على يد الاسكندر المقدوني، وقد نشر قواد الاسكندر المقدوني ثقافتهم بين اليهود، غير أن بعض اليهود تشبث بأساليب الحياة اليهودية التقليدية، وكان من نتائج هذا التشبث قيام ثورة العائلة المكابية عام (١٦٧) ق. م، وقد فرض المكابيون الديانة اليهودية قسراً على سكان فلسطين والأردن في الفترة الواقعة ما بين (١٠٢-٧٦) ق. م، وفي آخر سنة من حكم هيرودوتس لقيت المسيحية مقاومة شديدة من اليهود والرومان.

---

(١) ظفر الإسلام خان - تاريخ فلسطين القديم (مرجع سابق) ص: ٦٩.

(٢) Marlowe, jhon, rebellion in palestine, cresset press. London 1964. p: 12.

(٣) محمود العابدي -من تاريخنا - المجموعة الثالثة عام ١٩٧٤، ص:١٢٧.

الأنباط العرب يفدون إلى فلسطين (٣٠٠ ق. م) تقريباً.

لقد اتضح مما سبق أن العرب هم أصل سكان فلسطين، وأن أجداد عرب اليوم لعبوا دوراً رئيسياً في تنصيب داود وابنه سليمان على العرش[١]. وظلوا كذلك عنصراً فعالاً في تاريخ البلاد، وكانت لهم ممالك مستقلة كالأدوميين والمؤابيين والعمونيين. وكذلك احتفظ الفلسطينيون في غرب فلسطين باستقلالهم في كل الظروف.

وهناك حقيقة تاريخية كبرى، قلما أتيح لها الظهور، وهي أن العرب الأنباط قد حكموا فلسطين بالفعل قبل دخول الإسلام لها بثمانية قرون، وهؤلاء العرب الأنباط هم عرب خالصون كما ذكر ذلك (نولدكه) وقد احتفظ الأنباط بلغتهم العربية وبنقاوتها بدرجة عظيمة، وقد تطورت الكتابة العربية من خط الرقعة النبطي قبل الإسلام[٢].

وقد شملت مملكتهم النبطية أراضي فلسطين الجنوبية والشرقية.

وظل الأنباط في حرب دائمة مع اليهود، فقد قاتل السلطان النبطي مالكوس الأول وعبيدات الثاني ضد هيرود (٣٧-٤ ق. م). وكان الأنباط يساعدون الرومان على اليهود.

وادعاء اليهود بانتمائهم إلى فلسطين باطل، فهم لم يتواجدوا في فلسطين حقبة كافية حتى يدعوا الانتماء إليها، بل تواجدوا في فلسطين محتلين مدمرين، ولحقبة تاريخية قصيرة جداً، وإذا نظرنا إلى الجدول المبين أدناه تتكشف الحقائق التالية:

---

(١) ظفر الإسلام خان - تاريخ فلسطين القديم (مرجع سابق)، ص: ٦٩.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية - المجلد الثالث، ص: ٨،٢.

الدول التي سيطرت على فلسطين خلال التاريخ

الجهة المسيطرة	فترة الحكم	مدة الحكم (بالسنة)
الدولة الكنعانية	٣٥٠٠-١٤٧٩ق.م	٢٠٢١
الفراعنة+ [١] الدولة الكنعانية	١٤٧٩-١١١٨ق.م	٣٦١
الدولة الكنعانية	١١١٨-١٠٠٤ق.م	١١٤
الفراعنة+ مملكة داود	١٠٠٤-٩٢٢ق.م	٨١
الفراعنة+ مملكتا إسرائيل+ الآشوريون	٨٥٣-٧٢٢ق.م	١٣١
الآشوريون+ مملكة يهودا	٧٢٢-٥٨٦ق.م	١٣٦
البابليون	٥٨٦-٤٣٨ق.م	٤٨
الفرس	٤٣٨-٣٣١ق.م	٢٠٧
اليونان	٣٣١-٦٣ق.م	٢٦٨
الرومان	٦٣ ق.م-٣٩٥م	٤٥٨
البيزنطيون	٣٩٥-٦١٤م	٢١٩
الفرس	٦١٤-٦٢٧م	١٣
البيزنطيون	٦٢٧-٦٣٦م	٩
الخلافة العربية الإسلامية	٦٣٦-١٠٩٩م	٤٦٣
الصليبيون	١٠٩٩-١١٨٧م	٨٨
الأيوبيون	١١٨٧-١٢٦٥م	٩٨
المماليك الإسلامية	١٢٦٥-١٥١٧م	٢٥٢
العثمانيون	١٥١٧-١٩١٧م	٤٠٠
البريطانيون	١٩١٧-١٩٤٨م	٣١
الصهاينة+ العرب	١٩٤٨-١٩٦٧م وحتى الآن	١٩

(١) الإشارة (+) تعني وجود أكثر من قوة سيطرت كل منها على جزء من أراضي فلسطين خلال الفترة نفسها.

١ – وجود الكنعانيين العرب قبل اليهود في فلسطين مدة (٢٠٢١) عاماً، وبقوا فيها.

٢– وجود الخلافة العربية الإسلامية لمدة ٤٦٣ عاماً.

٣– وجود دولة المماليك الإسلامية لمدة ٢٥٢ عاماً.

٤– حين حكم الآشوريون والفرس واليونان والرومان والبيزنطيون والصليبيون والعثمانيون والبريطانيون فلسطين لمدة (١٧١٩) عاماً، كان الشعب العربي مقيماً في فلسطين ويشكل أغلبية السكان ويقاوم الاحتلال.

٥– حكم اليهود جزءاً من فلسطين لمدة (٣٤٨) عاماً، وكان يشاركهم الحكم في أجزاء أخرى من فلسطين الفراعنة والآشوريين.

٦– تبلغ نسبة الزمن الذي حكم فيه اليهود جزءاً من فلسطين ٠٦ر٠ ٪ وهي نسبة لا تذكر، وبسيطة جداً.

ولو عدنا بالتاريخ إلى الوراء، لوجدنا أن اسم (فلسطين) يدل على اسم سكانها الأصليين الأوائل الذين لم يكونوا من اليهود، وعندما دخل اليهود فلسطين بقيادة (يوشع بن نون) قامت بين الكنعانيين والفلسطينيين من جهة واليهود من جهة أخرى حروب دامت مائتي عام. وعندما استقر الأمر لليهود لم تشمل سيطرتهم كامل فلسطين، ولم يكن تاريخ العبرانيين أكثر من قصة قصيرة العمر تمثلت بكيان شبه قبلي قائم وسط حضارة راسخة.

لقد قال (ويلز) في كتابه شرح التاريخ عن بطلان دعوى اليهود بحقهم التاريخي في فلسطين (إن سليمان الكبير لم يكن سوى رئيس عشيرة، وأن مملكته لم تكن غير مملكة صورية تفصل بين فينيقيا ومصر.

☆ مكانة دولة يهودا في التاريخ:

«كانت حياة العبرانيين (في فلسطين) تشبه حياة رجل يصر على الإقامة وسط طريق مزدحم، فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار .. ومن الأول إلى الآخر لم تكن مملكتهم «سوى حادث طارىء في تاريخ سوريا ومصر وآشور وفينيقية، ذلك التاريخ

الذي أكبر وأعظم من تاريخهم».

هـ. ج. ويلز

موجز التاريخ

لقد كان نصف يهودا في عصر استقلالها قفرا، فلم يكن الجزء المأهول منها مثل حجم مقاطعة ولكشاير في انجلترا[١].

وقد تجاهل رحالة القرن الخامس قبل الميلاد المؤرخ هيرودوتس Herodotus ذكر اليهود ودولتهم ما عدا القدس، والأماكن التي لا تبعد عنها أكثر من عشرة أميال[٢]، ويفسر الأستاذ فوكس جاكسون Foakes Jackson في كتابه يوسف واليهود قائلاً: أن «تفسير بسيط للغاية، لقد كانت مملكة يهودا مقاطعة غاية في الصغر، وكان سكانها من التفاهة في العدد لدرجة أن السواح في القرن الخامس قبل الميلاد كانوا يزورون ما كانت تُسمى بفلسطين سورية، أو بسورية الفلسطينيين، وقد لا يسمع عن اليهود شيئاً أبداً».

ويشرح لنا المؤرخ (بيللول) رقعة هذه الدولة المزعومة فيقول:

إن أحسن طريقة يمكن الإنسان أن يدرك بها إلى أي مدى كانت صغيرة هي على هذا النحو:

«إذا خرج الرجل مع طلوع الشمس متجها شرقاً أو غرباً، ففي وسعه أن يبلغ أطرافها في فترة وجيزة من الصباح، إنه لا يقطع اثني عشر ميلاً من أي من هذه الاتجاهات إلا ويكون قد خرج من حدود المقاطعة أو الأرض التي يدعى رئيس العشيرة، أو ذلك الرجل تافه الشأن الذي يلقبونه بـ «ملك القدس»، إنها رقعة صغيرة من منديل مهلهل[٣].

ولم تكن حكومة العبرانيين القدامى سوى صورة مكبرة للنظام البدوي، ولم يكن لليهود شيء من الفنون الراقية، فلم يكونوا يسكبون غير العجول النحاسية، أو الذهبية

---

(١) جفريز ج. م. ن. فلسطين: إليكم الحقيقة، ترجمة خليل الحاج - مراجعة د. محمد أنيس، دار الكاتب العربي- القاهرة - ١٩٧١ - جزء أول - ص: ٣٠.

(٢) نفس المرجع - ص: ٤٤.

(٣) جفريز، فلسطين: إليكم الحقيقة - (مرجع سابق) ص: ٤٤، ٤٥.

التي هي أصنام اليهود المفضلة[١]، وكانت تصب بصورة ردئية. ولم يكن لديهم شيء من فن النحت، وحتى الهيكل بني على الطراز الأشوري والمصري، وبأيدي مهندسين من الفنيقيين. ولم تكن قصور سليمان غير نسخ دنيئة عن القصور المصرية أو الأشورية[٢].

ولم تصبح الحرب لدى العبرانيين علما ولا فناً، فكانت تعوزهم التعبئة، وكان ليكتب لهم النصر إلا بضرب من جولة تشبه غارات البدو المعاصرين، وكانوا بطبيعتهم جبناء. ولما سار جدعون إلى المديين خاطب جنوده بقوله:

«من كان خائفاً مرتعداً، فليرجع وينصرف[٣]. فتركه من هؤلاء اثنان وعشرون ألفاً من أصل اثنين وثلاثين ألفا ليعودوا إلى منازلهم».

ولم يكن لليهود القدماء نشاط تجاري، لأنهم غير محبوبين من جيرانهم، ولم تكن لهم سفن كسفن الفنيقيين.

ولم يكن لديهم حرف، بل كانوا منصرفين إلى الرعاية والزراعة.

ونجد كتبهم المقدسة حافلة بالنصوص الرعائية، وبالمقايسات والأمثلة المقتبسة من حياة الفلاحين والرعاة[٤].

وكان اليهود يقترفون الجرائم الجنسية كسفاح ذوي القربى واللواط والمساحقة ومواقعة البهائم، وقدمت لديهم ضروب البغاء تكريماً لعشتروت[٥].

أما قانون العقوبات لديهم فكان كله يقوم على مبدأ القصاص الفطري الجاهلي، وكان يسمح لليهودي بالمراباة وأخذ الربا من غير اليهودي.

وكان اليهود يمارسون الرق بشكل واسع، وقد جاء في التوراة «من الأمم التي حواليكم تقتنون العبيد والإماء، والتوراة سجل حقيقي لبداوة ووحشية اليهود، وفيما يلي نماذج تدحض الزعم اليهودي بالحضارة والثقافة، والرسالة الخيرة التي يحملونها للعالم:

---

(١) غوستاف لوبون - اليهود في تاريخ الحضارات الأولى - مكتبة عيسى البابي الحلبي - القاهرة - ١٩٧٠، ص: ٤٠، ٤١، (يلاحظ أن النظام في المعيشة هو طراز اقتصادي خاص يتلاءم مع البيئة).

(٢) نفس المرجع، ص: ٤٥.

(٣) ظفر الإسلام خان - تاريخ فلسطين القديم - ١٩٨٤، دار النفائس -بيروت، ص: ١٠٧.

(٤) غوستاف لوبون - اليهود في تاريخ الحضارات الأولى. (مرجع سابق)، ص: ٢٧.

(٥) غوستاف لوبون - اليهودفي تاريخ الحضارات الأولى (مرجع سابق) ص: ٤٨.

«إذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أقسم لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيها لك: مدنا عظيمة حسنة لم تبنها، وبيوتاً مملوءة كل خير لم تملأها، وصهاريج محفورة لم تحفرها، وكروماً وزيتوناً لم تغرسها، فأكلت وشبعت، فاحذر أن تنسى الرب الذي أخرجك من أرض مصر، من دار العبودية[١].

وكيف عامل اليهود القبائل - أو «الأمم» على حد قول التوراة:

«وإذا أدخلك الرب إلهك ارض التي أنت صائر إليها لترثها، واستأصل أقدامكم على رقاب الملوك، فتقدموا وضعوا أقدامكم على رقابكم»[٢].

وقد حاول محرر دائرة المعارف اليهودية سنة ١٩٤٨، إثبات وجود حضارة وثقافة إسرائيلية، ولكنه أخفق في إثبات أي أثر لها، فلم يتمكن من أن يدلنا على أية إضافة يهودية واحدة إلى حضارة البلاد وثقافتها.

ويقول أحد الباحثين الإنجليز:

لم يوجد في فلسطين نقش واحد يمكن أن ينسب للمملكة العبرية، ولم يذكر الإغريقُ اليهود في التاريخ المبكر، ومما لا شك فيه أن هذا الشعب (الاغريق) كان يتصل باليهود لو كانت حقاً فلسطين وطنهم القومي، ولم يعرف هيردوس المقدس شيئاً عنهم»[٣].

أن اليهود لا نصيب لهم في الحضارة القديمة، وهم لم يجاوزوا أطوار الحضارة السفلى الوحشية، وعندما خرج هؤلاء المتوحشون ليستقروا في فلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل، فلم يقتبسوا من حضارات هذه الأمة غير عيوبها وعاداتها الضارة، فقربوا لجميع آلهة آسيا، قربوا لعشتارت ولبعل ولمولوح من القرابين أكثر مما قربوا لإله قبيلتهم يهوه.

وبالحقيقة ما يُسمى بحضارتهم القديمة هو ترقيع من عناصر مصرية وبابلية وهلينية[٤]، وما يُسمى بحضارتهم اليوم هو ترقيع جديد من مفاهيم اشتراكية استعمارية.

---

(١) التوراة - تثنية الاشتراع - الأصحاح ٦.

(٢) يشوع - الأصحاح ١.

(٣) فرانسيس نيوتن: الانتداب على فلسطين - ١٩٤٦، ص: ٤٨، ٤٩.

(٤) ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم (مرجع سابق) ص: ١٢٢.

☆ مدن كنعانية:

١- أورشليم الكنعانية:

يظن الذين يجهلون التاريخ أن اسم أورشليم عبراني يهودي، وهذا خطأ فادح وتصور اسطوري لا صحّة له على الإطلاق.

والصحيح أن اسم أورشليم كنعاني، ويعني مدينة سالم نسبة إلى سالم زعيم عشيرة اليبوسيين الذي أقام هيكلا للعبادة على مرتفع عالٍ. واسم سالم يلفظ بالآرامية شالم.

إن اسم أورشليم يتكون من كلمتين تعني في اللغة الآرامية، أور: مدينة أو مركز، وشالم اسم سالم ويلفظ شالم. وكان لليبوسيين في الجبل القريب من أسوار أورشليم حصن أقاموا فيه بعد أن أحرق يهوذا مدينة أورشليم، وعندما نصب داود ملكاً عام ١٠٠٤ ق. م انتزع من اليبوسيين حصن الجبل، وسماه (جبل صهيون)[١].

وباعتراف أنبياء وملوك إسرائيل الوارد في أسفار التوراة فإن أورشليم تأسست قبل دخول العبرانيين أرض كنعان بـ ١٨٠٠ سنة.

وورد ذكر القدس في نقش مصري قديم يرجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد باسم «أورشامام» وذكرها اليونان والرومان باسم «هيرو سوليما»، ذكرها الغربيون باسم «جروسالم»، ومن الواضح، أن اسم «أورشليم» ليس اسماً دينياً، وإنما هو اسم دنيوي، أطلق من قبل أحد الملوك اليبوسيين، فأخذه اليهود وحشروه في توراتهم المحرفة[٢].

واسم يبوس أطلقه على المدينة يشوع قائد بني اسرائيل عندما أغار هؤلاء على أرض كنعان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. « ويبوس» اسم لزعيم القبيلة الكنعانية العربية التي استقرت في فلسطين منذ فجر تاريخها في مدينة القدس، وفي الجبال المحيطة بها، وقد حارب اليبوسيين يوشع وقومه، وامتنعت يبوس على اليهود مدة طويلة.

«مدينة داود» اسم أطلقه داود عليه السلام على المدينة حين دخل عام (٩٩٧) ق.م وجعلها مقر حكمه.

---

(١) البروفيسور الدكتور إبراهيم الشريقي - أورشليم أرض كنعان - لندن - باريس، ص: ٦٠.

(٢) يعقوب كامل الدجاني - هذا بيتي وأغاني للعراق - دار الفرقان -عمان - ١٩٩١ ص: ٥٣-٥٥.

« مدينة أورشليم»: لم يدم اسم « أورسالم» طويلاً وحل محله اسم « أورشليم» وذكر لأول مرة في العهد القديم في سفر يشوع في الأصحاح العاشر: ١، وهذا الاسم تحريف لاسمها الكنعاني « أورسالم أورشليم»، ويؤكد الدكتور فليب حتي في كتابه تاريخ سوريا ولبنان بأن الاسم من الكنعانية « ياوشليم» بمعنى دع شالم يؤسس وشالم هو إله السلام عند الكنعانيين.

« ايليا كابيتولينا»: وهو اسم اطلقه عليها هدريان سنة ١٣٥ عندما أخمد ثورة اليهود. وهو اسم مشتق من اسم اسرة هدريان المدعوة « ايليا ». ومع أن الامبراطور قسطنطين أعاد إليها اسمها القديم« أورشليم » سنة ٣٢٤م إلا أن العرب ظلوا يعرفونها باسم « ايليا » حتى بعيد الفتح الإسلامي. قال الفرزدق:

وبيتان بيت الله نحن بناته وقصر بأعلى ايليا مشرف

وورد في شعر العرب:

فلو أن طيراً كلفت به إلى واسط من « ايليا » لكلت

ولكن اليهود مع هذا كعادتهم أخذوا اسم « ايليا » وحشروه في توراتهم المحرفة، فقد وردت اشارة في أواخر سفر الملوك الأول وأوائل سفر الملوك الثاني لاسم « ايليا » وهو اسم أحد العبرانيين. ومع ذلك لم يفضل اليهود استعمال هذا الاسم على استعمال اسم « أورشليم» أو اسم « صهيون ». ومن هذا نرى أن اسم أورشليم لم يطلق على القدس إلا ما بين زمن داود (عليه السلام)، أول ملوك بني اسرائيل عام ٩٥٠ ق. م إلى ٧٢١ق.م عندما هدمت وأزيلت الدولة اليهودية على يد سرجون الثاني أي خلال قرنين وربع فقط.

«بيت المقدس» أي المكان المطهر من الذنوب، وهو مشتق من القُدُس بضم القاف والدال، وهي الطهارة والبركة، ويعني بيت المقدس المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب ويقال المنزه عن الشرك والمرتفع. والبيت المُقدس بضم الميم وفتح الدال المشددة أي المطهر وتطهيره اخلاؤه من الأصنام. وقد جعلت مسكناً للأنبياء والمؤمنين. ويذكر مجير الدين أن «بيت المقدس» يطلق على الصخرة والمسجد الأقصى خاصة، بينما يطلق اسم «القدس» على المدينة بعامة[١].

---

(١) تاريخ القدس- الدكتور شفيق جاسر أحمد محمود.

«القدس» حل في العهد العربي الإسلامي محل «ايليا» و«أورشليم» على أن اسم «بيت المقدس» كان أكثر وروداً في فختلف المصادر، وجاء في لسان العرب لابن منظور الخزرجي في مادة قدس: «التقديس تنزيه الله عز وجل». وفي التهذيب: «القدس تنزيه الله تعالى، وهو المتقدس، المقدس، والقدس بلغة أهل الحجاز(السطل) لأنه يتطهر فيه ومن هذا بيت المقدس أي البيت المطهر».

٢- شكيم:

سميت شكيم بهذا الاسم نسبة إلى ملكها شكيم الكنعاني، وقد ورد ذكر شكيم في سفر التكوين وسفر القضاة وفي الموسوعات التاريخية الاغريقية اليونانية والرومانية.

واليوم اسمها نابلس، وإن كلمة شكيم ليست عبرية ولا يهودية بل هي كنعانية.

٣- حبرون:

كانت قرية صغيرة اسمها ربعة أو اربع نسبة لربع بن عشيرة عناقة- وأصبحت مملكة سميت باسم ملكها حيرو من عشيرة بني حث الكنعانية، وظل اسم حبرون بارزاً في التاريخ وعلى الخرائط الرومانية والبيزنطية حتى القرن السابع الميلادي وبعد الفتح الإسلامي أطلق عليها اسم (الخليل) نسبة للنبي إبراهيم الخليل.

٤- أريحا:

من أقدم المدن الكنعانية تأسست سنة ٣٠٠٠ ق.م وسميت (يريحو) وتعني في الكنعانية والآرامية مدينة القمر، وتمتاز بموقعها الجغرافي الجميل، وكانت من الممالك الكنعانية الشهيرة.

٥- مجدو:

مدينة قديمة أسسها الكنعانيون قبل الميلاد بـ (٣٠٠٠) سنة، واسم مجدو يعني في الكنعانية والآرامية تفحة أو مطعة، ومجدو تقع في الجزء الشمالي من أرض كنعان، وأطلق على موقعها حديثاً تلة المتسلّم، وعلى مقربة منها توجد قرية اللجون.

٦- بيت شان:

وهي من أمهات المدن الكنعانية القديمة، وسميت باسم الإله شان الذي كان باعتقاد الكنعانيين يحمي الحقول، ويقيمون له الاحتفالات في فصل الربيع، وبيت شان اسمها اليوم بيسان.

٧- حاصور:

مدينة مملكة من كبريات الممالك الكنعانية، أسسها الملك الكنعاني أصور (أزور) عام ٢٧٠٠ ق.م، وتقع شمالي بحيرة طبريا غربي جسر بنات يعقوب، واليوم تسمى حاصور (تل وقاص).

٨- لخيش:

وقد سميت باسم مؤسسها الملك الكنعاني لخيش ٢٦٠٠ ق.م، وتقع في المنطقة الجنوبية الغربية، وتسمى اليوم (تل الدوير).

٩- عاي:

وهي من أقدم المدن الكنعانية، وكان فيها الإله أيا (عيا) وتقع غربي أريحا.

١٠- عجلون:

وعجلون من أوائل الممالك الكنعانية، تأسست سنة ٢٧٠٠ ق.م وأقيم فيها هيكل للآلهة (عجيالن- ملكة الجبل).

١١- عكا:

وسميت بالكنعانية (عكو) أي الرمل الحار ويعود تاريخ تأسيسها إلى ٢٨٠٠ ق.م. وهي من المدن الساحلية الكنعانية التي مرت بأحداث تاريخية، وأطلق اليونان على عكا اسم (بتولميس).

١٢- كرمل:

مدينة كنعانية قديمة يعود تأسيسها إلى عام ٢٦٠٠ ق.م، واسم الكرمل في اللغة الآرامية والكنعانية يعني البساتين الخضراء (الحقول).

١٣- يافي:

يافا، وهي مدينة قديمة تأسست عام ٢٤٠٠ ق.م، واسم يوفي الكنعانية والآرامية (الجميلة) وكانت في العصر الكنعاني مدينة مزدهرة.

١٤- جيعة:

وهي مدينة تقع جنوبي غربي أريحا تأسست عام ٢٦٠٠ ق.م، واسم جيعة بالكنعانية يعني (غرسة)، وكان فيها هيكل للآلهة (جيا) وتسمى حالياً (تل الغول).

١٥- وقد استوطن الفلسطينيون في عدد من المدن الكنعانية الساحلية وهي:

غزة، اشدود، عسقلون (عسقلان)، عقرون، جات (تل المنشية).

سكان سوريا وبلاد كنعان

في أواخر القرن الأول قبل الميلاد

استناداً إلى المخطوطات القديمة ومصنفات مشاهير المؤرخين ومنهم: سترابون ويوسيد ونيوس وتاسيوس تبين أن عدد سكان سوريا في أواخر القرن الأول قبل الميلاد يقدر بستة ملايين، منها مليونان في بلاد كنعان الشمالية والجنوبية، وشرقي الأردن والمدن الفلسطينية الساحلية. ويتوزع السكان على النحو التالي:

الجدول رقم ١ :

السكان الأصليون من سلالة كنعانية - عربية	٧٢٠ ألفاً
عرب - قبائل سكنت مناطق السامرة وبيسان وشرقي الأردن	٥٥٠ ألفاً
سكان المدن الفلسطينية الساحلية	١٨٠ ألفاً
يهود من أسباط بني إسرائيل الأثني عشر	٤٢٠ ألفاً
يونان سكنوا خلال مرحلة عهد المملكة السلوقية الهيلينية	١١٥ ألفا

جدول رقم ٢ (السكان ٢ مليون)

نسبة السكان من أصل كنعاني عربي	٥ر٣٦ بالمئة
نسبة السكان قبائل عربية استوطنت في القرون (٨، ٧، ٤ ق، م)	٥ر٢٧ بالمئة
نسبة السكان في المدن الفلسطينية الساحلية	٥ر٩ بالمئة
يهود	٢١ بالمئة
يونان من مقدونيا وجزر اليونان	٥ر٥ بالمئة

وبهذا يتبين أن عدد العرب هو (٠ر٤٥٠ر١) مليونان وأربعماية وخمسون ألفاً من أصل مليونين.

وأن نسبة السكان العرب هي ٥ر٧٣٪ بينما نسبة اليهود ٢١٪.

وكان عدد سكان المدن الكبرى كالتالي:

أورشليم الكنعانية	١٧٠ ألف نسمة.
البتراء عاصمة مملكة الأنباط العرب	١٢٠ ألف نسمة.
شكيم، أعاد بناءها الامبراطور تيطس	
وسميت نيابوليس المدينة الجديدة نابلس	١١٠ آلاف نسمة.
جيدارا (جرش)	١٠٠ ألف نسمة.
السامرة	٩٠ ألف نسمة.
بيسان	٨٠ ألف نسمة.
انطاكية	٦٠٠ ألف نسمة.
سلوقية (شمالي انطاكية)	٥٠٠ ألف نسمة.
ولادوسيا (اللاذقية)	٢٢٥ ألف نسمة.
وآفاميا على العاصي	٢٠٠ ألف نسمة.
دمشق	٢٤٠ ألف نسمة.

وعندما دخل اليهود فلسطين كانوا رحلا متنقلين،يسكنون في العراء وفي الخيام، فاستوطنوا مدنها وقراها، لذا، «فإنهم أخذوا بيوتاً لم يبنوها، ومدناً لم يؤسسوها، وآباراً محفورة، لم يحفروها، وأشجاراً مثمرة مغروسة لم يغرسوها»[١].

وكذلك فإن اليهود قد أخذوا عن أهل البلاد الأصليين الكنعانيين أساليب الزراعة، وانتقلوا بذلك من الهمجية والبداوة إلى مرحلة الاستقرار والزراعة، حتى أن العبرانيين خلعوا ملابسهم المصنوعة من جلود الحيوانات، وتعلموا من الكنعانيين الطراز الكنعاني من الملابس[٢].

---

(١) التوراة - سفر التثنية - الأصحاح السادس.

(٢) أحمد الشقيري - خرافات يهودية ١٩٨١ ص: ١٨١.

وقد كشف عالم المصريات المؤرخ الأميركي برستد عن همجية اليهود وحياتهم البدائية بما يغني عن دليل وبرهان، فقد قال برستد «كانت مدن الكنعانيين ذات حضارة قديمة نشأت منذ ألف وخمسماية سنة (قبل غزوة العبرانيين)، وكان للكنعانيين منازل متقنة حوت كل أسباب الراحة والرفاهية، وكانت لهم حكومة وصناعة وتجارة ومعرفة بالكتابة، وكانت لهم ديانة خاصة بهم، وقد اثر هذا بالعبرانيين السذج الذين غادروا الخيام واستقروا في البيوت[١]».

☆ نهاية صلة اليهود بفلسطين:

لقد ثار اليهود على الرومان سنة ١٦ ميلادية، بالرغم من المعاملة المميزة التي منحها الرومان لليهود. وقد تم سحق هذه الثورة عام ٧٠ ميلادية على يد تيطس الروماني، وبمساعدة الفرق العسكرية العربية والسورية، والآرامية الموضوعة تحت امرته[٢]. لكن اليهود عادوا وثاروا مرة أخرى بقيادة سمعان الذي ادعى أنه المسيح المنتظر، وقد قُضي على هذه الثورة بقيادة هدريان الذي فتك باليهود ومنعهم من دخول القدس والسكن فيها، وفي هذا العصر كان يسكن ثلاثة أرباع يهود العالم خارج فلسطين قبل سقوط القدس، وكان اليهود مبعثرين في الامبراطورية الأغريقية، ومن ثم في الأمبراطورية الرومانية، وكان يولون اهتماماً بسيطاً وثانوياً بالمملكة اليهودية في فلسطين[٣].

وهكذا نرى أن اليهود دخلوا تاريخ فلسطين في حقبة متأخرة من الزمن، ولم يحكموا البلاد إلا مدةقصيرة نسبياً، وحكموا أجزاء من فلسطين فقط، ولم يحكموا فلسطين كلّها.

وقد لخص هـ زج. ويلز في كتابه «موجز التاريخ» تاريخ اليهود العبرانيين بما يلي:

«كانت حياة العبرانيين في فلسطين تشبه حالة رجل يصر على الإقامة وسط طريق مزدحم، فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار... ومن البدء حتى النهاية لم تكن

---

(١) برستد - العصور القديمة ص: ١٧٧-١٧٨.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث - المؤسسة للدراسات والنشر - بيروت، ١٩٨١ ص: ١٨.

(٣) إبراهيم ليون - المسألة اليهودية - بيروت ١٩٦٩، ص: ٢٢-٢٣.

مملكتهم سوى حادث طارىء في تاريخ مصر وسوريا، وآشور وفنيقيا، ذلك التاريخ الذي أكبر وأعظم من تاريخهم.

لقد انتشر اليهود منذ مئات السنين وآلافها في كل مكان في العالم واندمج معظمهم في المجتمعات التي عاشوا فيها، ونسي معظمهم أن هناك لغة اسمها العبرية، وحتى من بقي على دين اليهود، فإنه لا يعرف من هذا الدين إلا بعض الرموز والمصطلحات التي تشكل بحال من الأحوال ما له علاقة بالدين اليهودي(١).

كذلك أكد الحاخام الأميركي اليهودي (وايتر) مفهوم ارتباط اليهود بحيث يوجدون، فقال عام ١٨٨٣:

«نحن مواطنو الولايات المتحدة الأميركية: المؤمنون بموسى والأنبياء، نشكل جزءاً عضوياً من الأمة الأميركية، وليست لنا مصالح دنيوية تختلف عن مصالح وآمال أولئك المؤمنين بالمسيح وتلاميذه».

هذا ويوجد في أميركا جماعة من اليهود تنكر على اليهود الحق التاريخي في فلسطين، وتطلق على نفسها اسم «المجلس الأميركي لليهودية» وهذا المجلس يرى أن اليهودية، دين لا قومية، كما يرى أن وطن اليهودي هو الوطن الذي يقيم فيه.

وفي أميركا أيضاً مجلة اسمها «أخبار يهودية»، تقول ما تقول به الجماعة، ويشرف عليها علماء ويهود بارزون مثل: روجر بلدوين Baldwin وإبراهام كرونباك Cronback وديفيد رزمان Riesman.

ولكن صوت هذه الجماعات يضيع وسط ضجيج الصهيونية وتشويشها، فلا يصل إلى مسامع المواطن الأميركي والعالمي(٢).

☆ دول حكمت فلسطين

بعد زوال سيطرة الكنعانيين السياسية على مدنهم (مع بقاء الشعب في البلاد)، وبعد التخلص من الغزوة العبرانية، حكم البلاد الأشوريون البابليون، والمصريون فترات

---

(١) بسام العسلي - فلسطين والحملة الصليبية الجديدة - بيروت ١٩٦٩ ص: ٢٢-٢٣.

(٢) الدكتور محمود السمرة ورفاقه - فلسطين: أرضا وشعباً وقضية (مرجع سابق) ١٨٣.

متعاقبة. وقد كان حكمهم يتسم بالرفق، وكانوا يطلبون من السكان فقط الولاء السياسي[١]، وحفظ طرق المواصلات ودفع الضرائب، ولم يقوموا بالبطش والحرق كما قام العبرانيون.

حكم الأشوريين:

لقد حكم الأشوريين البلاد فترة من الزمن، استمرت من ٧٣٠ ق. م إلى ٦٤٥ ق. م ثم تخلوا عن الحكم للبابليين، وكانت فلسطين خلال حكمهم تحت نفوذ المصريين.

حكم البابليين:

أخذت الكتابة المسمارية تنتشر خلال حكمهم، وشاعت اللغة البابلية (لهجة من العربية)، أما لغة الكلام بين الناس فظلت الكنعانية[٢]، واستمر حكم البابليين حتى عام ٥٣٩ ق. م: حكم الفرس (٥٣٩ - ٣٣٢) ق. م.

وفي أثناء حكم قورش ملك الفرس، إذن لليهود المسبيين ابتداء من سنة (٥٣٦) ق.م. بالعودة إلى فلسطين، فعاد قسم منهم، وبقي قسم في بلاد الفرس، وكان قورش يرغب في استغلال اليهود في غزو مصر.

وقد شبه بعض المؤرخين فعل قورش هذا بفعل لويد جورج وبلفور اللذين أعطيا فلسطين وطناً قومياً لليهود[٣].

☆ حكم اليونان والرومان:

وقد بدأ الحكم اليوناني عام (٣٣٢) ق. م. بقيادة الاسكندر المقدوني، وقد فتح الاسكندر القدس وأخرج الفرس منها ومن البلاد قاطبة ولاحقهم حتى أنه غزا بلادهم.

وقد حاول الاسكندر ومن جاء بعده جلب سكان يونانيين إلى فلسطين لتحويلها إلى

---

(١) البرغوثي وطوطح، ص:٤٩.
(٢) عارف العارف - المفصل في تاريخ القدس: ص: ١٨.
(٣) =Bar bour, Nisi Dominus.

مستعمرة يونانية. ولكن لم يفلح، وظلت البلاد على طبيعتها العمورية الكنعانية في المعيشة والعادات والديانة.

وفي هذه المحاولة قال برستد «إن التأثير اليوناني . . . لم يسر على السواء في جميع أنحاء البلاد، بل كان ينحصر في المدن فقط، فلم يتأثر به كثيراً سكان القرى والدساكر الذين آثروا البقاء على عاداتهم السامية القديمة والنطق بلغات آبائهم والاحتفاظ بتقاليدهم وأفكارهم، وسنرى كيف أن الساميين ابتعلوا غير الساميين الذين حلّوا بينهم وطمسوا آثارهم[١].

حكم الرومان:

وقد استولى الرومان على البلاد سنة ٦٣م، وذلك بعد مقاومة شديدة من سائر السكان، ودخل بومبي القدس عنوة، واتخذ الرومان قيسارية مقراً لحكمهم بدل القدس، وقد ظهرت دعوة السيد المسيح مقاومة اليهود، أما السكان الكنعانيون(والفنيقيون في الشمال) فلم يعارضوه، ومنهم من ناصره وأيده وآمن به[٢].

---

(١) البرغوثي وطوطح، ص: ٧٧.

(٢) محمد أديب العامري- عروبة فلسطين في التاريخ (مرجع سابق) ص: ٩٢.

الفصل الثالث

اليهودية

مقدمة الهدف منها عدم تصديق ما يرد في التوراة والتلمود والاعتماد على القرآن الكريم:

١- التوراة.

٢- مصداقية التوراة.

٣- نظرة المسيحيين للتوراة.

٤- تحريف التوراة.

٥- التوراة في القرآن الكريم.

٦- أمور واردة في التوراة لا يمكن أن تكون من عند الله عز وجل.

٧- التنقيبات الأثرية وزيف التوراة.

تعتمد الديانة اليهودية على مصدرين:

الأول: وهو التوراة، ويعرف بالعهد القديم، تمييزا له عن العهد الجديد (الانجيل) كتاب المسيحيين المقدس.

الثاني: وهو التلمود، ومعناه التعاليم أو الشرح أو التفسير، ويشمل مجموعة من الشرائع اليهودية، والشروحات التي دّونها أحبار اليهود، وأصبحت تعاليم وعلى مرّ الزمن أصبحت محل تقديس عند اليهود كالتوراة، بل ربما كانت عند بعضهم أكثر من التوراة.

هذا ولم يرد ذكر للتلمود في الإنجيل، أو القرآن الكريم، أو الأحاديث النبوية الشريفة، والتلمود وهو شرح أحبار اليهود للتوراة حسب رغبات الشعب اليهودي، والتلمود ليس كتاباً منزلاً، بل هو كتاب وضعي.

وحين عرضنا أقوالاً من التوراة تشوه سير الأنبياء، فإننا لا نعتبرها أخباراً صادقة، بل نوردها كما وردت والحكم الصحيح السليم هو ما ورد في القرآن الكريم، فالأنبياء، إبراهيم ويعقوب وداود وسليمان (عليهم السلام) كانوا مادة تتناولها التوراة بالذكر حسب أهواء الشعب اليهودي.

١- التوراة

«التوراة هي العهد القديم من الكتاب المقدس، أو ما يُسمى بالآرامية «تورة» أي الهداية والإرشاد، وكلمة توراه تعني بأصل اللغة ينبوعاً، ثم أطلقت على الشريعة من باب التشبيه بجامع الإرواء وعدم النضوب في كل، وهي تطلق على ما تلقاه موسى، أي الشريعة بدأت به وانتهت به[١]».

ويتفق الباحثون على أن التوراة حذف منها وأضيف عليها، والتوراة بشكلها المحرف الحالي مقتبسة من أصول قديمة، وهي تعتمد على ثقافة الكنعانيين والمصريين والبابليين بالدرجة الأولى، ومع أنها تركز على تاريخ اليهود، فهي تنقل خلال عرضها للأحداث

---

(١) الدكتور أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ العربي للإعلان والنشر والطباعة - الطبعة السادسة - دمشق، ص: ٣٥.

معلومات جغرافية وتاريخية هامة عن أسماء الملوك، والأماكن والشخصيات الكنعانية في فلسطين[1] ولكنها تحورها لمصلحة الشعب اليهودي.

يتألف العهد القديم (التوراة) من (٣٩) سفراً، ويقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول (البانتاتيك) والقسم الثاني (البتيم)، والقسم الثالث (الكيوتيم).

هذا ويوجد طبعات أخرى من التوراة مقسمة بشكل آخر فهناك الطبعة الكاثوليكية وتضم (٤٦٠) سفراً، وتقسم التوراة إلى أربعة أقسام.

وقد نسقت التوراة على أساس تسمية كل سفر حسب محتواه، ونحن سنعرض هنا التقسيم الثلاثي.

القسم الأول: البانتاتيك ويتألف من خمسة أسفار:

وقد أطلق على هذه الأسفار الخمسة الأولى اسم «كتب موسى الخمسة» وتشمل ما يلي:

١- سفر التكوين: (Genesis).

يصف الخليقة، وبدء العالم والشعب المختار.

٢- سفر الخروج: (Exodus).

يتحدث عن خروج من سَموا أنفسهم (بني إسرائيل) من مصر، وعن الوحي على جبل سيناء، وقد دونت أحكام الشريعة، ومن ضمنها الوصايا العشر[2]، في الأصحاح العشرين من هذا السفر.

٣- سفر اللاويين (Leviticus)

يحتوي على طقوس الكهنة أبناء لاوي.

٤- سفر العدد (Numbers).

ويتضمن إحصاءات عن الشعب المختار.

---

(١) محمد علي الزعبي - دفائن النفسية اليهودية - بيروت عام ١٩٦٨، ص: ٣١.

(٢) الدكتور أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ (مرجع سابق) ص: ٣٠٧.

٥- سفر التثنية (Deuteronome).

هو تكرار وتتمة لشريعة موسى. وقد تضمن سفر العدد والتثنية (تثنية الاشتراع) وصفاً للفتوحات التي تمت على يد النبي موسى.

القسم الثاني، المسمى «نبيم»، ويشتمل على مجموعتين:

الأولى خاصة بالأنبياء.

والثانية خاصة بالأنبياء المتأخرين.

وتشمل الأسفار التالية:

١- سفر يشوع.

ويحتوي على تفاصيل احتلال الموسويون فلسطين، وتوغلهم فيها، وتقسيم الأراضي فيها.

٢- سفر القضاة.

يشمل سيرة القضاة منذ موت يشوع وحتى ولادة صموئيل.

٣- سفر صموئيل الأول والثاني:

الأول خاص بسير صموئيل وشاؤول وبالقسم الأول من حكم داود.

٤- سفر الملوك الأول والثاني:

ويحدثنا عن الفترة من موت داود حتى بدء السبي البابلي.

٥- سفر أخبار الأيام الأول، والأيام الثاني:

وهما عبارة عن وثائق غير مصنفة، وسلالات أنساب، وأجزاء روائية من آدم حتى بداية عهد قورش.

والمجموعة الخاصة بالأنبياء المتأخرين وتتألف من (١٤) سفراً تتحدث عن (١٤) نبياً.

القسم الثالث:

«كتيوبيم» وهي كتابات وأشعار، وتتألف من اثني عشر سفراً، كمزامير داود وأمثال سليمان وأيوب، ونشيد الأناشيد وغيرهم.

والديانة اليهودية ديانة كهنوتية حيث أن الكهنة هم الذين قاموا بتفسير التوراة.

☆ حقيقة تاريخية مغفلة:

إذا أردنا، أن نتبع الأدوار التاريخية حسب تسلسلها الزمني، يتوجب علينا التمييز بين الأمور التالية:

١- عصر إبراهيم الخليل ويعقوب.

٢- زمن قوم موسى.

٣- زمن مملكة يهوذا، التي جاء اسم اليهود منها.

وقد ذكرهم القرآن الكريم حسب أدوارهم وتسمياتهم:

فإبراهيم الخليل عاش في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وكانت اللغة السائدة في زمانه (اللغة الأم) يتكلم بها أبناء الجزيرة المنتشرون في الشرق الأدنى. ومن بعده تفرقت هذه اللغة الأم إلى لهجات: كنعانية وآرامية وغيرها، وكان إبراهيم من العشائر الآرامية، وكانت لغته قريبة جداً من اللغة التي يتكلم بها الكنعانيون العرب، أما حفيده يعقوب (إسرائيل) الذي عاش عام (١٨٠٠) ق. م. فالأرجح أنه كان يتكلم نفس اللغة الكنعانية الآرامية، وهذا ما يسمى بالدور الأول.

وكان إبراهيم وأحفاده يدينون بدين إبراهيم، وقد انتهى هذا الدور بعد أن هاجرت اسرة يعقوب إلى مصر، وانضمت إلى يوسف حسب قول التوراة، واندمجت وذابت كلياً في المجتمع المصري.

ثم جاء الدور الثاني بعد ستمائة عام، وهو دور موسى وجماعته، عندما نزحت هذه الجماعة إلى أرض كنعان في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وقد هاجرت إلى أرض كنعان بحملة شبه عسكرية مؤلفة من جماعة من المصريين، ومن بقايا الهكسوس، والحيثين، ومن الخارجين عن القانون.

ويمكن أن نطلق تاريخياً على هذه الجماعة اسم (قوم موسى)[1]، وكانت هذه الجماعة تتكلم اللغة المصرية، وبها كلمهم موسى.

(١) وردت تسميتهم بهذا الاسم في القرآن الكريم؟.

وقد نسبت التوراة هذه الحملة إلى (بني إسرائيل) بغية ربط هذه الجماعة بيعقوب وإبراهيم.

☆ عدم مصداقية التوراة:

ورد في التوراة أن شريعة موسى نزلت عليه في جبل سيناء «وهي من صنع الله ومنقوشة على لوحي حجر مكتوب على جانبها باصبع الله»، وقد كتبها الله مرة ثانية بعد أن ألقى بها موسى على الأرض وكسرها بسبب غضبه عندما شاهد قومه يعبدون العجل ويرقصون حوله[١].

أما أصل الشريعة التي كتبت على لوحي الحجر فقد اختفت، ولم يبق لها وجود، أما لغة هذه فقد كتبت بالهيروغليفية التي كان موسى قد أتقنها في البلاط الفرعوني المصري.

ويتضح مما تقدم أن التوراة كتبت بعد إبراهيم الخليل بألف وثلاثمائة عام، وبعد عهد موسى بأكثر من سبعة قرون، وهي بالطبع غير التوراة الأصلية التي نزلت على النبي موسى، ويعترف العالم اليهودي سيلفر بأن التوراة لا تمثل توراة موسى الأصلية في أية ناحية، حتى الوصايا العشر لم تكن في شكلها ومضمونها الحاليين كتلك التي أتى بها موسى[٢].

ويقول العالم الألماني الدكتور مورتكان: «لا يمكن الاعتماد ومن الناحية العلمية على أساطير التوراة، إذ برهنت الأبحاث الأثرية على عدم صحة أكثر تلك الأساطير التي وردت فيها. كما توجد أبحاث تبرهن عكس هذه الأساطير[٣].

وهناك أدلة كثيرة على أن التوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى، هي غير التوراة التي كتبها الأحبار بعد عصر موسى بثمانية قرون. إن الرأي التاريخي الحديث يعتبر موسى قائداً مصرياً في بلاط أخناتون[٤].

ومن الثابت لدى العلماء والمؤرخين ان اسم موسى اسم مصري تسمّى به: أحمس أو أخ موسى، تحتموس أو تحموت موسى، رعمسيس أوراع موسى.

---

(١) الدكتور أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ (مرجع سابق) ص: ٣١٦.

(٢) الدكتور سامي سعيد الأحمر: «الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية» نقلاً عن A.H. Silver and The Original Torah p. 76.

(٣) الدكتور مورتكان «تاريخ الشرق الأدنى القديم»، ص: ٢٣٢.

(٤) الدكتور أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ (مرجع سابق)، ص: ٣١٥.

لقد تعمد كاتبو التوراة الخلط بين الأدوار التاريخية، وإهمال التسلسل الزمني، فربطوا العصور بعضها ببعض، وهذه العصور هي:

الدور الأول:

دور إبراهيم وإسحق ويعقوب، وترجع حوادثه إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، وهذا الدور لا صلة له بالنبي موسى أو اليهود أو التوراة، ولغة هذه الدور اللغة العربية الأم، وديانته وحدانية الله.

الدور الثاني:

دور جماعة موسى المصري، وتقع حوادثها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي سبعة قرون بعد الدور الأول. ولا صلة لهذا الدور بإبراهيم ويعقوب (إسرائيل). ولغة هذا الدور هي المصرية في البدء، ثم الكنعانية، أما الديانة فوحدانية أختانون، ثم الانحراف نحو الوثنية.

الدور الثالث:

دور اليهود، وهم كاتبو التوراة الحالية، وهذا الدور كان في القرن السادس قبل الميلاد، أي بعد عهد موسى بثمانية قرون وبعد عصر إبراهيم بثمانمائة وألف سنة.

ولغة هذا الدور الآرامية، وديانتهم وحدانية (يهوه) الخاصة باليهود فقط.

وقد ميز القرآن الكريم بين الاسرائيليين واليهود، وقد ورد في القرآن الكريم أيضاً «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً»، ولم يرد في القرآن الكريم اسم إسرائيل المرتبط بعصر إبراهيم الخليل.

ويتضح مما تقدم أن أحبار اليهود عندما دونوا التوراة في الأسر حاولوا الخلط بين هذه العصور المختلفة، وتجاهلوا الثغرة بين عهد إبراهيم وإسحق ويعقوب من جهة، وتجاهلوا كذلك الثغرة بين دور النبي موسى، واعتبروا يهوه إله الفترات الزمنية الثلاث، وهو في الواقع ليس كذلك.

☆ نظرة المسيحيين للتوراة:

ويختلف المسيحيون في أمر التوراة، فالكنيسة البروتستانتية، قد حذفت من التوراة أسفاراً معينة، لا تعترف بهذه الأجزاء، وتقول بأنها مدسوسة على التوراة ومن أقوال يسوع المسيح في اليهود:

«قلب هذا الشعب قد غَلُظ، وأقوالهم قد ثقُل سماعها، وغمضوا عيونهم لئلاّ يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم[(١)] .

وفي آيات قرآنية أخرى تأكيد لتحريف اليهود للتوراة.

فقد ورد في القرآن الكريم:

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

وعندما يذكر القرآن الكريم قبل زهاء أربعة عشر قرناً أن اليهود حرفوا التوراة الأولى، نجد الآن بعد البحث العلمي الدقيق والاكتشافات الأثرية الدقيقة أيضاً أن اليهود حرفوا التوراة.

وقد أوردت التوراة قصصاً تتنافى مع الأديان جميعها، فقد وردت أن داود زنا بزوجة أحد قواده، وأن أمنون بن داود اغتصب أخته تمارا. ومن أهم مظاهر انحراف التوراة التي كتبها الكهنة وأحبار اليهود بعد عصر موسى بعدّة قرون تقوم على التفرقة العنصرية.

☆ تحريف التوراة:

يعترف الإنجيل بالتوراة، ويعتبرها كتاباً مقدساً، كما يعترف القرآن بالتوراة وبالدين اليهودي كما ورد أصلاً.

لكن التوراة حرفت، فهل التوراة التي تحدث عنها القرآن الكريم وعن نزولها على النبي موسى هي نفس النص الذي بين أيدينا الآن..؟!

إن التوراة التي بين أيدينا الآن دونت بعد النبي موسى بمدة، فحرّفت وأضاف عليها أحبار اليهود ما رغبواو وحذفوا ما رغبوا أن يحذفوه.

---

(١) إنجيل متى. ص: ٢٣.

ويرد في التوراة أقوال وقصص لا يمكن ان تصدر عن الخالق عز وجلّ. وكذلك يعتبر رجال الدين المسيحي أن التوراة زيفت وحرّفت.

وقد ندد السيد المسيح بأعمال من سمّاهم بالكتبة الفريسيين والناموسيين، وأنذرهم بالويلات لانحرافهم عن الفضيلة وتكالبهم على الدنيا.

يقول الإسلام بأن التوراة قد نزلت على النبي موسى بوحي سماوي، ولكننا نقول أن التوراة المتداولة قد دخل عليها التحريف والتزييف، والقرآن الكريم يؤكد هذا الكلام بقوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

وعلى اعتبار اليهود شعب الله المختار والمميز، وتعطيه امتيازات عن غيره من الشعوب. إن ديانة موسى الأصلية كانت ككل الديانات السماوية قائمة على أساس التوحيد المطلق لكل البشر، كما أن التوراة الأصلية تقر البعث واليوم الآخر والجنة والنار، بينما التوراة الحالية لا تعترف بالبعث واليوم الآخر.

☆ التوراة في القرآن الكريم بوجه عام:.

لقد فقدت التوراة الأصلية، ودس الأحبار في التوراة الحالية كثيراً من الفاهيم الخاطئة، وقد دسها الأحبار بدافع غرائزهم لإعلاء شأن الشعب اليهودي، وقد شاعت هذه المفاهيم على مر الزمن وأصبحت مقبولة لدى اليهود وغيرهم.

ولما أنزل الله القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً نبهنا إليها، كما أن المكتشفات الأثرية والدراسات العلمية الحديثة جاءت مطابقة للحقائق الواردة في القرآن الكريم.

ومن هذه المفاهيم ما يلي:

١- يفهم من سور القرآن الكريم أن التوراة التي كانت بين أيدي الناس في زمن نزول القرآن الكريم، والموجودة حالياً بين أيدينا، هي غير الوراة التي أنزلت على النبي موسى في سيناء، وقد كتبت في وقت لاحق بيد الأحبار.

وقد أثبتت كذلك الاكتشافات والدراسات العلمية الحديثة التي حددت تواريخ الوقائع حسب تسلسلها الزمني هذه الحقيقة.

٢- يدعى اليهود أنهم من نسل يعقوب وإبراهيم الخليل، وتقول الآية القرآنية الكريمة: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

٣- أنبأنا القرآن الكريم أن إبراهيم كان مرتبطاً بالجزيرة العربية (بيت الله العتيق) وقد جاءت المكتشفات الأثرية حول الهجرات العربية من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب، ودراسة علم المقارنة بين اللغات مطابقة لهذه الحقيقة وتربط صلة إبراهيم بالجزيرة العربية.

٤- وأنبأنا القرآن الكريم بأن الديانة اليهودية في عهد موسى كانت أصلاً تقر البعث والنشور واليوم الآخر، والحساب والعذاب والعقاب والجنة والنار، ولكن أسفار العهد القديم التي بين أيدينا الآن تخلو من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه[١].

وهذا دليل آخر على تحريف التوراة التي كتبها اليهود في (فهم) الأسر هي غير التوراة التي أنزلت على النبي موسى.

وسنعرض فيما يلي نصوصاً من التوراة:

١ - «النسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير من الفرات». (التوراة - سفر التكوين، الأصحاح، ١٥: ١٨).

٢- «أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب».

٣- «وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي».

(التوراة سفر لاوين، الأصحاح ٢: ٢٦).

٤ - «لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض».

---

(١) الدكتور علي عبد الوافي «اليهودية، ص: ٤٦».

(التوراة، سفر التثنية، الأصحاح ٧:٧).

نرى من هذه النصوص، أن التوراة تتلخص في تمجيد اليهود وتقديسهم، وتقديس عرقهم، وتعدهم بأن خططاً حددها الرب لهم دون سواهم من البشر، وتبشرهم بأنهم شعب الله المختار، وهذه الأمور مجتمعة هي أسس ومرتكزات الحركة الصهيونية.

وتعتبر التوراة أهم منبع للثقافة اليهودية[١]، (وتمثل التوراة مصدر التشريع والأخلاق والعادات والموروثات للحياة اليومية التي يعيشها الإنسان اليهودي)، وتنظم علاقته مع الرب ومع الناس من اليهود وغير اليهود، وتقرأ نصوص التوراة بشكل منظم أيام السبت والأعياد.

☆ أمور واردة في التوراة لا يمكن أن تكون من عند الله عز وجل

١- وتمضي التوراة في تفصيل هذه الأحكام، وتميز ما بين اليهودي وغير اليهودي، فيقول الأصحاح الثالث والعشرون من سفر التثنية ما يلي:

«لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة وربا طعام، أو ربا شيء مما يقرض بربا، للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا، لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك»[٢].

ولكن القرآن الكريم يرى شرعية موسى من هذه الموضحة فقال: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ أي يزعمون أن الله أباح لهم الربا على لسان رسله، وكان الواقع أنه لم يبح بل نهى.

٢- وكذلك فإن الرب لم ينج من شرور بني إسرائيل وإساءاتهم، إذ تمضي التوراة لتقول «لا يصدقوني بجمع الآيات التي عملت في وسطهم، وحتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتذمرة علي»[٣].

٣- ثم تمضي أسفار التوراة في «تفصيل» وصايا «الرب» وشرائعة وأحكامه ومعظمها لا تخطر إلا في خيال الرعاة القدامى حين يكونون في الجبال والوديان

---

(١) عبد الرزاق محمود الأسود، الموسوعة الفلسطينية - الجزء الأول - الدار العربية للموسوعات - دمشق، ص: ٨٧.

(٢) أحمد الشقيري - خرافات يهودية - ١٩٨١ ص:٨٨.

(٣) التوراة - سفر العدد - الأصحاح ١٤.

يشتهون ويتمنون. ومن أطراف هذه الخيالات التي سردتها التوراة أن الرب طلب إلى موسى أن يصنع له تابوتاً حتى يظل ساكناً في وسط بني اسرائيل، وأن يكون هذا التابوت على هيئة صندوق، ويكون طوله كذا، وعرضه كذا، وأن يكون من خشب السلط، وأن يكون مغشى من الداخل والخارج، وأن يكون، وأن يكون. . . إلخ، المواصفات التي استغرقت من التوراة صفحات وصفحات[١].

٤- أن لوطاً وهو من الأنبياء، قد هرب من وجه قومه الذين تفشا فيهم ارتكاب القبح مع الذكور، فصعد من صوغر وسكن الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه.

وتقول التوراة، أن البنتان أسقتا والدهما خمراً، واسكرتاه، وأنه دخل في كل منهما في ليلة[٢].

٥- لقد كان لأبشالوم، ابن دواد أخت جميلة اسمها تماراً، وقد حاول ابشالوم الدخول بها وأخيراً وبعد محاولات كثيرة وافن إلى ذلك[٣].

٦- حتى يبرر اليهود البغاء والدعارة، فهم إلى الآن يقتلون إبراهيم الخليل بقولهم:

«تاجر بجسد زوجته وقدمها لملك مصر، وملك النقب ليأخذ منهما بقراً وجمالا وحميراً»[٤].

٧- ويقولون عن داود: «أنه اتخذ زوجة أحد القواد خدنا وسعى لقتله، وأولدها سليمان على ذاك الفراش العاهر، ويزيدون في قتل داود حين يعرضونه يشاهد ولده آمنون يأبى إلا أن يعشق ويفترس أخته بنت داود نفسه.

---

(١) أحمد الشقيري - خرافات يهودية ١٩٨١ ص: ٩٥، ٩٦.
(٢) التوراة - سفر التكوين - الأصحاح ١٩.
(٣) التوراة - سفر صموئيل الثاني - الأصحاح ١٣.
(٤) صادق الكنيست الإسرائيلي على قانون يبيح فيه البغاء وذلك يوم ١٩٩٢/١٢/٢. ظفرالإسلام خان - التلمود - الطبعة الثانية ١٩٧٢، ص:٥٥.

☆ التلمود:

يعدّ التلمود كالتوراة جزءاً من أحكام الديانة اليهودية، والتلمود معناه التعاليم أو الشرح أو التفسير، والتلمود هو مجموعة التعاليم والمناقشات الدينية الأولى مع شروح لرجال الدين من الأجيال المتعاقبة، وفيه تحديد العلاقات الدينية والدنيوية(١).

وعلى صفحات التلمود وجدت أجيال المتعاقبة إشباعاً لأعمق أمانيها الدينية، وكذلك وجد اليهود في التملود نافذتهم لأسمى استلهاماتهم الفكرية.

إن التلمود لا يزال بعد التوراة هو القوة الروحية والأخلاقية المستمرة في الحياة اليهودية، وأصل كلمة التلمود لامادا، أي يعلم، ويقسم التلمود إلى قسمين(٢):

«المشنة» Misana أي النص والمتن، ومعناها بالعبرية (المعرفة)، «الجمارا» Gemara أي التفسير والشرح، والتلمود يجمع المشنة والجمارا(٣).

والمشنة هي عبارة عن مجموعة من تقاليد اليهود المختلفة، أما الجمارا فهي مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التي وضعت، وهناك جمارا أورشليم، وجمارا بابل.

ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتاباً منزلاً سماوياً، ويضعونه في منزلة التوراة، ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة لكنه أرسل التلمود على يده شفاهة.

واللاويون طالما رأيناهم يرون النصوص بما يريدون، ويزعمون أن موسى أودعهم شيئاً ليس مكتوباً أو حياً، ومنحهم حق تفسيره، كما منحهم حق تفسير ما أودعهم إياه مكتوباً.

وهناك تلمود يعرف بالتلمود الفلسطيني دوّن حوالي سنة ٢٠٠ بعد الميلاد، وآخر يعرف بالتلمود البابلي ودون في حوالي سنة ٥٠٠ بعد المسيح، ولكل منهما طابعه الخاص، ويتأثر بالبلدان التي كتبت فيها، ولغتهما مختلفة: فالفلسطيني كتب باللغة الآرامية الغربية، أما البابلي فقد كتب باللغة الآرامية الشرقية، وحجم التلمود البابلي أوسع من التلمود الفلسطيني بأربعة أضعاف.

---

(١) الموسوعة اليهودية - نيويورك، ج١٠، التلمود ١٩٤٨.

(٢) عبد الزراق محمود الأسود - الموسوعة الفلسطينية (مرجع سابق) جزء ١، ص٣٣٧.

(٣) بولس مسعد - همجية التعاليم الصهيونية - الطبعة الأولى - دار الكتاب العربي - بيروت، ص: ٩٠.

وقد دون التلمود الفلسطيني في طبرية، واستغرق تدوينه مائتي سنة (٢٢٠ ق. م -١٠ ق. م)، وقد قام الكهنة بدراسة التلمود المدون في طبريا، رأضافوا عليه، وأصبح يعرف باسم التلمود الأورشليمي، وقد انتهى تدوينه في أواخر القرن الثالث الميلادي.

وهناك صراع بين المحافظين والمتجددين حول وضع التلمود، فالمحافظون يعدون مقدّساً مثل التوراة، وربما أكثر من ذلك، بينما يرى المتجددون أن جميع التبعات تقع على التلمود في أولوان العذاب الذي احتمله اليهود في مختلف العصور[١].

إن تلك القوانين، والتقاليد التي عاشت حتى الآن جعلت المذهب اليهودي غير مقبول، وذلك نظراً لتمسك قدماء إسرائيل بحرفية التلمود وأضاليله التي أصبحت حجر عثرة في سبيل تقدم اليهود[٢].

بينما بعض المتجددين لا يعتقدون بأن التلمود منزل، بل يكرمونه ويحترمونه لأنه كتاب شرائع يهودا، ويبذلون كل جهدهم لكي يظهروه أمام العالم بمظهر لائق. ويعتقدون بأن التلمود يشتمل على تعاليم سامية وأخرى سافلة، تعاليم يهودية، وأخرى وثنية، وفيه أحكام يشتم منها البغض لبقية الشعوب ولاتباع الديانات الأخرى[٣].

ولما اشتد ضغط الرومان على اليهود في فلسطين، اضطر عدد كبير من رجال الدين اليهود الهجرة إلى العراق، وقد نشأت في العراق عدة مدارس دينية تعاونت فيما بينها على وضع التلمود البابلي.

وفي عهد خلافة القادر بأمر الله (١٩٩٠-١٠٣١) انتقل مركز اليهود العلمي إلى الأندلس وأسسوا في كل قرية مدرسة دينية، وقد اشتهر من بين فلاسفة مدرسة قرطبة موسى بن ميمون.

وتتألف المشناه من ستة مباحث تُسمى الأحكام ORDERS وهي:

(١) أحمد شلبي - مقارنة الأديان اليهودية، ص:٢٦٦.

(٢) بولس حنا مسعد - همجية التعاليم الصهيونية (مرجع سابق) ص:٩١.

(٣) من الملاحظ أن اليهود في كافة أنحاء العالم يسكنون في أحياء مغلقة خاصة بهم منذ أقدم العصور في كافة أنحاء العالم.

١- زيرائيم (البذور) وتتضمن اللوائح الزراعية (١١) رسالة.

٢- مؤيد (الأيام المقررة) يتضمن لوائح الأعياد والصيام، ١٢ رسالة.

٣- نشيم Nashim (المرأة) ويتضمن قوانين الزواج والطلاق ويشمل ٥ رسائل.

٤- نيزيكين: Nezekim (الأضرار) ويشمل القوانين المدنية والجنائية ويشمل ١٠ رسائل.

٥- كوداشيم (الأشياء المقدسة) عن قوانيين الصلاة ويشمل ١٠ رسائل.

٦- توهاروت (الطهارة) ويتحدث عن قوانين الطهارة والنجاسة ويشمل ١٢ رسالة. وبهذا يكون عدد الرسائل في الأحكام الستة (٦٣) رسالة.

يشمل التلمود تأكيداً لمبدأ الاستعلاء والتفوق العرقي العنصري اليهودي على بقية شعوب الأرض، ويجعل الناس عبيداً لليهود بصفة اليهود شعب الله المختار. كما تتجسم فيه انعزالية الشعب اليهودي[١].

ويقول العلامة ول ديورانت بأن الربانيين والحاخاميين أخذوا يفسرون التوراة حسب أهوائهم بالشكل الذي يرضي غرائزهم الشريرة ونزوعهم إلى الاستعلاء على بقية أجناس البشر[٢].

يقول التلمود إن التوراة كالمياه والمشينا كالخمر والجمارا كالخمر المعطر، والعالم لا يستطيع الحياة بدون مياه، وخمر، وخمر معطر، والغني لا يدع واحدة من هذه تفوته، ولهذا السبب لا يستطيع العالم الثبات بدون التوراة، والمشينا والجمارا. فالشريعة هي كالملح، والمشينا والجمارا كالتوابل . . . إلخ.

وينهي التلمود أنه ينبغي على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع تسلط الأمم في الأرض، حتى تصير السلطة لليهود وحدهم، فإن لم تصر السلطة لوحدهم عدّوا أنفسهم وكأنهم في حياة المنفى والأسر.

(١) ول ديورانت - قصة الحضارة - فصل «عصر الايمان».

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص: ٤٨.

ويعيش اليهود في حرب مع كل الشعوب، حتى ينتقل لهم الثراء والسلطان من الجميع، وحينئذ يدخل الناس أفواجاً في دين اليهود[١].

أما نظرة التلمود إلى المسيحيين فهي نظرة غريبة، فقد ورد فيه الكثير من عبارات الشتم والطعن للمسيحيين وللسيد المسيح.

هذا ويجيز التلمود استخدام الكذب والنفاق مع غير اليهود[٢].

وينادي التلمود بالتناسخ، وهي فكرة تسربت من الهند إلى العراق، وأخذه كاتبو التلمود في بابل.

من أقوال التلمود:

١- «سوف تمتد حدود أرض إسرائيل وتصعد في جميع الجهات، ومن المقرر لأبواب القدس أن تصل إلى جمشق، وسوف تأتي (الدياسبورا)[٣] لتنصب خيامها في الوسط».

٢- «نحن شعب الله المختار في الأرض، وقد فرقنا الله لمنفعتنا، وذلك لأن الله سخر لنا الحيوان الإنساني، وكل الأمم والأجناس سخرهم لنا نمتطي ظهورهم ونحركهم كما نشاء».

٣- «يتقدم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى أنه يلطم ويبكي كل يوم، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضطرب الحياة، وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل».

٤- جاء في تلمود أورشليم صفحة: ٩٤ «إن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان».

---

(١) أحمد شلبي - مقارنة الأديان اليهودية ص: ٢٧.

(٢) تجمعات الشبيبة اليهودية خارج فلسطين، والغاية من هذه التجمعات تشجيع الحنين إلى فلسطين والهجرة إليها.

(٣) Tal. Jerus. Mas. Ber.Cap. 1.f.3.

٥- اليهودي الذي يسرق المسيحي أو يفضح امرأة أجنبية لا يعاقبه المجتمع اليهودي» لأن التلمود يسمح له بذلك.

٦- «ليس من سعادة للإنسان الذي يعتدي على أحكام التلمود وتعاليمه، ويحافظ على التوراة، إذ أن تعاليم اللاهوتيين في التلمود لهي أطيب من كلام الشريعة وبالتالي فإن الخطايا التي تقترف ضد التلمود أعظم من المقترفة ضد التوراة[١].

٧- وعندما يريد إبناء إسرائيل تمجيد الله، يحنون رؤوسهم قائلين:

«سعيد هو الملك الذي يسبح في بيته، ولكن أي تمجيد يستحق ذاك الأب الذي يترك أولاده يتمرغون في الشقاء.

٨- أقسم عشرين يميناً كاذباً لمصلحة اليهودي[٢].

٩- «اهدم كل ما هو قائم، لوث كل طاهر، احرق كل أخضر، كي تنفع يهوديا بفلس».

١٣- «للمسلمين والنصارى ملوك كثيرون، ولنا نحن اليهود ملك واحد هو الذهب».

والتلمود يعتبر غير اليهود (الغوييم) أو أبناء نوح أو الوثنى.

وقد أحرقت الحكومة الفرنسية نسخ التلمود عام (١٢٤٤)، وكذلك أحرقت الحكومة الإيطالية ١١٤٫٠٠٠ نسخة من التلمود عام (١٥٥٣).

بعض كبائر وفظائع اليهود المتأثرة بالتصلود:

ألف الأستاذ «إشيل لوران» كتاباً بالفرنسية عنوانه «تحقيقات تاريخية عن حوادث سوريا سنة ١٨٤٨» وقد ترجمها إلى العربية الأستاذ الدكتور يوسف نصر الله.

وخلاصة هذه الحوادث أن طائفة يهود دمشق في تلك السنة قتلوا راهباً إيطالياً كان صديقاً لهم وجارا لبيوتهم في دمشق واسم الراهب «الأب توما» ثم قتلوا خادمه الدمشقي «إبراهيم عمار».

---

(١) التلمود البابلي المطبوع بالإنجليزية في المطبعة السوفيتية، إشراف الدكتور رابي اسدر ابستين عام ١٩٣٨.

(٢) همجية التعاليم الصهيونية - تأليف بولس مسعد - دارالكتاب العربي - بيروت - لبنان - ١٩٦٩، ص:٦٩-٧١.

أما قتل الراهب فلم يكن الدافع إليه سوى الحصول على دمه استنزافاً وهو حي، ليخلطوا بدمه خبز عيد الفطير. اتباعه لوصية دينية تلمودية توجب عليهم «خلط هذا الخبز في عيد الفطير بدم مستنزف من بشر غير يهودي وهو حي» وقد قتلوا خادمه عندما بحث عنه سترا للجريمة.

ولما افتضح الأمر، وجرت التحقيقات العدلية، ورفع الأمر إلى المسؤولين، ولعبت الرشوة دورها بمعونة الصهيونية المحلية والعالمية، أفرج عن المجرمين جميعاً دون أدنى عقاب.

وقد استطاع الأستاذ لوران الفرنسي أن يحصل على هذه التحقيقات جميعاً ونشرها.

وهناك كتاب وضع بالعربية هو «صراخ البرىء» يحكي قصة طفل مسيحي إسمه هنري عبد النور استدرجته جماعة من اليهود واستنزفوا دمه، وكذلك عملت الرشوة دورها وافرج عن الجناة[1].

المسيحية في التلمود:

ورغم أن العهد القديم يبشر بالمسيح، تنكر له اليهود، وحاكوا الدسائس ضده، وقاموا ضد المؤامرات مريم كمؤامرة «المجدولية» كما تناولوا العذراء بالمكائد فقالوا: (كان الجند الرومان يسبحون في بحيرة، وقد نزلت مريم العذراء تسابح وتعانق وتراقص جندياً رومانياً يدعى «بندرا» ومنه حملت المسيح.

وقد كذّب القرآن هذه الأمور.

وقد نادى كثير من اليهود بعدم الاعتراف بالتلمود، ومنهم طائفة العيسوية القرائين (أي قارئي التوراة دون التلمود)، وقد كان للقرائين في تركيا وروسيا ومصر نشاطاً ملحوظاً ضد الصهيونية.

---

(١) الدكتور عز الدين غربية - فلسطين: تاريخها وحضارتها- منشورات اتحاد المؤرخين العرب (١٩٨١) ص: ١٤.

الإسلام في التلمود:

قاوم اليهود الإسلام حين نزلت الدعوة السماوية كما هو معلوم.

☆ التنقيبات الأثرية وزيف التوراة:

نتيجة النزاعات الداخلية والقوى الخارجية التي غزت فلسطين نجد من الصعب العثور على أية آثار يمكن دراستها. وقد بدأت دراسة الآثار الفلسطينية منذ عهد الصليبيين، وبأدوات غير متقدمة. وقد كانت تدفع الباحثين منطلقات سياسية وعسكرية ودينية[١]، فلم تكن هذه الدراسات ترقى إلى مستوى الموضوعية.

ويمكن تقسيم نشاط الحفريات إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى، وتبدأ عام (١٨٦٥) منذ إنشاء صندوق استشكاف فلسطين حتى عام (١٩٥٢) وقد توجه العديد من الباحثين العسكريين والأثريين إلى فلسطين بدافع الروح الاستعمارية الغربية أو مدعومين من النفوذ الصهيوني، وخلال الانتداب البريطاني علىفلسطين للتنقيب عن الآثار لدعم الزعم المتعلق بالحق التاريخي لليهود في فلسطين.

ولم تكن الآثار العربية الإسلامية أو المسيحية تجد أي اهتمام بسبب عدم وجود مؤسسة عربية للآثار. وقد تزعم كثير من علماء الغرب المشهورين الاتجاه الديني في تفسير ما جاء في التوراة[٢].

وقد سارت جميع الجمعيات الأثرية الأوروبية والأميركية في هذا الاتجاه فاستخدم معظم الباحثين الأثريين اصطلاحات وتقسيمات لحلقة التسلسل التاريخي الفلسطيني بحيث تتفق مع المعطيات التوراتية، وذلك بالرغم من المكتشفات الأثرية التي أشارت إلى أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع وجد له مثيل في المدونات القديمة الكنعانية والمصرية والسومرية والأكدية والبابلية والأشورية[٣].

---

(١) نفس المرجع: ص: ٢٥.

(٢) نفس المرجع: ص١٨.

(٣) حسين عمر حمادة - آثار فلسطين - دار قتيبة للتوزيع والنشر - دمشق (١٩٨٣) ص: ١١٠.

المرحلة الثانية وهي ظهور الاتجاه العلماني في التنقيب عن الآثار وابتدأت المرحلة في عام ١٩٥٢.

وقد ظهر هذا الاتجاه على يد كل من (سيلين وفاتسنجر) ومعهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة شيكاغو و«جوردن تشايلد» رئيس معهد الآثار التابع لجامعة لندن، ومن ثم «كاثلين كانون» مع بداية حفرياتها في أريحا(١).

وفي هذه المرحلة تقدمت تقنية التنقيب وأصبحت أكثر عملية.

وقد قام مشاهير العلماء مثل «بريستد» و«بتري» و«ولسون» و«رد» و«مالكستر» و«البرتي» وجامعة كمبردج وبنسلفانيا، وشيكاغو بدراسة المصادر التي عثر عليها في أرض كنعان دراسة علمية موضوعية تحليلية. وقد عثر في أرض كنعان على بقايا معمارية ومسلات وتماثيل وقبور، ونظمت تقارير عن آثار سوريا ولبنان وفلسطين من قبل بريدود وغارستي وجولدمان وتدل هذه التقارير على العلاقة الحضارية المتكاملة في بلاد الشام.

أما حفريات الآنسة «كينون» فقد بدأ في أريحا، وقد شهدت هذه المرحلة، بوادر المجابهة بين الاستنتاجات الأثرية وبين ما وضع من تفاسير لبعض روايات العهد القديم.

وقد أكدت كينون بجرأة غير مألوفة، أن حفرياتها الأثرية في أريحا لم تؤيد بعض ما يرتبط بذلك الموقع من روايات في العهد القديم (التوراة).

وكذلك قام جيمس ريتشارد بالحفريات في منطقة الجيب، للفترة ما بين ١٩٥٦-١٩٦٢، وعندما نشر تقريره صّرح بأنه لم يعثر في الجيب (جبعون التوراتية) والتل بالقرب من دير ديبوان (عاي التوراتية) على مدينة معاصرة ليوشع (كما ورد في التوراة).

وقد رافق هذه المرحلة إعادة نظر في كثير من استنتاجات المنقبين قبل سنة ١٩٥٢، ووجد إثرها أن الغالبية العظمى من تلك الاستنتاجات كانت خاطئة، مما أدى إلى أعادة النظر في موضوع تحديد العلاقة بين آثار بلادنا والعهد القديم. ودعاة هذا الاتجاه هم: لاب، دوفو، ريفر، وفرانكن وهم من رجال الدين المشتغلين بالآثار، وهم ينادون بالفصل الكامل بين الآثار الأردنية الفلسطينية والعهد القديم.

(١) الدكتور محمود أبو طالب، آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة: ص: ٩٢-٩٤.

وبغض النظر عمّا يكمن خلف تلك الروايات من دلالة روحيّة، فإن التنقيب المادي عن آثار هاوارد، فإن أخبرتنا التوراة أن معجزة دينية دمرت سور أريحا أما العبرانيين، فإن من حق عالم الآثار أن يتوقع أن يجد آثار سور مهدم، ومن واجبه إن لم يجد السور، أن يحاول على ضوء ذلك إيجاد وفهم جديد للرواية[١].

ومن الأمثلة اخرى أن «كينون» أثبتت ليس فقط أن أريحا خلال العصر البرونزي الحديث، وهو العصر الذي يفترض فيه أن يشوع كما ورد في التوراة هاجم المدينة وهدم أسوارها، لقد أثبتت «كينون» أن أريحا لم تكن مسّورة، بل كانت شبه مهجورة خلال الجزء الأكبر منه[٢].

الآلهة الكنعانية:

يعتبر الإله «إيل» (EL)، والإله بعل (Baal) والإله موت (Mot) أهم وأشهر الآلهة الكنعانية. وتشير الأدلة المختلفة ومنها التوراة، أن الإسرائيليين اقتسبوا العديد من المعتقدات والشعائر الدينية الكنعانية، ومنها أسماء الآلهة، فقد أطلق الإسرائيليون على الإله اسم (آل)، بمعنى خليل الله، وجبرائيل أي «جبران» بمعنى قوة الله، وإسرائيل أي «إسرايل» بمعنى جندي الله، وعزرائيل أي عزرال بمعنى سند الله وغيرها[٣].

ويبدو أن التوراة (العهد القديم)، قد اقتبست العديد من مجالات ومظاهر الثقافة الكنعانية ثم ادعى اليهود بعد ذلك ملكيتها، إن الباحث في الأدب العبري والعهد القديم، يجد مجموعة من العبارات تتكرر تماماً كما هو الحال في الأدب الكنعاني[٤].

كما يوجد تشابه كامل بين العديد من العبارات التي وردت في النصوص الأغارتية وبين ما سجلته بعض القصائد في الأشعار الخمسة في العهد اقديم، ومنها أغاني «دبورا» وبعض الترانيم[٥].

---

(١) ليونارد كوتريل - الموسوعة الأثرية العالمية ص: ٦٠.

(٢) Driver, G.R. camanite myths. and Legends â (old Tes tament studies, 3) Edin burgh 1956, 150 FF.

(نقلا عن عز الدين غربية، فلسطين حضارتها وتاريخها (مرجع سابق)).

(٣) Gorden, CH, Haomer and Bible the origin and chal 2 racter of East meditranean Literature H.U.C. A. 1955 p. 120 FF.

عزالدين غربية (نقلاً عن فلسطين تاريخها وحضارتها منشورات اتحاد المؤرخين العرب ١٩٨١).

(٤) عز الدين غربية - فلسطين تاريخها وحضارتها (مرجع سابق) ص: ٤٤.

الفصل الرابع

اليهود لا

حق دينياً لهم في فلسطين

١ - إبراهيم وقدومه إلى فلسطين.

٢- اليهودية والمسيحية.

٣- القرآن يرفض اليهود.

٤- الوعد الإلهي.

☆ إبراهيم وقدومه إلى فلسطين:

يعتبر اليهود إبراهيم أباهم الأول، وتذكر التوراة أن إبراهيم كان عبرانياً [١]، بينما يقول ثوردارسون أن إبراهيم كان من طبقة العبيرو.

وحسب ما تقول التوراة خرج إبراهيم من أور الكنعانيين، واسم أبيه تارح، وتارح من أولاد سام، وسام أحد أبناء نوح الثلاثة: سام، حام، ديانت[٢]، هؤلاء نجوا مع نوح من الطوفان.

وتقول الرواية أن تارح أخذ معه ابنه إبراهيم وحفيده لوط وساراي (ساره) زوجة إبراهيم إلى أرض كنعان، وكان ذلك حوالي سنة ١٩٠٠ ق.م.

وإبراهيم أثناء ترحاله بشكيم الكنعانية (بلاطة قرب نابلس)، وكان الكنعانيون عندئذ قد مضى على وجودهم في المنطقة ما يزيد على ألف سنة، ثم مر بالخليل (حبرون الكنعانية)، وبئر السبع ثم ارتحل إلى مصر.

وكانت سارة زوجة إبراهيم جميلة جداً، فحملت إلى بلاط فرعون، وقال إبراهيم لفرعون:

أنها أخته، وقد أجزل فرعون العطاء لإبراهيم بسبب جمال سارة، ولّما علم فرعون حقيقة الأمر أعاد سارة لزوجها، وطلب منهما أن يغادرا مصر.

وعاد إبراهيم إلى أرض كنعان، فمر بجوار غزة، وتحالف مع أميرها (أبي مالك) فطمع أبو مالك بسارة وعاشرها.

ولما ولدت هاجر (أميرة فرعونية) لإبراهيم إسماعيل، وحسب نص التوراة قطع الرب عهداً مع إبراهيم وأخته وإسماعيل، وغير اسم إبراهيم إلى أبرام، كما غير اسم ساراي إلى سارة، وقد ولدت له سارة إسحاقاً بعد ثلاثة عشر عاماً من مولد إسماعيل.

ورأت سارة إسماعيل يمزح مع والده، فقالت لإبراهيم، أطرد هذه الجارية وابنها، لأن إبن الجارية لا يرث مع ابني، فقال الرب لإبراهيم ... إبن الجارية أيضاً سأجعله أمه لأنه من نسلك[٣].

---

(١) سفر التكوين (١٤-١٣).

(٢) محمد أديب العامري، عروبة فلسطين في التاريخ (مرجع سابق) ص: ٩٥.

(٣) سفر التكوين (٢٥-١٩).

ومن هنا نرى أن إقامة إبراهيم في أرض كنعان لم تكن طويلة، لتكسبه أي حق في بلاد معمورة، وبخاصة إزاء «غربته» في البلاد، كما تعبر عنها التوراة، لابراز حقوق أهل البلاد المقيمين فيها.

وتصور التوراة إله إبراهيم وكأنه إله خاص به وبقومه وحدهم، بينما يعتبر القرآن إبراهيم «حنيفاً مسلماً»، وكذلك فإن بعض التفاسير المسيحية تنسب له التوحيد وكذلك القرآن الكريم.

ويقول ويلز:

نحن لا نستطيع أن نرى في تنقلات إبراهيم وعائلته وماشيته، أكثر من رحلة عادية قام بها رئيس عائلة، كما كان يقوم غيره، رحلة بدأت من مكان في الهلال الخصيب، ومرت بالأراضي الخضراء من قوسه المستدير طلباً للماء والمرعى، ولا تمنحه رحلته العابرة تلك أي حق في أرض فلسطين، وهو عنها غريب، والواقع أنه عندما قضى نحبه بالخليل، لم يدّع هو أو غيره ملكية في أرض منحها له الرب، وإنما اشترى بماله الخاص الرقعة الضيقة التي ورى فيها[1].

☆ اليهودية والمسيحية:

إن النظر إلى المشكلة الصيهونية من خلال علاقتها الدينية بالغرب المسيحي لقضية هامة جداً. لقد بحثنا الصهيونية كمغامرة اقتصادية، وكعملية استيطان للمنطقة العربية، وبحثنا الدعم العالمي للصهيونية، ولكن القليل تطرق إلى جانبها الديني.

إننا لم نبحث بدقة لماذا وقف الغرب المسيحي يؤيد يهوذا الأسخريوطي، ونرى المجمع المقدس في الفاتيكان يبرىء اليهود من دم السيّد المسيح.

«تهويد المسيحية» اليوم[2] عملية كبرى تتم في صمت وتآمر، وتلك الرواسب الدينية عند الغربيين ضد الإسلام عملية منتظمة لا ينقصها الفكر أو المال.

---

(١) محمد أديب العامري - عروبة فلسطين في التاريخ (مرجع سابق) ص: ١٠١.

(٢) أنيس فاخوري - نسف الأضاليل مرحلة أساسية في إزالة إسرائيل - مؤسسة فكر للأبحاث والنشر - بيروت - لبنان، ص: ١٠.

إذ آمن المسيحي بإدعاء اليهود الباطل بأن المسيح قادم، إذا اين موقع يسوع المسيح، هذ وقد رفض الله الشعب اليهودي، ولم يعد اليهود شعب الله المختار.

هذا وفي إطار الكتاب المقدس ونصوصه لم يعد لليهودية أو اليهود أي مكان في مخطط الخلاص الإلهي بعد ظهور يسوع، أنها عقوبة الله لقتلة الأنبياء المرسلين، لقد أخرجوا من مخطط الخلاص الإلهي نهائياً بعد مجيء المسيح(١).

إن جذور هذه الناحية هي «دينية أصلية» عند اليهود وهي «دينية بالتضليل»، عند المسيحية في الغرب، وبذور هذه الجذور نبتت فوق تربة التوراة، التي تشكل عند المسيحيين جزءاً هاماً من الكتاب المقدس، يعرف باسم «العهد القديم» تمييزاً له عن «العهد الجديد»، الذي هو قصة (يسوع) وقصة الجماعة اليهودية وبقية الجماعات العالمية التي آمنت به على أنه هو المسيح المنتظر.

الوشائج الدينية الغامضة ما بين المسيحية واليهودية:

إن العلاقة القائمة ما بين العهد القديم (التوراة)، والعهد الجديد (الإنجيل) غير واضحة تماماً (٢)، فالمسيحيون يعترفون بالعهد القديم (التوراة) قبل تزييفه وتحريفه من قبل اليهود، ولكن لا يعترف المسيحيون بالتلمود.

غير أن اليهود لا يعترفون بالعهد الجديد (الإنجيل)، كتاب المسيحيين المقدس، وعلاوة على ذلك، يعتبرون أن المسيح لم يأت بعد.

وحين نشأ المذهب البروتستانتي وانفصلت الكنيسة البروتستانية عن الكنيسة الكاثوليكية الأمر التي كانت لا تسمح بقراءة العهد القديم، سمحت الكنيسة المنشقة لرعاياها قراءة العهد القديم (التوراة) بجانب العهد الجديد (الإنجيل)، واندس عدد كبير من اليهود في المذهب البروتستانتي. واستغل اليهود هذه الفرصة، وحشوا عقول المسيحيين الأوروبيين بحقهم الديني في فلسطين.

---

(١) نفس المرجع، ص:١٢.

(٢) أنيس فاخوري - نسف الأضاليل - مرحلة أساسية في إزلة إسرائيل - مؤسسة فكر الأبحاث والنشر- بيروت ص -٧.

ونتيجة هذا الجهد الدعائي المنظم، فإن الكيان الإسرائيلي اليهودي «الديني والسياسي» كان قائماً في ذهن الغرب المسيحي، لمدة طويلة سبقت إعلان الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧.

وعليه فإن انتصارنا النهائي على إسرائيل ذات الكيان التوسعي، لا يتم قبله إزالة ذلك الكيان من ذهن الغرب المسيحي أولاً، وتلك الإزالة تقوم بالدرجة الأولى على نسف الأضاليل التي حشت بها اليهودية عقول الغرب المسحي.

☆ قيام دولة يهودية في فلسطين مخالف لروح الإنجيل:

عندما كان الفكر المسيحي في الغرب صافياً غير مشوش، من قبل الدعايات الصهيونية السياسية، والدعاوى الدينية المدسوسة بالأضاليل اليهودية والتفسيرات الخاطئة، كانت المناداة بتفسير توراتي بقيام دولة يهودية في فلسيطين يعد كفراً وغير مقبول.

ولقد اشتدت حملة التبشير الأوروبية والأميركية في الوطن العربي وصدر كتاب «القواعد السنية في تفسير الأسفار الإلهية سنة ١٨٨٠ للقس الأميركي جيمس أنسي، ويقول مؤلفه:

١ - هناك فرق شائع بين النبوءات في العهد القديم عن اليهود والنبوءات عن الكنيسة المسيحية نفسها - إسرائيل - أي بين إسرائيل حسب الجسد، وإسرائيل حسب الروح، ويجب التأكد على التفسير الروحاني أي أن النبوءات عن رجوع اليهود أمة جسدية مشروط برجوعهم إلى الديانة المسيحية، وانتمائهم إلى الكنيسة المسيحية .. وقد كان هذا الرأي سائداً في أوروبا وأميركا وهو «أن قيام دولة يهودية فوق أرض فلسطين هو مخالف لروح الإنجيل وناشىء عن سوء التصرف في مقاصد الله.

لقد كان هذا هو حكم رجال الدين المسيحيين الأمريكان في القرن الماضي وذلك بالاستناد إلى الانجيل والتفاسير اللاهوتية الصوابية لنبوءات التوراة، وكان ذلك قبل قرن، فما الذي حصل حتى انقلب الرأي العام المسيحي في الغرب من مستنكر لأية محاولة لاقامة دولة يهودية في فلسطين إلى مناصر شديد لقيام هذه الدولة[1].

---

(١) أنيس فاخوري- نسف الأضاليل- مرحل أساسيةً في إزالة اسرائيل- مؤسسة فكر للأبحاث والنشر-بيروت- لبنان، ص: ٣٥. =

مؤقتاً التضليل يفوز على الحقيقة.

منذ أن تم طرد اليهود من فلسطين عام (٧٠م) كانوا يحلمون بالعودة لفلسطين وكانوا يجادلون الأوروبيين ببعض ما ورد في التوراة.

وحانت لهم الفرصة الذهبية حين ظهرت الكنيسة البروتستانتية والتي سمحت بقراءة العهد القديم، كما اندس بها الآف اليهود.

وقد استغل اليهود قول القديس أوغسطين « أن العهد القديم معلن في الجديد (أي الانجيل) مخبوء في القديم (أي التوراة)، كما أن العهد القديم معلن في الجديد»، وقد وجد اليهود المتنصرين في هذا القول ما يساعدهم لقبول تفاسيرهم الحرفية.

وبعد نشوء الدولة الأمريكية كان فيها أكثر من سبعين شيعة إنجيلية محسوبة على البروتستانت، لكن معظمها كانت تشايع اليهود، وكان بعضها يتبنى الطقوس اليهودية.

وقد جرت في أوائل القرن التاسع عشر وما بعده مذابح كثيرة ضد اليهود في روسيا وبولونيا مما اضطر اليهود الهرب إلى أوروبا الغربية، وكان لكتاب الألماني اليهودي موسى مندلسون (١٧٢٩-١٧٨٦) التأثير في تخفيف تحامل الأوروبيين على اليهود، وقام لدى اليهود هيئات وجمعيات مثل « محبي صهيون»، وقام المتمولون وعلى رأسهم عائلة روتشلد بتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين. وكان لظهور هرتسل أثره في هذا المجال.

وقد خلا المجال العالمي ولا يزال إلا من تفسيرات الصهاينة الدعومة بالآيات التوراتية، (مع أن التفاسير المسيحية الأصلية المعاكسة للرغبات اليهودية كانت موجودة ولكن للأسف لم يوجد من ينبشها من بطون الكتب ليدحض بها أضاليل الصهيونية منذ ذلك العهد). وهكذا سيطر التضليل وساد واحتل مكان الحقيقة.

حقيقة بني إسرائيل كما هي في التوراة:

لقد كانت المسيحية قبل أن تنحرف في تيار التضليل اليهودي الصهيوني تعارض اقامة دولة يهودية على أرض كنعان (فلسطين) وتعتبر هذا الأمر مخالفاً لروح الانجيل.

إن دراسة التوراة بموضوعية تكشف لنا بعض الحقائق:

لقد رفض الله الشعب اليهودي بسبب تماديه في الشرور والمعاصي وانحرافه عن عبادة الله ولم يعد اليهود شعب الله المختار إلا أقلية ضئيلة آمنت بالمسيح المنتظر. كما أن هناك فارقاً كبيراً بين الشعب اليهودي المتمرد على الله والذي تمادى في انحداره حتى توصل إلى التلمود، وبين التراث الإلهي المتمثل في عظمته وذلك منذ عهد أختوع، ونوح وجيل أنبياء الله(١)، ومن ثم ملكي صادق وإبراهيم وموسى وبقية أنبياء العهد القديم إلى أن جاء يسوع المسيح.

إن التوراة كلمة عبرانية تعني الشريعة والتعليم، وهي تطلق على الأسفار الخمسة بالدرجة الأولى ثم تأكد من الأصل عليها الأسفار التاريخية النبوية والسفرية، وهي تبلغ تسعة وثلاثين سفراً يطلق عليها المسيحيون اسم«العهد القديم»(٢).

والمسيحيون يضيفون إلى التوراة الانجيل، والعهد الجديد يحتوي على أعمال هؤلاء التلاميذ ونشاطاتهم بعد صعود السيد المسيح إلى السماء، وهذا السفر هو تاريخ الكنيسة الأولى التي تألفت من اليهود وبقية الأمم، وسفر آخر يحتوي على رؤيا لاهوتية كبيرة وليس«سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي».

المفهوم المسيحي للتوراة:

وقد فهم المسيحيون الأوائل وكثير من اليهود الذين كانوا ينتظرون خلاص اسرائيل أن العهد القديم يمثل الفترة التمهيدية الجديدة والمسيحيون الأوائل كانوا كلهم من اليهود، ويرون أن التوراة تضم كل النبوءات والاشارات الدالة أن يسوع هو المسيح، ومن هذه الآيات:

«فجمع(هيرودس) كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح، فقالوا له في بيت لحم اليهودية، لأنه هكذا مكتوب بالنبي، وأنت يا بيت لحم يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدير يرعى شعب اسرائيل »: (متى: ٢-٦).

---

(١) سفر التكوين- الإصحاح السادس من العدد الأول إلى الرابع.
(٢) أنيس فاخوري- نسف الأضاليل مرحلة أساية في ازالة اسرائيل، ص: ٤٣.

المفهوم المسيحي عن بني اسرائيل:

يعبر المسيحيون أن الله حمل رسالته لليهود حتى يجيء السيد المسيح وأنهم اليهود قصروا في حمل هذه الرسالة، وذلك واضح في الآية التالية وغيرها من الآيات:

«لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أغاره».

إن هذا المفهوم المسيحي عن «بني اسرائيل» الذي استوعبه اليهود الذين آمنوا بيسوع على أنه المسيح المنتظر بيقي مرافقاً للكنيسة المسيحية، ولكن من المؤسف اليوم أن نرى هذا المفهوم المسيحي الأصل انقلب إلى عكسه، إذ اصبح المسيحيون في الغرب مطية للمآرب الصهيونية بسبب قيام اليهود في تضليل تفسير نبوءات العهد القديم وتصديق المسيحية لها.

التوراة هي السجل الأسود لبني اسرائيل:

تورد التوراة عن بني اسرائيل ما يلي:

لقد جاء على لسان النبي آخيا « ويضرب الرب اسرائيل كاهتزاز القصب في الماء، ويستأصل اسرائيل عن هذه الأرض الصالحة»[١]. (أرض كنعان)

كما جاء في سفر ملاخي وهو آخر أنبياء العهد القديم الآيات التالية:

«قال لكم رب الجنود أيها الكهنة المحتقرون اسمي.. ليست لي مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمه من يدكم، لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود، أما أنتم فمنجسوه.. قال رب الجنود فإني أرسل عليكم اللعن والعن بركاتكم، بل قد لعنتها لأنكم لستم جاعلين في القلب.. أما أنتم فحدتم عن الطريق واعثرتم كثيرين بالشريعة..فأنا أيضاً حيرتكم محتقرين ودنيئين عند كل الشعب.. غدر يهوذا وعمل الرجس في اسرائيل وفي أورشليم.. لقد اتعبتم الرب بكلامكم وقلتم بما اتعبناه..؟ بقولكم كل من يفعل الشر فهو صالح في عيني الرب وهو

(١) سفر ملاخي.

يسر بهم، أو أين إله العدل؟ من أيام آبائكم حدتم عن فرائضي ولم تحفظوها. . أقوالكم اشتدت علي قال الرب. ».

وتذكر التوراة أن الله وعد إبراهيم باعطائه أرض كنعان له ولنسله، وأن كل قبائل الأرض ستتبارك بنسله، إذا هم حافظوا على العهد وبقوا أمناء لشريعته، وقد تم هذا الأمر بحكم اسرائيل معظم أراضي كنعان، وكذلك شاركت كل قبائل الأرض عن طريق الكنيسة المسيحية الأولى، إذ يرد فيها على لسان موسى، بعد أن أخرجهم من أرض مصر وسار بهم في سيناء:

« وإن سمعت لصوت الرب الهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التي أنا اوصيك بها اليوم، يجعلك الله مستعلياً على جميع قبائل الأرض، وتأتي عليك جميع هذه البركات وتدركك إذا سمعت لصوت الرب الهك. . ولكن إن لم تسمع لصوت الرب الهك. . يرسل الرب عليك اللحن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتغني سريعاً من أجل سوء أفعالك إذ تركتني. . يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك. . يذهب الرب بك وبملكك الذي تقيمه عليك إلى أمة لم تعرفها. . وتكون دهشاً ومثلاً وهزاةً في جميع الشعوب. . يجلب الرب عليك أمة من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النسر، أمة لا تفهم لسانها. . وتحاربك في جميع أبوابك حتى تهبط أسوارك الشامخة الحصينة التي أنت تثق بها في كل أرضك. . وكما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم كذلك يفرح الرب بكم ليفنيكم ويهلككم فتستأصلون من الأرض التي أنت داخل لتمتلكها. . ويردك الرب إلى مصر في سفن في الطريق التي قلت لك لا تعد تراها، فتباعون هناك لاعدائك عبيداً وإماء وليس من يشتري. هذه هي كلمات العهد الذي أمر الرب موسى أن يقطعه مع بني اسرائيل في أرض موآب فضلاً عن العهد الذي قطعه معهم في حوريب»[1].

لكن بني اسرائيل، لم يفوا لهذا العهد مطلقاً، فقاموا بعبادة العجل الذهبي تقليداً للمصريين، وعادوا إلى عبادة الأصنام في عهدي يشوع والقضاة.

---

(١) سفر التثنية- الأصحاح ٢٨.

وقد أقام اليهود دولة تولى الملك فيها شاؤول وداود وسليمان ثم انقسمت إلى دولتي إسرائيل، ويهوذا وكانت أورشليم الكنعانية عاصمة لها، ومنها أتت تسمية اليهود.

ولقد تقدم الملك (شلمنا صرْ) ملك آشور نحو إسرائيل، وقتل وساق الباقين بسيق إلى أرض آشور وتم هذا السبي والتشتت حوالي سنة ٧٢٠ ق.م.

أما مملكة يهوذا فقد دامت إلى سنة ٥٨٧ ق.م، وحسب ما ورد في التوراة عن هذه المملكة أنه توالى على حكمها عشرون ملكاً، ابتداء من رحبعام بن سليمان، ستة منهم فقط تذكرهم التوراة بالخير، أما الأربعة عشر الباقون، فقد وصفتهم التوراة بأنهم أشرار مثل زملائهم ملوك إسرائيل[1]، وقد لاقت مملكة يهوذا نفس المصير على يد (نبوخذ نصر)، ملك بابل، حوالي ٥٨٧.

لقد سقطت صفة «شعب الله المختار» عن بني إسرائيل، بعد أن رفض يسوع، ولم يعد نسل إبراهيم ذلك الشعب المتمرد المنافق (اليهود)، بل هي تلك القلة من الشعب اليهودي المختارة التي عاشت في أرض كنعان، وفي أورشليم زمن ظهور يسوع المسيح، وهذه الجماعة شكلت الكنيسة المسيحية الأولى، وعليها حلت بركة الله. أما تراث الشعب اليهودي، فنراه في التوراة تاريخاً اسوداً مملوءاً بالخطايا والوثنية والخروج عن الصراط المستقيم واحتقار اسم الله العظيم. ويكتمل بسخافات التلمود.

ومن هذا يتبين لنا أن هناك تمايز بين التراثين (الوارد في التوراة) وهو إلهي ابتدأ بأبنا خنوع، ونوح وملكي صادق وإبراهيم وموسى وبقية الأنبياء، وانتقل عبرهم إلى بقية شعوب العالم، وبين تراث اليهود المنافقين الفاقدين صفة شعب الله المختار. وبهذا يتوضح ما قاله المسيح عن نفسه: «ما جئت لأنهي بل لأكمل».

☆ فحوى الإنجيل هو رفض لليهودية واليهود:

بسبب التضليل اليهودي لمسيحيي الغرب اصبحوا يؤمنون بفكرة الوطن القومي اليهودي من وجهة نظر دينية، وكانوا يستندون إلى الأصحاح الحادي عشر من رسالة الرسول بولس، إلى أهل رومية، ولكن لم يكن قصد بولس إلا حث اليهود غير المؤمنين بيسوع على الإيمان[2].

---

(١) أنيس الفاخوري - نسف الأضاليل مرحلة أساسية في إزالة إسرائيل (مرجع سابق) ص: ٦٠.

(٢) أنيس فاخوري - نسف الأضاليل مرحلة أساسية في إزالة إسرائيل (مرجع سابق)، ص: ٧٦.

لكن ما ورد في الإنجيل ورسائل الرسل. نصاً وروحاً، يتضمن نفياً قاطعاً لأية استمرارية للشعب اليهودي واليهودية، اللذين رفضا الإيمان بيسوع، وأصبح هذا الشعب خارج مخطط الإله الأزلي.

ويقول بولس الرسول في رسالته اولى إلى كورنثوس «بل تتكلم بحكمة الله في سرّ، الحكمة المكتومة التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا، التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد، بل كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه، فأعلنه الله لنا نحن بروحه». ولذلك يصبح رجوع هذا الشعب اليوم، الذي يقبل ما أعلنه الله سابقاً، إلى أرض كنعان لإقامة دولة دينية (تمارس الناموسية التي كانت فقط رمزاً لديانة روحية سامية أعلنها يسوع للبشر أجميعن)[١].

ويعتبر الإنجيل أن التوراة لا تحمل في طياتها رسالة أبدية، بل هي مقدماً ورمزاً لقدوم المسيح.

فقد ورد في قول بطرس بلسانه وكان يقول لليهود الذين آمنوا به، «يا رب إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك، ونحن قد آمنا وعرفنا أنك المسيح إبن الله الحي»[٢].

☆ المفاهيم الجديدة لأبوة إبراهيم ولكلمتي «إسرائيل وكنعان».

وبعد حلول الروح القدس بدأت المفاهيم الروحية تظهر، وقد فهم اليهود المؤمنون المعنى الروحي لمجيء المسيح، وتبدل لديهم مفهوم كلمة «إسرائيل» المنحصرة بالتوراة على اليهود، لتنتقل وتشمل المؤمنين بالمسيح، وانتقلت كلمة كنعان لتشمل أرض كافة الأنبياء في العالم.

اليهودية المسملة بالقشور لم تتكمن من تعريف العالم بالله:

أن مقاصد الله ظهرت لنا في رفض هذا الشعب المتمردو المنافق لكلمة الله والإقرار بخراب البيت ورفضه لفكرة خلاص الجنس البشري من الخطيئة ومتمثلة بمجي يسوع المسيح، ولقد قصر الشعب اليهودي الديانة اليهودية عليه فقط، وهذا السبب جعل يسوع يقول:

---

(١) الأصحاح الثاني - ٧.
(٢) يوحنا ٦: ٦٨و ٦٩.

«أيها الأب البار إن العالم يعرفك، أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني، وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني وأكون أنا فيهم»[١].

إن الإيمان الحقيقي هو أنه مهيأ برسالة يسوع المسيح، لا بتعليمات الديانة من ذبائح ونجور . . . إلخ، فالإنجيل قد مسح كل ما جاء في التوراة من الأمور الطقسية[٢].

ويضرب المفاهيم القديمة عن إبراهيم وكنعان وإسرائيل:

فلم يعد إبراهيم يوعد بأرض كنعان بل التقاه من نسله المؤمنين بالمسيح.

ولم تعد أرض كنعان فلسطين بل كل أرض فيها قاة، وإسرائيل لم تعد لليهود كافة بل للذين آمنوا برسالة المسيح.

ان ظاهرة التهود عند المسيحيين ليست حديثة فقد تنبه لها الرسل في عهد المسيح لأنها ظهرت عند بعض المؤمنين حيث تجعلهم يحيدون عن الطريق المستقيم[٣].

وإن الأسطورة القائلة بأن الشعب اليهودي هو شعب الله يرفضها الإنجيل رفضاً تاماً، فقد ورد في الإنجيل «كل في أن يسوع المسيح هو المسيح، فقد ولد من الله»[٤].

☆ حقيقة اليهود كما تعلنها التوراة ويعلنها الإنجيل:

وعليه يمكننا أن نلخص نظرة الإنجيل إلى اليهود الذين لم يؤمنوا بيسوع بالكلمات التالية التي وصفهم بها الإنجيل:

الأغبياء الذين يُكلمون بالجسد (غلاطية ٣: ٢).

أولاد الأفاعي (متى: ٣: ٧).

القوم المزعجون المحوّلون إنجيل المسيح (غلاطية ١: ٧).

---

(١) يوحنا ١٧: ٢٥ و٢٦.

(٢) أنيس فاخوري: نسف الأضاليل مرحلة أساسية في زوال إسرائيل (مرجع سابق)، ص: ٨١.

(٣) أنيس فاخوري - نسف الأضاليل - مرحلة أساسية في زوال إسرائيل (مرجع سابق) ص: ٩٠.

(٤) (يوحنا الأولى ٥: ١).

أصحاب خرافات وأنساب لا حد لها . . . ولا يفهمون ما يقولون (تيموثاوس الأولى ١ : ٣-٧).

مرتدين عن الحق (تيطس: ١٤).

لا يؤمنون بقيامة الأموات (كورنثوس الأولى ١٥:١٢-١٨).

الساقطون من النعمة (غلاطية ٥:٥).

العاثرون المخزيون العائشون في الظلمة (بطرس الأولى ٢:٦-٩).

الكذابون (يوحنا الأول ٢: ٢٢).

أضداد المسيح الناكرون للأب والابن (يوحنا الأولى ١-٣).

العائشون بطبيعة الحيوانات غير الناطقة، صخور في ولائم المحبة، أشجار خريفية مقتلعة بلا ثمر (يهوذا).

كما أن التوراة كانت قد وصفت آباءهم بأكثر مما وصفهم به الإنجيل من نعوت رديئة وصفات خبيثة مثل:

شعب صلب الرقبة (خروج ٣٢:١٠).
شعب متمرد وصلب القبة (تثنية ٣١:٢٧).
يعصون الرب منذ يوم عرفهم موسى (تثنية ٩ : ٢٤).
الجماعة الشريرة المتفقة على الرب (عدد ١٤ :٣٥).
الساجدين لبعل فغور (عدد ٢٥ :٣٠).
فاعلون للشر وفاسدون أكثر من آبائهم (قضاة ٢ :١١و١٩).
يخطئون ويغيظون الرب بخطاياهم (ملوك الأول ١٦ : ٢).
يطرحون شريعة الرب وراء ظهورهم ويقتلون أنبياء الله (نحميا ٩ : ٢٦).
يعصون الله، شعب لا يفهم، أمة خاطئة وشعب ثقيل الاثم ونسل فاعلي الشر (أشعياء ١ :٢-٤).

يرذلون شريعة الرب (أشعياء ٥ : ٢٤).

شعب يكرم الرب بشفتيه أما قلبه فبعيد عنه (أشعياء ٢٩ : ١٣).

شعب متمرد وأولاد كذبة (أشعياء ٣٠ : ٨).

لا يذكرون إله إسرائيل بالصدق بالحق (أشعياء ٤٨-١).

آثامهم فصلت بينهم وبين الله وأيديهم تنجست بالدم، وشفاههم تكلمت بالكذب والشر، أرجهلم تجري إلى الشر وتفكيرهم بالإثم ولا يسلكون بالعدل (أشعياء ٥٩ : ٢-٨).

نجسوا أرض الرب وجعلوا ميراثه رجساً (أرمياً ٢ : ٧).

يحولون قفاهم نحو الله (أرميا ٢ : ٢٧) و(٣٢ : ٣٣).

ينسون الله أياماً بلا عدد (أرميا ٢ : ٣٢).

إسرائيل العاصية . . . زانية طلقها الله وكذلك أختها يهوذا أيضاً زنت مع الحجر والشجر (أرميا ٣ : ٦-٩).

شعب جاهل عديم الفهم، له أعين ولا يبصر وله آذان ولا يسمع (أرميا ٥ : ٣١).

يتكلمون على كلام الكذب ويسرقون ويقتلون ويزنون ويحلفون كذباً ويبخرون للبعل (أرميا ٧ : ٨ و٩).

أمة لم تسمع لصوت الرب إلهاً ولم تقبل تأديباً (أرميا ٧ : ٢٨).

الشعب الشرير الذي يأبى أن يسمع كلام الله (أرميا ١٣ : ١٠).

آباؤهم تركوا الرب وعبدوا آلهة أخرى، وهم أساءوا في عملهم أكثر من آبائهم (أرميا ١٦ : ١١ و١٢).

بني إسرائيل وبني يهوذا يصنعون الشر في عيني الرب منذ صباهم (أرميا ٣٢ : ٢٠).

شعب قلبه زان حاد عن الرب وذهبت عيونهم الزانية وراء أصنامهم (حزقيال ٦ : ٩).

اثم بيت إسرائيل ويهوذا عظيم جداً جداً (حزقيال ٧ : ٩).

لا يسلكون في فرائض الله ولا يعلمون بأحكامه (حزقيال ١١ : ١٢).

طرق بيت إسرائيل شريرة وأعمالهم فاسدة (حزقيال ٢٠ : ٤٤).

رؤساء إسرائيل يعاملون الغريب بالظلم ويضطهدون اليتيم والأرملة (حزقيال ٢٢ : ٦ و٧).
بيت إسرائيل ينجسون اسم الله القدوس بين الأمم (حزقيال ٣٦ : ٢١).

يرفضون ناموس الله ولا يحفظون وصاياه، وتضللهم أكاذيبهم التي سار آباؤهم وراءها (عاموس ٢ : ٤).

يعطون كتفا معاندة ويأبون أن يصغوا ويظلمون الأرملة واليتيم والغريب والفقير (زكريا ٧ : ١٠ و١١).

كهنتهم يحقرون اسم الرب المهيب (ملاخي ١ : ٦).

يحيدون عن فرائض الله منذ أيام آبائهم (ملاخي ٣ : ٧).

☆ خرافة الوعد الإلهي وأرض الميعاد:

الوعد الإلهي:

يستند الإدعاء الصهيوني بشأن فلسطين على دعوة توراتية قديمة ترجع إلى أربعة آلاف سنة ومفادها أن الله خاطب إبراهيم قائلاً: «لنسلك أعطي هذه الأرض».

واليهود يفسرون نسل إبراهيم أولاد إسحق، اي فقط أولئك الذين هم اليوم يهود دينا، سواء أكانوا منحدرين من إبراهيم وإسحق أم لم يكونوا، كيهود الخزر الذي هم جزءاً من العرق الآري الأوروبي.

وقد تصدى لهذا القول عدد من التقاة المسيحيين واليهود المتبحرين في دراسات العهدين القديم والجديد ومنهم:

١- **الدكتور الفرد جلوم**: أستاذ دراسات العهد القديم في جامعة لندن.

ويقول جلوم أن أول وعد واضح بإعطاء فلسطين إلى سلالة إبراهيم قد حدث في شكيم حسب سفر التكوين (الأصحاح ١٢، آية ٧):

(لنسلك أعطي هذه الأرض). وبينما كان إبراهيم واقفاً على تلة بالقرب من بيت إيل، قيل له: (حسب الأصحاح ١٣: ١٥): (جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد)، وأما الأصحاح (١٥: ١٨) فهو أكثر وضوحاً: (لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهرات الفرات). ويدعي اليهود أن هذه الوعود أعطيت لهم، ولكن الحقيقة غير هذا: فمن نسل إبراهيم؟

لإبراهيم ولدان: إسماعيل وإسحق، غير أولاده من جاريته المخطية قطوره ومما تجدر الإشارة إليه هو أنه عندما أقام إبراهيم عهداً مع الله بواسطة الختان (سفر التكوين ١٧/٨-٩) ووعد بجيمع كنعان «ملكاً أبدياً» كان إسماعيل هو الذي جرى ختنه لأن إسحق لم يكن قد ولد بعد، بل ولد بعد ثلاثة عشر عاماً، لذا فإن جميع المنحدرين من نسل إسماعيل لهم الحق في هذا الوعد، ومنهم العرب.

وهل الوعد الذي أعطي لنسل إبراهيم أبدي؟!

إن هذه الوعود لم تكن أبدية، بل هي مشروطة بالولاء لله، وولاء الشعب واستقامة الفرد والجماعة، وإذا لم يلتزم الشعب بذلك، فإن مصيراً رهيباً كان بانتظاره.

فقد قال موسى في الأصحاح الثامن والعشرين من سفر التثنية:

«إن لم تسمع لصوت الرب الهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم، تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك ويبدو لك الرب في جميع الشعوب من أدنى الأرض إلى أقصاها، وتعيد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من خشب وحجر، وفي تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون قرار لقدمك بل يعطيك الرب هناك مرتجفاً وكلال اليقين وذبول النفس وتكون حياتك معلقة قدامك».

وينتهي جلوم إلى القول بأنه (من الواضح أن الوعود الإلهية إلى أولئك الأنبياء قد ألغيت بسبب ردة الأمة اليهودية عن الدين.

وعندما أجلى السبي الآشوري السكان عن السامرة، والسبي البابلي لشعب يهوه، رأى الأنبياء في هذه المصائب تنفيذاً، ولكنهم قالوا لشعبهم أنك ستعود.

وفعلاً عاد اليهود إلى يهوديته، وأعادوا بناء أسوار القدس، وأعادوا بناء الهيكل وقد استطاعوا التوسع تحت حكم المكابين، وعلى ذلك فقد تحققت فعلاً نبوءات العودة، ولا يمكن أن تتحق ثانية(١).

٢- الدكتور وليام هـ ستاينرنج:

وهو أستاذ دراسات العهد الجديد (الإنجيل) والدراسات السامية في جامعة ديرل بولاية نورث كرولانية، والكاهن في الكنيسة المشيخية فيقول:

وليس ثمة من أساس في العهد الجديد أو في القديم يستند إليه إدعاء الصهاينة، بأن إقامة دولة يهودية جديدة في فلسطين هو أمر مطلوب، أو له ما يبرره في الكتاب المقدس، أو في نبوءاته، فالوعود الواردة في نبوءات هذا الكتاب تنطبق على البشر كافة، وليس على اليهود أو الصهاينة فحسب، ثم أن مثل عبارات (النصر)، (الخلاص) تفيد في معناها الصحيح الوارد في الكتاب المقدس، تعني الإنجازات الروحية والدينية، ولا تفيد الغزو والاحتلال، ثم إن عبارات (إسرائيل الحديثة) و(إسرائيل الله) على وجه الخصوص تنطبق حسبما وردت في العهد الجديد على الكنيسة المثالية المسيحية، أو على أية جماعة من المؤمنين حقاً، وذلك بالمعنى الديني للإيمان.

ويقول ستاينرنج: وحتى بدون عبارات العهد الواضحة المحددة والمتعلقة بالطبيعة الروحية والدينية للوعود المعطاة لنبي إسرائيل، فإن العهد القديم (التوراة) يسير في أصدق معانيه إلى مملكة روحية للجنس البشري كافة لا إلى إسرائيل سياسية تحتل أرض ومنازل شعب آخر، وتحول بعضا من سكانها إلى مواطنين من الدرجة الثانية - فتشتت أصحاب الارض الأصليين. فالمتبحر في التاريخ يقول إلى إسرائيل الروح لا إسرائيل الجسد(٢).

---

(١) Luke - charls and Keith - Rouch, Edward
Hand Book of palestine and trans jordan London Macmillan, 1930, p.p 233-234.

(٢) من أجل مزيد من التفاصيل أنظر Population and land in chapter.

٣- الدكتور أوفدر - سلزر:

وهو أستاذ دراسات العهد القديم سابقاً، وعميد معهد ماك كورمل اللاهوتي والكاهن في الكنيسة المسيحية المتحدة، فهو يفند قيام دولة إسرائيل قائلاً، بأن «المسيحي الذي لا يعتمد على الكتاب المقدس المسيحي يستطيع أن يعتقد بأن كلمة إسرائيل لا تعني وحدة جغرافية أو عرقية أو سياسة، بل جماعة المؤمنين كافة، أي لـ «إسرائيل الله».

٤- الدكتور فرانج شباج:

وهو أستاذ دراسات العهد الجديد، وقد توصل إلى النتائج التي توصل إليها زملاؤه، وهو يقول:

«إن اعتبار إسرائيل الحديثة (سواء في ذلك الدولة أو الشعب اليهودي)، وإسرائيل الله شيئاً واحداً، هو أخفاق في تفهم تعاليم العهد الجديد في نقطة من أهم نقاطه حيوية»[١].

٥- غبطة حوتش شيرمان:

وهو مساعد اسقف مطرانية لونج آسليفد الأسقفية بولاية نيويورك، فيقول: «إن تاريخ بني إسرائيل يبرهن على أن الله ليس محتفياً بالدرجة الأولى بفتوحات بني إسرائيل العسكرية أو بأمنهم الجغرافي، أو بإزدهارهم الاقتصادي، فنبوءات الرسل قد تحققت عندما دمرت إسرائيل كاملة عام ٧٢٢ قبل الميلاد، وعندما سيقت يهوده إلى بابل (المنفى) عام (٥٨٦) ق.م. من هم إذن؟، أن الله محتف كما يقول، الأنبياء بإقامة علاقة مع بني إسرائيل مبنية على الصلاح الرباني والعدل والرحمة، علاقة بين الله والإنسان تشمل في كل وقائعها العلاقة الطيبة بين الإنسان وأخيه الإنسان».

ثم يقول: «في الميثاق القديم»، وعد الله بني إسرائيل بالنصر العسكري على أعدائهم لكي يدخلوا الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً، شريطة إلتزامهم بإطاعة الله وأمره، ولكنهم لم يحافظوا على ذلك الميثاق، ففقدوا حقهم في دعوة الله».

---

(١) Jeffries -Palestine The Reality â (New york Longmans Green com 1939 pp: 23. 7. 238.

٦- **الدكتور المر بيرجر** (Elmer Berger) الحاخام الموهوب، ومؤلف العديد من الكتب عن اليهودية، فقد توصل إلى النتائج نفسها التي توصل إليها نظراؤه المسيحيون. فهو بعد أن يذكر تلك النتائج، يضيف قائلاً: «ما من يهودي أرثوذكسي يعتقد بأن دولة إسرائيل الحالية قد خرجت إلى حيز الوجود في عملية قصد بها تنفيذ أوامر العهد القديم، بل هناك في ا لواقع يهود أرثوذكس يتبرأون من الدولة السرائيلية الحالية باعتبارها تدنيساً لنصوص الكتاب المقدس. ويتضح هذا الاتجاه أعظم اتضاح وأكثره إثارة داخل ذلك الجزء من إسرائيل الذي تمارس فيه اليهودية التقليدية الحقة أدق الممارسة. وذلك الجزء هو حي مياشيرم في مدينة القدس. ففي هذا الحي يقطن النيتورا كارتا (Netora Karta) الذين ينظرون إلى دولة إسرائيل الحالية على أنها ظاهرة مدمرة لعقيدتهم، ويقومون بتحدي السلطة الحكومية لدولة إسرائيل في الكثير من أعمالهم.

٧- **جواده ل. ماجنس** (Judah L.Magens): «هل سيكرس اليهود أنفسهم هنا (أي في فلسطين)، خلال الجهود التي يقومون بها لخلق كيان سياسي، ولاستعمال القوة العسكرية الوحشية، ويبدو أننا قد فكرنا في كل شيء إلا العرب.. فإذا كانت لدينا قضية عادلة، فلهم هم مثلها. وإذا كنا قد أعطينا وعوداً، فقد أعطيت لهم هم أيضاً وعود. وإذا كنا نحب تلك البلاد وكانت تربطنا بها روابط تاريخية، فإن العرب أيضاً يشبهوننا في ذلك... وإذا كنا نرغب في العيش في هذا الحيز الحيوي، فيجب أن نعيش مع العرب، ونحاول مسالمتهم... إننا نقف من الدول الغربية الديمقراطية العظيمة، موقف المتطفل.. يجب أن نبحث عن اتفاق ودي اتفاق لا يقوم عل أساس القوة والسلطان، بل على التكافل والتفاهم الإنسانيين... فهل قوميتنا كقومية جميع الأمم، وثنية قائمة على أساس القوة والعنف، أم هي قومية روحية؟ أن حق كون المرء يهودياً لا يعطية حق الأغلبية السياسية».

ومما يذكر أن ماجنس كان أول رئيس للجامعة العبرية.

٨- **أما موريس ر. كوهن** (Morris R.Cohen)، فيقول: «لا أزال منزعجاً من مفهوم الدولة اليهودية. فهل الدولة اليهودية دولة عرقية قائمة على أفكار (الدم والتراب) الغامضة؟ وهل من الممكن أن يستلم غير اليهودي حقوق متساوية في مثل هذه الدولة؟

وهل من الممكن أن يستلم غير اليهودي منصباً فيها؟ ألن يجد المسلم، مثلا، عقبة قانونية تحول بينه وبين أن يصبح رئيس جمهوريتها؟ وإذا ما سمح لليهود أن يهاجروا إليها، فهل سيستثنى العرب من الهجرة إليها فلا يستوون في ذلك مع اليهود؟ لا شك أنني لا أستطيع أطلاقاً حمل نفسي على تأييد الجهود الرامية إلى إنشاء دولة يهودية لا تتمشى مع المبادىء الديمقراطية القائلة بفصل الدين عن الدولة، وبالمساواة في الحقوق المدنية والدينية والاقتصادية لجميع السكان، بغض النظر عن جنسهم وعقيدتهم».

القرآن الكريم يرفض اليهود
وينزع عنهم صفة «الشعب المختار»

إن التضليل اليهودي لم يقتصر على المسيحيين، بل تعداه إلى المسلمين أيضاً، وقصص المكر اليهودي مع النبي ﷺ مشهورة ومعروفة، ولذلك نجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تكشف عن حقيقة الشعب اليهودي وعن مكره وشروره.

ومن هذه الآيات الكريمة:

١- ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

٢- وقد لعنهم الله أيضاً لنقضهم الميثاق:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

٣- ولم يكتفوا فقط بنقض ميثاق الله، بل إنهم تحدوا سبحانه وتعالى، ولذلك استحقوا لعنة أكثر وأكبر:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

٤- وقد أسلم اليهود أمرهم إلى الشيطان، بدلاً من أن يسلموه إلى الله، وهكذا خسروا بصورة نهائية تفضيل الله لهم كما نرى في الآية الكريمة التالية:

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

وليست هذه كل الآيات الواردة عن اليهود، والتي تحتقر تاريخهم المشين، بل هناك العديد مثلها، التي تدحض إدعاءهم ما زالوا شعبالله المختار، وأبرز تلك الآيات هي:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦].

وتعليم القرآن لجهة «امتيازات» الشعوب أو الجماعات بعضها عن بعض واضحة لا تقبل التأويل، فالله يحاسب كل فرد على حدة وكل نفس لذاتها، إذ ليس لديه «جماعات أو شعب مختار» بل «كل نفس بما كسبت رهينة» كما جاء في صورة المدثر. وإليكم بعضاً من تلك الآيات البينات:

﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١١١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾ [فصلت: ٤٦].

﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء: ١٥].

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

﴿ لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ١٥].

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩].

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٢].

ثم هناك نقطة أخرى يحاول اليهود اليوم أن يستغلوها ليضللوا بها عقول غير المتعمقين في هذه الأمور الدينية، وليكسبوا عطفهم على إدعاءاتهم الكاذبة، وهي قولهم أنهم من طينة أعلى من طينة البشر بسبب ظهور أنبياء الله منهم فقط، ولذلك فإن إرادة الله هي التي تسيرهم لاسترجاع «حقهم» في أرض فلسطين. وعلى هذه الأكاذيب نرى جواب القرآن الواضح يتجلى في ما يلي من آيات كريمة:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ ﴾ [إبراهيم: ٤].

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤-١٦٥].

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٧].

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤].

﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الزخرف: ٦].

﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ومجيء عيسى (يسوع) كان بداية النهاية لأضاليل الشعب اليهودي وأكاذيبهم وادعاءاتهم الفارغة، كما رأينا في الفصل السابق. والإنجيل قد وضع الحد الفاصل بين القسم الأكبر من اليهود «الكذابين، المتمردين، أصحاب الخرافات، الأغبياء، المرائين، الساقطين، العاثرين، المخرجين» وبين الأقلية من اليهود الذين آمنوا برسالة يسوع المؤيدة بالروح القدس. وقد جاء القرآن ما جاء في الإنجيل عن هذا الشعب الخبيث المضلل وذلك بآيات بينات لا تقبل الجدل ولا التأويل.

ومما يحز في النفس أن بعض المسيحيين في أوروبا وأميركا لا تزال تضللهم الأباطيل الصهيونية وتوحي لهم بأن قيام إسرائيل إنما هو تحقيق للنبوءات المسيحية نفسها، في حين أن نظرة فاحصة إلى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد توضح بجلاء أن كلمة (الخلاص) تفيد وتتضمن في معناها التوراتي الحقيقي منجزات دينية وروحية، ولا تفيد وتتضمن في معناها التوراتي الحقيقي منجزات دينية وروحية، ولا تفيد وتتضمن أفعال الغزو والاغتصاب والتنكيل وأكثر من ذلك تخصيصاً أن ما يرد في العهد الجديد (الإنجيل) من مصطلحات مثل (إسرائيل) أو (أورشليم الجديدة) و (إسرائيل الرب) تنطبق على الكنيسة المسيحية المثالية، أو على جماعة المؤمنين الحقيقيين بالمعنى الديني للكلمة، وليس ثمة دلالة واحدة تشير إلى أن أي مسيحي حقيقي يعتقد بالعهد الجديد يمكنه أن يخلط بين (أسرائيل الجديدة) التي برزت إلى الوجود بوجب مخطط سياسي

استعماري يستند إلى القوة والقهر المصحوبين باقتلاع السكان الأصليين من أرضهم وممتلكاتهم دون مبرر، إن (إسرائيل الرب) في المعتقد المسيحي الذي يعني أن الكنيسة المسيحية قد تحققت بمجيء السيد المسيح وتبشيره، إن هذين النوعين من إسرائيل تتناقضان[١].

☆ المسلمون والوعد:

ورد في القرآن الكريم ما يفيد أن الله يورث فلسطين للمسلمين:

فقد جاء في الآية ١٠٥ من سورة الأنبياء: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾.

ويفسر علماء المسلمين هذه الآية بأن «الأرض» هي الأرض المقدسة فلسطين، وأن عباد الله الصالحين هم المسلمون.

☆ رب العالمين ينسخ الوعد:

إن فكرة الإله عند اليهود قد تطوّرت بعد السبي وبعد كتابة التوراة، فقد جابه اليهود خلال وجودهم في السبي في بابل مشكلة:

هل يهوه إله خاص بهم، هل سيبقى مع من بقي من اليهود في فلسطين أم سينتقل إلى بابل. وبتأثير من الفكر الديني في بابل، وبعامل تطور أفكارهم أصبح يهوه إلهاً لسائر العالمين[٢].

وإذا كان الأمر كذلك فإن رب العالمين لن يميزهم على غيرهم. ويعدهم بامتلاك أراضي شعوباً أخرى.

قال المؤرخ توينبي: إذا كان العالم كله ينتمي لرب العالمين، ويخضع لإرادته، فإن الهدف الأعلى لهذه الإرادة لا يمكن أن يكون إعادة تأسيس دولة يهودية على الأرض الفلسطينية، لأن هذا لا يمكن أن يكون الهدف الأعلى لإله قومي خاص بهم.

---

(١) عن (اللاجئون من فلسطين)، نشره بالإنجليزية صادرة عن قسم التبشير الخارجي - المجلس الوطني للكنائس - نيويورك ١٩٤١، ص: ١٥.

(٢) محمد أديب العامري - عروبة فلسطين خلال التاريخ (مرجع سابق) ١٨٤.

ومن هنا يكون «وعد يهوه» قد نسخ تماماً، وهو على أي حال لا يمكن أن ينطبق على أي شعب له إله آخر أو عقيدة أخرى، أو إيمان مغاير للإيمان اليهودي.

☆ ما معنى ضربت عليهم الذلة والمسكنة[1]؟

قال عبد الله بن عبّاس: «إن القرآن معانيا سوف يكشفها الزمن» وإني أراه أخذ يكشف بعض الآيات منها بقوله «.. وضربت عليهم الذلة والمسكنة».

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧و ١٢٢].

لقد فضلهم على مجاوريهم من عباد الأوثان واستمر التفضيل ما داموا أبرياء من عبادة الأوثان محافظين على العهد الذي أخذه إبراهيم وهو التوحيد، لكن هل استمر هذا التفضيل حتى بعد نقض العهد والانغماس في مستنقع عبادة الأوثان.

لقد فضلهم إذا عملوا بهذا الشرط، لكن حين «انتفى الشرط طبعاً»، انتفى المشروط! وها نحن نستعرض كتبهم لنرى هل ثابروا على هذا العهد الذي ورثوه من إبراهيم أم نقضوا قبل أن يجف مداده؟

ما كادوا يفارقون مصر بقيادة موسى يحملون سلباً واختلاساً ما استطاعوا من مالها وحليها حتى مروا بقوم يعكفون على عبادة العجول وأخذوا يقولون لموسى اجعل لنا إلهاً، ولم ينتظروا الإجابة بل أقاموا من بعض ما يحملون من الذهب عجلاً معبوداً.

إذا بدأ نقض العهود منذ عهد موسى. فزال المانع الذي فضلوا به على مجاوريهم وعاد الممنوع بل عاد أكثر منه أن عبادة الأصنام الذهبية مرض لم نجده بالتاريخ سارياً بأمة قبلهم.

لقد حدثنا العهد القديم عن عودة القوم لعبادة الأصنام، وعرض علينا الأصنام معبودة حتى في هيكل سليمان.

---

(١) محمد علي الزعبي - دفائن النفس اليهودية - بيروت ١٩٦٨ ص: ٥٧.

لقد نقضوا بهذا عهد الله الذي نراه في كتبهم بهذا النص «تكونون لي شعباً وأكون لكم إلهاً» نقضوه مذ عهد إسرائيل نفسه الذي يعرضه العهد القديم يسرق صنم خال الذهبي.

لقد استعذبوا النقض وما زالوا يمارسونه حتى تخيلوا الله راضياً عنه وأمرا وها هو سفر يوشع يحدثنا أن يشوعاً عاهد أهل مدينة أريحا وما كاد الله يرى هذا العهد - أن صح هذا التعبير «حتى غضب وأرغى وأزبد وأمرهم بالنقض لأن أهل أريحا من الأمميين الذين ليسوا جديرين بمعاهدة أبناء الله وأحبائه وصفوة خلقه».

أمرهم بالنقض وشفعه بقوله «أقتل صغيراً كبيراً بقراً جمالاً حميراً اجعل المدينة تلا»! نقضوه وقطعوا حبل الصلة ورغم هذا كونوا مما كتبوه وما ضموه من كتب «المشنا والجمارا والتلمود» إنساناً ما زال يضخم إنانيته وعنجهيته حتى تخيل الله نفسه لا يخرج عما خططوه له؟؟

١- رأوا الله لا يستطيع إرسال رسول إلا من جبال القدس - الخليل - بيت لحم، وصوروه إلهاً لإسرائيل وحده وقد خلق بقية الناس ليركب ولده البكر إسرائيل ظهورهم ويمتص دماءهم ويحرق اخضرهم ويهدم عامرهم.

٢- رأوا كل رسالة لا تنبثق من تلك الجبال تجب مقاومتها والاجهاز عليها، ولذا سخروا من المسيح وقالوا بابتسامة المتهكم «وهل يأتي من الناصرة شيء صالح؟».

٣- تلاعبوا بمعاني الوحي وما زالوا يهبونه من التأويل البعيدة المنحرفة حتى خرجوا به عن الدائرة الإنسانية العالمية التي أشرق لأجلها.

مثلا جاء في الوصايا، لا تقتل، لا تسرق، لا تزن، لا تشهد بالزور ... وما زالت يد التحريف والتجديف تصول على هذه الوصايا حتى رأيناها موضوعة بهذا النص:

لا تقتل (يعني يهوديا) لا تسرق (يعني من يهودي) لا تزن (يعني بيهودية)، لا تشهد الزور (يعني على يهودي) وهذا نموذج من التفاسير التي نرى القرآن الكريم يشير لها بكلياته الخالدة.

وهذا التفسير ليس غريباً لأن القوم أرادوا أن تكون النصوص سلّة القياد في أيديهم، لقد أرادوها تبيح الربا على غير اليهودي وتحرمه على اليهودي فقالوا بها ما نصه:

(للأجنبي تقرض بربا لأخيك لا تقرض).

وجعلوا العبودية الأبدية من نصيب الرقيق الذي ليس يهودياً إذ هذا يجب أن يصبح حرا بعد سبع سنوات من استعباده.

ورأوا مال وأعراض وديار وكرامات الأمميين «جميع الأمم سوى اليهود» مباحة لمطلق يهودي يجوز له بل يجب عليه أن ينال منها ما استطاع، على أن لا ينتظر الفرص بل يوجدها ويختلس مستتراً بكثيف دخانها.

لهذه التفاسير الضيقة والنصوص المشبعة بالتعالي والأنانية والصلف والجرأة على الله نفس حقول كثيرة واسعة في العهد القديم والتفاسير والشروح.

وهذا ما أدى إلى تكوين النفسية اليهودية تكويناً يستند إلى: التآمر على الناس والتجسس، وإباحة الربا لغير اليهودي.

☆ المجتمع اليهودي الخاص ينسخ الوعد:

إن سبي اليهود إلى بابل وحياة الشتات فيها، جعل اليهود يتماسكون ويعيشون ضمن كيانهم الخاص بتأثير عقيدة «شعب الله المختار» وقد تكاتفوا وتحابوا معاً. مما جعل زعمائهم يؤمنون ويتنبأون بأن حياة الشتات والتوزع في أنحاء العالم ستولد منهم قوة لا يستهان بها[١].

وقد تبنت التوراة هذا التفكير، فقد جاء في الرسالة التي أرسلها أرميا النبي من أورشليم إلى بابل، بأن إله إسرائيل قال لأهل السبي جميعاً في بابل، «ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمرها. خذوا نساءً ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنيكم نساء واعطوا بناتكم لرجال فيلدون بنين وبنات واكثروا هناك ولا تقلوا، واطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها وصلوا لأجلها، لا تغشكم أنبياؤكم الذين في وسطكم وعرافوكم ولا تسمعوا لأحلامكم التي تحلمونها[٢].

(١) محمد أديب العامري - عروبة فلسطين في التاريخ (مرجع سابق) ص: ١٨٥.
(٢) Toynbee p. 486.

والأحلام التي تشير إليها هي العودة لفلسطين.

وفي هذا الصدد قال آرنولد توينبي:

«إن إرادة البقاء كمجتمع خاص في أي مكان وتحت أي ظروف قد تفوقت عند اليهود على إرادة البقاء كمجتمع يعيش على أرض فلسطين التي احتلها من قبل دولتا يهودا وإسرائيل، وبمقارنة ذلك بالبقاء من حيث هو تصبح الصهيونية غاية يهودية ثانوية[١].

وهكذا نجد اليهودية العالمية حائرة بين الإيمان باله شامل للكون مثل الديانتين المسيحية والإسلامية، والتمتع بنفوذ بارز جيد في مختلف بلدان العالم واعتبار القدس مركزاً دينياً لليهود مثلما هي الفاتيكان مركزاً دينياً للنصارى، وبين الانحصار كشعب يعتبر نفسه مختاراً والانحصار ضمن دولة يهودية عنصرية في فلسطين.

ولا شك أن اليهود مضطرون في النهاية إلى الأخذ بالنكرة العالمية وهي الألوهية الشاملة ومن ثم العيش مع بني البشر بعقلية متطورة.

أما الذين يصرون على الامتياز على بني البشر، وعلى الدولة اليهودية من صهيونيي العصر فإنهم لا يقيمون وزناً للديانة اليهودية بل تسوقهم إلى ذلك الدوافع السياسية الاستعمارية. وقد أدت هذه الحيرة إلى أن تحاول دولة إسرائيل الحالية المؤقتة في فلسطين سلخ اليهود من البلدان الأخرى المقيمين فيها عن ولائهم الدستوري، ويتصرف أكثر هؤلاء اليهود بشكل غير قانوني، يقارب الخيانة بسبب ولائهم المزدوج وعيون سيادة تلك الدول[٢]. بصورة تستدعي المؤاخذة والعقاب.

☆ من هو الإله يهوه صاحب الوعد:

إن «يهوه» صاحب الوعد هو الاسم الشخصي لإله بني إسرائيل والخاص بهم فقط.

ووقد جاء في نصوص أولاح رأس الشمرة (أوغاريت) أن يهوه كان معبود بعض القبائل الكنعانية، وقد سبقت نصوص رأس شمرة التوراة بألف سنة[٣].

---

(١) الأعداد -١-٨ من الأصحاح التاسع عشر من سفر أرميا.

(٢) محمد أديب العامري - عروبة فلسطين خلال التاريخ (مرجع سابق)، ص:١٨٦.

(٣) الخازن - أوغاريت (مرجع سابق) ص: ٤٠و٨١، نقلاً عن العامري نقلاً عن فيرولو.

ووجد بين المكتشفات الأثرية للسلالة السادسة والعشرون المصرية (٦٦٤-٥٢٥) ق.م. أن الإله يهوه كان معروفً في مصر كاسم لإله غير رئيسي، وقد أظهر فك الأحرف المصرية وتحويلها ان الاسم هـ و أو ي هـ د و هكذا Yhw , Yahwe كما أظهرت الآثار صورته[1].

ومن الأسماء التي قرئت على نقوش الكتابات الثمودية (القرن السابع ق. م) أما ما قبله بحدائق صالح شمال الحجاز اسم «يهوا»[2].

---

(١) Margeret murry, The splendear That was Egy pt, sidwick and jackson london 1949 p. 8.

عن العامري.

(٢) محمد أديب العامري، عروبة فلسطين خلال التاريخ (مرجع سابق) ص: ١٧.

الفصل الخامس

المجتمع الإسلامي

العرب والإسلام في فلسطين عبر التاريخ

☆ الفتح العربي:

كان للعرب رحلة تجارية، تسافر فيها خلال الصيف إلى بلاد الشام بما فيها القدس، وقد شارك النبي ﷺ في رحلتين إلى بلاد الشام، وكذلك شارك أبو سفيان وعمر بن الخطاب وهاشم حيث توفي في غزة وسميت بإسمه غزة هاشم.

ولقد دعا الرسول المسلمين إلى فتح بلاد الشام بسبب ما ورد عنها من آيات قرآنية وأحاديث نبوية والتي منها:

١- **الإسراء**: قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

٢- **المعراج**: وهو عروج الرسول ﷺ من صخرة بيت المقدس إلى السماوات العلى في الليلة التي كان فيه الإسراء، ففي سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣-١٨].

وكان الإسراء والمعراج في ٢٧ رجب قبل الهجرة بسنة وبضعة أشهر، ولم تكن القدس ومسجدها بيد المسلمين. وفي تلك الليلة فرضت على المسلمين الصلوات الخمس.

٣- **القبلة**: أن رسول الله ﷺ كان يصلي هو وأصحابه متجهين نحو القدس. وبقيت صخرة بيت المقدس قبلة المسلمين مدة سبعة عشر شهراً بعد الهجرة، ولذلك تسمى القبلة الأولى، ثم إلى مكة لقوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وفي الأحاديث الشريفة:

١- **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين، لا يغرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم كذلك. فسأله أصحابه: وأين هم؟ قال: في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس»**.

٢- «لا تقوم الساعة حتى يسوق الله عز وجل خيار عباده إلى بيت المقدس وإلى الأرض المقدسة فيسكنهم إياها».

هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وجهت أنظار قادة المسلمين لفتح هذه البلاد، ونشر الدعوة الإسلامية فيها، وما كاد أبو بكر يفرغ من حروب الردة، حتى أرسل خمسة جيوش بقيادة خمسة من كبار أصحاب الرسول كان منهم عمرو بن العاص الذي ولاه فتح جند فلسطين، ومن شمالي الحجاز عبروا وادي عربة إلى جنوبي فلسطين فاصطدم بجنود البيزنطيين في عدة معارك منها دائن ورينبة وغزة حتى عسقلان على الساحل وأجنادين في سفوح الجبال الغربية - للغرب من الخليل- ولئن تحركت القوى ببعض الجيش يحمي هذه الأرض المقتحمة، وقد ساهمت القبائل العربية التي كانت تقطن فلسطين وشرقي الأردن الجيش الإسلامي في المعارك ضد البيزنطيين في بعدى واليرموك وغور الأردن ومن هذه القبائل قضاعة وجذام ومراد الأزد[١].

وبعد الانتهاء من معركة اليرموك زحفت جنودها المظفرة غرباً ففتحت بيسان ونابلس والعفولة مرج ابن عامر وزحفت إلى القدس - وهناك التقت معها القوى الزاحفة من أجنادين - وأطبقت هذه القوى الإسلامية على القدس - ولما رأى بطريركها «صفرونيوس» الشامي - أن لا قبل لبيزنطة من الوقوف أمام هذا التصميم الإسلامي طلب من قائد القوات العربية الأمير أبي عبيدة أن يكون تسليم المدينة المقدسة للخليفة عمر نفسه حتى يعطي المواثيق لسكانها - المواثيق التي لا بد وأن يحترمها المسلمون إذا وقعها أميرهم.

لقد فرح الخليفة عمر بما سمع وركب جمله وقطع أكثر من ألفي كيلومتر حتى وصل إلى أسوار القدس، وبعد مفاوضات بسيطة دخلها سلماً - دون أن تراق فيها قطرة دم مخلوق. وأعطى سكان القدس أماناً على أنفسهم وأموالهم ومعابدهم بما يسمى بالعهدة العمرية. وهذا نصها:

---

(١) الدكتور إبراهيم الشريقي - أورشليم وأرض كنعان (مرجع سابق) ص: ١٨٠.



هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين، أهل إيليا من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأماناً لكنائسهم ولصلبانهم - سقيمها وبريئها وسائر ملتها - وإنه لا يسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا قيحها ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صلبانهم، ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار منهم ولا يسكن بإيليا أحد من اليهود - وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وعلى ماله حتى مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه ما على أهل إيليا من الجزية. ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وما له مع الروم ويخلي بيعهم وصلبانهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى مالهم حتى يبلغوا مأمنهم - ومن كان فيها من أهل الأرض - فمن شاء منهم قعد وعليه ما على أهي إيليا ومن شاء سار مع الروم، ومن رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يجنى حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله ﷺ، وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الله الذي عليهم من الحرية».

شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، كتب وحضر سنة خمسة عشر الموافق ٦٣٧م.

كما وساعد السكان القوات العربية الإسلامية المتجهة من الصحراء، ولم يعتبروها قوات غزو بل اعتبروها قوات جاءت لتحريرهم من نير الظلم.

وقد كانت معاملة المسلمين في فلسطين لأهل الذمة من النصارى واليهود جيدة، فاليهود كانوا مضطهدين من قبل الروم، فعاملهم المسلمون معاملة أهل ذمة، وقد ورد في دائرة المعارف اليهودية العامة: «إن فتح العرب للبلاد أنقذ يهود فلسطين من الدمار الكامل».

كما أن المؤرخ اليهودي هياسون قال:

«وعمليا فيما يتعلق بيهود فلسطين، فإن المسلمين قد جاؤوا كمنقذين وليس كمضطهدين»[1].

---

(١) ظفر الإسلام خان - تاريخ فلسطين القديم (مرجع سابق)، ص:١٩٣.

ويقول Luke «اليهود والسماريون والمسيحيون كلهم استقبلوا العرب كمخلصين من اضطهاد اليونان الأرثوذوكس وجورهم»[١].

وقد قسم عمر فلسطين إلى قسمين إداريين، جعل عاصمة أحدهما اللد، وجعل عاصمة القسم الثاني القدس، وبعد فتح القدس تقدم المسلمون وفتحوا الأجزاء الباقية، ابتداء من قيسارية وسامارين ونابلس واللد ويافا وعسقلان وغزة، فتحت إيليا وأرضها كلها على يدي عمر ما خلا أجنادين، فإنها فتحت على يدي عمرو، وقيسارية على يدي معاوية[٢].

لقد ضحى المسلمون في سبيل الشام - بما فيه فلسطين - خلال حروبهم مع الروم بخمسة وعشرين ألفاً تقريباً من جنودهم، مما جعل ثمن هذه البلاد عليهم غالياً، والدماء الغزيرة التي أهدرت في فتحها غزيرة[٣].

وقد اهتم عمر بن الخطاب بتوطين الكثير من القبائل العربية في فلسطين بغية وسمها بمسيم الحضارة الإسلامية وكذلك لتتصدى للبيزنطيين إذا ما حاولوا الرجوع إلى فلسطين ومن هذه القبائل كنانة، ومذحج، وجذام، وغسان[٤].

☆ الثورات في فلسطين: في العهد الأموي

في أواخر عهد الوليد بن يزيد ثار الفلسطينيون على الأجهزة الأموية وطردوا والي قطرهم ونادوا بيزيد بن سليمان بن عبد الملك أميراً للمؤمنين واستمرت الثورة حتى عهد الخليفة يزيد الثالث عام (٧٤٤)م، ولكن يزيد الملقب بالناقص أرسل جيشاً تمكن من إلحاق الهزيمة بفلسطين والأردن، وفي السنة الأولى من عهد مروان بن محمد، آخر الخلفاء الأمويين ثارت فلسطين مرة أخرى والتقى مروان مع الثائرين قرب طبرية التي أيدت الثورة وانتصر عليهم.

---

(١) Luke p:19.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة - ١٩٦٠، جزء ٣، ص٦١٠.

(٣) حسن إبراهيم حسن - تاريخ الإسلام السياسي، الجزء الأول - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ١٩٣٥، ص:٢٩٧.

(٤) يوسف سامي اليوسف - تاريخ فلسطين عبر العصور - الأهالي - دمشق ص:١١٦.

بعد أن بويع معاوية بن أبي سفيان خليفة للمسلمين، نقل عاصمة الدولة الإسلامية من المدينة المنورة إلى دمشق، وأخذت القبائل العربية تهاجر من الجزيرة لتستقر في البلاد المفتوحة، وقد ترسخت جذور العروبة في كل بقعة من بقاع المشرق في عهد الدولة الأموية، وقد انتشر الإسلام في الأقطار التي افتتحوها، ومع انتشار الإسلام انتشرت اللغة العربية في أسيا وافريقيا.

وكان عدد السكان في ضفتي نهر الأردن الشرقية والغربية بما فيها القدس والمدن الساحلية في أوائل العهد الأموي مليونا وسبعماية ألف نسمة، تنتسب معظمها إلى سلالات عربية قديمة تشمل الفروع الرئيسية التالية:

الساحل (الفلسطينية) يقدر عددهم في أوائل العهد الأموي مليون وسبعمائة ألف نسمة تنتسب معظمها إلى سلالات عربية قديمة تشمل الفروع الرئيسية التالية:

من أصل كنعاني وعموني وآرامي (عرب) نسبتهم ٣٠ بالمئة.

من سلالات القبائل العربية وفدت من جزيرة العرب قبل الميلاد ٣٨ بالمئة.

من سلالات القبائل العربية وفدت بعد الميلاد ١٢ بالمئة.

عرب وفدوا بعد الفتح في عهد الخليفة عمر والخليفة عثمان ٥ بالمائة.

بقايا من الرومان والبيزنطيين اليونان والفرس وأقوام أخرى ١٥ بالمئة.

ـ وفي العهد الأموي عم بناء المساجد والمدارس في مختلف المناطق، وشيد الخلفاء الأمويون قصوراً عديدة نخص بالذكر منها قصر هشام بن عبد الملك شمال أريحا، وقصر الوليد شمال غربي بحيرة طبرية، وقصر الوليد الثاني بناها سليمان بن عبد الملك وتبعد عن القدس ٤٠ كيلومتراً. وأصبحت هذه المدينة مركزاً رئيسياً للإدارة المدنية والعسكرية في المنطقة.

☆ بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى:

وقد بنيا في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي تولى الخلافة عام (٦٨٥) م. وقد قام بالبناء عمال مهرة من كافة البلدان الإسلامية، واستغرق العمل حوالي سبع سنوات.

وقد بنى سليمان بن عبد الملك «الرملة».

☆ العصر العباسي:

بعد زوال الدولة الأموية، تأسست الدولة العباسية، وانتقل مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد. وعندما ضعفت سلطة الدولة المركزية انتقلت السلطة الفعلية من يد الخليفة إلى أيدي أمراء، فانشأوا إمارات في أملاك الدولة العباسّية، فظهرت الدولة الطولونية والدولة الإخشيدية في مصر والشام، وإذ تدهورت الأحوال سياسياً في فلسطين، فقد برز رجال أفذاذ في فلسطين منهم:

الإمام الشافعي، الحسن اليازوري، (الذي ولد في يازور، أحدى قرى الرملة، وقد أدار اليازوري شؤون الدولة الفاطمية، وأصبح رئيساً لوزرائها، وقاضي قضاتها، ومنهم المقدسي الجغرافي المشهور. وكان من أهم مدن فلسطين في هذا العصر: القدس ونابلس والخليل، وعسقلان، وقيسارية والرملة وبيسان وعكا.

وفي هذه الفترة استمرت عملية نزوح عدد كبير من القبائل العربية إلى فلسطين.

وكان من نتيجة ضعف الدولة العباسية، أن تقاسم القواد أطراف البلاد، وحكمت فلسطين من قبل الأخشيدين والطولونيين والفاطميين.

وهنا تدخلت الدول الأجنبية الأوروبية لصالح السلطان العثماني، فأوروبا وخاصة بريطانيا كانت دوماً ضد الوحدة العربية.

قامت الثورة في جميع بلاد الشام ضد المصريين، وراح الإنجليز والعثمانيون يغزونها. وشاركت فلسطين في هذه الثورة.

وقد اشترك الاسطول البريطاني في قصف المصريين في بلاد الشام.

وقد تحالفت القوات العثمانية والإنجليزية والنمساوية ضد مصر وتخلت فرنسا عن مصر وبذلك اضطر إبراهيم باشا إلى الانسحاب والعودة إلى مصر.

☆ التتار والمغول:

في سنة (١٥٢٨) اجتاح هولاكو التتري مدينة بغداد، فاستباحها وقتل الآلاف من سكانها، وقتل الخليفة المعتصم بالله وحاشيته، وأنهى الخلافة العباسية.

ثم احتل حلب، ولما وصلت الأخبار إلى دمشق استسلمت، وبذلك دخلت بلاد الشام في حوزة هولاكو، وفر سلطانها الملك الناصر إلى مصر.

وقد أرسل هولاكو التتري رسالة إلى سلطان مصر المظفر قطز يهدده فيها ويطلب منه فيها الاستسلام، فأسرع قطز، بحشد جيشه واتجه لملاقاة هولاكو، وفي ٦ أيلول عام ١٥٢٨ نشبت بين العرب والمغول معركة عين جالوت في جنوبي بيسان، وكان النصر المبين فيها للعرب ثم تقدمت القوات العربية إلى دمشق فحمص فحلب.

☆ تيمور لنك:

هاجم تيمور لنك بغداد واحتلها، ودخل الأناضول وأسر سلطانها، ثم اتجه إلى حلب. ثم دخل دمشق واستباحها. ولما علم أهل فلسطين بذلك أرسلوا له مفاتيح الحرم القدسي الشريف مع أحد شيوخهم، لكن الله أنقذ فلسطين من شره، فقد اضطر للرجوع إلى بلاده، ومات هناك.

☆ العثمانيون:

ما من فرق بين المحاولة التي بذلها آل الجراح في القرن العاشر وتلك التي بذلها آل زيد في القرن الثامن عشر سوى أن الأولى ناضلت ضد مصر والثانية ضد الأناضول ولم توفق كلتا الحركتين لاحراز الاستقلال في فلسطين.

عين الأمير بشير الأول، وهو من الأسرة الشهابية التي ورثت الأسرة المعنية في لبنان والجليل، عين رجلا عجوزاً يسمى (عمر الزيدان) موظفاً في إدارة صفد وذلك عام ١٧٣٧ ثم راح ظاهر أصغر أبناء الشيخ يتولى خراج أراضي العثمانيين، وبدأ نفوذه يزداد فسيطر عام ١٧٥٠ على الناصرة ونابلس وعكا واستتب الأمن في زمانه وتحسن الاقتصاد.

وحين انشغل العثمانيون بالحرب ضد روسيا، تحالف ظاهر العمر مع علي بك الكبير والي مصر، وخرج الجيش المصري إلى بلاد الشام بقيادة أبو الذهب واحتل الساحل الفلسطيني وضمه إلى ظاهر العمر وقد تحالف ظاهر العمر مع الروس أعداء العثمانيين أيضاً.

وقد حشدت القوات العثمانية قواتها وقوات دمشق والشهابيين وهاجمت ظاهر العمر الذي قام ضباطه بقتله لقاء رشوة.

☆ الجزار ونابليون:

أتى الجزار من البوسنة إلى استنابول وانضم إلى الجيش العثماني ثم الحق بجيش محمد علي الكبير، ثم عاد إلى دمشق واشترك في حصار صيدا فوثق به العثمانيون وعين والياً على صيدا ثم امتد سلطانه على عكا ودمشق.

وفي عام ١٧٩٩ خرج نابليون من مصر إلى فلسطين ومر بها فحاصرها وسلبها وتقدم نابليون إلى عكا وحاصرها وضربها بالمدفعية ولكنه لم يستطع اقتحامها لأن الانجليز كانوا يساعدونها من البحر ولم يستطيعوا دخولها.

وقد بنى الجزار جامعاً يعرف حتى اليوم باسمه وتوفي عام ١٨٠٤.

☆ إبراهيم باشا في بلاد الشام:

تحالف الإنجليز والعثمانيون ضد نابليون وطردوه من مصر، وكان محمد علي الكبير الألباني الأصل ضمن القوات العثمانية، وقد تمكن هذا الضابط من الهيمنة على مصر ودبر مجزرة للماليك وقضى عليهم للأبد.

وقد كان محمد علي طموحاً، وقرر إقامة إمبراطورية عربية.

أرسل محمد علي الكبير ابنه إبراهيم باشا إلى بلاد الشام فتقدم بها بسهولة وحاصر عكا وعقد حلفاً مع بشير الشهابي ودام حصار عكا ستة أشهر إلى أن سقطت المدينة بيد إبراهيم باشا، ثم تقدم إبراهيم باشا واحتل دمشق، وتابع زحفه حتى وصل أضنة.

☆ المماليك:

أكثر ملوك الدول الإسلامية من امتلاك بعض الشبان من أسرى الحروب واستعمالهم في مختلف الأعمال، ولا سيما العسكرية منها[1].

والمماليك طائفتان:

المماليك البحرية، وهم من الترك.

والمماليك البرية وهم من الشركس.

وقد تمكن المماليك من القبض على السلطة في مصر والشام أكثر من مائتين وخمسين عاماً.

وكان أول المماليك «إيبك» الذي تزوج شجرة الدر أرملة آخر ملوك الأيوبيين وهكذا أصبح إيبك سلطاناً على مملكة المماليك، وأشهر المماليك هو الظاهر بيبرس.

ويعتبر الظاهر بيبرس خليفة صلاح الدين، وقد هزم بيبرس الصليبيين والتتار، ومنهم قلاوون الذي تقدم لمهاجمة عكا، إلى أنه توفي فأتم مهمته إبنه الأشرف خليل الذي أخرج الإفرنج من عكا عام (١٢٩١) وبهذا انتهت الحروب الصليبية، وقد ترك المماليك آثاراً حضارية مهمة من أبنية عظيمة ومساجد ومدارس.

☆ العثمانيون:

١- نهاية المماليك:

دب الضعف في أجهزة الكيان المملوكي منذ أوائل القرن الخامس عشر، نتيجة لسوء الإدارة وللصراع بين الأمراء، وراحت المجاعات ومرض الطاعون يفتك بالشعب، وهبط عدد السكان إلى ما دون النصف.

أما الجيش المملوكي الذي سبق له أن صد المغول والصليبيين، فقد خضع للضعف والعجز، وخلال هذه الفترة كان الأتراك العثمانيون في حرب دائمة مع أوروبا، وفتحو القسطنطينية وأنهوا الدولة البيزنطية وتوغلوا في أوروبا حتى وصلوا حدود النمسا.

---

(١) الدكتور محمود السمرة ورفاقه - فلسطين: أرضاً وشعباً وقضية (مرجع سابق) ص: ١٨٣.

وقد كان للتخريب الذي أنزله تيمورلنك بالمدن السورية أثراً على اضمحلال نفوذ المماليك. وكان سلاطين المماليك يخشون العثمانيين، فقد اعتاد السلطان برقوق الذي عاصر تيمولنك أن يقول: الجميع سوف يساعدونني على تيمور، فهو لا يخيفني، وكل خوفي من ابن عمي[(١)].

زحف السلطان سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠) على سوريا والتقى بالسلطان المملوكي قانصوه الغوري في مرج دابق عام ١٥١٦ وانهزم المماليك، فتراجع الغوري إلى مصر تاركاً الشام للعثمانيين، غير أن المماليك سرعان ما احتلوا مصر.

قسم العثمانيون الشام إلى ثلاثة أقسام إدارية ولايات حلب، دمشق وطرابلس، وكانت فلسطين تتبع ولاية دمشق.

وقسمت فلسطين إلى خمسة سناجق، صفد، يافا، غزة، نابلس، القدس.

وقد نشطت الحركة الزراعية في فلسطين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، واشتهرت فلسطين بزراعة وتصدير: القمح والشعير، والقطن والزيتون والزيت والحرير والأقمشة القطنية والكتانية، ونشط ميناء يافا.

وحل السلام في فلسطين منذ الفتح العثماني وحتى أواسط القرن الثامن عشر.

☆ ظاهر العمر:

حاول ظاهر العمر تأسيس دولة مستقلة في الجليل في أواسط القرن الثامن عشر، وكذلك الأمير فخر الدين المعني الكبير، ضم إلى ولايته كلا من صفد وطبرية والناصرة ونابلس وفي عام ١٦٦١ حلت بفلسطين مجاعة رهيبة، نتيجة القحط وغزو الجراد. وابتداء من أواخر القرن السابع عشر أخذت المدن تضمر، وعدد السكان يتقلص والاقتصاد يتقهقر، فضعفت الزراعة، وتفشى الفساد في الأجهزة الإدارية وترهل الجيش.

☆ الأتراك العثمانيون:

لقد سبق أن احتل الأتراك السلاجقة العراق والشام ومصر، ثم افتتحوا بلاد الأناضول، وكادوا أن يصلوا إلى عاصمة الروم البيزنطيين.

---

(١) حصار فينا الفاشل عام ١٦٨٣، يوسف سامي اليوسفي: ١٤٨.

ثم التقى الترك العثمانيون إلى الجنوب، ففي عام ١٥١٦، انتصرت جيوش العثمانيون بقيادة السلطان سليم الأول على جيوش المماليك بقيادة السلطان قانصوه الغوري في معركة مرج دابق قرب حلب. ثم احتل السلطان العثماني دمشق فالقدس فغزة، وقد وقف أهل البلاد موقفاً سلمياً، حيث أن حاكماً تركيا مسلماً رحل وحلّ محله حاكم مسلم جديد. وقد بنى العثمانيون المدارس والمساجد والزوايا والقلاع لمنفعة البلاد.

وقد اشتهر من هؤلاء الحكام فخر الدين المعني وظاهر العمر، وأحمد باشا الجزار.

☆ الحملات الصليبية ١٠٩٩ - ١٣٦٩م.

ان الاعتقاد الشائع أن الحملات الصليبية هي الحملات التي أتت من أوروبا لغزو الشرق الإسلامي.

والحقيقة أن هذه الحملات بدأت قبل مجيئها إلى الشرق بأكثر من قرن، وكانت موجهة ضد الأندلس والممالك الإسلامية الأوروبية. وتم غزو صقلية وسردينيا.

وقد شنت دول الغرب حرباً دينية على الشرق المسلم، متذرعة بالأسباب الدينية وهي سوء معاملة الحجاج المسيحيين، وأما الأسباب الحقيقية لهذه الحرب فهي إستعمارية اقتصادية.

وكان البابا شريكا في الحملات التي وجهت ضد المسلمين منذ عام (٩٧٠) في صقيلية، وفي الدولة الأندلسية وفي غزو سردينيا.

أن مبادرة البابا التي تدين لها الحملات الصليبية في أساسها فقد كانت من أول لحظة حقيقة لافتة للنظر(١).

«ولكن بالرغم من أن قادة الحملة الصليبية الأولى لم يتمكنوا من استغلال خلافات المسلمين استغلالاً كاملاً كما كانوا يريدون، فالحقيقة هي أن هذه الخلافات (سبب) نجاح الصليبيين، إلى حد كبير جداً. أن انقسام أمراء سورية والخلاف بين العباسيين والفاطميين هما اللذان مكنا الصليبيين من غزو المدينة المقدسة وتسيس مملكة القدس.

---

(١) Encye. Br. P:1960.

وحين نهضت قوة في الموصل سنة ١١٣٠ تقريباً واستطاعت توحيد سوريا، مرة أخرى، وحد صلاح الدين سورية مع مصر، فقضى على قضية المسيحية اللاتينية في الشرق[١].

☆ وقد جردت أوروبا عدة حملات صليبية على المشرق العربي:

١- الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٩).

كان معظم المحاربين في هذه الحملة من الأصل الفرنجي، وكان عدد الصليبيين (٦٠٠) ألف مقاتل، لم يصل القدس منهم سوى (٤٠٠) ألف، بسبب سوء النظام والمجاعات والحروب الجانبية، وقد استولوا على القدس في تموز (١٠٩٩) واحتلوها بقيادة جودوفري الذي أصبح حاكم القدس وقد ذبح الصليبيون سبعين ألفاً من مسلمي ويهود المدينة، وجمعوا اليهود وساقوهم ليحرقوا في كنيسهم، وقد ذبح الصليبيون اليهود في المدن التي كانوا يمرون منها في أوروبا والشرق.

إن السبب الرئيسي والحقيقي في هذه الحملة كان رغبة الأمراء الأوروبيين الاقطاعيين في التوسع، ويقول المؤرخ البريطاني لوك «لقد كان منشطو الصليبية تحركهم عوامل عدة، من دينية وورومانسية وتجارية، ثم يقول بوضوح: إن غرض الصليبيين كان «زرع اقطاعية غربية في «أرض شرقية»[٢].

٢- الحملة الصليبية الثانية: (١١٤٧).

ضعف الصليبيون نتيجة الحملات المتكررة لفتح دمشق، فجاءت الحملة الصليبية الثانية سنة ١١٤٧ بقيادة ملكي فرنسا وألمانيا.

وكان الفاطميون في حالة انحلال، بحيث دفع أمراء سوريا الخراج للصليبيين لبعض الوقت، وكانت الخلافة العباسية الهزيلة في بغداد تتجاهل النداءات.

إلا أن الأمير القوي، «زنكي» ظل يصد تقدم الصليبيين عبر سوريا، وقد فتح نور الدين زنكي سنة ١١٤٤ مدينة الرها، كما نجح نور الدين زنكي بالحاق الهزيمة بالفرنج في عسقلان سنة ١١٦٤ ثم غزا مصر سنة ١١٦٩ وعندما مات نور الدين ورثه صلاح الدين.

---

(١) Encye. Br .11th end 1911, Arti cke Crnsade.

(٢) Luke, p: 18.

☆ الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩)م:

انطلقت الدعوة مرة أخرى تحت إشراف البابا، لإرسال حملة صليبية جديدة لإحتلال القدس واشترك فيها كل من الامبراطور فردريك الأول الألماني، وفيليب أغسطس الفرنسي، وريتشارد الإنجليزي، وكاد أمراء هذه الحملة أن يقتتلوا، فمضى كل منهم في سبيله ولم يصل منهم إلى فلسطين أحد، ما عدا ريتشارد (قلب الأسد). واحتل ريكاردوس عكا وغزا بعض المدن الساحلية، وانتهت الحملة بعقد صلح عام ١١٩٢ حصل بمقتضاه والصليبيون على شريط ساحلي ضيق بين صور ويافا، وعلى حق اللاتين بزيارة القدس.

☆ الحملة الصليبية الرابعة: (١٢٠٢) م

دامت هذه الحملة ما بين ١٢٠٢ -١٢٠٤ كانت موجهة في الأصل ضد الإمبراطورية الشرقية ولكن بعض النبلاء وصل إلى بيروت وبعض المدن الساحلية، ولم يتمكنوا من الوصول إلى القدس. وقد جهز المهوسيون الدينيون جيشاً من الشبان والفتيات بلغ عدده خمسين ألفاً لمحاربة الفلسطينيين، وقد غرق معظمهم في البحر المتوسط ووصل عدد قليل منهم إلى فلسطين.

☆ الحملة الصليبية الخامسة: (١٢١٥)

أعلنها البابا إنوسنت سنة (١٢١٥) وقد خرجت هذه الحملة لاحتلال مصر، وتمكنت من احتلال ميناء دمياط. وقد هاجمهم السلطان (الملك العادل) ودحرهم في دمياط، وبذلك أنهت الحملة الصليبية الخامسة وكان الأيوبيون قبل هذه الحملة قد أعطوا امتيازات التجارة في مصر سنة ١٢٠٨ للأوروبيين، فأنشأوا أساس التجارة الشرقية المزدهرة لأوروبا حول البحر الأبيض المتوسط[(١)]. فازدهرت المدن التجارية الإيطالية الكبرى كالبندقية وجنوا وبيزا وغيرها ولكن الغريب أنه رغم هذه الامتيازات، اشتركت المدن البحرية الأوروبية التجارية في الحملتين الصليبية الرابعة والخامسة بسبب طموحها التجاري[(٢)].

---

(١) Kirk, Gerorge E. Ashort History of the middle East, Methuen and Company. London, 1964. p:48.

(٢) Luke, p: 12. مرجع سابق

وقد اشترطت مدن معينة كالبندقية مثلا أن تنال نوعا من الامتيازات من الرؤساء الاقطاعيين للمملكة الصليبية على امتيازات هامة لتجارتها كثمن لاشتراكهم في التجهيز المادي للحملات الصليبية: وهي الأعفاء من الضرائب ومن الجمارك، ومنحهم الحكم الذاتي القانوني داخل أحيائهم الخاصة في موانيء الشرق الأدنى، خاضعين لقناصلهم وحدهم[١].

☆ الحملة الصليبية السادسة (١٢٢٩)

لقد كان خلفاء صلاح الدين أقل ميلا للحروب، وبذلك أثبتوا أنهم أكثر إراحة للفرنجة»[٢].

وقد جهز حملة الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني، وكان يعتقد أنه أحق الناس في تاج القدس لزواجه من إيزابيلا وريثة ذلك التاج.

وقد استطاع فريدريك باستغلال جماعة إسلامية ضد أخرى أن يجعل السلطان المصري أن يقبل شروطه، ويتنازل له عن القدس والناصرة وبيت لحم مع شريط ساحلي لمدة عشر سنوات.

وبسبب طرد البابا للإمبراطور فريدريك من الكنيسة أحجم مسيحيو القدس عن حضور احتفاله بالفتح مما اضطره أن يضع التاج على رأسه بنفسه.

وفي سنة ١٢٤٤ إتحد الخوارزميون مع المصريين، وهاجموا شمالي سوريا واحتلوا القدس عام (١٢٤٤) م ثم زحفوا إلى غزة حيث اتحد معهم المصريون فأغاروا على سوريا التي أنهزمت، ولكن الحلفاء اختلفوا فيما بينهم واضطر الخوارزميون ترك فلسطين تحت حكم المماليك الذين استعادوا القدس.

☆ الحملة الصليبية السابعة: (١٢٣٩)م

عند نهاية السنوات العشر للهدنة بين فريدريك والمسلمين، جاءت الحملة الصليبية السابعة بقيادة ثيوبالد فنزلت في عكا في خريف سنة (١٢٣٩) وقد اشتبكوا مع المسلمين في عسقلان، وأُسر منهم الكثيرون، وفداهم فيما بعد ريتشارد إيرل أوف كرنوال.

---

(١) مرجع سابق Kirk p: 48

(٢) Ensclopedia Brit, Vol,17.p:131.

☆ الحملة الصليبية الثامنة: (١٢٤٨)

بعد سقوط القدس عقب معركة غزة وفتح الظاهر بيبرس للقدس، بدأ البابا ينادي بحملة صليبية جديدة لاسترجاع القدس.

وقد قاد هذه الحملة لويس التاسع الفرنسي وعندما وصل إلى قبرص وجه قواته إلى مصر بدلاً من فلسطين، وقد أسر لويس في ا لمعارك وأطلق سراحه لقاء فدية. ثم توجه إلى عكا بعد أن فقد معظم قواته، فلم تحدث هذه الحملة أي أثر في فلسطين.

☆ غزو المغول:

ولما غزا المغول فلسطين ساعد الصليبيون المغول ووقفت جميع المدن الصليبية معهم، وفي معركة غزة كان أحد الجنرالات المسيحيين يقود قوات المغول. إلا أن بيبرس قائد القوات المصرية استطاع هزم الصليبيين والمغول.

وقد حاول البابا التفاهم مع المغول من أجل غزو الشرق المسلم، وقد أرسل البابا أنوسنت الرابع وكذلك الملك لويس الفرنسي مندوبين إلى منغوليا للتباحث مع المغول إلا أن ذلك لم يسفر عن نتيجة. وقد استطاع الظاهر بيبرس تطهير كل فلسطين ولم يبقى بيد الصليبيين سوى عكا.

☆ الحملة الصليبية التاسعة: (١٢٧٠)

بدأت هذه الحملة سنة ١٢٧٠ بقيادة سانت لويس الفرنسي، ولكنها لم تتجه إلى فلسطين بل توجهت إلى تونس، وكان الملك الفرنسي يأمل في حمل «الباي» على قبول المسيحية، لكنه توفي في تونس دون تحقيق مشروعه الخطير، وقد عقد أخو الملك الفرنسي شارل اتفاقية مع باي تونس وعاد أدراجه إلى فرنسا دون التفكير في أورشليم[1].

ولكن قاد ادوارد، أمير ويلز (الملك أدوارد فيما بعد) جيشاً إلى عكا سنة ١٢٧١ واستمرت حملته أكثر من سنة، لكنه رجع بخفي حنين.

---

(١) Hyamson, Abert, M, Palestine, the Rebirth of an Ancient Nation, sidy wick jackson and company London 1917 p:34.

وفي سنة (١٢٩١) تمكن الملك الأشرف بن قلاون أن يفتح عكا، وبذلك أنهى الحكم الصليبي نهائياً. والاسطورة الصليبية لم تنته مع نهاية الحكم الصليبي، بل ظل البابوات يكررون الدعوة لحملات جديدة.

وكانت آخر محاولة هي التي قام بها بيتر ملك قبرص سنة ١٣٥٩م، وقد طاف على ملوك أوروبا يستحثهم على غزو فلسطين، ولما لم يجد استجابة هاجم الاسكندرية في مصر سنة ١٣٦٥م، ومنها وبعد سنتين نهب سواحل سوريا، وقتل سنة ١٣٦٩م «وانتهت معه اسطورة الحرب الصليبية».

وبالحقيقة فإن الصليبية لم تنته إلا لتبدأ من جديد في صور أخرى مستمرة:

ففي القرن الرابع عشر بدأ البحارة البرتغاليون يستكشفون سواحل افريقيا تحت ارشاد ملكهم هنري الملاح. (١٣٩٤-١٤٦٠).

«كان الحافز العام للملك هنري واضحاً وهو أن يواصل الحملات الصليبية في محاولة ضرب جناح دار السلام من كلتي الوجهتين: الاستراتيجية والتجارية، وأن يصرف تجارة الذهب ومنتجات غربي أفريقيا عن أيدي المسلمين، وأن ينشىء اتصالاً مع الأثيوبيين ليغيروا معاً على المسلمين»[١].

وحين تمكن فاسكودي غاما سنة (١٤٩٨) من الوصول إلى جنوبي الهند، بمساعدة أحد الملاحين الهنود، أصبح ملك البرتغال يطلق على نفسه اللقب الآتي:

«سيد فتوح وملاحة وتجارة الحبشة والجزيرة العربية وايران والهند».

وقد شعر المصريون بخطر هذا التطويق الصليبي وأرسلوا أسطولهم لمواجهة البرتغاليين في الهند، إلاّ أن الاسطول المصري تحطم.

وقد فكر أمير البرتغال ألبوكيرك في تحويل مجرى النيل إلى البحر الأحمر ليحرم المصرين من المياه.

---

(١) Luke p:23-24(مرجع سابق)

وهكذا يبدو الطابع الاستعماري الاقطاعي جلياً من دراسة وقائع واتجاهات الحملات الصليبية.

لقد واجه الصليبيون مقاومة شديدة بالرغم من تخاذل وخيانة بعض ملوك العرب، وكانت نتيجة تلك المقاومة أن الصليبيين لم يصلوا أبداً إلى عمق أكثر من خمسين ميلاً من ساحل فلسطين(١).

ويرى جورج كيرك أن الحملات الصليبية فتحت نوافذ عقول الأوروبيين لما رأوه في الشرق الأوسط، «الذي كان مستوى حضارته لا يزال أرفع بكثير من حضارة الغرب» إلا أن تأثير الصليبيين أنفسهم على العالم الإسلامي أقل بكثير مما يمكن تصوره(٢).

نظرة الاسلام إلى فلسطين

العرب

يقول الله تعالى في محكم كتابه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فالعرب أبناء سام بن نوح كما أخبر الرسول ﷺ في أحاديثه الشريفة حيث قال: «سام أبو العرب»(٣).

ونوح أبو سام كان مسلماً، ونبياً، ورسولاً، كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز﴿ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧١-٧٢].

---

(١) (مرجع سابق) Kirk,p.p:3738

(٢) Kir k p.p: 45-46

(٣) الطبري -تاريخ الرسل والملوك: ٩١.

هذه المقدمة تبين بوضوح تام أن (سام)[١] مسلم كوالده نوح وعربي كما اخبرنا عنه الرسول الكريم ﷺ.

وقد تعرضت بلاد الشام لموجة عربية سامية وهي الموجة المعروفة باسم (الآمورية-الكنعانية) والتي تعاظم أمرها قبل عام (٢٥٠٠) ق.م[٢] فاستوطن الآموريون الأراضي الواقعة شرقي نهر الأردن واستوطن الكنعانيون (فلسطين) وجدير بالذكر أن حدود بلاد الشام كانت من الفرات إلى العريش، وذلك مصداقاً لقول رسول الله ﷺ : «**إن الله بارك في الشام، من الفرات إلى العريش**».

---

(١) مصطفى الدباغ -بلادنا فلسطين- ج ١ ق، ص: ٣٨٧.

(٢) صبح الأعشى ٤/ ٧٢.

الفصل السادس

اليهود في المجتمع الإسلامي عبر التاريخ

١- عهد الرسول ﷺ.

٢- عصر الخلفاء الراشدين والأمويين.

٣- الخلافة العباسية.

٤- الأندلس.

٥- شمالي إفريقيا.

٦- العهد العثماني.

٧- اليهود في مصر.

قبل أن نخوض غمار هذا البحث، علينا أن نضع في اعتبارنا أن عدداً لا بأس به من المؤرخين الموثوقين، يعتبر أن اليهود المتواجدين في الجزيرة العربية واليمن، عرباً تهودوا، أي أنهم من القبائل العربية التي اعتنقت الديانة اليهودية، مثلهم مثل العرب النصارى، وأن عدداً كبيراً من يهود المغرب هم من قبائل البربر، أي أن هؤلاء اليهود ليسوا من يهود السبي والشتات[١].

إن العلاقات التاريخية بين العرب واليهود قديمة، وهي إن كانت في الغالب سلمية - تجارية كانت أم ثقافية - لا أنها مرت بفترات صدام في بعض الأحيان[٢].

ومع أنه يوجد اختلافات عقلية ودينية بين العرب واليهود، إلا أن اليهود تأثروا بعادات العرب وأخلاقهم، بحكم مجاورتهم لهم وتعاملهم معهم[٣].

☆ **عهد الرسول الكريم ﷺ:**

وفي عهد الرسول انتظم اليهود في قبائل وبطون مثل العرب، ودخلوا في محالفات مع الأوس والخزرج، وكل فريق يلتزم بالمسؤوليات القبلية المشتركة، بما في ذلك النصرة في القتال والمشاركة في الديات[٤]. وحين نزلت الرسالة السماوية على الرسول ﷺ توقع الرسول ترحيب اليهود به، ومناصرتهم للمسلمين لأن اليهود أهل كتاب، وقد عامل الرسول اليهود بانفتاح، ووضع كتاب بين الجماعة الإسلامية وبينهم في المدينة ينظم الشؤون المشتركة، ويوجب التساند في وجه الخطر الخارجي، ولكنهم أي اليهود وقفوا موقفاً سلبياً، وتدرج هذا الموقف إلى المقاومة والحقد، ومن ثم إلى الصراع

---

(١) ارجع إلى الفصل الخامس ص: ١٥٠.

(٢) Horavits, aJudae -Arabic Relations in Pre - Islamic Times, islamic Culture, Vol III 1979 p. 161 Off.

(٣) جواد علي - الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - الجزء الأول - دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢، ص: ٥٧٢ وما بعدها، وص٥٧٢ وما بعدها وص٦٢٩ وما بعدها.

(٤) وليد الخالدي - ورفاقه - القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني - الأمانة العامة لإتحاد الجامعات العربية - الرياض ١٩٨٣، ص: ٩.

الفعلي مع اليهود، وبدأ زعماء اليهود يعملون ضد الإسلام، وكان لهم دور كبير في خروج الأحزاب إلى غزوة الخندق. وأصبحت خيبر في أعالي الحجاز مركزاً من مراكز اليهود المهمة، وملجأ للحانقين والمتآمرين، وبدأت في تكوين كتلة من يهود القرى المجاورة، وأدرك المسلمون خطورة أمرهم هذا، فهيأ الرسول حملة وحاصرها، وبعد مناوشات استسلم اليهود، وبعد خيبر خضعت بقية القرى اليهودية للنبي على أن يكون له نصف غلة أرضها.

لقد كان لوجود اليهود في مستوطنات متراصة في قلب الأمة الجديدة وموقفهم العدائي سبباً في تأزم العلاقة بين المسلمين واليهود، ولكن بعد تصفية مشكلة خيبر زال خطر اليهود، وأمر الرسول معاملتهم معاملة حسنة، كأهل ذمة، وروي عنه ﷺ أنه قال: «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة»[١].

☆ عصر الخلفاء الراشدين والأمويين:

عندما بدأت الفتوحات الإسلامية تحسن وضع اليهود، وقد أوصى الخلفاء خيراً في أهل الذمة، وقد أجلى الخليفة عمر بن الخطاب يهود خيبر وتيماء إلى أريحا، واستند في ذلك إلى قول الرسول: «لا يجتمع في الجزيرة دينان».

وكانت نظرة الخلفاء الأوائل للجماعات اليهودية وخاصة في العراق والشام نظرة حسنة وعومل يهود السامرة معاملة خاصة لتعاونهم مع العرب[٢]، هذا كما وأن الشريعة الإسلامية لا تميز بين المسلمين وغيرهم من حيث الوضع القانوني.

وقد استعان العرب بالذميين في الوظائف المالية والكتابية، وكان التسامح على أشده في صدر الإسلام.

☆ اليهود في العصر العباسي:

لقد انتقل إلى بغداد رأس الجالوت كيلون في مركز الخلافة وجعلها مقراً إدارياً وقضائياً للجماعات اليهودية، وكان اليهود يعيشون في رخاء وكانوا يمتهنون الطب، ويشيد الجاحظ بإخلاص اليهود في بعض المهن[٣].

---

(١) أبو يوسف - كتاب الخراج ص: ٧١.

(٢) البلاذري - فتوح البلدان - ص: ١٥٨..

(٣) الجاحظ «الحيوان» جزء ٥ ص: ٥٢.

ولما توسع المجتمع الإسلامي اقتصادياً امتهن اليهود التجارة والصيرفة والصرافة، واشتهر منهم يوسف بن فتحاس وهارون بن عمران وهما تاجران وجيهان، وكانت الدولة تستلف من اليهود رواتب الخدم لقاء فوائد تدفعها لهم ثم اتخذ ذلك شكلاً رسمياً ثبتاً في وزارة عيسى بن علي حيث عقد معهم اتفاقاً لتسليف الدولة.

وكان العراق في هذه الفترة مركز النشاط الفكري لليهود والمركز المالي والسياسي للخلافة، وكان ليهود العراق جالية مهمة في مصر، وكانت صلات يهود العراق ومصر حميمة، وقد اشتهر اليهودي يعقوب بن كلي الذي أصبح وكيل التجار العراقيين اليهود في الرملة ثم في مصر حيث تدرج في خدمة كافور الأخشيدي وانتهى به الحال وزيراً للعزيز الفاطمي[١].

ويبدو أن التطورات الفكرية والثقافية العامة في المجتمع الإسلامي كان لها أثر على اليهود وانتشرت بينهم اللغة العربية، وقد اتخذ اليهود اللغة العربية وصارت لغة الثقافة لديهم، وكان اتخاذهم لها يعني اتخاذهم لطرق التفكير العربية وتأثرهم بالمفاهيم الإسلامية، والأشكال الأدبية، ولم يقتصر أخذهم للعربية على الفعاليات الأدبية أو للأغراض العلمية والدنيوية بل تعداه إلى شرح التوراة وللرسائل الدينية والفلسفية.

ويبدو أن جو النقاش والحماس الديني لدى المسلمين للقرآن جعل اليهود يرجعون إلى نصوص التوراة ويبتعدون عن التلمود.

وقد تأثر اليهود بالفكر اليوناني عن طريق الدراسات العربية، كما أنهم تأثروا بالمعتزلة، فاتخذ القراؤون اليهود في البدء اتجاهاً اعتزالياً.

وكان أهل الذمة لا يحتاجون إلى أذن خاص ليستقروا في الأراضي أو المدن المفتوحة جديداً أو لمتابعة مهنة، ولم تسمع شكاوى من عنف أو قسر أو حقد من جهة السلطة.

وكان المجال مفتوحاً في الحقل الاقتصادي، ولم يحدد لليهود أو غيرهم من أهل الذمة مهن خاصة، وكان لهم كامل الحرية في العمل التجاري، وكانوا يدفعون رسماً قدره ٥٪ من ثمن البضاعة.

(١) وليد الخالدي ورفاقه – القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني (مرجع سابق)، ص: ٩٣.

وكان اليهود يدفعون ضريبة الرأس (الجزية) وضريبة الأرض، أما ضريبة الأرض فهي الخراج، وتختلف أساليب جبايتها وطبيعتها من بلد إلى آخر، وتعتمد على طبيعة الأرض ونوع المحصول، إضافة إلى العرف المحلي.

وقبل أن ينتهي القرن الثالث الهجري أصبح دور اليهود كبيراً في التجارة، وظهر منهم يوسف بن فتحاس، وهارون بن عمران، وكان الكتاب والوزراء يتعاملون معهم كمصرفيين لإيداع أموالهم، كما كانت الدول تستلف أحياناً من التجار لسد حاجتها المالية المستعجلة، ثم اتخذ ذلك شكلاً رسمياً ثابتاً في وزارة عيسى بن علي حيث عقد معهم اتفاقاً لتسليف الدولة في أول كل شهر مبالغ نقدية من أجل دفع رواتب الجند، وكان تسترجع هذه الأموال مع فوائدها في نهاية كل شهر.

كان العراق في هذه الفترة مركز نشاط فكري ومالي لليهود وكانت صلات يهود مصر والعراق وثيقة، وكان ليهود العراق جالية هامة في مصر.

أثرت حماسة العرب للغتهم واهتمامهم بمفرداتها وبالنحو والصرف على اليهود وأدى ذلك إلى الاعتناء بلغتهم، ودراسة نصوصها، وإلى اهتمامهم إلى وضع معاجم عبرية، وهكذا اتجه اليهود لدراسة لغتهم، ولوضع النحو لها والاهتمام بالتنقيط وتيسير قراءة التوراة للمتعلمين، ويبدو أن جو النقاش الديني وحماسة المسلمين للقرآن جعل اليهود يرجعون إلى نصوص التوراة. وكان حال اليهود زمن السلاجقة في العراق حسناً على العموم ومتعوا بقدر كبير من الحرية والرخاء، وصار لبعضهم نفوذ كبير أثار بعض المسؤولين، فمثلاً كان ابن علان اليهودي، ضامن البصرة، ومقرباً من نظام الملك[1].

ويلغ ابن غزال الطبيب اليهودي السامري مرتبة الوزارة عند السلطان ملك شاه ووجد عنده بعد قتله ثلاثة ملايين دينار، وخلّف مكتبه عامرة.

☆ اليهود في الأندلس:

تعرض اليهود في اسبانيا إلى اضطهاد شديد قبل الفتح الإسلامي، فلما جاء المسلمون رحبوا بهم ولقوا معاملة كريمة، وتحسن وضعهم، وتركت لهم حرية تصريف أمورهم، وكانت لهم جماعات متماسكة في أكثر المدن حيث يعيشون في أحياء خاصة

(١) وليد الخالدي ورفاقه - القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني (مرجع سابق) ص:١٠٩.

بهم كما في طليطلة، وكان لهم في اللسانة مجموعة مهمة، إذ كانت المركز الأول لهم بعد قرطبة، وقد ترك لليهود حرية العبادة في كنسهم، وكان لهم أن يخصصوا لها الأوقاف، وقد كان اليهود في الأندلس صلة ربط بين إسبانيا المسلمة وغير المسلمة في الحقل السياسي وفي التبادل التجاري، واستخدام اليهود في الإدارة والمالية.

وكان لكل مجموعة يهودية الحق في تسمية ممثلها أمام السلطة، وقد برع منهم أبي يوسف حسداي بن إسحق بن شيروط، وكان لحسداي هذا منزلة لدى عبد الرحمن الناصر لثقافته الواسعة ولمقدرته كطبيب وللباقته كدبلوماسي، وقد جعل حسداي قرطبة مركزاً نشطاً للدراسات التلمودية، وقد شجع حاسداي هذا الثقافة العبرية. وبتشجيعه وحمايته اشتهر مناحيم بن سروق ودنش بن لبراط.

☆ اليهود في شمالي افريقيا:

أبدى العرب كل تسامح مع الذميين ومنهم اليهود، وكانت هناك جماعات من اليهود جاءت إلى المدن الجديدة التي أنشأت مثل (تاهرت) و(فاس).

وكانت منهم جماعة مزدهرة في القيروان، وفاس، وكان ليهود فاس علاقة بيهود فلسطين وعند قيام دولة المرابطين واجه اليهود مشكلة فقد وضع يوسف بن تاشفين ١٠٠,٠٠٠ دينار عليهم ومنعهم من الإقامة في مراكش، وعندما جاء الموحدون خيروا اليهود بين الإسلام أو الهجرة، وأدى ذلك إلى قبول البعض دخول الإسلام، وهجرة بعضهم الآخر، ولما توفي المنصور الخليفة الموحدي سَمح لليهود بالعودة، وعاد بعضهم، إلاأنه فرضت عليهم في زمن أبي يوسف يعقوب المنصور الملابس المميزة[١].

وكان دور اليهود في التجارة الدولية قوياً، وهذا واضح قبل الموحدين، وكان ليهود الشمال الأفريقي رئيس (ناجيد) منذ زمن من الأغالبة، ولعل المنصب أغفل بعد الفاطميين إلى أن عين باريس الزيري (ناجيداً) وكانت في شمال إفريقيا مجالس ربانية في بعض المدن[٢].

---

(١) للتوسع في نشاطات حاسداي ارجع إلى ص ٢٤٠ من هذا الكتاب.

(٢) وليد الخالدي ورفاقه - القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني (مرجع سابق) ص: ١٠٩.
Hischology of cit vol. Ip. 126 off.

☆ من الغزو المغولي إلى أواخر العهد العثماني:

كان الغزو المغولي للعراق كارثة على أهل العراق، غير أن اليهود استفادوا منه وتوصلوا إلى أعلى المناصب، وقد برز منهم سعد الدولة اليهودي وعرف ببراعته الطبية، وقد قربه منه أرغون وعين عام ٦٨٢ في ديوان بغداد للشؤون المالية ثم رُقّي إلى وظيفة صاحب ديوان الممالك ومشرفاً على الشؤون المالية للدولة، وقد عين سعد الدولة عدداً كبيراً من اليهود في الوظائف المختلفة. وقد حصل استياء شديد ضد سعد الدولة واليهود في بغداد[١].

وكان عدد من اليهود يهاجر من أوروبا إلى تونس، والجزائر ومراكش وبعضهم إلى الشام، وأسيا الصغرى، وذلك بعد سقوط حكم العرب في الأندلس عام (١٤٩٢)م، وبعد موجات الاضطهاد ضد اليهود في أوروبا.

☆ اليهود في مصر:

منذ تولي محمد علي الكبير الحكم (١٨٠٥-١٨٤٨) شهدت الطائفة اليهودية تطوراً وازدهاراً، لأن محمد علي الكبير كان متسامحاً واستعان باليهود من أجل تصنيع البلاد وسمح للأجانب باستثمار رؤوس الأموال في مصر وامتلاك الأراضي.

وكان معظم المستثمرين من اليهود.

وبدءاً من الاحتلال البريطاني فتحت البلاد أمام الأجانب، وقد بلغ عدد اليهود نحو ٦٥ ألف نسمة[٢].

وكان اليهود عدة طوائف، ولكل طائفة مجلسها المنتخب وحاخامها.

وقد تركز اليهود في القاهرة والاسكندرية بما يعرف بحارة اليهود وكان هذا الحي اليهودي مكتظاً وفقيراً، وقد بدأ الأغنياء اليهود يهجرونه إلىالأحياء الراقية.

---

(١) شيخو - شذرات تاريخية، المشرق، ١٩٢١، ص:٦٠٦.

(٢) Ministry of Finance and Ecomomy, statice census department Population censw of Egypt 1947 - Goverment Press - cairo 1954.

ولو قارنا مستوى معيشة اليهود مع سوية مستوى معيشة الشعب العربي في مصر لوجدناها جيدة، وكان لليهود مدارس خاصة بهم غير أن عدداً كبيراً منهم كان يلتحق بمدارس الدولة.

أما من الناحية الاقتصادية فكان اليهود موسرين وقد استطاعت عدة أسر يهودية رأسمالية أن تتحكم فترة طويلة في الاقتصاد المصري وتمويله وتطويره[١]، وكانت معظم رؤوس المال والبورصة والمصاريف تغلق أبوابها يوم السبت.

وفي مطلع القرن السادس عشر دخلت مصر وسورية والعراق حوزة الدولة العثمانية وسادت نفسها السياسة المتسامحة تجاه الذميين في البلاد العربية ومن بينهم اليهود.

وساعد على الهجرة ظهور العثمانيين وتوسعهم وسياستهم المتسامحة مع اليهود.

ويتمثل هذا في نداء إسحاق زرقاني، وهو يهودي ألماني من أدرنه - أيام محمد الفاتح - إلى أبناء دينه في إلمانيا وإيطاليا بأن يهاجروا إلى البلاد العثمانية «أن بلاد الترك لا يعوزكم فيها شيء وان شئتم وافتكم الأحوال كما ترغبون ... أليس الأفضل أن تسكنوا في حكم المسلمين من أن تكونوا في حكم النصارى..! تحت حكم إسماعيل يمكن لكل رجل أن يعيش بأمان تحت تينته ويظل كرمه وليس الحال كذلك في الأراضي الألمانية وما حاولها» وهكذا نجد جماعات من اليهود الأشكنازية والطليان في عدة مدن آسيا الصغرى، إضافة لليهود من إسبانيا الذين فروا من الاضطهاد وتحركوا إلى أراضي الدولة العثمانية.

وعهد لليهود إدارة شؤونهم الملية، وعين محمد الفاتح رئيساً لهم في استانبول يمثلهم، وله سلطان واسع ويتبعه كل الحاخامين، وهو رئيس القضاة.

وبرز كثير من اليهود في الدولة العثمانية في الأمور المالية والتجارية وبرزت عدة عائلات لها شأن: مثل آل فارمي في دمشق وحلب وآل كاسترو في مصر.

وكانت المدارس الأولية اليهودية منتشرة في تركيا ووجد فيها عدد من المعاهد.

---

(١) سهام نصار - اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية دار الوحدة - القاهرة- مصر.

وفي الشام كان اليهود في القرن السادس عشر في وضع اقتصادي وثقافي جيد، ولهم عدة مدارس دينية، وكانوا يسيطرون على تجارة الترانزيت.

وفي سنة (١٩١٠) صدر أمر بمنع اليهود غير العثمانيين في سورية وفلسطين من امتلاك الأراضي لمنع التسلل الصهيوني.

وهكذا يتبين أن معاملة اليهود في المجتمعات الإسلامية سارت بصورة حسنة، فقد انتعش أهل الذمة ومنهم اليهود في هذه المجتمعات ووجدوا كثيراً من الحرية والرخاء في فترات قوة هذه المجتمعات، كما أنهم ساهموا أحياناً في الحياة العامة، ولم يتعرضوا لقيود قاسية، وكانت التحديدات في الغالب شكلية، وهي في التطبيق أخف منها نظرياً. وقد أفسح المجال لهم في الحياة الاقتصادية والثقافية وكانت العصور الإسلامية من أكثر فترات التاريخ خصباً فكرياً وثقافياً لليهود. كما أنهم استخدموا في الوظائف والدواوين، ولم يحصل رد فعل إلا حين وصولهم إلى مراكز قوة ونفوذ اعتبرت من حقوق المسلمين، وكانوا موضع رعاية طالما احترموا العهود، وما الحالات القليلة التي تعرضوا فيها لبعض العنف إلا ناشئة عن الشعور بأنهم تجاوزوها.

الفصل السابع

أطماع

الغرب في فلسطين

١- نابليون بونابرت واليهود.

٢- مؤتمر كامبل نبرمان.

٣- الدول الأوروبية المستعمرة تتستّر بالدين.

٤- النفوذ الألماني ومطامع المانيا بفلسطين.

٥- أطماع انجلترا في فلسطين.

٦- أطماع روسيا في فلسطين.

٧- أطماع فرنسا في فلسطين.

٨- السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط.

«كان يوم ٩ كانون الأول ١٩١٧ يوماً مشهوداً في حياة فلسطين، ففي هذا اليوم دخلت قوات بريطانية مدينة القدس بقيادة الجنرال اللنبي الذي عبّر عن فرحته بدخول مدينة السلام بقوله: «اليوم انتهت الحروب الصليبية»[1].

ووقف أهل فلسطين ومعهم المقدسيّون يرقبون دفيق جحافل الغزو الجديدة.

بالواقع لم تنته الحروب الصليبية، بل هذه حملة صليبية جديدة تحت اسم الصهيونية.

(١) بسام العسلي، فلسطين والحملة الصليبية الجديدة - الديوان للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت -١٩٩١، صفحة: ٧.

أطماع الغرب في فلسطين

إن أطماع الغرب في فلسطين قديمة العهد، ذلك كون فلسطين ذات موقع جغرافي واقتصادي وعسكري وديني خاص، وقد توضحت أطماع الغرب في الحملات الصليبية[١].

وقد استعاد الغرب اهتمامه بالمنطقة العربية في أعقاب احتلال بريطانيا للهند في القرن السابع عشر. وكذلك ايقظت حملة نابليون بونابارت على مصر وفلسطين أطماع بريطانيا وزادت من رغبتها بالسيطرة على المنطقة.

وكان أول من اجتذبته فكرة استعمار فلسطين على يد اليهود نابليون بونابارت الذي كان قد خطط حلمه على إنشاء إمبراطورية في الشرق، فبعد شروع نابليون بغزو فلسطين سنة ١٧٩٩ وجه نداءاً إلى جميع يهود العالم يستحثهم فيه على الانضمام تحت لوائه لإعادة بناء «مجد إسرائيل الضائع في القدس».

وقال في بيانه وندائه لليهود:

يا ورثة فلسطين الشرعيين، سارعوا. إن هذه هي اللحظة المناسبة التي قد لا تتكرر لآلاف السنين للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم التاريخية بين شعوب العالم. تلك الحقوق التي سلبت منكم لآلاف السنين، وهي وجودكم السياسي كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعي المطلق في عبادة يهوه، طبقاً لعقيدتكم علناً إلى الأبد[٢].

لقد كان نابليون بونابارت أول رجل يقترح إقامة دولة يهودية في فلسطين قبل وعد بلفور بـ (١١٨) عاماً، بل إن وايزمان وصف نابليون بأنه أول الصهيونيين الحديثين من غير اليهود[٣].

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٨١، صفحة: ٢٥.

(٢) Franz kobler, Napoleon and the Jews â (New York).

(٣) رسالة وايزمان لونستون تشرتشل الواردة في

=Richard Lrossmsa, A Notion Reborn (London, 1956). p. 150.

وحتى تتمكن الدول الأوروبية من التدخل في المنطقة، فرضت على الإمبراطورية العثمانية ما عُرف «بالامتيازات الأجنبية» بحيث بات المقيمون الأجانب دولة لا تسري عليهم القوانين والضرائب العثمانية[١].

وقد أقامت بريطانيا عام ١٨٣٩ قنصلية في القدس، كانت تعمل على حماية الجالية اليهودية في فلسطين[٢].

لقد كان عدد اليهود في فلسطين تسعة آلاف نسمة، موزعين في عدة مناطق، ولقد كان هدف بريطانيا استخدام جاليات يهودية لأسباب ودوافع سياسية واستعمارية. وكان رئيس وزراء بريطانيا الفابكونت بالمرستون يُشجع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ويحث السلطان العثماني على قبولها شارحاً له المنافع السياسية والمادية التي تعود على السلطان.

وقد ارتبطت فكرة تشجيع استيطان اليهود بفكرة إقامة حاجز بشري استعماري غريب يحول دون قيام وحدة عربية تخلق دولة عربية قوية في المشرق العربي وإفريقيا العربية.

☆ فلسطين في خط الاستعمار الأوروبي:

مقررات مؤتمر السر كامبل نبرمان لسنة ١٩٠٥/ أو مؤتمر لندن:

أقلقت بال زعماء الاستعمار الغربي نظرية نشوء وأفول الحضارة، فقد نشأت حضارة الفراعنة ثم اندثرت، ومن بعدها نشأت حضارة البابليين والأشوريين، والحضارات المتأخرة كالأغريق والرومان والحضارة العربية الإسلامية، ثم اندثرت هذه الحضارات.

وقد رغب الأوروبيون اتخاذ الحيطة والحذر حتى لا يحل بالحضارة الأوروبية ما حل بهذه الحضارات، حيث وصلت الحضارة الأوروبية مرحلة الانهيار والاندثار.

كان أول من تنبأ بانهيار حضارة أوروبا الحالية الفيلسوف الألماني شبنجلر، وقال:

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الثامنة، صفحة: ٢٦.

(٢) البرت هايس «القنصلية البريطانية في القدس وعلاقتها بيهود فلسطين» ١٨٣٨-١٩١٤. لندن ١٩٣٩ - الجزء الأول ص: ٣٤ من المقدمة.

إن التاريخ الإنساني ليس خطاً مستقيماً إلى التقدم ولكنه دورات متعاقبة النمو والإنحلال، وأن كل حضارة هي أشبه بالإنسان: يولد وينمو ويزدهر ويشيخ ويذبل ويموت، ثم تبدأ دورة حضارة أخرى في مكان آخر من العالم وهكذا[١].

وتحسباً بالخطر المحدق بالحضارة الأوروبية القائم على الاستعمار، فقد عُقد مؤتمر لندن عام (١٩٠٥) سراً، واستمر حتى عام (١٩٠٧)، وقد دعا إليه السر كامبل نبرمان، وكان كامبل رئيساً للوزراء وزعيماً لحزب المحافظين في بريطانيا، وقد تم تشكيل جبهة استعمارية موحدة من الدول ذات المصالح المتوافقة في العالم آنذاك، وهي: بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإيطاليا وإسبانيا، وقد وافقت هذه الجبهة على أن يدرس كبار المؤرخين وعلماء الاجتماع والجغرافيا والاقتصاد والتاريخ والنفط والزراعة والاستعمار في الدول المشتركة في المؤتمر.

وبعد اجتماعات امتدت عاماً، وضع تقرير يوضح أن لبريطانيا مصالح في كافة القارات، ولفرنسا مصالح في القارة الإفريقية والهند الصينية، وجزر المحيط الهندي، وحدّد التقرير مصالح الدول الأخرى ومكانها، ثم حدد المؤتمر الخطر الذي يهدد الاستعمار الأوروبي، وحّدده في شواطىء البحر الأبيض المتوسط، في سواحله الشرقية والجنوبية (الوطن العربي) وبين أن هذه المنطقة تملك مقومات دولة قوية ولا يجوز أن تترك لتتحد.

ومن واجب الدول الأوروبية أن تعمل على استمرار تجزئة هذه المنقطة وتأخرها، وبقاء شعبها على ما هو عليه من جهل وتأخر، وتفكك، كما يجب فصل الجانب الأفريقي عن الأسيوي، لذا تقترح اللجنة إقامة حاجز بشري قوي وغريب، يحتل الجسر البري الذي يربط أوروبا بالعالم القديم، ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة أو على مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار، وعدوة لسكان المنطقة[٢].

---

(١) أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ - الطبعة السادسة- العربي للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق ، ص: ٣٦٠.

(٢) الدكتور أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ (مرجع سابق)، ص: ٢٣٤.

ويتضح مما تقدم أن مستقبل فلسطين ومصيرها قد تقررا في هذا التقرير.

وتدل الأحداث أن هذا التقرير نفذ بدقة، فأقيم الحاجز البشري من عنصر غريب، على شكل قوة «صديقة للاستعمار وعدوّة لسكان المنطقة»، وذلك عن طريق إصدار وتنفيذ وعد بلفور وغرس إسرائيل شوكة في قلب المنطقة، وهنا إلتقت الصهيونية مع الاستعمار بمخطط الاستعمار الجديد، فمنذ عام (١٩٠٧) سار الاستعمارين البريطاني والصهيوني جنباً إلى جنب، ومن ثم سيطرت أميركا وأصبحت سيدة الاستعمار.

«الدول الأوروبية المستعمرة تتستر بالدين وبالنزعات الإنسانية والمناشط الثقافية»

كانت الدول الأوروبية جميعها تحاول التستر بالدين والثقافة لتتدخل في شؤون الوكن العربي الداخلية.

وكان الأوروبيون يتسترون بالتبشير والعلاج الطبي والتدريس في المدارس، ولم تستطع هذه الإرساليات التأثير في نفوس أخواننا المسيحيين العرب[١]، إذ حافظوا على عروبتهم.

ومن باب الحقيقة، التاريخية الصادقة لا نستطيع اعتبار جميع هذه المؤسسات استعارية، فهناك القليل منها له نزعة دينية أو علمانية، أو صحية، أو ثقافية صادقة.

والمبشرون يجمعون على أن جميع الوسائل - مهما كانت يجب أن تستغل في سبيل التبشير[٢] حتى أعمال البر يجب أن تستغل استغلالاً تاماً، ومن ثم قولهم: «كان التطبيب والتعليم من وسائل التبشير، ويجب أن يبقيا كذلك، أعمال الإحسان، فيجب أن تستعمل بحكمة كيلا تذهب في غير سبيلها، يجب أن تعطي أولا للبعداء عن الكنيسة ثم تقل تدريجياً، وكلما اقترب هؤلاء من الدخول إلى الكنيسة، وإذا دخولها منع عنهم الإحسان مرة واحدة[٣].

---

(١) يعقوب كامل الدجاني - الثورة العربية الكبرى - عمان ١٩٩١، ص: ١٤.

(٢) c.f. Jessup, 29,37i Bliss (B) 313.

نقلاً عن الدكتور مصطفى الخالدي، الدكتور عمر فروخ - التبشير والاستعمار - المكتبة العصرية - بيروت - صيدا.

(٣) من نفس المرجع السابق ونفس الصفحة Re - thinking Missions 67, cf 70f

ولمزيد من التفاصيل عن التبشير والاستعمار وأساليبها، يرجى الرجوع إلى كتاب «التبشير والاستعمار» لمؤلفه مصطفى الخالدي والدكتور عمر فروخ - المكتبة العصرية - بيروت - لبنان ١٩٥٣ .

☆ النفوذ الألماني ومطامع ألمانيا بفلسطين:

النفوذ الألماني في الدولة العثمانية :

كان النفوذ الألماني في الدولة العثمانية قبل قيام الوحدة الألمانية ضعيفاً، ويقتصر نشاطه على مملكة بروسيا، غير أن الثورة الصناعية في ألمانيا اضطرتها للبحث عن أسواق للمواد الأولية، ولتصريف منتجاتها، فاتجهت أنظارها نحو الدولة العثمانية التي احتلت حلبة الصراع الأوروبي بعد غزو نابليون للشرق.

ودخلت ألمانيا حلبة الصراع مع الدول الأوروبية بعد الدور الذي لعبته في مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ ، ولكنها خططت أن تنفذ إلى الشرق بالطرق السلمية بحيث تُدخل رؤوس أموالها ومنتوجاتها[١].

وقد طلب الباب العالي في آيار من عام (١٨٨٠) من ألمانيا إرسال بعثة عسكرية لتدريب الجيش العثماني، ووافق الألمان على ذلك، ومع الانقلاب العثماني عام (١٩٠٨) ازداد التعاون العسكري الألماني العثماني متانة، ورافق هذا التعاون تعاون مماثل في المجالين: السياسي والاقتصادي.

وقد كانت الدولة العثمانية متورطة بالديون مع الدول الأوروبية، أما أول قرض ألماني عثماني فقد أبرم عام (١٨٨٨) مع الدويتش بانك، وقد أبرم القرض الثاني عام (١٨٩٤) ومن ثم تتالت القروض.

وقد ازدادت حصة المانيا في الديون حتى بلغت عام (١٩١٤) ٢١٪ من حصة مجموع ديون الدولة العثمانية.

---

(١) نقلاً عن الدكتور علي محافظة Hurewitz, J.C: Diplomacy in the near and Midde East, Vol I p:189 -190.

وقد منحت ألمانيا إنشاء الخط الحديدي الحجازي، وقد تعاون البنك العثماني، مع الدويتش بانك في إنشاء الشركات في الدولة العثمانية.

ومنذ عام ١٨٩٦ أنشىء بنك فلسطين الألماني وافتتح له فروعاً في القدس عام (١٨٩٧)، ويافا عام (١٨٩٩) وحيفا عام (١٩٠٤).

☆ التبشير والأهداف السياسية الألمانية:

كانت الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام (١٧٩٨-١٨٠١) فاتحة لدعوات ومحاولات أوروبية عديدة لاستعمار فلسطين وفصلها عن الدولة العثمانية.

وكانت المانيا تعمل على إقامة كيان مستقل في فلسطين بشكل إمارة المانية، وكان الأوروبيون يتذرعون في هذه الأعمال بالدافع الديني.

وقد كان للتجدد الديني أثره العميق، وكانت حركة البعث الديني على أشدها في ألمانيا وبريطانيا وقد وثقت جمعية نشر المسيحية بين اليهود في ألمانيا علاقات مع جميعة يهود ألمانيا، وقد كان لجمعيات التبشير الإنجليزية دور مهم في تنمية الوعي الديني بين الإنجليز، وتسخير التبشير الديني لأغراض السياسة الخارجية البريطانية. وفي بازل أنشئت الجمعية المسيحية الألمانية عام (١٧٨٠). وقد كانت حركات التبشير الألمانية الإنجليزية نشطة ومتحالفة معاً، فجمعية نشر المسيحية بين اليهود التي تأسست عام (١٨٢٢) وثقت علاقاتها وتحالفت مع جمعية يهود لندن، أما الجمعية المسيحية الألمانية التي تأسست في بازل (عام ١٧٨٠) فقد إبرمت اتفاقية مع جمعية التبشير الكنائسية في لندن. لقد كانت فكرة استعمار فلسطين تهيمن على تفكير مؤسسي هذه الجمعيات.

وقد كانت الدول الأوروبية متفقة على أن تقوم فرنسا والنمسا بحماية الكاثوليك، وروسيا بحماية الأرثوذكس، وانجلترا وبروسيا بحماية البروتستانت، وأن تصبح القدس وبيت لحم والناصرة مستعمرات مسيحية.

ويتميز التبشير الألماني بأنه نشأ بمبادرة من الدولة، وكانت الدولة الألمانية تدعم التبشير الإنجليكاني بعد أن إنفصل عن الكنيسة، وكانت تدعم المؤسسات الألمانية الكاثوليكية في البلاد.

لقد كان النشاط المسيحي التبشيري مبرراً لتدخل ألمانيا في شؤون فلسطين الداخلية بدعوى حماية المبشرين وحماية اليهود المهاجرين، ولقد كان النشاط التعليمي الألماني محدداً إذا ما قارناه بالنشاط التبشيري.

دعت لجنة أصدقاء القدس التي تشكلت من أتباع هوفمان السماح للألمان العاطلين عن العمل إيجاد أعمال لهم في فلسطين، وقد تشكلت جمعية باسم «جمعية تجميع شعب الله في القدس»، وقام هوفمان وزميله وصديقه هارديج برحلات عديدة في أوروبا، حيث تبرعت العديد من الأسر الأوروبية لهذا المشروع، وفي عام (١٨٦٨) سافر هوفمان وهارديج إلى حيفاء واستأجرا أرضاً من شاطىء البحر إلى سفح جبل الكرمل، وأنشا عليها مستعمرة زراعية، ثم انتقلت إلى مصنع صغير لإنتاج الصابون، ثم أصبحت محوراً للحياة التجارية والصناعية في حيفا.

وأنشأت مستعمرة جديدة ألمانية في يافا عام (١٨٦٩) وقد اشترى الألمان «قرية آدمز» التي أنشأتها طائفة دينية مسيحية أميركية وكانت تحتوي على مدرستين ومستشفى.

ثم أنشأت مستعمرة سارونا عام (١٨٧١) على طريق يافا - تل أبيب، وقد سكن فيها نائب القنصل الألماني في يافا (مراد أفندي، أرمني الأصل). وقد اشتهرت مستعمرة سارونا بزراعة الزهور والكرمة وتربية الأبقار، وأنشىء فيها مصنع لإنتاج النبيذ.

ومن المستعمرات الأخرى:

- **مستعمرة ريفايم** التي وأنشئت عام (١٨٧٢) قرب يافا، أصبحت مقراً لإدارة جمعية الهكيل، وأدخلت عربات الطرق إلى فلسطين، وكان بها مدرسة ثانوية كاملة وروضة للأطفال.

- **مستعمرة فالهالا**: وأنشأت في يافا عام (١٨٩٢) واقيم فيها مستشفى ومعمل للأسمنت، وبنت الجمعية (فندق القدس) في يافا وكان من الفنادق الفخمة.

- **مستعمرة فليهليما**: وأنشئت عام (١٩٠٢) قرب اللد.

- **مستعمرة نويهاردهون**: وعلى بعد (٤) أميال إلى الجنوب من مستعمرة الكرمل، وكانت تهتم بزراعة الخضروات.

- مستعمرة بيت لحم في الجليل:

أنشئت عام (١٩٠٦) على أرض قرية بيت لحم في الجليل وتبعد عن مدينة الناصرة بضعة أميال، وزرعت فيها أشجار الكرمة والفواكه والحبوب.

- مستعمرة فالدهايم: وأنشأت عام (١٩٠٧) بالقرب من بير سالم، ولا صلة لها بجمعية الهيكل بل هي تابعة لدار الأيتام السورية.

- مستعمرة خيمة: وهي تابعة لدار الأيتام السورية.

وبهذا شرعت ألمانيا بتنفيذ مشروعها الاستيطاني منذ عام (١٨٦٨) ورأت ألمانيا أن في هذا المشروع الاستيطاني نقطة انطلاق للنفوذ الاقتصادي والثقافي الألماني خاصة وأن جمعية الهيكل استطاعت خلال نصف قرن إنشاء تسع مستعمرات في فلسطين، وكان الهدف استقطاب آلاف الأوروبيين والألمان حتى يصبحوا في وضع عددي يمكن من السيطرة على البلاد، ولم يتم لهم ذلك بسبب مقاومة الدولة العثمانية للهجرة الأوروبية، وفتور همة جماعة الهيكل بعد أن انقسمت على نفسها، وموقف السكان العدائي من الأجانب، وقد اقتدى المستعمرون اليهود بالمستعمرات الألمانية واستفادوا من تجربتها.

☆ المستعمرات الألمانية في فلسطين (١٨٦٨-١٩١٨)

بعد حملة نابليون بونابارت على مصر وبلاد الشام (١٧٩٨-١٨٠١) فتح باب الصراع الدولي في المنطقة على مصراعيه. فقدم جهابذة الاستعمار مشاريع عديدة لاقتطاع فلسطين من الدولة العثمانية. وقد كان لكتاب جيمز بتيشيرو (James Bichero) عام (١٨٠٠) والذي دعا إلى جمع يهود العالم في فلسطين تحقيقاً للنبوءات التوراتية أثره في التفكير الأوروبي، وقد حاول نابليون بونابارت بجمع «مجلس أعلى» لليهود لإستغلاله كأداة سياسية، إلا أنه مني بالفشل.

وقد أعجب اللورد آشبي بانجلترا عام ١٨٣٨ بآراء بتيشينو ومن بعده اللورد بالمرستون، وقد نشر كتاب آخر للورد ليندسي Lindsay بعنوان «رسائل عن مصر وأيدوم والأراضي المقدسة». حيث وجد صدى عميقاً لدى آشلي، وقد اهتمت الحكومة

والصحف البريطانية بهذه الأفكار، وربطت المسألة اليهودية بالأزمة السياسية القائمة بين محمد علي الكبير والسلطان العثماني[(١)]. ونشأت في نفس الوقت حركة موسى مونيوفيوري[(٢)].

وحاولت بروسيا عام (١٨٣٩) بسط الحماية البروسية على فلسطين، وقد تحمس الرأي العام الألماني لذلك، إلا أن فريدريش فيلهلم الثالث رأى أن القضية تستحق اهتمام المسيحيين جميعهم، فاتصل بالبلاط النمساوي، إلا أن المستشار مترنخ تباطأ في الرد، ثم أرسل رداً سلبياً، غير أن بروسيا عادت فأعدت مشروعاً لتدويل القدس وبيت لحم والناصرة، وعممت المذكرة على الدول الأوروبية التي لم تجد أذناً صاغية للمشروع، وانتهى الأمر بفكرة إنشاء أسقفية بروتستانتية بروسية - انجليزية مشتركة في القدس عام (١٨٤١).

جمعية الهيكل الألمانية واستعمار فلسطين:

تعود جمعية الهيكل في أصولها كحركة دينية إصلاحية إلى الكنيسة الإنجيلية، وقد نادى هوفمان إلى تأسيس جمعية إنجيلية مستقلة عن الكنيسة الإنجيلية الرسمية عام ١٨٤٨ .

علاقة المستعمرين الألمان بالسكان العرب:

اتصفت علاقة المستعمرين الألمان بالسكان العرب المحليين بالشك والريبة، وقد كان الألمان يحملون أفكاراً واضحة عن العداء العربي، وإدرك السكان العرب أن الهيكليين الألمان لا ينفذون مشاريع خيرية كمشاريع الأرساليات التبشيرية المنتشرة بالبلاد، بل جاؤوا إلى فلسطين بهدف واحد هو الاستيلاء على أراضي العرب وامتصاص دمائهم[(٣)].

إضافة إلى نظرة الألمان المتعجرفة والعرقية، حدثت حالة قتل أحد الفلاحين من قبل الألمان، وقد قام أهله بدورهم بقتل احد الألمان.

---

(١) Hya mson, A. M. op. cit. p. 136, Hajjar, j: of cit, p:329.
(نقلا عن الدكتور علي محافظة).

(٢) ارجع إلى ص: ٢١٢ من هذا الكتاب.

(٣) جريدة الأهرام القاهرية - القاهرة، عدد (٢٧) حزيران ١٩٨٩ (نقلاً عن الدكتور محافظة).

وفي خلال الحرب البلقانية (١٨٧٥-١٨٧٨) خشي المستعمرون الألمان اعتداء المسلمين عليهم، وطلبوا الحماية من حكومتهم، فرأت هذه الحكومة أن ترسل لهم ببوارج حربية إلى الشواطىء الفلسطينية فكان ذلك خطوة لا سابق لها[١].

وقد قام تنافس اقتصادي بين الألمان المستوطنين والسكان العرب في مجالات النقل البري، وكذلك منافسة بين الحرفيين.

☆ علاقة المستعمرين الألمان بالطائفة اليهودية:

اتخذت طائفة الهيكليين الألمان موقفاً عدائياً من اليهود قبل سكناها فلسطين لأسباب دينية، وكان هوفمان يعتقد أن الأرض المقدسة هي لشعب الله وليست لليهود.

ولما سكن الهيكليون واليهود مستعمرات في فلسطين وجدوا من مصلحتهم، أن يتفاهموا ويتعاونوا ضد السكان العرب، ثم نشأ بينهم عداء بسبب المنافسة الاقتصادية، فقد كانت المنتجات الألمانية أفضل من المنتجات اليهودية لكن الثانية كانت أقل سعراً.

وعندما قامت الصهيونية شن الهيكليون عليها حملة صحفية شعواء، واتهمتها بمحاولة تمزيق الدولة العثمانية والتعاون مع بريطانيا، غير أن المستوطنين اليهود حاولوا التقرب من المستوطنين الألمان خشية غضب الإمبراطورية الألمانية، غير أن المستوطنين الألمان انساقوا وراء سياسة ألمانيا الرسمية، تلك السياسة التي كانت تحبذ الاستفادة من الوجود اليهودي في فلسطين من أجل تنمية المصالح الألمانية.

☆ العلاقات الألمانية الصهيونية:

نشأت الحركة الصهيونية كرد فعل على الاضطهاد الأوروبي وخاصة في أوروبا الشرقية، وقد أتخذها اليهود حلاً لمشكلة فكرة القومية والاستعمار، ودعت إلى تجميع يهود العالم، والشتات في فلسطين. واعتقد اليهود أن ألمانيا أقوى الدول الأوروبية ذات الجالية اليهودية الكبيرة، هي المؤهلة لحماية هذه الدولة.

---

(١) الدكتور علي محافظة - العلاقات الألمانية الفلسطينية (مرجع سابق) ص١٣١.

وقد مرت العلاقات الصهيونية الألمانية بلاث مراحل:

المرحلة الأولى ١٨٩٦-١٩٠٤ بدءاً باتصالات هرتسل حتى وفاته، وتمثلت بطلب اليهودية إقامة دولة في فلسطين، ذات حكم ذاتي، تحت الحماية الألمانية، وأقنع اليهود الألمان أن هذه الدولة ستساهم في نشر الثقافة الألمانية وازدهار التجارة الألمانية في الشرق، إلا أن المشروع لم ينجح لعدم رغبة ألمانيا في إغضاب العثمانيين.

أما المرحلة الثانية التي بدأت بعد عام ١٩٠٤ وانتهت في عام (١٩١٤) فقد اتسمت بالجمود التام، إذ شغل حلفاء هرتسل أنفسهم بالتنظيم الداخلي.

والمرحلة الثالثة ١٩١٤ -١٩١٨ فترة الحرب العالمية الأولى:

واتصفت بسعي قيادة الحركة الصهيونية إلى أقناع الحكومة الألمانية بحماية الأقلية اليهودية في فلسطين، وقد تدخلت ألمانيا لإلغاء التدابير التي فرضها جمال باشا على يهود فلسطين، وذلك لكسب ود اليهود وخاصة في الولايات المتحدة الأميركية لإقناع أميركا بالتزام جانب الحياد في الحرب، كما وضعت السفارة الألمانية حقيبتها الدبلوماسية تحت تصرف الصهاينة لتأمين سرية الاتصال مع فلسطين.

وقد حاول الصهاينة بعد صدور تصريح بلفور عام ١٩١٧ استصدار تصريح ألماني بهذا الخصوص، وفعلا صدر تصريح من وكيل وزارة الخارجية في ٣/ ١/ ١٩١٨ يؤيد ما وعد به طلعت باشا من تغيير سياسة الدولة العثمانية تجاه الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكلف الصدر الأعظم بعد مغادرته برلين النائب اليهودي قره صو. بتأليف لجنة يهودية عثمانية لدراسة إمكانية إقامة حكم ذاتي في المناطق المأهولة باليهود في فلسطين وقد ضغط اليهود على الباب العالي لإصدار تصريح مماثل لوعد بلفور، وتمكنوا من الحصول على هذا التصريح في ١٤ تموز ١٩١٨.

وشكلت لجنة عثمانية لوضع ما جاء فيه موضع التنفيذ.

لقد كان لتدهور الوضع العسكري التركي على كافة الجبهات، وضياع معظم فلسطين من الأتراك، واعتقاد السلطات العثمانية أن تحقيق بعض المطالب الصهيونية قد يحسن من وضعها في مؤتمر الصلح كل هذه العوامل ساعدت على إصدار الوعد التركي.

وباعتقادي أنه لو انتصر المحور (ألمانيا وتركيا) في الحرب العالمية الأولى لحقق الألمان فكرة إنشاء الوطن القومي لليهود بدلاً من انجلترا.

☆ أطماع انجلترا في فلسطين:

لقد اشتركت انجلترا في الحروب الصليبية ممثلة بريكاردوس قلب الاسد. وقد كانت سياسة بريطانيا الإستراتيجية تبني عدم جواز قيام وحدة عربية إسلامية في المنطقة، لذا سارعت انجلترا إلى مهاجمة محمد علي الكبير حين حاول توحيد مصر وفلسطين، وقد تدخل الأسطول البريطاني لضرب الساحل الفلسطيني، ولم يهدأ بال انجلترا إلا بعد أن حصرت محمد علي الكبير في نطاق مصر. وكذلك عملت انجلترا على ضرب الوحدة السورية - المصرية عام ١٩٥٨.

بدأ نفوذ انجلترا العملي في فلسطين بتعيين أول سفير لها في القدس عام (١٨٣٠) ومن ثم بدأ دخول المزيد من القناصل الأوروبيين وكباررجال الدين[١].

☆ تأسيس الوجود الإنجليزي:

كانت انجلترا تحمي البروتستانت واليهود كأقليات في فلسطين، وقد أنشأت أول أسقفية انجليزية بروتستانتية في القدس عام (١٨٤١) وقد تم الاعتراف بالبروتستانت عام (١٨٥٠) كطائفة دينية رسمية في الدولة العثمانية.

وقد تمثل الوجود البريطاني بالإضافة إلى الإرساليات التبشيرية بوجود المدارس ssint George والمستشفيات والعيادات.

وحين نشأ اقتراح بإقامة دولة القدس المسيحية المستقلة تحت حماية الدول الكبرى عام ١٨٣٩ كانت بريطانيا من مؤيدي هذا المشروع.

وقد كان في فلسطين عام ١٨٥٦ (٩٩٧) شخصاً تحت الحماية البريطانية، وكان من هؤلاء من حملة الجنسية البريطانية و(٤٤٨) من اليهود (٥٦) بروتستانت[٢].

---

(١) الكزاندر شولش - تحولات جذرية في فلسطين - نقلة عن الألمانية الدكتور كامل العسلي - منشورات الجامعة الأردنية عام ١٩٨٨ ص٦٣.

(٢) الكزاندر شولش - تحولات جذرية في فلسطين (مرجع سابق) ص: ٦٥.

وقد كان النفوذ الصهيوني يواكب النفوذ البريطاني.

☆ أطماع روسيا في فلسطين:

بينما كان دور الحماية بالنسبة للدول الغربية مفتاحاً واحداً من عدة مفاتيح لبسط السيطرة على الدولة العثمانية، وهو دور أنيط بالتأكيد بفعالية خاصة في فلسطين، فإن حماية المسيحيين الأرثوذكس كان الأداة الأساسية في يد الروس. وقد جعل الساسة الروس الدين خادماً مسخراً للسياسة.

ولم تؤسس روسيا لنفسها نشاطاً سياسياً في فلسطين إلا بعد أن قامت الدول الأوروبية بذلك، وكانت روسيا حريصة دوماً ألا يؤدي هذا التسابق الديني إلى أي تصادم مع الدول الغربية الأخرى، ولكن عندما جاء القناصل الأوربيون والأسقف البروتستانتي والبطريرك اللاتيني وبدأت نشاطات الإرساليات البروتستانتية والكاثوليكية تضيق الخناق على المسيحيين الارثوذكس العرب، عندئذ لم تسطع روسيا أن تقف مكتوفة الأيدي، لذا أرسلت روسيا إلى فلسطين إرسالية عام (١٨٤٣)، وكان مهمة هذه الإرسالية تفحص الوضع وأن تشد أزر الأرثوذكس العرب، وقد أسست عام (١٨٥٦) شركة الملاحة التجارية الروسية، وقد زاحمت هذه الشركة خطوط البحر المتوسطة النمساوية والفرنسية. وكان يبلغ عدد الحجاج الروس القادمين إلى فلسطين (١١٫٠٠٠) حاجاً، وهكذا وصل إلى القدس عام ١٨٥٨ في وقت واحد: أسقف روسي وقنصل روسي، وكيل شركة ملاحة ونقل، ونقل بطريرك القدس الأرثوذكسي كرسيه من القسطنطينية إلى القدس. هذا ولم يتعاون الممثلون الروس مع الإكليروس اليوناني.

وقد قام الروس بشراء الأراضي والأبنية وأقاموا أضخم بناء في القدس.

وقد تركز النشاط الروسي بمساعدة الحجاج، وتشجيع النشاطات العلمية ابتداء بـ صندوق استكشاف فلسطين P.E.F البريطاني أو جمعية فلسطين الألمانية DPV ورفع شأن الأرثذوكسية[١].

وبعد سنة (١٩٠٥) أخذ النفوذ الروسي في فلسطين بالتضاؤل بسبب ضعف روسيا الداخلي والخارجي، ومع مجيء ثورة شباط / فبراير تم التخلي عن جميع المطالب والأعارات.

---

(١) الكسندر شولش - تحولات جذرية في فلسطين، نقله عن الألمانية الدكتور كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية عام ١٩٨٨، ص: ٦٧.

☆ أطماع فرنسا في فلسطين:

افتتحت انجلترا وبروسيا حلبة المنافسات الدينية السياسية بين الدول الأوروبية، في فلسطين، لأن هذه الإجراءات تحدت الفرنسيين والروس لإنشاء مؤسسات جديدة، تدعم الوجود الكاثوليكي الفرنسي والأرثوذكسي الروسي(١)، وقد بدأ بصورة شديدة بعد حرب القرم (١٨٥٣-١٨٦٥) سباقاً من أجل إدعاءات إيطاليا وإسبانيا والنمسا.

وقد نشطت التجارة بين ميناء يافا وباريس، وكذلك نشط رأس المال الفرنسي في فلسطين، حيث بنت الرساميل الفرنسية ميناء يافا.

وكانت فرنسا تحاول أن يركز الفاتيكان عليها، لأنها تعد نفسها حامية الكاثوليك وهي الأكثر كاثوليكية بين الأمم.

وقد أنشأت فرنسا كثيراً من العيادات والمستشفيات في فلسطين، ومن أهمها المستشفى الفرنسي القريب من مبنى النوتردام الضخم في طلعة المنزل في القدس، وقد أنشأت كذلك مدارس الفرير للبنين والبنات.

هذا ولم تضع فرنسا سياسة محددة خاصة لفلسطين، إذ أن هذه سياستها نشأت بالأحرى وبصورة تامة في إطار سياستها نحو سوريا، وجماعات الكاثوليك، وإلى المدى الذي طوّرت فيه فرنسا تطلعات لإنشاء رأس جسر اقليمي في الشرق يكون مقصوراً عليها، فقد استهدفت من قبل لبنان الماروني، واستهدفت عقد حلف بين الأرز والزنبق(٢).

السياسة الأميركية في الشرق الأوسط:

اهتمام الولايات المتحدة في الشرق الأوسط يختلف تماماً عن الدول الأخرى نظراً لأهمية الشرق الأوسط الإستراتيجية وثروته الاقتصادية وإمتيازاته السياسية. لكن اهتمام الولايات المتحدة في الشرق الأوسط جاء متأخراً جداً، لكن هذه الصورة كانت مضللة إلى حد ما. إذ أن أهمية الشرق الأوسط الإستراتيجية ودوره الثابت في السياسة العالمية وفي ميزان القوى لم يغيبا عن بال الولايات المتحدة كلياً.

---

(١) الكسندر شولش - تحولات جذرية في فلسطين، نقله عن الألمانية الدكتور كامل العسلي - منشورات الجامعة الأردنية عام ١٩٨٨، ص: ٧٣.

(٢) الكسندر شولش - تحولات جذرية في فلسطين (مرجع سابق)، ص: ٧٠.

وهناك عدة طرق في تفسير عملية صياغة القرارات في السياية الخارجية الأميركية وتعميم هذه الطرق:

١- المنظور الإستراتيجي أو منظور المصالح القومية.

٢- منظور السياسات الداخلية.

٣- المنظور البيروقراطي.

٤- المنظور الرئاسي ومنظور الزعامة.

وكانت الولايات المتحدة تنظر لأهميته الشرق الأوسط بأنه أكثر مناطق العالم خطراً. وفي دراسة صدرت مؤخراً بعنوان «أميركا في الشرق الأوسط: انهيار في السياسة الخارجية: عاد جورج بول فبحث مجدداً في ذلك النمط الثابت عن نية السياسة الأميركية لإسرائيل كما تمثل في معالجة الرئيس ريغان للاجتياح الإسرائيلي للبنان وكتب يقول: يبرهن التاريخ أن إسرائيل تخرج منتصرة على الدوام تقريباً في أي اختبار للإرادة مع الولايات المتحدة، فالحرب في لبنان قد أثبتت وللمرة المائة أنه عندما تقف الولايات المتحدة وإسرائيل وجهاً لوجه وتتقابل العيون فإن عيوننا (عيون صانعي القرار الأميركي) هي دوماً التي تهرف؟

وكان بعض الموظفين الرسميين في الولايات المتحدة يرون أن الشرق الأوسط قد أصبح منطقة ذات أهمية بالغة. كحلبة للتنافس الأميركي - السوفياتي، مما يحتم على الولايات المتحدة أن تقاوم نفوذ موسكو.

السياسة الأميركية على المحك:

من الواضح أن الولايات المتحدة قد اتخذت موقفاً واضحاً ومؤيداً لإسرائيل في حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣، وهذه حقيقة عادية، لكن هذا كان على أساس الإلتزام الأميركي تجاه إسرائيل وهو إلتزام قديم غير مكتوب، وكان هذا الإلتزام أن هناك نوبة من الخوف أو على الأقل القلق فيما يتعلق بالإدارة أو بمسؤولي الولايات المتحدة بأنهم قد يتعرضون لإنتقادات حادة من القوى الداخلية المؤيدة لإسرائيل.

ما هي مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وما هي المصالح الإسرائيلية. أن أحدى مصالحنا في الشرق الأوسط هي العمل على القيام بالتزام عاطفي عميق نحو الشعب الإسرائيلي كي يتمكن من تحقيق هدفه في وطن له.

القضية الفلسطينية في السياسة الأميركية:

في عام ١٩٧٥ سمحت الخارجية الأميركية بنشر وثيقة سوندرز وهي أحدى أوسع وأشمل التصريحات التي أعدت عن القضية الفلسطينية من قبل الإدارات الأميركية، وأن أطار مبادرة سوندرز وتوقيتها هما في غاية الأهمية، فقد جاءت في أعقاب اتفاقية سيناء الثانية، وكان ثمة أبعاد مهمة كما احتوته الوثيقة يدخل في عداده. الحرب الأهلية في لبنان التي كانت في حالة كر وفر، والغارات الجورية الإسرائيلية المستمرة على الجنوب اللبناني، ودخول الجنود الإسرائيليين إلى المنطقة تكراراً.

قوة إسرائيل في مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة:

في عام ١٩٨٠ مثل وزير الخارجية الأميركية (سايروس فانس) أمام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ ليوضح لأعضائها كيف أن خطأ في نقل الاتصالات (المعلومات) أدى إلى أن تصوت الولايات المتحدة إيجابياً على قرار مجلس الأمن الذي يشجب سياسة إسرائيل الإستيطانية، ويدعو إلى تفكيك المستعمرات القائمة بما فيها تلك القائمة في القدس، ولكن فيما بعد طلب الرئيس حذف الفقرة السابقة من القرار لأنها غير منصفة لإسرائيل. وسمحوا لجميع العقائد أن يزوروا أماكنهم المقدسة في القدس.

الإلتزامات الأميركية اتجاه إسرائيل:

بلغ اهتمام الولايات المتحدة باتفاقية مصرية - إسرائيلية، حدا على الضغط على إسرائيل لقبول تسليم الممرين وحقول النفط قبل التوصل إلى ضمان من مصر بأن تنهي حالة العداء وقد أدى هذا الموقف الأميركي والتجاوب الإسرائيلي السلبي إلى فشل المفاوضات في آذار / مارس ١٩٧٥.

وكان لإجتماع الرئيس فورد إلى السادات في سالزبورغ خلال حزيران / يونيو ١٩٧٥ أثر كبير على فورد من حيث تفهمه للموقف المصري وقد اقتنع بأن السادات كان حريصاً على الإبقاء على العلاقات الأميركية وتطويرها من أجل خط السلام وللوصول إلى تسوية.

(ظل فوق الرمال) الإستراتيجية والخداع في السياسة لريغان تجاه العرب

درج مراقبو صنع السياسة الأميركية الأذكياء في الشرق الأوسط على القول أن العام الأول للإدارة الجديدة هو وقت مبكر جداً للحكم على الرئيس. لأنه لا يتخذ قراره فيما يختص بسياسته الشرق أوسطية ويتضمن العام الثاني بأنه عام انتخابات للكونغرس. وكان من المهم هو تأكيد عدم الأستعداد في منصب الرئاسة الأميركية، التي تدخل في تقدير أية مبادرة تتعلق بالشرق الأوسط، ومن المعروف أن الرئاسة الأميركية مؤسسة قوية ومستقلة. ومن ناحية أخرى يعيّن الدبلوماسيون العرب في واشنطن لمدة قصيرة نسبياً ومثلهم مثل ممثلي الصحافة الأميركية.

وهذا نتيجة طبيعة لتصور وزارات الخارجية العربية كغيرها بأن تعييناً دبلوماسياً في واشنطن هو مكافأة يجب أن توزع توزيعاً عادلاً، لكن النتيجة المؤسفة لذلك أنه لا تفوز الحكومات العربية ووسائل الأعلام العربية. كما أن الصحافة الأميركية التي معرفتها وخبرتها بشؤون الشرق الأوسط سطحية مثل معرفة موظفي الكونغرس. وأقل قليلاً من رجال السلك الخارجي.

مستقبل العلاقات الإسرائيلية - الأميركية بعد حرب لبنان

في تاريخ الشرق الأدنى توقع كثير من المراقبين تدهوراً وشيكاً في العلاقات الإسرائيلية - الأميركية، وخسارة إسرائيل لموقعها الممتاز لدى الولايات المتحدة. ولكن بعد حرب لبنان المخيفة والتي غضب خلالها ريغان كما يقال من بيغن عدة مرات، فإن تدهور العلاقات بين إسرائيل والولايات المتحدة أمراً لا مفر منه في المدى المتوسط.

طبيعة العلاقات وآليتها:

تربط الولايات المتحدة وإسرائيل بشبكة من العلاقات ذات طابع استراتيجي وسياسي وعسكري واقتصادي وتاريخي وثقافي ويرتبط البلدان على الصعيد الإستراتيجي بالتقاء كل المصالح المشتركة ويفوز هذا الالتقاء بمسؤولية آليات تسمح بحل التعارضات والتوترات وتكييفها لمصلحة الطرفين.

ولنأخذ جانب الإلتقاء والمصالح المشتركة.

- تفوق عسكري إسرائيلي بالنسبة إلى أي عربي معادي.
- الغاء الخيار العسكري - العربي.
- حالة الأنقسام في العالم العربي وتحييد سلاح (النفط).
- تقوية النفوذ الغربي وخصوصاً الأميركي في المنطقة.
- أضعاف النفوذ السوفياتي.

وأما مجموعة المصالح الأسرائيلية - الأميركية هذه تقود بانتمائها إلى نظام من القيم المشتركة وبنسبة إسرائيلية نحو الولايات المتحدة في المجالين الحيويين - مساعدات عسكرية ودعم اقتصادي ومالي، وضمان المصالح المشتركة ولا تخفي إسرائيل على كل حال مع أنها وتردد دائماً أنها تشكل ورقة استراتيجية في يد الولايات المتحدة في الشرق الأوسط.

وبعد كل هذه الأزمات التي يمر بها الشرق الأوسط ورغم المصالح المشتركة بين إسرائيل والولايات المتحدة، إلا أنها بدأت تتدهور، ونأمل نتيجة هذا التدهور أن يؤدي هذا إلى قدرة العالم العربي على الخروج من حالة الخمول هذه في مواجهة إسرائيل والولايات المتحدة[1].

---

(١) هذه الخلاصة من كتاب أشرف على إعداده: ليلى بارودي ومروان بحري «السياسة الأميركية في الشرق الأوسط - نيكسون، فورد، كارتر، ريغان -مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٨٤. (تلخيص فاروق الزعبي).

هذا وتبين لنا ولو أن أميركا دخلت الساحة على يد القاضي ديزني متأخرة عام ١٩١٧، إلا أنها أصبحت الآن الحاضن الأول والمستفيد من الحلبة.

☆ الولايات المتحدة الأميركية:

كانت أميركا خلال القرن الثامن عشر، منصرفة في هذه الفترة من التاريخ إلى تنظيم شؤونها الداخلية، غير أنه كان لها تطلعات توسعية، فقد قام الأسطول الأميركي عام (١٨٠١) بالتواجد في البحر الأبيض المتوسط[١].

وحاولت منافسة التجارة البريطانية منافسة شديدة في تجارة الأفيون كما حاولت نسف قواعد تلك التجارة المتواجدة في شمال إفريقيا وفي سنة ١٨٠١ -١٨٠٥ استخدم الأميركان اسطول البحر المتوسط وشنوا حرباً فعلية ضد طرابلس الغرب وغزت القوات الأميركية على مدينة دونة ورفع العلم الأميركي فوق قلعتها فاستسلم حاكم طرابلس خوفاً ووقع معاهدة مع الجانب الأميركي[٢].

كما كان للولايات المتحدة الأميركية بعض التطلعات الخاصة: الفكرية والثقافية في الوطن العربي حيث أقامت المدرسة السورية في بيروت عام ١٨٦٦ والتي أصبحت فيما بعد نواة الجامعة الأميركية في بيروت[٣]. وقد كان للصهيونية نفوذ سياسي واقتصادي كبيران داخل الولايات المتحدة الأميركية.

---

(١) يعقوب كامل الدجاني - الثورة العربية الكبرى - دار القدس للنشر والتوزيع - ١٩٩١، ص:١٣.

(٢) سياستان إزء العالم العربي تأليف بونداريفسكي إصدار دار التقدم موسكو ١٩٧٥ وترجمة خيري الضامن.

(٣) لقد تخرج العديد من المثقفين العرب والمختصين الكثيرين من الجامعة الأميركية في بيروت.

الفصل الثامن

حياة اليهود

في المجتمعات الأوروبية

١- اليهود في أوروبا الغربية والشرقية.

ما بين عامي (٧٥٠-١٨٥٠م).

٢- اليهود في إنجلترا.

٣- اليهود في فرنسا.

٤- يهود بولونيا وروسيا.

٥- اليهود في ألمانيا.

٦- اليهود في أوروبا بشكل عام.

٧- اليهود ليسوا ديناً ولا قومية بل نمط سلوك شاذ.

اليهود في أوروبا الغربية والشرقية ما بين (٧٥٠م-١٨٥٠م)

كان اليهودي في المجتمع الأوروبي في هذه الفترة يعتبر شاذاً في ثلاثة أمور على الأقل:

- كان حضرياً بصورة أساسية في مجتمع معظمه زراعي.

- تاجر ومسلف مال.

- غير مسيحي ينظر إليه كناشر للتعاليم الهرتقية.

وكان في كلامه ولباسه وعاداته مناقضاً للمقاييس السائدة، كان بكلمة مختصرة مختلفاً جداً عن مجتمعه.

أما في العصر الكاردليني أو في عهد إمبراطورية شارلمان فقد تغيّر وضع اليهود، وتحسّن، حيث أن شارلمان كان يعطف على اليهود، ويؤيدهم إلى حد بعيد، ومنحهم إمتيازات حيث سُمح لهم بتشغيل المسيحيين وشراء العبيد من الخارج، وضمن لهم التحرر من العنف، وكان هذا إمتيازا نادراً في ذلك الوقت، وبقي اليهود في حماية التاج (الكاردليني) أكثر من نصف قرن (٧٣٠-٨٩٠م)، وقد كان أحد القراء الثلاثة الذين أوفدهم شارلمان إلى هارون الرشيد يهودياً[١]، وفي عام (١٠٩٦م) قامت أول حملة صليبية ضد المسلمين، كما وأنها كانت بداية رد فعل عام ضد اليهود، وقد كان رد الفعل هذا مزيجاً من التظلم الإقتصادي والبحث عن كبش فداء.

وحين أحتل الصليبيون القدس سنة (١٠٩٩م) حاصروا اليهود في الكنيس الكبير، وأشعلوا فيه النار، وكان من أغرب التهم التي وجهت إلى اليهود هو تآمرهم مع المسلمين ضد العالم المسيحي. وحين تعرض الصليبيون لرد هجوم معاكس من قبل المسلمين، وأصبح الوضع خطيراً جداً عليهم لجأ الصليبيون إلى تشجيع الفرسان والنبلاء المسيحيين إلى التطوع في الحملة الصليبية الثانية لقاء تحرير المتطوعين من ديونهم للصيارفة اليهود، كما أنهم فرضوا على اليهود تمويل تلك الحملة.

---

(١) وليد الخالدي، ورفاقه - القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني - الجزء الأول الأمانة العامة لإتحاد الجامعات العربية - الرياض - ١٩٨٣م، ص: ١٣٢.

وقد رافقت الحروب الصليبية ظاهرة إستبعاد اليهود، وأصبح اليهودي وما يملك من ممتلكات شخصية ملكاً للملك، وبالتالي فهو عرضة للحكم القسري دون حماية قانونية.

وحين أصبح دور اليهودي الإقتصادي غير ضروري تعرض للطرد في كل من إنجلترا وفرنسا وإسبانيا.

اليهود في إنجلترا:

أمر الملك كاينوت بطرد اليهود عام (١٠٢٠) وكان عددهم حوالي سبعة آلاف ثم عادوا إليها بعد الفتح (النورماني) عام (١٠٦٦) حيث عبر اليهود من فرنسا إلى إنجلترا بأعداد كبيرة لأن النظام النورماني وفر لهم فرص العمل، وكانت هناك حاجة إلى خدماتهم التخصصية كمحصلين للرسوم الأقطاعية، ولذلك منحوا إمتيازات واسعة.

إلا أن هذه الأحوال لم تدم، وما لبث أن تغيرت حسب التهم الموجهة لليهود على الصعيد الشعبي بقتل أطفال المسيحيين في الأعياد الدينية، وقد لاقى هذا الأتهام صدى عند الشعب البريطاني، وفي الأدب الإنجليزي مثل حكايات كنتربري لشوسر. هذا، وقد مُنع اليهود الذين يحملون هدايا ثمينة في حفلة تتويج الملك ريتشارد عام ١١٨٩ من الإشتراك في الحفلة، وأنتشرت شائعات تقول: أن الملك أمر بالهجوم على السكان اليهود، وبدأت المشاغبات في لندن، وبلغت ذروتها في يورك حيث هجم الفرسان الصليبيون على اليهود الذين أحتموا في أحد الحصون، وقتلوا منهم (٤٧٠٠)[١]، وبعد حمام من الدم أحرق المهاجمون الدفاتر والسجلات فمحوا بذلك آثار الديون اليهودية[٢].

وقد أستمرت حالة اليهود السيئة في إنجلترا قرناً آخراً، وزاد عليها الملك أدوارد الأول سوءاً، فقد أصدر قانون اليهودية الذي منع بموجبه اليهود من تسليف المال وأجبرهم إلى التوجه إلى مهمة أخرى، ثم ما لبث أن أمر بشنق نحو ثلاثمائة من الصيارفة

---

(١) Hollen C. Oavis, England Urder the Ormans and Angcvins London: Mcthuen, 1928, p 294.

(٢) البروفيسور إبراهيم الشريقي - أورشليم وأرض كنعان - لندن باريس ١٩٨٥ ص: ١٩٧.

اليهود، وفي سنة (١٢٩٠م) أمر الملك نفسه بطرد اليهود جميعاً من إنجلترا، فغادر البلاد نحو ستة عشر ألف يهودي إلى فرنسا وهولندا، وعندما وصل كريمويل إلى السلطة عام ١٦٩٤ سمح لليهود بالعودة.

وهكذا، أتخذ اليهودي خلال العصور الوسطى في أذهان المجتمع الأوروبي صورة كبش فداء، خصوصاً بين الفلاحين المستغلين والأميين الذين كانوا يشكلون أكثر من تسعين بالمائة من سكان أوروبا، فإذا ما أنتشر وباء كالطاعون الرهيب (١٣٥٠-١٣٧٤م) أعتبر اليهود مسؤولين عنه، وإذا ما خسرت حرب أتهموا بمساعدة العدو، وإذا ما أختفى شخص خصوصاً إذا كان طفلا أتهم اليهود بقتله بغية أستخدام دمه في الطقوس الدينية.

ألمانيا:

في عام ١٣٤٧ قامت ثورة شعبية ضد اليهود الذين كانوا يعيشون في المدن حيث أبيدت مجموعات كبيرة منهم، وهرب الباقون إلى سويسرا والمجر وبولندا.

وبعد الحرب العالمية الأولى كان يعيش حوالي مليوني يهودي، وعندما تولى الحزب الوطني الإشتراكي (النازي) الحكم بزعامة أدولف هتلر عام ١٩٣٢ أقصي اليهود عن وظائفهم حيث كانوا يسيطرون على الإقتصاد في المدن الكبرى وخاصة فرانكفورت، وأمر هتلر بطردهم، فهاجر بعض الناس إلى فلسطين والأغلبية الساحقة من المهجرين أستقرت في الولايات المتحدة الأميركية وكندا.

وفي إسبانيا كان اليهود يسيطرون على الأسواق التجارية، وقد أصدر الملك فرديناد والملكة إيزابيلا أمراً بطرد جميع اليهود عام (١٤٩٢) وأصدر رئيس الوزراء توركادا أمراً للشرطة بطرد جميع اليهود مع مسلمي الأندلس من البلاد خلال ثلاثة أسابيع وأشتركت جماهير الشعب مع الشرطة بطردهم بالقوة، وقد هاجر معظمهم إلى شمالي إفريقيا تلك البلاد الإسلامية التي أوتهم.

اليهود في فرنسا:

كان عدد اليهود في فرنسا ضئيلاً حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي. وذلك بسبب مرسوم أصدره الملك شارل السادس والذي بموجبه منع اليهود من دخول

الأراضي الفرنسية. وكان معظم اليهود الموجودين في فرنسا من السفارديم الذين فروا من إسبانيا والبرتغال. ولجأوا إلى مقاطعتي بوردو وبرفنس، وقد برز في ميناء بوردو الكبير مجتمع ذو نفوذ من التجار والصيارفة وأصحاب السفن اليهود الذين أشتركوا في تجارة القرنين السابع عشر والثامن عشر المربحة (المثلثة الزوايا) وهي شحن البضائع الأوروبية الرخيصة إلى الساحل الأفريقي، وتحميل هذه السفن بالعبيد الذين كانوا يباعون في المزارع الأميركية والكريبية، ثم عودتها من العالم الجديد إلى أسواق أوروبا محملة بالمنتوجات الأستوائية من السكر والنيلة وسواها.

وقد طرد اليهود من فرنسا بسبب تنظيماتهم السرية، وبلغ عدد المطرودين (١٢٠) ألفاً، كما قامت ثورة دينية كاثوليكية وأبيد عدة آلاف منهم.

وقد أدت ثورة (١٧٨٩) الفرنسية إلى إحداث تغير في الحياة اليهودية إذ منحت الثورة اليهودي الأوروبي التحرر السياسي، وأعتبر مواطناً كاملاً في الدولة التي يعيش فيها، وأعطته الحرية الدينية والأقتصادية.

وعندما جاء نابليون عقب الثورة الفرنسية كان موقفه من اليهود صعباً، حيث أصدر في عام (١٨٠٨) قيوداً صارمة على أعمالهم الإقتصادية، وعلى حرية تنقلهم، وفي الوقت نفسه أجبر الدولة الألمانية التي كانت تحت تصرفه على منح اليهود الحريات المدنية، وقد زاد تحسن أحوال اليهود عقب ثورة (١٨٣٠) التي ألغت من الدستور البند الذي يعترف بالكثلكة الدينية، وهو دين الدولة الرسمي، فأصبحت بذلك المساواة الدينية تامة.

يهود بولونيا وروسيا:

كانت مملكة بولونيا ملجأ لآلاف اليهود الفارين من الغضب الصليبي خلال القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين، ومن عنف الغوغاء حين بلغ الطاعون ذروته.

وقد لاقت طموحات اليهود وحاجاتهم إنسجاماً تاماً مع سياسات الملوك البولونيين ونزعاتهم. وقد كان اليهود بحاجة إلى الحماية والقوانين الملائمة لتنظيم علاقاتهم بالشعوب التي يسكنون أرضها. وكانوا بحاجة للأعتراف بحقهم في تنمية عزلتهم

المتركزة على التوراة والتلمود، وبحاجة للمحافظة على سلامة هويتهم الخاصة، وهذا لم يلقى إعتراضاً من ملوك بولونيا. وقد توافرت فرصة إقتصادية واسعة لليهود، إلا أنهم ظلوا بصورة أساسية أرباب حرف وطبقة وسطى تجارية ومالية مندسة قانونياً في مجتمع زراعي أقطاعي مؤلف من اللوردات والعبيد.

وقد بقي وضعهم هذا في تحسن إلى أن جاءت ثورة الفلاحين بقيادة الفلاح الأوكراني (بوجدات كمبيبيكس) عام ١٦٤٨م. فقد تمكن من دحر القوات البولونية المسلحة، وعرض قسماً كبيراً من بولونيا للدمار والمذابح، وبذلك دفع اليهود ثمناً باهظاً لأنهم كانوا عملاءاً للنظام الأقطاعي البغيض، ويعتقد أن أكثر من مائة ألف يهودي قتل، وأن مجتمعات يهودية بأسرها أبيدت بأيدي الفلاحين. ثم تلا ذلك أنحطاط واسع في حياة اليهود، وموجة هجرة إلى بلاد أخرى، مثل إيطاليا، والإمبراطورية العثمانية.

اليهود في روسيا:

يقع تاريخ اليهود في روسيا في عهدين مختلفين يفصل بينهما نحو سبعة قرون:

- مملكة الخزر (من القرن الثامن ميلادي إلى نهاية القرن العاشر الميلادي).
- العهد الحديث الذي يبدأ سنة ١٧٧٢ .

وهذان العهدان غير مترابطين.

ففي العهد الأول كانت المملكة اليهودية سلسلة سياسية على جنوبي روسيا، وفي الثاني كان اليهود طائفة مجردة من السلطة السياسية مضطرة إلى التكيف مع المجتمع المحيط بها.

لقد نجح اليهود والتبشير اليهودي في تهويد منطقة الخزر وفي إقناع الطبقة الحاكمة بالتهود، وبذلك أصبحت المملكة يهودية، وتمتعت مملكة الخزر اليهودية بقوة كبيرة من القرن الثامن إلى نحو منتصف القرن التاسع[1] الميلاد. إلى أن أكتسحتها غارات مشتركة من القوات الروسية والبيزنطية.

(١) للأطلاع على أمور إمبراطورية الخزر - أرجع إلى الفصل الحادي عشر من هذا الكتاب ص: ٢٠٩.

أما في العهد الثاني فقد أصبح اليهود الذين وقعوا تحت السيطرة الروسية بعد عام ١٧٧٢م طبقة أرباب حرف معدومة، ولكنهم كانوا ضمن الأحوال الإجتماعية الأقتصادية السائدة في الأمبراطورية حيث كان ٩٠٪ من سكانها غارقين في الجهل وعبودية الأقطاع، وقد عملت الإمبراطورية على حصر هؤلاء الناس الجدد بمكان سمي (حظيرة الإستيطان) أي في المنطقة التي كانوا يسكنونها قبل تقسيم بولونيا وكانت عبارة عن حزام من الأرض معدل عرضه (٥٠٠) ميل يمتد على طول الطريق من بحر البلطيق إلى البحر الأسود، وقد أشتمل في بعض الأوقات على مقاطعات من القفقاس ومن أستراخان.

ولكن ما ألم باليهود أكثر من غيرهم، هي تلك القيود التي فرضت على حركتهم في داخل هذه المنطقة وخارجها، ثم كانت هناك دوماً النظرة الأرستقراطية الرسمية إلى اليهود (وهي أن اليهودي ضرره أكثر من نفعه).

وفي عهد (كاترينا الثانية) جردت مؤسة الكاحال من سلطاتها القضائية وأرتفعت الضرائب الأمر الذي خفض من مستوى دخل اليهود. وقد مارس اليهود في المناطق الرتيبة من الحظيرة «حقوقهم الأقتصادية في تقطير الخمرة وبيعها في الحانات، وأعطاء القروض للزراعيين، ولكنهم عانوا من القيود الصارمة على نشاطهم الأقتصادي وتحركاتهم».

وفي عهد الأسكندر حققت البلاد شيئاً من التحرر إستفاد منه اليهود حيث صدر في سنة ١٨٠٤ مرسوم بفتح المدارس والجامعات لليهود، وأستعاد الكاحال بعض صلاحياته القديمة، كما تشجع اليهود على بدء حياة جديدة في الزراعة، وفتحت بعض المقاطعات خارج الحظيرة لأستيعاب اليهود، إلا أن اليهود كانوا يفضلون الألتحاق بمدارسهم الخاصة وعدم الأختلاط بالآخرين، وهكذا بقيت الحظيرة نوعاً ما دون تغيير فيما عدا أن الأسكندر رأى منع اليهود من الشغل في الحانات.

وفي عصر القيصر نقولا الأول، أختلف النظرة لليهود، فكان إسكندر ينظر إليهم بأنهم عامل خطر على الدولة، وقد كان متحمساً لتحطيم التماسك اليهودي.

وفي سنة (١١٨٧) أدخل نظام التجنيد الأجباري، وفرض على المجتمعات اليهودية، أن تقدم مجندين للخدمة، وقد أراد نقولا أضعاف الوحدة الروحية في الطائفة اليهودية،

وحاول أقناع اليهود بالتحول إلى المسيحية، وبدأت حملة لوقف أنتشار الكتب اليهودية، وأخيراً في عام ١٨٤٤، ألغي الحكم الذاتي لليهود وذلك بالغاء مجالس (الكاحال).

اليهود في ألمانيا:

في عام (١٢٧٤) قامت ثورة شعبية ضد اليهود الذين كانوا يعيشون في المدن حيث أبيدت مجموعات كبيرة منهم والباقي هرب، إلى سويسرا والمجر وبولندا.

ثم تحسنت الأحوال غير، أنها عادت وأنحطت وتغيرت أثناء الحروب الصليبية وأستمر أنحطاط أحوالهم حتى عام (١٥٥٠) ثم تمتع اليهود خلال قرن من الزمن بإستقرار نسبي، وإبتداء من منتصف القرن السابع عشر الميلادي وما بعد، ظهر نفوذ اليهود في البلاط في عدد من ولايات ألمانيا حيث عملوا أداريين ووكلاء ماليين ومبعوثين، وعملوا كذلك في تسليف المال. وكانت العلاقة بين الأمير وبين يهود البلاط ذات نفع متبادل، وقد وفرت حرب الثلاثين سنة (١٦١٨-١٦٤٨) ليهود البلاط فرصاً للتقدم لا سابقة لها، حيث أنهم كمقاولين ومتعهدي مؤن كانوا يزودون الجيوش بالطعام والعلف، ويشترون غنائم الجنود بأسعار مربحة. كما كانوا كصيارفة قادرين على تقديم المبالغ الكبيرة من المال لتمويل تلك الحروب الطويلة.

اليهود في أوروبا بشكل عام.

وتعود جذور اللاسامية (كراهية اليهود) في الغرب إلى «غربة» اليهود، وتميزهم عن الشعوب الأوروبية من النواحي الأقتصادية والأجتماعية والثقافية.

ويقول الكاتب الصهيوني الشهير للأستعمار الزراعي في فلسطين آرثر روبين «إن تعاطي اليهود للتجارة والربا، وتجمعهم في المدن، حملهم على تكوين مجموعات متميزة والحياة حياة إجتماعية منفصلة، لا يتزاوجون إلا فيما بينهم»[١].

كما يقول أبراهام ليون في كتابه المسألة اليهودية:

---

(١) أرثر روبين The Jewish Fated Future لندن - ١٩٤٠، ص: ٧٧.

«فيما يتوقف اليهود عن تشكيل طبقة خاصة، وتختفي بشكل أو بآخر حقائقهم العرقية والدينية واللغوية، ويندمجون»[١].

وقد كان اليهود يعملون بالصرافة والربا والخمر والبغاء، وكان المجتمع الأوروبي آنذاك يحتقر هذه المهن لأنها تستنزف قوت الشعب، وكان اليهود يسكنون في أحياء خاصة بهم مغلقة تُسمى غيتو (Ghetto).

وأتخذت مناطق الأنعزال اليهودي في شرقي أوروبا أسماء عديدة مثل: الشتتل وهي كلمة يديشية تعني (المدينة الصغيرة).

الفاهال كلمة عبرية تعني جمهوراً أو جماعة كبيرة من الناس في مكان واحد[٢].

الجيتو: وهو أشهر الأشكال للتجمعات اليهودية الأنعزالية عن العالم.

يشمل التلمود تأكيد لمبدأ الأستعلاء والتفوق العرقي اليهودي على بقية شعوب الأرض، ويعتبر التلمود الناس عبيداً لليهود، بصفة اليهود شعب الله المختار، كما تشتمل في التلمود إنعزالية الشعب اليهودي، لذا نلاحظ أن اليهود في كافة أنحاء العالم يسكنون أحياء مغلقة خاصة بهم منذ أقدم العصور في كافة بلدان العالم.

وقد أمتهن اليهود مهنة الصرافة والربا والبغاء والإتجار بالمذهب، وهذه المهن كما هو معلوم تدر ربحاً وفيراً.

ويسبب هذا السلوك كان اليهود معتبرين في أوروبا خارج دائرة الحقوق العامة[٣].

وكانوا لأقل هفوة يحكم عليهم بالطرد والغرامات الباهظة.

وقد تسبب اليهود في خلق مشاكل للدول التي يعيشون فيها:

١- ففي سنة ١٨٢٠ حكم عليهم الملك (أدوارد الأول) بالطرد من إنجلترا.

---

(١) إبراهام ليون - المسألة اليهودية - ص: ٣٢.
(٢) أنيس شوشان: أفراهام: القاموس المركز، ص: ٦١٨.
(٣) عبد الرزاق الأسود - الموسوعة الفلسطينية - الجزء الأول (مرجع سابق) ص: ٣١.

٢- وفي ألمانيا طردهم الملك (ماتياس كوزمان) من فيينا.

٣- وفي إسبانيا عندما أمتلكها (فرناند) طارد اليهود، وجاءت محاكم التفتيش فأمرت بطردهم، فذهب بعضهم إلى هولندا، وذهب البعض الآخر إلى إيطاليا.

٤- أما في فرنسا فقد طردوا من باريس عام (١٢٢٥)، وسُمح لهم بالإقامة فقط في بوردو.

٥- أما في روسيا حيث كان يقيم الأريون الذين تهودوا من بقايا إمبراطورية الخزر، والذين طردوا عدة مرات ثم أعيدوا للبلاد[١].

أما في المانيا فقد أضطهد اليهود طيلة القرون الوسطى، وكانت بعض الصنائع ممنوعة عليهم، إلا أنهم حاليا يسيطرون في ألمانيا على قطاع كبير من الأقتصاد.

وعندما عمت موجات الطرد اليهود في أوروبا هاجر عدد كبير منهم إلى أنحاء العالم، وعندما سمح لهم كرمويل بدخول بريطانيا عام ١٦٥٥ تطورت حالهم وتحسنت، إن هذا الأمر أغرى اليهود بالقدوم إلى بريطانيا، إلا أن لجنة ملكية شكلت للنظر في مسألة هجرتهم إلى بريطانيا.

إن طرد اليهود من ممالك عديدة في أوروبا خلال الفترة ما بين (١٢٩٠-١٩١٩) يدل على عدم مقدرتهم وقبولهم الأمتزاج مع الشعوب التي عاشوا فيما بينها، وكانوا يعملون بالواقع على تحطيم المجتمع وإفساده بما يسلكون من حيل وخداع وغش تنفيذاً لما جاء بالتلمود.

اليهود ليسوا دينا، ولا قومية، بل هم نمط سلوك شاذ.

الباحثون الممعنون في التاريخ، تبين لهم أن اليهود ليسوا قومية واحدة، ولا شعباً واحداً، ولا جنسية واحدة.

فقد وجد اليهود في شتى بقاع العالم، وفي مختلف العصور:

وجد اليهود قبل الإسلام في اليمن والجزيرة العربية، وبعد قيام الدعوة الإسلامية طلب عمر بن الخطاب من غير المسلمين أن يغادروا الجزيرة العربية. وجد اليهود في مصر، كما وجدوا في بلاد الفرس، ووجدوا أيضاً في إمبراطورية الخزر حول بحر قزوين.

---

(١) عبد الرزاق الأسود - الموسوعة الفلسطينية - الجزء الأول (مرجع سابق) ص:٣١.

وجود اليهود في أوروبا وأميركا.

والمتتبع للتاريخ يبدو له جلياً، أن اليهود لا يشكلون قومية، أو عرقاً، أو جنساً واحداً.

الدين اليهودي من خلال قراءة التوراة المحرفة المزيفة يبدو شاذاً متناقضاً مع نفسه، فنصوصه وجمله المختلفة يتناقض بعضها مع بعضها الآخر.

سعى أحبار اليهود أن يظهروا اليهود من خلال نصوص التوراة شعباً مختاراً، متميزاً، عرقاً، ودماً، ومكانة تاريخية، ولهذا الشعب المزعوم الحق في أن يمتص دماء كل الشعوب من أجل طمعه وثروته وبقائه.

إن اليهودية، ليست عرقاً، ولا قومية، ولا ديناً، بل هي بإعتقادي نمط سلوك شاذ. هذا السلوك نجم عن حقد دفين موروث في أذهان اليهود، صنع هذا السلوك المتمثل: بالحقد والتعالي وإمتصاص دماء وجهود الآخرين. أحبار اليهود هم الذين زيفوا وحوروا التوراة.

ويقوم المربون والآباء في إسرائيل بتلقين هذا السلوك للإسرائيلي الرضيع، ليثبت وينمو ضمن هذا النمط من السلوك.

فاليهودية كانت عبر التاريخ، وعبر العصور نمط سلوك متميز خاص شاذ: سلوك يتصف بالعزلة والحقد والتعالي والأحتكار.

لقد ظهرت صورة اليهودي، واضحة جلية، وظهر نمط سلوك اليهودي في أوروبا من خلال مسرحية شكسبير الخالدة:

«تاجر البندقية».

هذا ما حدا بجون برايت أن يعتبر اليهود طبقة من العبيرو.

الفصل التاسع

مقترحات
لتوطين اليهود

١- في غير فلسطين.

٢- في فلسطين.

لقد عاش العرب واليهود في فلسطين أجيالاً طويلة في وئام وسلام، وما النزاعات التي كانت تنشأ بينهم إلا صورة عن النزاعات التي تقوم في أي مجتمع متعدد الطوائف. وكان العرب ينظرون إلى المهاجرين اليهود كحجاج جاؤوا بدوافع دينية أو لاجئين جاءوا للأحتماء هرباً من الإضطهاد والتنكيل، وأستمرت العلاقات الودية قائمة. ولكن عندما بدأت الهجرات تأخذ طابعاً مكثفاً أنقلب شعور العرب إلى شعور بالشك والإستنكار، ويدأ العرب يتنبهون إلى الخطر المحدق.

وكان أول رد فعل لهذه الهجرات هي برقية الزعماء المسلمين في القدس إلى الصدر الأعظم بتاريخ ٢٤/ ١/ ١٨٩١، وطلب الزعماء من الباب العالي منع دخول اليهود إلى فلسطين.

وفي عام ١٨٩٢ أصدر الباب العالي قراراً يمنع اليهود من تملك الأراضي الفلسطينية. ولما أنعقد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ بدأ العرب يحسون بالخطر الصهيوني المتواجد على أرض فلسطين وتغذية اليهودية العالمية له.

وكانت مجلة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا[١]. وصحيفة القبلة التي يصدرها الشريف حسين تنشر مقالات تفضح الحركة الصهيونية ومخططاتها[٢]. وكذلك جريدة الكرمل التي كانت تصدر في حيفا.

ولما أستولى الأتحاديون على السلطة، بعد عزل السلطان عبد الحميد الثاني في نيسان عام ١٩٠٩ أتهمت الصحف تحالف اليهود مع الماسونية من أجل تهديم الأمبراطورية العثمانية وإقامة الدولة اليهودية.

وفي عام ١٩١٣ تم الإعلان عن تشكيل جمعيات فلسطينية في أنحاء متفرقة من الدولة العثمانية من أجل مقاومة الغزو اليهودي.

ولما أحجم المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس في حزيران من عام ١٩١٣ عن بحث موضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، عقد مؤتمر في نابلس/ فلسطين حضره مندوبون عن جميع الفلسطينيين للتصدي للمؤتمر الصهيوني الثالث عشر المنوي عقده في أيلول ١٩١٣.

---

(١) عبد الرزاق الأسود - الموسوعة الفلسطينية - الجزء الأول (مرجع سابق) ص: ٣٧.
(٢) يعقوب كامل الدجاني - الدور الذي لعبه أبناء شرقي الأردن في مؤازرة عرب فلسطين في نضالهم ١٩٠٨-١٩٤٩ - عمان ١٩٩٢، ص: ٢٠.

بداية فكرة توطين اليهود.

لقد مرت فكرة توطين اليهود في دولة مستقلة لهم بعدة مراحل، وعلى مدى سنين طويلة، وذلك لأضطهادهم من قبل الحكام والشعوب التي يعيشون فيها، ويعود سبب إضطهادهم إلى سلوكهم، وإلى تميزهم عن الشعوب الأوروبية، ولجوئهم إلى الأعمال المريحة كالصرافة والبغاء والربا، وإلى عدم إندماجهم بالشعوب التي يعيشون فيها.

ففي عام (١٦٥٤) كان في نية بريطانيا توطينهم في مستعمرة (سورينام)، بينما كانت ترغب فرنسا بجمعهم في (كينيا).

لقد كانت المحاولة الجديّة - الأولى لإستيطان اليهود في فلسطين على يد نابليون بونابارت عندما طلب من اليهود مساعدته عام ١٨٩٧ وهو قرب أسوار عكا. وفي ١٨٤٠/٨/١٧ نشرت صحيفة التايمز اللندنية مقالاً بعنوان (سوريا، إنبعاث إسرائيل) جاء فيه (إن الإقتراح القائل بتهجير اليهود إلى بلاد آبائهم ليسكنوها تحت حماية من دول لم يعد يشكل مسألة جديرة بالبحث وحسب، بل هو موضوع قائم فعلا، ويتطلب دراسة جدية)[١].

وفي العقد السابع من القرن التاسع عشر أُنشئت في إنجلترا (الشركة الإستعمارية السورية الفلسطينية) بقصد ضمان إستيطان سوريا وفلسطين والبلدان الأخرى.

وفي عام (١٨٨٢) عندما أشتدت مذابح اليهود في روسيا، رغب المتمولون الغربيون من اليهود تهجير يهود أوروبا الشرقية إلى خارج أوروبا (الغربية) وبذلك نشأت الحركة الصهيونية التي حددت من أهدافها خلق دولة يهودية خارج أوروبا.

وفي عام (١٨٨٥) صرح المندوبون إلى المؤتمر القومي العام لممثلي الكنيست اليهودية في بتسبيرغ قائلين:

(نحن لا ننتظر العودة إلى فلسطين.. إن أميركا هي أرض صهيون)[٢].

كانت فلسطين كما سبق ذكره الهدف الأساسي في مشروعات هرتسل لإستيطان اليهود وتأسيس دولة يهودية فيها، إلا أن محاولة هرتزل في إقناع السلطان عبد الحميد بالموافقة

---

(١) عبد الرزاق الأسود - الموسوعة الفلسطينية - الجزء الأول (مرجع سابق) ص: ٣٣.
(٢) عبد الرزاق الأسود - الموسوعة الفلسطينية - الجزء الأول (مرجع سابق) ص: ٣٣٠.

على هجرة اليهود إلى فلسطين باءت بالفشل، فاتجه هرتزل إلى بريطانيا بغية مساعدته والسماح لليهود بإستعمار العريش، وشبه جزيرة سيناء كبداية إلى إستعمال فلسطين، وقد قابل هرتزل وزير المستعمرات البريطاني تشمبرلن وعرض عليه المشروع، فوافق تشمربلن شريطة موافقة كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر، وأرسل هرتسل مندوباً إلى كرومر في مصر ودرسوا إمكانية ريّ سيناء، فوجدا أن الأمر مستحيلاً فغضّا النظر عن المشروع.

وبعد فشل مشروع سيناء وقبرص عرض تشمبرلن على هرتزل فكرة إستعمار أوغندة، ووجد الإقتراح عند هرتزل صدى بالغاً، إذ كان على هرتزل أن يواجه المؤتمر الصهيوني بمكاسب مادية تقرب يوم إستعمار فلسطين[١]. والواقع أن عرض المشروع على المؤتمر الصهيوني السادس (١٩٠٣) قوبل بأعنف الأنتقادات إلى درجة أن إحدى عضوات المؤتمر إتهمت هرتزل بالخيانة لتخليه عن فلسطين. وفي عام (١٩٠٢) ظهرت الجمعية الصهيونية الدولية المشتركة التي تمثل الأداة المالية للحركة الصهيونية.

وفي هذا يقول (ساكولوف):

«إن الصهيونية لم تنشأ كحركة سياسية، بل كمؤسسة رأسمالية صرفة، وإن المساهمين فيها هم المحتكرون الكبار الذين يتقاسمون فيما بينهم الكثير من البلدان، وكان الزعماء الصهاينة هم التجار الكبار فيها».

وفي عام ١٩٠٣ عرضت الحكومة البريطانية على المنظمة الصهيونية قيام مستعمرة يهودية ذات حكم ذاتي لليهود في أفريقيا الشرقية، وذلك بعد أن أصدرت الحكومة البريطانية لائحة تمنع دخول اليهود إلى بريطانيا، وكان هرتسل قد أشار بشهادته أن دخول اليهود إلى بريطانيا سيؤدي إلى تدهور أحوالهم وتفاقم مشكلتهم، وأن الحل الصحيح هو إرسال المهاجرين اليهود إلى مكان آخر.

لقد كانت فكرة تشمبرلن وزير المستعمرات البريطاني أن يعطي اليهود رقعة من الأرض في الأمبراطورية البريطانية الواسعة، وأتجه التفكير إلى قبرص.

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) - ص: ٣٩.

ولكن الحكومة البريطانية لم توافق لعدم رغبتها في أغضاب تركيا واليونان.

وبعد فشل مشروع الأستيطان في سيناء، أقترح تشمبرلين على هرتسل أستيطان اليهود في أوغندا، وطلب من حكومة البرتغال التخلي عن موزمبيق، وأوضح تشمبرلين لهرتسل أمكانية إستعمار أخرى من الكونغو.

وقد تبنى المؤتمر الصهيوني السادس مشروع أوغندا، وكانت نتيجة التصويت (٢٩٥) صوتا مع القرار و(١٧٧) صوتاً ضد القرار، وكان معظم المصوتين ضد القرار هم يهود فلسطين واليهود الذين جاءوا من روسيا.

ولما مات هرتسل في ١٩٠٤/٧/٣ أنعقد المؤتمر الصهيوني السابع عام (١٩٠٥) وفي ١٩٠٥/٧/٣٠ تقرر قصر الجهد على إستيطان فلسطين فقط.

منذ بداية الحرب العالمية الأولى عرض اليهود على بريطانيا تقديم معونة للحلفاء.

وبتاريخ ١٩١٤/٩/٢ تقدم طبيب يهودي روسي (روبنشتين) بإقتراح إلى وزارة الخارجية البريطانية بأن يقوم الحلفاء بتجهيز قوات يهودية قوامها ١٢٠ ألف مقاتل في البحرين وذلك من أجل غزو منطقة الأحساء لتصبح دولة يهودية تعلن الحرب على تركيا.

غير أن بريطانيا وجدت أن مكان الدولة غير ملائم، وأن المنطقة تقع تحت نفوذ ابن سعود وهو حليفها، بالإضافة إلى أن جميع شيوخ الخليج يرتبطون مع بريطانيا بمعاهدات، وقد أعتذرت بريطانيا عن تنفيذ هذا المشروع.

محاولات لتوطين اليهود في العراق.

وقد كتب الدكتور غروبا وزير ألمانيا المفوض في العراق في مذكراته يقول: «وقد حاولت بعض المنظمات اليهودية الإنجليزية والفرنسية مرات عديدة أن توطن في العراق مجموعات من الفلاحين اليهود من أوربا الشرقية، لإتساع الأرض ووفرة الماء في العراق مع قلة السكان الذين يقومون بزراعتها، وفي سنة ١٩٠٧ أوفدت «جمعية التوطين اليهودية» التي مقرها لندن، والتي كانت تتعاون تعاوناً وثيقاً مع «جمعية الإتحاد الإسرائيلي» في باريس، اليهودي الفرنسي «نييغو» (Neigo) إلى بغداد لدراسة موضوع

التوطين، وقد بقي «نيبغو» هذا أربعة أشهر أو خمسة في بغداد.. وإقترح توطين خمسين ألف يهودي، روسي وبولوني، فأيد المشروع وزير مالية تركيا جاويد بك ولكن عبد الحميد رفضه.. وكذلك تسلّم الملك فيصل الأول خلال زيارة له إلى لندن في أيلول سنة ١٩٣٣ أقتراحاً بتوطين مئة ألف يهودي في دجلة السفلى، في المنطقة بين العزيزية وكوت العمارة، وعرضت على الحكومة العراقية في حالة قبولها بعض الفوائد المالية، وخاصة تسهيلات في الحصول على قرض كبير. فلم يوافق عليه[١].

وبهذا نجد أن الصهيونية كانت تبحث عن وطن لها، وقد أقترحت البلدان التالية:

سورينام، كينيا، أميركا، سيناء، قبرص، أفريقيا الشرقية، أوغندا، موزمبيق، الكونغو، الأحساء (الجزيرة العربية)، العراق.

☆ اليهود والأستيطان في فلسطين:

إن دعاوى اليهود بحقهم في إقامة دولة يهودية في فلسطين والسكن فيها باطلة من الناحيتين التاريخية[٢] والدينية[٣].

فقد حضر ٣٠٠ حبراً من أحبار اليهود من إنجلترا وفرنسا إلى الظافر صلاح الدين لأستقصاء الأمكانيات لهجرة اليهود إلى فلسطين، ويقول جيفرز «لما أستعاد صلاح الدين مملكة الإسلام، وجد اليهود كأصحاب دين عطفا من صلاح الدين الأيوبي بعد أضطهادهم من قبل الصليبيين، وكان اليهود عندئذ قلة في فلسطين، وقد جاء هؤلاء الأحبار سعياً وراء الأستقصاء عن إمكانية هجرة اليهود إلى فلسطين، غير أن مهمة هؤلاء الأحبار لم تسفر عن أية نتيجة[٤].

وكانت بريطانيا ترغب في السيطرة على المنطقة في وجه أطماع الدول الأوروبية الأخرى، فقد كان اللورد شافتسبوري Lord Shaftesbrd متحمساً لإنشاء دولة يهودية في

---

(١) خيري حماد - الصهيونية، ص: ٢٩-٤٣.

(٢) أرجع إلى صفحة ٢١ من هذا الكتاب.

(٣) أرجع إلى صفحة ١١٢ من هذا الكتاب.

(٤) عبد الرزاق الأسود - الموسوعة الفلسطينية - الجزء الأول (مرجع سابق)، ص: ٣٧.

فلسطين، وذلك ضماناً لحماية الخطوط التجارية البريطانية في الهند، والوقوف أمام التوسع المصري الذي بدأ يمتد على يد محمد علي الكبير إلى الشام وشبه الجزيرة العربية في تلك الفترة.

لذا قاومت بريطانيا وعارضت بشدة قيام أية قوة حقيقية في المنطقة، وعملت على التدخل بالمنطقة تحت شعار «حماية الأقليات الدينية» وذلك عن طريق الحيلولة دون قيام دولة موحدة في مصر وسوريا تهدد نفوذ ومصالح الدول الأجنبية.

وقد أعلنت فرنسا حمايتها للكاثوليك في فلسطين والبلاد العربية المجاورة، كما أعلنت روسيا حمايتها للأرثوذكس، وأعلنت بريطانيا حمايتها للدروز والبروتستانت واليهود.

وقد تبنى أفكار بالمرستون هذه شافتسبوري، ودزرائيلي وتشمبرلين وتشرتشل وبلفور، وعدد كبير من العسكريين والأدباء والشعراء، ومن أشهرهم بايرون.

وكان لشق قناة السويس وأحتلال بريطانيا لمصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أعمق الأثر في تفكير الساسة الإنجليز للوضع الإستراتيجي لفلسطين، ولضرورة السيطرة على فلسطين، وزيادة الحماس لفكرة إقامة مستعمرة يهودية تحت الحماية البريطانية في فلسطين[1].

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص:٢٨.

جدول زمني يبين الأماكن والتواريخ التي جرى التفكير بها

لاستيطان اليهود فيها

١٧٩٠م	أوكرانيا
١٨٢٢م	سهوب روسيا.
١٨٢٥م	أعالي المسيسبي وتينسي.
١٨٢٥م	اسيا الصغرى.
١٨٤٥	القوقاز.
١٨٨١	نيو جيرزي.
١٨٩٠	مدين.
١٨٩١	الأرجنتين.
١٨٩٦	شبه جزيرة العرب.
١٨٩٧-١٩٠٠	قبرص.
١٩٠٠-١٩٠٧	السودان.
١٩٠٣	أوغندة.
١٩٠٣	صحراء سيناء.
١٩٠٧	براجوي.
١٩٠٧-١٩١٠	كندا.
-	صحراء نيفادا.
-	البرازيل.

-	ليبيا.
-	غربي أفريقيا.
-	روديسيا.
-	العراق.
١٩٠٧-١٩٣٤	استراليا.
١٩٣١	كولومبيا (أميركا الجنوبية).
١٩٣١	أنغولا.
١٩٣٥	الأكوادور.
١٩٣٨	الصومال الإيطالي.
١٩٣٨	غيانا البريطانية.
١٩٣٨	تنجانيقا.
١٩٣٨	كينيا.
١٩٣٩	جمهورية الدومينيك.

الفصل العاشر

الهجرة
اليهودية إلى فلسطين

الهجرة اليهودية إلى فلسطين:

الهجرة والغزو اليهودي لفلسطين قديمان، وتعود بدايتهما إلى هجرة قوم موسى من مصر مع بعض الهكسوس ومهاجمة أرض كنعان.

ويبدو أن اليهود كانوا منتشرين في كافة بقاع المعمورة، إذ كان يسكن دولة داود ربع يهود العالم فقط.

وبعد زوال الهجمة الإسرائيلية، وتدمير دولتي اليهود تشتت بعض اليهود مرة أخرى في مختلف البلدان.

ثم بدأ إضطهاد اليهود في أوروبا مما اضطر بعضهم للهجرة إلى الشام وفلسطين في العصر الإسلامي. ولم يكن لها أية صلة بفلسطين قط.

أن الأغلبية الساحقة من اليهود الذين دخلوا سوريا وفلسطين في العصر الإسلامي كانوا من يهود الأشكناز - السلالة الخزرية القوقازية التي لا تمت بصلة إلى اليهود الشرقيين[١].

وللإيضاح، نورد في الجدول الأول والجدول الثاني والجدول الثالث عدد اليهود الذين دخلوا خلال تسعة قرون من القرن الرابع الهجري حتى القرن الثالث عشر (القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر ميلادي)، إستناداً إلى مختلف المصادر والمخطوطات القديمة، ومصنفات بعض المؤرخين العرب والمسلمين واليهود والأوروبيين، وتقارير قناصل فرنسا وبريطانيا والنمسا وإيطاليا في العصر العثماني، وإحصاءات الجمعيات اليهودية في أوروبا الغربية، وسجلات الإرساليات الكاثوليكية والبروتستانتية في بيروت ودمشق والقدس - القرن التاسع عشر.

(١) البروفيسور الدكتور إبراهيم الشريقي - أورشليم وأرض كنعان (مرجع سابق)، ص: ٢٠٤-٢٠٦.

الجدول رقم (١)

العهد	القرن	العدد		ملاحظة
		سوريا	فلسطين	
الدولة الفاطمية	العاشر الميلادي	١٢٠٠	استوطنوا	قدموا من الشمال الأفريقي في عهد الخليفة العزيز بالله وكان وزيره يعقوب بن كلس من أصل يهودي.
الدولة الفاطمية	الحادي عشر الميلادي	٤٠٠	استوطنوا	قدموا من جزيرة صقلية في عهد الخليفة أبو العلي المنصور (الحاكم بأمر الله).
الدولة الفاطمية	الحادي عشر	١٠٠٠	استوطنوا	في عهد الخليفة المستنصر بالله انتقلت مجموعات من الأسر اليهودية من الإسكندرية ودمشق واستقرت في فلسطين.
الدولة السلجوقية	الحادي عشر	٥٠٠٠٠	٢٠٠٠	قدموا من قزوين وطبرستان وأذربيجان واستقروا في حلب ودمشق وفلسطين في عهد السلطان ارسلان وولده ملكشاه.
الدولة الأيوبية	الثاني عشر	٩٠٠٠	٦٠٠٠	١٥ ألف يهودي من القوقاز وبلاد الروم استوطنوا سوريا وفلسطين. وسمح لليهود السكن في القدس. كما انتقلت أسر يهودية من حلب إلى فلسطين واستقرت فيها.
دولة المماليك	الثالث عشر والخامس عشر	١٢٠٠٠	٨٠٠٠	في عهد المماليك تدفقت أعداد كبيرة من يهود أوروبا الوسطى والقوقاز على سوريا وفلسطين ومصر. كما هاجرت أسر عديدة من يهود العراق إلى فلسطين عندما غزا التتار المشرق وقضي على الخلافة العباسية.

الجدول رقم (٢)

العهد العثماني وعدد اليهود الذين دخلوا فلسطين

القرن	قدموا من الخارج	العدد	ملاحظة
السادس عشر	إسبانيا والبلقان	٦٥٠٠	اليهود الذين طردوا من إسبانيا في القرن الخامس عشر هاجرت مجموعات كبيرة منهم إلى الشمال الأفريقي والولايات العثمانية ومنها دخل إلى فلسطين ٤٠٠٠ و٢٠٠٠ من بلاد البلقان.
السابع عشر	دول أوروبا الوسطى	٣٠٠٠	ومن مجموعة الثلاثة آلاف يهودي دخل فلسطين نصفهم من الولايات العثمانية في البلقان.
الثامن عشر	روسيا وبولندا والمجر	٥٠٠٠	قسم كبير منهم استقر في المدن الساحلية الفلسطينية.
التاسع عشر	روسيا وأوروبا الشرقية	٥٤٠٠٠	القسم الأكبر من روسيا بعد اغتيال القيصر الكسندر الثاني عام ١٨٨١ وتفجرت ثورة ضد اليهود فقتل منهم مجموعات كبيرة وهرب إلى البلاد المجاورة وأمريكا مئات الآلاف.

جدول رقم (٣)

عدد سكان فلسطين في القرن التاسع عشر				
	عام ١٨٦٠	النسبة	عام١٨٩٥	النسبة
عرب	٤٦٢ألفاً	٩٢,٥%	٦٢٠ ألفاً	٨٨,٥%
يهود	٣٨ ألفاً	٧,٥%	٨٢ ألفاً	١١,٧%
عدد سكان القدس				
	عام١٨٦٠	عام ١٨٩٥	ملاحظة	
عرب	١٥ألفاً	٢١ألفاً	إن أسباب ارتفاع عدد اليهود في القدس هو الهجرة اليهودية من روسيا بعد أن اغتيل الكسندر وثار الشعب على اليهود.	

ملاحظة هامة تاريخية:

كان عدد سكان فلسطين في القرن الرابع عشر مرتفعاً وخاصة في المدن حيث كان عدد سكانها أكثر مما هو في القرن التاسع عشر. وإن أسباب تدني عدد السكان والهبوط في نسبة النمو يعود إلى داء الطاعون (الكوليرا) الذي أصاب بلاد المشرق في أواسط القرن الرابع عشر وأباد ثلث السكان. وفي فلسطين قضى الطاعون على معظم سكان غزة والرملة وجنين واللد وصفد، وعلى نصف سكان القدس. وبعد ذلك بسبعين سنة أصاب القحط الشديد الجزء الجنوبي من سوريا وشرقي الأردن وفلسطين وأدى إلى هجرة مجموعات كبيرة من السكان. ويعد مصيبة القحط تفشى وباء الكوليرا عام ١٤٢٨-١٤٣٠م. وأفنى ربع سكان المدن في فلسطين.

الهجرة الصهيونية الحديثة.

في دراستنا لقضية الهجرة اليهودية إلى فلسطين، يجب التركيز والتشديد على واقعة أساسية ذات أهمية بالغة، وهي أن هذه الهجرة، بخلاف الهجرات السكانية الأخرى، لم تكن حركة سكانية عفوية: مستندة إلى دوافع إقتصادية، أو إجتماعية، أو سياسية موضوعية، بل كانت عملا منظماً، مخططا له في إستراتيجية الصهيونية العالمية[١].

وهذه الإستراتيجية وضعها هرتسل عام (١٨٩٦) وبموجبها سيتم لم شمل يهود العالم، ونقلهم إلى فلسطين، وإقتلاع الشعب العربي من جذوره وقذفه خارج أرض فلسطين، ثم فرض الهيمنة العسكرية على الشعب العربي في الدول المجاورة لفلسطين.

وقد أعتمد المخطط الصهيوني على:

أ- الهجرة.

ب- الأرض.

جـ- المياه.

---

(١) ناصر موسى زيد الكيلاني - إسرائيل دولة المهجرين - ١٩٨٥، عمان، ص:٥.

وقد تم شراء الأراضي العربية عن طريق (الكيرين كايمت) و(الكيرين هايسود) ومنظمة (بيكا) التي أسسها ومولها البارون المليونير الصهيوني (روتشلد)(١).

وقد أمن الصهاينة المياه فيما بعد بواسطة عدة مشاريع منها مشروعاً طبرية، ومشروع تجفيف الحولة، ومنها مشروع (اليركون) المصمم لضخ أمطار الشتاء إلى الآبار الأرتوازية وإستخدامها خلال الصيف، وتشمل هذه الشبكات كامل إسرائيل، ومشروع صحراء النقب ومشروع تحلية المياه، بالإضافة إلى المشاريع الحديثة لسرقة مياه الليطاني.

لقد تزامنت الحركة الصهيونية (١٨٩٧) مع مشروع (كامبل نبرمن) (١٩٠٥) القاضي بإنشاء حاجز بشري معاد يفصل الجزء الآسيوي من الوطن العربي عن الجزء الإفريقي، ثم صدر وعد بلفور عام ١٩١٧ وأيدته حكومات الولايات المتحدة الأميركية، وفرنسا، وإيطاليا وجنوبي إفريقيا. وبهذا فإن الحركة الصهيونية ولدت في أحضان الأمبريالية الغربية وترعرعت في أحضان وأشنطن.

وفي خلال القرن التاسع عشر ظهرت القومية في أوروبا بعد الثورة الفرنسية، وقد أعلن اليهود ولاءهم القومي للدول التي يعيشون فيها، وأعتبروا اليهودية دينا فقط، كما كان ثلاثة أرباع يهود العالم يعيشون في أوروبا الشرقية، وظهرت بينهم دعوات إصلاحية وقومية منها حركة (الصهيونيون العموميون) حركة (الهسكلاة)، وكانت هذه الحركة تثير الحس القومي اليهودي للمضطهد، ولا تعتبره ينتمي إلى البلد التي يعيش اليهود فيها.

وقد تبنى هرتسل آراء حركة هسكلاه، وجسّد مشاعر المضطهدين في كتابه «الأرض القديمة الجديدة» وتخيل أن في فلسطين يسكنها الشعب اليهودي، ويعيش فيها حياة عصرية علمانية.

وقد وجدت آراء هرتسل صدى لدى يهود روسيا المضطهدين.

الهجرة اليهودية الأولى:

لقد تبين أن بعض الشباب اليهود أشتركوا في عملية أغتيال القيصر الروسي عام (١٨٨١)، ونظراً لشعبية القيصر المقتول قام الشعب الروسي بإستباحة الممتلكات

(١) قام ببيع آلاف الدونمات الملاكين الغائبون والذين كانوا يقيمون في لبنان وسوريا مثل عائلات: سرسق وسلام والقباني والتويني والجزائري والطيان.

الخاصة باليهود والتنكيل بهم، فهاجر عدد كبير منهم إلى فلسطين وأوروبا الغربية وأميركا، وقد تمكنت جمعيات أحباء صهيون من تهجير (٣٠) ألف مهاجر إلى فلسطين عام (١٨٨٢) وقد أصدر الباب العالي قراراً بحظر دخول اليهود إلى أرض فلسطين، إلا أن الجمعيات الصهيونية قدمت رشوات مغرية لممثلي السلطنة العثمانية، وأشترت الكثير من الأراضي، وتمت إقامة ثلاث مستعمرات.

الهجرة اليهودية الثانية ١٩٠٤-١٩٢٣.

وقد نما الشعور القومي اليهودي بعد المؤتمر الصهيوني الأول، وبعد نشر كتاب هرتسل «الدولة اليهودية».

وقد رصدت الأموال اللازمة لتهجير عشرة آلاف يهودي إلى فلسطين بواسطة الشركة البريطانية الفلسطينية، كما أسست شركة عقارية لشراء الأراضي عرفت بإسم الشركة اليهودية للإستعمار، وقد إستمالت المنظمة اليهودية الوالي التركي في متصرفية القدس أحمد رشيد بك، ورشته بالأموال الطائلة، فساعد على شراء الأراضي لليهود، وفي عهده أرتفع عدد اليهود:

ففي عام ١٨٨٠ كان عدد اليهود (٢٣) ألفاً.

وفي عام ١٨٨٢-١٩٠٣ أصبحوا (٥٣) ألفاً.

وفي عام ١٩٠٤-١٩١٣ كان عددهم (٨٥) ألفاً[1].

وخلال الحرب العالمية الأولى هاجر إلى خارج فلسطين إلى الولايات المتحدة الأميركية وأوروبا (٣٠) ألف يهودي.

الهجرة الثالثة ١٩١٩-١٩٢٣.

نتيجة وجود الجيش البريطاني في فلسطين والعلاقة الخاصة بين بريطانيا والمنظمة الصهيونية، ووعد بريطانيا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فقد سمحت السلطات البريطانية بهجرة (١٦٥٠٠) يهودي سنوياً، ولكن الصهيونية لم تتمكن من إستقطاب العدد الكافي من المهاجرين.

---

(١) بن غوريون - سنوات من التحدي، ص:٩٧.

الفصل الحادي عشر

يهود

العالم وصلتهم بفلسطين

يهود العالم وصلتهم بفلسطين.

الديانة اليهودية لم تكن مقتصرة على قوم موسى، فقد أعتنق الديانة اليهودية عن طريق التبشير كثير من الناس، مثلما أعتنقوا الديانتين الإسلامية والمسيحية.

وهناك أمم أعتنقت الدين اليهودي، وبقيت تعيش في ديارها وأوطانها، وتتكلم لغتها، لقد بدأ التبشير بالدين اليهودي منذ نزول التوراة، وأستمر حتى العصور الوسطى عندما أغلق باب التبشير في أو اسط القرن الثالث عشر الميلادي.

فقد قضى اليهود أكثر من عشرين قرناً يعملون بجد ونشاط لنشر ديانتهم بين شعوب وأمم لا تمت إلى قوم موسى بأي صلة، وليس لهم علاقة بفلسطين أو سكان فلسطين لا من بعيد ولا قريب، وهؤلاء الدعاة إلى الدين اليهودي لم يكونوا دائماً من داخل فلسطين، بل ممن أعتنق الديانة اليهودية وتحمس لها، وكما أن المسيحية لم تنتشر بواسطة سكان فلسطين وحدهم، بل بواسطة من أعتنقها من مختلف الأجناس والشعوب(١).

وهكذا ظلت اليهودية زمناً طويلاً فاتحة ذراعيها مرحبة بمقدم كل من ينضوي مخلصاً تحت لوائها من أبناء الشعوب الأخرى(٢).

وقد أعتنقت اليهودية شعوب عديدة وهي في ديارها، ولم تكن في وقت من الأوقات من سكان فلسطين، فأنتشر الدين اليهودي في مختلف القارات: في اليمن والحبشة، والجزيرة العربية وبلاد القفقاس (الخزر) وأواسط أوروبا وبلاد المغرب.

اليهودية في اليمن:

أنتشرت اليهودية في اليمن حتى أصبحت بلاد اليمن مركزاً من مراكز إنتشارها. وفي القرآن الكريم إشارة واضحة صريحة إلى هذا في سورة النمل، وفي الآيات الكريمة التي تروي قصة سبأ، وقد جاء في ختامها على لسان ملكتهم: ﴿قالت ربي إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان إلى الله رب العالمين﴾. وقد أنتشرت اليهودية في اليمن على يد

---

(١) الدكتور محمد عوض محمد - مجلة الهلال (يوليو ١٩٧٤) مصر، ص:٢٣-٢٩.

(٢) ويلز - معالم تاريخ الإنسانية - الترجمة العربية - الكتاب الرابع ص:١٩٢-١٩٣.

ملك حمير المدعو تبان أسعد أبو كرب (القرن الخامس ميلادي)، وفي عهد الملك الحميري ذي نواس في أوائل القرن السادس الميلادي وقد أجبر هذا الملك المسيحيين على إعتناق اليهودية[١].

الجزيرة العربية:

أما في الجزيرة العربية، فقد تهودت بعض القبائل، ولكنها بقيت تعيش مع العرب وتمارس العادات والتقاليد العربية، وتصاهرت مع العرب، فتزوج العرب يهوديات، وتزوج اليهود عربيات فلو أن العرب اليهود لم يكونوا أصلاً عرباً لما حدث مثل هذا التزاوج[٢]، وهذا ما يؤكد كون اليهود في الجزيرة عرب متهودون لا يهود مهاجرون، أعتنقوا اليهودية عن طريق التبشير، لأن العصبية العربية تقيم حاجزاً يحول بين زواج اليهود أو أي عنصر غير عربي بالعربيات كما هو معروف، يؤيد ذلك الدكتور جواد علي بقوله «ولعل كون اليهود في الجزيرة من أصل عربي هو الذي ساعد على تحطيم القيود التي تحول بين زواج اليهود بالعربيات وبالعكس).

فالمؤرخ اليعقوبي ينكر وجود طوائف أصلها (من فلسطين) في الجزيرة العربية قبل عصر الإسلام، ويؤكد أن القبائل اليهودية فيها كانت من العرق العربي الأصيل ويقول في وصفه بني النضير، أن نضير فخذ من جذام إلا أنهم تهودوا، ويقول أن بني قريظة (من يهود بني يثرب) وغيرهم من اليهود العرب تهودوا[٣].

وهناك شهادات من يهود مدينة دمشق، وحلب في القرن الثالث بعد الميلاد، أنهم كانوا ينكرون وجود يهود في الجزيرة العربية (المقصود بذلك يهود فلسطين الأصليين) ويقولون أن الذين يعتبرون أنفسهم من اليهود في جهات خيبر ليسوا يهوداً حقاً، إذ لم يحافظوا على الديانة الإلهية التوحيدية ولم يخضعوا لقوانين التلمود خضوعاً تاماً[٤]،

---

(١) الدكتور محمد عزت دروزة – تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص:٣٢٦.
(٢) الدكتور أحمد سوسة – العرب واليهود في التاريخ (مرجع سابق) ص:٥٩٨.
(٣) تاريخ اليعقوبي – طبعة النجف ١٩٦٤، ص:٤٠-٤٢.
(٤) ولنغنون – تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص:١٣.

ويؤيد ياقوت الحموي ذلك في معجمه، فيقول: إن يهود يثرب (بني قريظة والنضير) هم من القبائل العربية في الجزيرة وقد أعتنقوا اليهودية، وكان لهم ملوك حتى أخرجهم الأوس والخزرج من المدينة[١].

ومن المهم ذكره أن عرب الجزيرة المتهودة لم تلتزم بالتلمود لأن معظم هذه القبائل، قد أخذت باليهودية قبل إنجاز التلمود، كما أن إنعزالهم في الجزيرة العربية قد جعل الأتصال بينهم وبين المدارس التلمودية التي أسسها الأحبار اليهود في فلسطين وبابل متعذراً[٢].

الوافدون من أوروبا الشرقية تحت شعار اليهودية هم بقايا شعوب إمبراطورية الخزر الآرية

على شواطىء قزوين والبحر الأسود، وفي الممرات الحيوية. فيما بينهما قامت إمبراطورية الخزر، خلال الفترة ما بين القرنين: السابع والحادي عشر الميلاديين، والخزر هم من القوقاز الآريين الأوروبيين ولا ينتمون إلى العرق السامي بصلة.

لقد أمتدت خلافة المسلمين العباسيين العرب شرقاً، وعاصمتها بغداد الرشيد، كما قامت في الغرب إمبراطورية البيزنطيين المسيحية، وعاصمتها القسطنطينية.

وبين القوتين الأعظم في تلك الحقبة من التاريخ كانت تقع إمبراطورية الخزر الوثنية.

وحتى لا تنحاز شعوب هذه الإمبراطورية الوثنية إلى العرب المسلمين، أو إلى البيزنطيين النصارى، فقد أعتنق حكام وملوك وشعوب هذه الإمبراطورية الديانة اليهودية عام ٧٤٠ ميلادية[٣].

---

(١) ياقوت الحموي - معجم البلدان، جزء ٤، صفحة ٣٨٥-٤١٠.

(٢) أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ (مرجع سابق) ص: ٦٠١.

(٣) اليهود لا يعترفون بيهودية إنسان ما لم يكن من أم يهودية، وقد أعترض الحاخام الأكبر في حيفا على زواج أحد ضباط المظلات من غاليا بن غوريون (حفيدة بن غوريون) لأنها من أم مسيحية. والحجة التي قدمها الحاخام الأكبر «ليس هنا أي إثبات على أنها يهودية» (جريدة لوموند: ٢٤ شباط =

لقد ذكر مؤرخو العرب عن هذه الإمبراطورية الكثير الكثير، فقد روى لنا المؤرخ المسلم المقدسي في القرن التاسع الميلادي عن هذه الإمبراطورية، فقال: «في خزاريا، توجد الأغنام والعسل، واليهود بكميات كبيرة».

كما أورد المؤرخ العربي فضلان بعض المعلومات عن هذه الإمبراطورية الخزرية اليهودية، حيث قال:

«وللملك مدينة عظيمة على ضفتي نهر أتل (الفولغا)، حيث يعيش المسلمون تحت حكم أحد تابعي الملك الرسميين، وهو بدوره مسلم، وينتظر هذا الحاكم الدعاوى القضائية الخاصة بالمسلمين الذين يقطنون عاصمة الخزر، وبالتجار القادمين من الخارج، ولا يتدخل أي شخص في شؤون هؤلاء المسلمين، أو يتميز عنهم.

ويختتم ابن فضلان حديثه عن بلاد الخزر فيقول:

«كل الخزر، وكذلك ملكهم، يهود، ويخضع له البلغار، وكل جيرانهم في أوروبا الشرقية، وشعب الخزر يعامل الملك بإذن وطاعة شبيهة بالعبادة، ويظن البعض أن يأجوج ومأجوج هم من الخزر».

هذا وقد تغزل يهود آسيا في قرطبة في الأندلس بمملكة الخزر، واعتبروها أرض الميعاد لهم وطالبوا بالتجمع فيها. مثلما هم يطالبون حالياً بالتجمع في فلسطين.

ففي سنة ٩٢٩ ميلادية، عين الخليفة عبد الرحمن الثالث سليل الأمويين في قرطبة من الأندلس طبيباً يهودياً في بلاطة، وقام هذا الطبيب اليهودي (حسداي) بمناشط سياسية كثيرة، بالإضافة إلى إسداء المشورة الطبية للخليفة عبد الرحمن، فقد كان (حسداي) هذا مستشاراً سياسياً للخليفة عبد الرحمن الثالث، وكان يشرف على تنظيم العلاقات بين العرب المسلمين في الأندلس وبين المسيحيين في إسبانيا والإمبراطورية البيزنطية، وقد أصبح (حسداي) هذا رجلاً مرموقاً في الدولة العربية الأندلسية، وصاحب نفوذ.

لقد دفعته يهوديته إلى البحث والتحري عن يهود العالم محاولاً التعرف عليهم ليجمع

= ١٩٦٨.

شتاتهم، ولما ترامى إلى مسامعه خبر إمبراطورية الخزر اليهودية حول بحر قزوين أرسل إلى ملكها يوسف يسأله عن طبيعة هذه الإمبراطورية وعن نسب ملكها يوسف.

لقد رغب (حسداي) أن يزيف التاريخ، وأشاع أن يوسف هذا ملك إمبراطورية الخزر من نسل اليهود في فلسطين، وبدأ يستفسر منه عن طريق الرسل عن السبط الذي ينتسب إليه يوسف من أسباط اليهود الأثنى عشر الذين أنحدروا من فلسطين.

ولما عاد رسل (حسداي) بعد زيارة إمبراطورية الخزر، يحملون ردود ملكها يوسف، تبين (لحسداي) هذا أن يوسف أرسل له نسباً جديداً خاصاً به لا يعود إلى يهود فلسطين، وأن يوسف ليس من نسل اليهود، بل من نسل «بولخان» القائد الوثني الآري، الذي غزا بلاد الخزر.

وقد تغزل (حسداي) اليهودي الأندلسي بمملكة الخزر هذه، حيث قال: «هل يستطيع الإسرائيلي المضطهد أن يحكم نفسه، وإذا تبين لي أن هناك مكاناً لليهود في العالم، وبالرغم مما بلغته من جاه وسلطان في بلاد الأندلس فإنني كيهودي مستعد أن أهاجر إلى بلاد الخزر أو إلى بلد يحكمها ملك يهودي.

وبعد انهيار إمبراطورية الخزر اليهودية هذه، انتشرت شعوبها إلى أوروبا الشرقية.

لقد توزع الخزر اليهود بين سكان: روسيا، وبولونيا، ورومانيا، والصرب والمجر وبلغاريا. أن العناصر اليهودية المهاجرة والوافدة إلى فلسطين العربية منذ عام ١٨٨٦ وبشكل مكثف بعد عام ١٩٤٨ ليست شعباً واحداً، وليست كذلك شعوباً سامية، بل هي حتماً شعوب آرية.

إن اليهود الوافدين إلى فلسطين من أوروبا الشرقية لا تجمعهم ثقافة واحدة، لا بل إن ثقافتهم لا تمت إلى الثقافة اليهودية الدينية بشيء، بل هي مزيج من ثقافة الشعوب المختلفة التي وفدت من بلادها في أوروبا الشرقية.

الفصل الثاني عشر

الصهيونية

١- الصهيونية.

٢- نشوء الحركة الصهيونية.

٣- الصهيونية قبل هرتسل.

٤- الصهيونية في مرحلة التنظيم.

٥- ظهور هرتسل.

٦- المؤتمر الصهيوني.

٧- الصهيونية والسلطان عبد الحميد.

٨- موت هرتسل والحركة الصهيونية بعد هرتزل.

٩- المعارضة اليهودية للصهيونية.

☆ الصهيونية:

جاء في دائرة المعارف البريطانية تحت موضوع الصهيونية Zionism أنها عبارة عن حركة قومية يهودية، هدفها «خلق ودعم دولة يهودية في فلسطين» والذي يُسمى بالعبرية Eretz Israel أي أرض إسرائيل[١].

والصهيونية مشتقة من لفظ صهيون، وصهيون أسم رابية[٢] في القدس، كان قد أقام اليبوسيون - أبناء عمومة الكنعانيين العرب - حصناً عليها قبل ظهور بني إسرائيل (قوم موسى بحوالى ألفي عام).

يشير العهد القديم The Old Testament إلى جبل صهيون Zion وهو إحدى التلال الشرقية لمدينة القدس والتي أحتلها الملك داود وأسس فيها عاصمة ملكه. وقد حكم داود في مدينة القدس لمدة ثلاث وثلاثين سنة. (أنظر الأصحاح الخامس من سفر صموئيل الثاني) ويشير بعض الباحثين إلى أن الإسم صهيون يشير إلى مدينة القدس نفسها. ويقال أن معبد سليمان قد بني على أحدى التلال الشمالية لمدينة القدس. وقد أشار بعض الباحثين أن صهيون هو إحدى التلال الغربية للمدينة. والجدير بالذكر أنه قد أتفق على أن صهيون هو أحد التلال الشرقية للمدينة في أواخر القرن التاسع عشر.

تنبع أهمية جبل صهيون أو مدينة القدس لإرتباطها الديني، وتشير المزامير اليهودية إلى أن جبل صهيون هو موطن الاله يهوه Yahweh فقد جاء في المزمار الرابع والسبعون الفقرة ٢: «إذكر جماعتك التي أقتنيتها منذ القدم وفديتها سبط ميراثك. جبل صهيون هذا الذي سكنت فيه «وهو المكان الذي توج عليه داود ملكاً: «أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي» (مزمار ٢، فقرة ٦) وهو المكان الذي يدير الإله يهوه شؤونه منه، فالأله هو الذي أوجد جبل صهيون وعامله معاملة جيدة «أحسن برضاك إلى صهيون. ابن أسوار أورشليم». (المزمار ٥١ فقرة ١٨) وهو الذي يحميه «لأن الله يخلص صهيون ويبني مدن يهوذا فيسكنون هناك ويرثونها (المزمار ٦٩، فقرة ٣٥) وهو الذي أختاره وباركه وقد مثلت مدينة القدس أبنة صهيون «والتي تقع دائماً بين رحى فكرتين متناقضتين: تحطيم المدينة أو إحيائها.

---

(١) Ency Clobedia Britanica Vol. 24,PP474-977.

(٢) الدكتور أحمد سوسة - العرب واليهود في التاريخ (مرجع سابق) ص:٦٠٩.

فوق جبل صهيون تمم الرب عمله فيما يخص يوم الخلاص ويقيم العظمة والأمان. وسوف يشتت الله شمل مهاجميه وأعدائه. أما أولئك الذين يسكنون جبل صهيون فسوف يكون الأمن والأمان لصالحهم «لأنه من أورشليم تخرج البقية والناجون من جبل صهيون» (الملوك الثاني، الأصحاح ١٩ :٣١) ويبدو أن ذكر جبل صهيون في كتب العهد الجديد قليلة ولكنها أستعملت كثيراً في الأدبيات المسيحية والتي في معظمها أشارت إلى أهمية مدينة القدس الدينية. أما في القرن التاسع عشر فقد أطلق لفظ الصهيونية على الحركة التي أرادت إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، والذي أدى إلى أعلان قيام دولة إسرائيل في ١٤ آيار (مايو) سنة ١٩٤٨.

وجاء ذكر اليهود في الديانة الإسلامية إذ قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠-٢٦].

تقع تلة صهيون المرتفعة خارج أسوار القدس القديمة[١]، وتطل هذه التلة على قرية سلوان وعين سلوان، وتعتبر من الأماكن المقدسة في مدينة القدس، حيث يوجد فيها مقام النبي داود وحبس السيد المسيح، وغرفة العشاء السري للسيد المسيح، وبها كثير من الإرساليات النصرانية، والأماكن الدينية المسيحية، وتسمى المنطقة بإسم «حي النبي داود» وبها قبر الشيخ العلامة محمد المنسي الذي وفد مع الخليفة الفاروق عمر الخطاب لتسلم مدينة القدس سلماً[٢].

(١) هذه المنطقة بأسرها ملك لآل الدجاني (الداوودي) ولم يباع منها ذرة تراب واحدة.

(٢) يعقوب كامل الدجاني - هذا بيتي وأغاني للعراق - دار الفرقان - عمان ١٩٩١، ص: ١١.

وقد أطلقت تسمية الصهيونية على إسم منظمة إرهابية أسسها يهود روسيا بعد منتصف القرن الماضي فسُمي أعضاؤها «عُشاق صهيون» و«أحباء صهيون»، إنتسب إلى هذه المنظمة معظم يهود روسيا البارزين ومنهم وإيزمان وبن غوريون وسكولوف.

ظهرت الصهيونية على مسرح أوروبا السياسي لأول مرة كأيديولوجية سياسية شاملة وحركة سياسية منظمة في أواخر القرن التاسع عشر، ولكنها كفكرة سبقت الصهيونية اليهودية، بما في ذلك إسطورتها الأساسية في هذه الفترة، وهي تعود في تاريخها إلى ثلاثمائة عام قبل المؤتمر الصهيوني الأول، وذلك حين التقت مجموعة من اليهود الأوروبيين حول اللواء الصهيوني[١].

ومن الحقائق المسلم بها أن الصهيونية اليهودية بدأت كحركة أقلية يهودية، وكان الفكر اليهودي في القرن التاسع عشر معادياً للصهيونية بشكل عام، ويركز على الإصلاح الديني، وكانت الصهيونية بعدم ربطها بين الدين والقومية تعارض الرأي التلمودي القائل «إن القوانين التي يجب إطاعتها هي قوانين البلاد التي يعيش فيها اليهود». وكانت اليهودية التقليدية تعارض علمانية اليهودية السياسية[٢].

ولم يكن في الفكر الكاثوليكي التقليدي قبل قيام الإصلاح الديني أدنى مكان لإحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين، أو أية فكرة عن وجود الأمة اليهودية، وكان القساوسة يرفضون التفسير الحرفي للتوراة، وكان يعتقد أن الفقرات الواردة في التوراة وبخاصة في العهد القديم التي تشير إلى عودة اليهود إلى فلسطين لا تنطبق على اليهود، والكنيسة الكاثوليكية تعتقد أن اليهود أقترفوا إثماً فطردهم الله إلى بابل، وبذلك أنتهى وجود ما يُسمى الأمة اليهودية.

وبعد حركة الإصلاح الديني البروتستانية، والسماح بقراءة العهد القديم للمسيحيين، نشأت إسطورة أرض الميعاد، وعودة السيد المسيح، وعلى هذا فإن حركة الإصلاح الديني البروتستانتية أتاحت الفرصة للنهضة اليهودية القومية، ونادت بعودة اليهود الجماعية إلى فلسطين.

---

(١) ريجنيا الشريف - الصهيونية غير اليهودية، ترجمة أحمد عبد الله العزيز - عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ١٩٨٥، الكويت.

(٢) Arther Herzberg, The Zio Nizm Idea A Historyical Analysis and Reader (New york, 1969) .pp .1-29.

ولكن الصهيونية بالرغم من ذلك بقيت فكرة معزولة عن جماهير اليهود حتى عام ١٨٨١. وفي هذا العام وقعت مذابح رهيبة في روسيا أثر إتهام اليهود بإغتيال القيصر الروسي إسكندر الثاني.

ونتيجة المجازر إنهارت الحركة الإندماجية اليهودية HASALAH وكما في روسيا جمعيات «محبي صهيون» (Hibath Zion)، وقد تنادت هذه الجمعيات بالإستيطان في فلسطين، ودرست أحياء اللغة العبرية لتصبح لغة غالبية اليهود.

وقبل عام ١٨٨٢ أقتصر إنشاء المستعمرات اليهودية على المؤسسات ذات الطابع الخيري برعاية الماليين اليهود مثل: «المؤسسة العبرية اللندنية لإستعمار الأراضي المقدسة»[١]. التي تأسست عام ١٨٦١، وقد تأسس التحالف الإسرائيلي العالمي في السنة نفسها في فرنسا بشأن حماية مصالح اليهود، وتحسين أحوالهم في العالم بشكل عام، والأراضي الإسلامية بشكل خاص.

وقد أرسل أعضاء حركة البيلو[٢] مندوبين عنهم إلى إستانبول لشراء الأراضي الفلسطينية من السلطات العثمانية دون جدوى.

وقد تمكنت حركة البيلو عام (١٨٨٢) من إيصال مهاجرين يهود إلى فلسطين، قاموا بتحويل قرية عين قارة وسمّوها Richo Lezion أي الأوائل في صهيون، وملبس وسموها Petah Tikva أي باب الأمل.

وقد واجه روّاد اليهودية مشاكل في الزراعة، ولم يستطيعوا التأقلم مع المناخ وصعوبة المعيشة، وقد لعب لورانس أوليتانت[٣]، دوراً في حمل روتشلد على دعم مستعمرات الصهيونية الأولى، ولولا تدخل روتشلد (١٨٤٥-١٩٣٤) لأنقاذهم، لكان مصير الرواد الأوائل والمستعمرات التي أنشأوها الفشل التام.

---

(١) حقول - الأتراك والعرب والهجرة اليهودية لفلسطين (١٨٨٢-١٩١٤) إطروحة دكتوراه غير منشورة - كلية سانت أنطوني - جامعة إكسفورد ١٩٦٥ ص: ٣٢و٥٥.

(٢) البيلو: حركة يهودية تعمل على تهجير اليهود إلى فلسطين.

(٣) كولين Ashort History of Zionism لندن ص: ١٩٥١.

وقد تمكن اليهود بفضل أموال روتشلد من شراء عاقر Ekran وقطرة Katra. وقد عقدت جمعيات «حب صهيون» مؤتمرات برئاسة بسينكر في عام ١٨٨٤، بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد مونتوفيوري[1]، وقد أسس المؤتمر جمعية مونتوفيوري لنشر الزراعة بين اليهود ودعم المستعمرات اليهودية في فلسطين، وقد عقدت هذه الجمعية عدة إجتماعات دون أن تتمكن من إحراز أي تقدم يذكر.

تسربت أراضي فلسطين لليهود بالشكل التالي:

١- عائلات غير فلسطينية من لبنان باعت أراض خصبة معظمها في مرج ابن عامر، وكانت هذه العائلات قد أشترت هذه الأراضي بأسعار بخسة في المزادات العلنية من أصحابها الفلاحين، مثل عائلات: بسترس، وسرسق، وتويني، ومتى وفرح، وسليم الخوري وغيرهم.

٢- أراضٍ عرضتها الدولة العثمانية بالمزاد العلني، بعد أن عجز أصحابها الفلاحون عن دفع ضريبة الأراضي المترتبة عليها فأشتراها اليهود، وقد عاون بض الولاة الأتراك هذه العملية وسهلوا شراء الأراضي بالرغم من أن سياسة الدولة العثمانية الرسمية كانت ضد بيع الأراضي لليهود.

٣- أراضٍ باعها الملاكون الفلسطينيون مثل عائلة روك ويار وخوري وحنا وبعض أفندية صفد والرملة.

٤- الأراضي التي باعها الفلاحون لعوزهم المادي، وتبلغ مساحتها فقط ٦٪ من الأراضي التي بيعت في ذلك الحين.

☆ نشوء الحركة الصهيونية:

لقد فشلت المبادىء التي نادت بها الثورة الفرنسية من حيث فرض مبادىء الأخاء والمساواة والحرية على المجتمعات الأوروبية.

---

(١) اللورد مونتوفيوري - بريطاني يهودي، وقد أنشأ حيا كاملاً لليهود في القدس، وكان خارج أسوار البلدة القديمة، وحصيناً جداً، وفيه نشأ دافيد العازار فيه ويدعى حي المونتوفيوري.

وعلى الرغم من النجاح الهائل الذي حققته عائلة روتشلد في عالم المال وعلى الرغم من زعامة ديرزرائيلي (يهودي تنصر، ولكنه ظل يفتخر بيهوديته) في عالم السياسة البريطانية، وعلى الرغم من قيادة لأسال اليهودي للحركة الإشتراكية الألمانية، عجزت الحركة الأندماجية اليهودية Hasalah أي حركة التنور من تحقيق غايتها من أجل إيقاف حركة التمييز العنصري ضد اليهود، لقد قامت الشعوب الأوروبية وخاصة في أوروبا الشرقية بحركة تمييز عنصري ضد اليهود لسلوكهم الشاذ في هذه المجتمعات.

لقد اندمج اليهود في شعوب أوروبا الغربية في القرن التاسع عشر، واصبحوا مواطنين في هذه الدول وأتبعوا اللغات السائدة، والحضارة القائمة. أما يهود شرقي أوروبا وخاصة الإمبراطورية الروسية فقد عاشوا منفصلين عن شعوب دولهم وتميزوا بالمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم، وبالمقابل لم تتح لهم المساواة السياسية والقانونية كالشعب الروسي. وقد تعرض اليهود في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى إضطهادات إجتماعية وسياسية كبيرة. مما اضطرهم إلى الهجرة إلى أوروبا الغربية وأميركا كما هاجر بعضهم إلى فلسطين.

الصهيونية قبل هرتسل:

بقي شعور اليهودي المتعلق بفلسطين مستمراً من خلال تراثه الديني عبر العصور، حتى تحقق قيام الحركة الصهيونية لإنشاء ما يسمى بالوطن القومي اليهودي[١].

ففي نهاية القرون الوسطى ظهرت جماعة يهودية نادت بالعودة إلى فلسطين، وقد ظهر قبل هرتسل كثير من المفكرين اليهود والجمعيات اليهودية وهم:

١ - الحاخام هيوش كاليشر (١٧٩٥-١٨٧٤).

وقد دعا الحاخام كليشر إلى ضرورة عودة اليهود إلى فلسطين في كتابه «البحث عن صهيون» الصادر عام ١٨٦١[٢].

---

(١) الدكتور أحمد ظاهر والدكتور محمود الزعبي، بين الفكرين: العربي والصهيوني - دار ابن رشد - عمان ١٩٨٥. صفحة: ١٠٠.

(٢) عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) صفحة ٣٠.

٢- دفيد روبيني David Roubeni وتلميذه سليمان مولخ Solomon Moloch.

وقد عاشا في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، وأمتدت حركتهما إلى تركيا عام ١٨٤٨م، وقد آمن معظم اليهود الأوروبيين بهم، وساعدوا هذه الدعوة الجديدة.

٣- موسى منشون Moses Minshon وقد كان فيلسوفا، وتميز بأنه كان يؤكد (عالمية الأفكار اليهودية)، وقد شكل مع جماعة من أصدقائه في برلين دعوة لتمييز الأفكار اليهودية وحضارتها، عن الأفكار والحضارة الأوروبية الغربية.

وقد أدت دعوة منشون ورفاقه إلى تأسيس جمعيات متعددة في أماكن متفرقة من ألمانيا، وكان هدف هذه الجمعيات أحياء التراث اليهودي وإحياء اللغة العبرية.

٤- جمعيات في أوروبا الغربية ركزت خلال القرن التاسع عشر على إقامة الوطن القومي اليهودي عن طريق الإعتماد على بريطانيا، وقد تبنى هذه الفكرة مردخاي نوح Mardahai Noah،[١] وقد دعا نوح رؤساء الجاليات اليهودية الموجودة في العالم إلى عقد أجتماع عام حيث ناقش المؤتمرون ضرورة إنشاء وطن قومي لليهود، وفي عام ١٨٤٤ دعا العالم المسيحي إلى أن يقف إلى جانب مساعدة إنشاء تجمع يهودي في فلسطين[٢].

٥- موسى هس Moses Hess (١٨١٢-١٨٧٥).

و.. هِس إشتراكي ألماني، وقد أصدر عام ١٨٦٢، كتاباً بعنوان (روما والقدس) وفيه يضع الخطوط العريضة لإقامة دولة يهودية في فلسطين، وقد نادى هس بأفكار هي عبارة عن مزيج من الإشتراكية، والأفكار الدينية اليهودية والعواطف القومية، وقال هس أنه يمكن إقامة الدولة اليهودية بناء على الأفكار التاريخية اليهودية التي تحققت في وقت من الأوقات في فلسطين قبل ألفي عام. وقد أعتمد هس على فرنسا، وأنتهز فرصة قيامها بشق قناة السويس، وطالب بإقامة دولة يهودية تحمي هذه القناة.

---

(١) مردخاي نوح أصبح قنصلاً لأميركا في تونس عام (١٩١٣) كما تولى حكم ولاية نيويورك في أميركا عام ١٩١١.

(٢) الدكتور أحمد ظاهر والدكتور محمود الزعبي (مرجع سابق) صفحة: ١١.

٦- ليوبنكسر Leo Pinsker.

وقد ألف كتاب التحرر الذاتي عام ١٨٨٢ باللغة الألمانية، وترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية عام ١٨٩١ ، والكتاب عبارة عن نداء إلى اليهود الغربيين لأنقاذ الشعب اليهودي من الظلم والطغيان والتشتت، وقد إستعان بنسكر بالأفكار القومية الغربية العلمانية، وناشد اليهود إستعمال هذه الأفكار فوق أرض لهم سواء أكانت فلسطين أو غير فلسطين.

ولم تجد آراء ليوبنسكر في أوروبا الغربية صدى، غير أن بعض اليهود الروس أيدوا بنسكر، وشكلت ما يعرف بجماعة «مُحبي صهيون»، وذلك من أجل إقامة المستعمرات اليهودية التي مولها البارون إدموند دي روتشيلد. Edmond de Rothcild في نهاية القرن التاسع عشر.

الصهيونية الروحية الثقافية:

٧- آشار خيز بيرج (١٨٥٦-١٩٢٧).

بينما كان زعماء جمعيات «حب صهيون» Hovevi (Hibath Zion) أعضاء لجنة «أوديسا» يعملون بجد في دعم المستعمرات اليهودية في فلسطين، أخذ أحد أعضاء هذه اللجان، وإسمه آشار خيز بيرج يعيد النظر في فكرة إقامة هذه المستعمرات وخطة «حب صهيون» من أساسها[1].

وقد عبر خيز بيرج عن أفكاره بحماسة وبلاغة فائقتين في مقال نشر له عام ١٨٨٩ بعنوان «ليس هذا هو الطريق» ذيله بإمضاء (Ahad Haam) معناها واحد من الناس، ومنذ ذلك الحين عرف بهذا الإسم.

انتقد آحد عام مفهوم «حب صهيون» لأسلوب ولادة الدولة القومية اليهودية، وشكك في مقدرة فلسطين على إستيعاب اليهود، وكذلك شكك في مقدرة اليهود على أن يتحولوا إلى مزارعين حقيقيين.

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مر جع سابق) ص: ٣٢.

لم تكن المشكلة لدى آحد عام تحسين أوضاع اليهود وحمايتهم، بل كانت المشكلة الأساسية لديه «الحفاظ على القيم الروحية لدى اليهود»، وتطويرها، ويتم ذلك عن طريق إنشاء مركز روحي ديني لليهودية في فلسطين، لا لليهود.

شكل أنصار آحاد عام جمعية بني موسى Bani Moshes وتتلمذ على يديه عدد من البارزين مثل الدكتور ماغنس الذي أصبح رئيساً للجامعة العبرية. وطبعاً لم يكن للصهيونية الروحية الثقافية أي أثر جوهري في السياسة الصهيونية الأساسية، وبقيت على هامش الحركة الصهيونية.

☆ ظهور هرتسل:

تيوروود هرتسل Theodor Hertzel (١٨٦٠-١٩٠٤م).

وُلد هرتسل لأبوين يهوديين موسورين في مدينة بودابست.

ونشأ غنياً ودرس القانون، وقد أحترف الكتابة ومن ثم عمل صحفياً.

لقد تأثرت آراء هرتسل وأفكاره بوضع اليهود في النمسا، وفكرة اللاسامية التي تمارس ضدهم وخاصة في أوروبا الشرقية، وبصعوبة إندماج اليهود في المجتمعات المختلفة لذا رأى أن على اليهود أن يقوموا بإنشاء وطن قومي لهم، وقد جعل هرتسل من الصهيونية حركة سياسية شاملة هدفها تحقيق إقامة وطن قومي لليهود[١].

وقد أصبح هرتسل المدافع عن الحركة الصهيونية، وفيلسوفها ومنظرها ورجل الدعاية لها ومنظمها ودبلوماسيها الأول[٢].

الصهيونية في مرحلة التنظيم:

بقيت الحركة الصهيونية دون تنظيم، مفتقرة إلى التنظيم الشامل والخطة الواضحة، والجهاز القادر على تنفيذ الخطة، إلى أن تمكن ثيودور هرتسل من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة (بازل) السويسرية في ٢٧ آب ١٨٩٧.

---

(١) الدكتور أحمد الظاهر والدكتور محمود الزعبي (مرجع سابق) ص: ١٤.

(٢) نفس المرجع ص: ١٤.

كان هرتسل ضعيف الصلة بالديانة اليهودية والكتابات الصهيونية كذلك، والذي بعث في أعماقه فكرة الصهيونية موجة العداء للسامية التي اجتاحت أوروبا.

وقد عرض هرتسل آراءه حول الصهيونية في كتابه «الدولة اليهودية»[١] الذي وضعه عام ١٨٩٥. وقد قرر هرتسل أن المسألة اليهودية ليست مسألة أجتماعية أو دينية، بل هي.. مسألة قومية لا يمكن أن تحقق إلا عن طريق تحويلها إلى قضية سياسية عالمية تتم تسويتها على يد الدول الكبرى مجتمعة.

وهذا يعني أن يحصل اليهود على حق السيادة على أرض (لم يكن هناك إصرار على فلسطين)[٢].

وأقترح هرتسل إنشاء جمعية يهودية تقوم بتنظيم اليهود وتعبئتهم وشركة يهودية على غرار الشركات الإستعمارية الكبرى في المستعمرات الأوروبية في آسيا، وتقوم هذه الشركة بتوطين اليهود المستعمرين، وتستغل البلاد تجاريا.

لاقى كتاب هرتسل معارضة أكثر مما لاقى قبولا، فقد رأى الأندماجيون اليهود في أوروبا وأميركا في صهيونية هرتسل مصدراً للتشكيك في ولائهم للمجتمعات التي يعيشون فيها. ورأت جماعة من رجال الدين اليهود في أفكاره خروجاً على تعاليم اليهودية، وعارض التقدميون والأشتراكيون فكرة الدولة اليهودية على أساس أنها رجعة للوراء.

وبالرغم من كل الصعوبات، فقد إستطاع هرتسل من عقد المؤتمر الصهيوني الأول بحضور (٢٠٤) مندوبين، يمثلون جمعيات صهيونية متناثرة، وقد حدد هذا المؤتمر أهداف الصهيونية بما عرف ببرنامج (بازل)، كما أنشأ الإدارة التنظيمية لتنفيذ هذا البرنامج وهي: المنظمة الصهيونية العالمية.

أما المقترحات التي قدمت إلى المؤتمر تتلخص بما يلي:

١- أستيعمار فلسطين (بالنص) إستعماراً منظماً بمقياس واسع بواسطة المنشآت الزراعية التي سيقيمها الزراعيون والحرفيون والصناعيون اليهود وفق أسس مناسبة.

---

(١) Teodor Hertzel, The Jewish state London 1903.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص: ٣٤.

٢- الحصول على حق قانوني دولي معترف به ويضمنه القانون الدولي العام.

٣- تنظيم اليهودية العالمية على شكل منظمات محلية ودولية تتلائم مع قوانين الدول التي تتواجد فيها المجموعات اليهودية كما هي الحال في أميركا، بريطانيا، فرنسا، والمانيا.

٤- أنعاش وتغذية الوعي القومي اليهودي لبعثه من جديد ليسلك طريقه «إلى الدولة» حيث تبنى.

٥- إتخاذ الخطوات التمهيدية الضرورية للحصول على موافقة الحكومات لتحقيق غايات الصهيونية السياسية.

وإنتهى مؤتمر (بال) أو (بازل) بعد أن أقر هذا المنهج وحدد الهدف النهائي للمؤتمر بهذه الكلمات:

«هدف المؤتمر، هدف الصهيونية وهو توحيد وتجميع يهود العالم تحت ظل واحد في وطن واحد في فلسطين يضمنه القانون «العام» أي القانون الدولي العام». وهذه هي الخلاصة لكلمات عدة ألقيت في المؤتمر، وفي هذا الصدد يقول هيرتسل، على ضوء ما تقدم فإن الدولة اليهودية قد تأسست في (بال) ولكن دونما إعلان، ولو أعلنت ذلك لقابلني العالم بالسخرية والتهكم، ولكن بعد خمس سنوات على وجه الأحتمال أو بعد خمسين عاماً على وجه التأكيد سيرى الناس وجه هذه الدولة.

ويقول هيرتسل في مذكراته: «الآن أسست الدولة اليهودية ولذا فإن الدول تشاد على إيمان الشعوب بحقها في إنشاء هذه الدول وأما الأرض فهي الأساس المادي للدولة وحتى أنه متى وجدت الأرض فالدولة شيء غير ملموس..». ويستطيع المرء أن يقول هنا.. هذه أولى المراحل.

الكثير من اليهود ومن مؤيديهم وأنصارهم من المشاركين وغير المشاركين تفاعلوا معه وأكثر ما في الأمور أهمية من وراء هذا الإستقطاب الإجماع في الأتفاق على إيجاد «وطن» بدل «دولة» من حيث المبدأ ثم يتفقون على حشد كل مقدراتهم وإمكاناتهم لتحقيق هذا الهدف.

أما نجاح المؤتمر فإنه أعتبر نجاحاً لداعيته هيرتسل الذي وضع الأطر والمرتكزات للوصول إلى ذلك «الوطن»، وعلى هذا الوطن ستنشأ دولته المنظورة كما صورها في كتابه الدولة اليهودية.

أنتهى المؤتمر على ما أنتهى عليه، ومن توصياته:

١- أن تسعى الصهيونية إلى بناء وطن للشعب اليهودي فلسطين.

٢- الحصول على مساندة دولية وإيجاد أكبر قدر ممكن من التأثير العالمي لدعم المطالب اليهودية وإتخاذ كافة الإجراءات لتوظيف ذلك.

٣- تنمية الفكرة اليهودية لإستعمار فلسطين بالأيدي العاملة الزراعية والصناعية.

٤- إنشاء مصرف الأستعمار اليهودية وجميع الأموال وإيداعها، به على أن يكون مقره لندن.

٥- تقوية وتنمية الشعور القومي وإيقاظ المشاعر القومية اليهودية.

كل هذه الأمور وفي مقدمتها هذه القرارات كان الفكر الصهيوني يهيىء لها قبل إنعاد المؤتمر الأول وحتى قبل التفكير بعقد مثل هذه المؤتمرات، فلقد كان جل أهتمام المفكرين والمتخصصين في علم الإجتماع والدين اليهودي خلال المائة والخمسين عاماً التي سبقت المؤتمر، التركيز على فكرة العودة. وخلق الدولة اليهودية المثالية. وعندما أخذوا ينشرون هذه الأفكار رفع بسمارك ١٨٧١ أحد زعماء الألمان كافة القيود عنهم وترك لهم حرية الأندماج في المجتمعات المسيحية التي ولدوا بينها، وهذا ما أتاح لهم حرية الحركة والتخطيط.

لقد كشف النقاب عن وثائق مهمة يعتقد أنها كانت مدار بحث ونقاش في المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بازل عام ١٨٩٧، فسميت هذه الوثائق «بروتوكولات حكماء صهيون»، وهي تنطوي على مخطط يومي لتمكين اليهود من السيطرة على العالم أجمع لمصلحتهم فقط، تم تأسيس حكومة ملكية إستبدادية يهودية مقرها القدس أولا ثم تستقر إلى الأبد في روما، ومواد هذا التقرير مستوحاة من التلمود[1]، وعلى الرغم من أحاطة

(١) حول صلة البروتوكولات بأحكام التلمود - راجع، بولس حنا مسعد - همجية التعاليم الصهيونية- دار الكتاب العربي - ١٩٦٩، بيروت - لبنان.

=

هذه البروتوكولات بالسرية والكتمان إلا أن الكاهن «سرجي ينيلس» أستطاع الحصول عليها فترجمها ونشرها بكتاب باللغة الروسية سنة ١٩٠٢، وعلى أثر ذلك عمت المذابح ضد يهود روسيا ثم ترجم الكتاب إلى الإنجليزية فالألمانية، وهو حاليا موجود بترجمة عربية بقلم عجاج نويهض.

والصهيونية تعتبر نفسها حركة إستعمارية قومية حليفة للدول الإمبريالية، وأنها بدون هذا الحلف لا يمكن أن تحقق غايتها، ومن هنا كثر إستعمال تعبير «أستعمار» و«مستوطنين» في الأدب السياسي الصهيوني، وكذلك من هنا كان أعجاب هرتسل بالشخصيات الأستعمارية الغربية والترامي على أبوابها.

الناحية التنظيمية:

بعد أن نجح هرتسل، في تحديد هدف الصهيونية، وخلق الأطار التنظيمي لها، بدأ يعمل من أجل تحضير أدوات الأستعمار والإشراف على أستعمار فلسطين، كما قام بجهود دبلوماسية كثيرة مع الدول الكبرى.

وهكذا أقر المؤتمر الصهيوني الثاني (١٨٩٨) تشكيل لجنة الإستعمار وإنشاء «المصرف الإستعماري اليهودي Jewish Colonail Trust وجعل مقره لندن، لأنه رأى أن ظروفها العامة ومخططاتها الإستعمارية ومواقف ساستها تحتم تأييدها الكامل للحركة الصهيونية، وقد عبر هرتسل عن سبب ميله إلى أعتبار إنجلترا موئل الأمل بالنسبة للحركة الصهيونية في رسالة بعث بها إلى المؤتمر الصهيوني في لندن في آب ١٨٩٨[١].

دخلت الحركة الصهيونية مرحلة جديدة من مراحل تطورها، ففي مرحلة التحرك، قام هرتسل عام ١٩٠١ بالتوجه إلى أستانبول لمقابلة السلطان عبد الحميد، وكان يصحبه في هذه الزيارة (كاراسو) زعيم الطائفة اليهودية في أزمير.

وقد طلب هرتسل من السلطان التركي إصدار فرمان يسمح فيه لليهود السكن في فلسطين مقابل تغطية بعض ديون الدولة العثمانية الخارجية والعمل على تطوير موارد الدولة العثمانية على مستوى عالمي[٢].

(١) إسرائيل كوهين - الحركة الصهيونية - لندن ١٩٤٥ صفحة ٧٥.

(٢) مهدي عبد الهادي، المسألة الفلسطينية ١٩٣٤-١٩٧٤ المكتبة العصرية - بيروت ١٩٧٥، صفحة ١٢.

=

ولكن السلطان لم يوافق، وبعد إتباع ضغوط دولية على السلطان، تغير موقفه.

وفي هذا المجال يقول هرتسل:

«يبدو أن السلطان العثماني قد وافق من حيث المبدأ على فكرة توطين اليهود ولكن موزعين غير مجتمعين، وفي أماكن متفرقة داخل الإمبراطورية العثمانية، بإستثناء فلسطين، وقد تم ذلك عام ١٩٠٢ بعد مفاوضات شاقة ومضنية، على أنه يمكن منح اليهود حق الإستيطان في العراق وسوريا والأناضول بإستثناء فلسطين على الرغم من عرضي عليه مبلغ مليون وستمائة ألف جنيه إسترليني، وهذا الإستثناء (فلسطين) دفعني لرفض عرض السلطان»[١].

ثم عاد هرتسل وعرض على السلطان دفع جميع الديون الخارجية المترتبة على الدولة العثمانية، إلا أن السلطان عبد الحميد قال: «إن أراضي الوطن لا تباع، إن البلاد التي إمتكلت بالدماء لا تباع إلا بالثمن نفسه.

وعندما علم المجلس الأعلى للمنظمة الصهيونية بفشل هرتسل قرر الأنتقام من السلطان وإزاحته عن العرش، فربما يأتي سلطان أكثر مرونة. وقد أصدروا أوامرهم للمحافل الماسونية التركية أن تنشط في هذا المجال، وقد نشطت هذه المحافل بمجموعات من ضباط وسياسيين شكلت منهم جمعية الإتحاد والترقي وكانت تغدق الأموال عليهم بواسطة (جاويد بك) أمين صندوق هذه الجمعية[٢].

ويقول أتاتورك:

«يبدو أن الأمور أخذت تسير معاكسة، وأن طواويس البلاد قد دخلوا مزارع المواسنة تمشياً مع مصالحهم الخاصة والتي أصبحت تمثل رغبات المحافل الماسونية التي حركتها الصهيونية العالمية لتنتقم من عبد الحميد وتدمير تركيا[٣].

---

(١) مذكرات هرتسل - مركز الدراسات الفلسطينية - جزء ٤، ص:٢-١٣، إعداد أنيس صائغ - بيروت ١٩٧٢.

(٢) مصطفى الزين - أتاتورك وحلفاؤه - دار الكلمة للنشر - بيروت ١٩٨٢، ص:٢٩.

(٣) مصطفى الزين - أتاتورك وحلفاؤه (مرجع سابق) ص:٩٥.

وقد خُلع السلطان عبد الحميد إثر مؤامرة إشترك فيها اليهود والإتحاديون، وأرسل إلى سالونيك وبقي هناك تحت الإقامة الجبرية، ثم نقل إلى أحد قصور إستانبول النائية، حيث توفي إثر نزف داخلي، عن عمر يناهز الثامنة والسبعين.

وقد نشر أحد الكتب نص وثيقة سرية محفوظة لدى أحد أساتذة جامعة دمشق[١]. تبين سبب خلع السلطان عبد الحميد، ونحن ننقلها حرفياً لأهميتها.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين إلى يوم الدين.

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات، وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة.

بعد تقديم إحترامي أعرض أنني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ آيار (مايو) من السنة الحالية، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين.

سيدي: إنني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلا ونهاراً، وأعرض أنني ما زلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة.

وبعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ:

إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الإتحاد المعروفة بإسم (جون تورك) وتهديدهم - أضطررت وأُجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الإتحاديين قد أصروا وأصروا عليَّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة «فلسطين» ورغم إصرارهم «لم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً، وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي:

---

(١) سعيد الأفغاني - مجلة العربي الكويتية - كانون أول - ١٩٧٢، ضمن مقالة بعنوان «سبب خلع السلطان عبد الحميد». =

«إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً - فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد خدمت الملّة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضاً».

وبعد جوابي القطعي أتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى (سلانيك) فقبلت بهذا التكليف الأخير.

هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن الطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشيء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة: فلسطين. . وقد كان بعد ذلك ما كان. ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال. وأعتقد أن ما عرضته كاف في هذا الموضوع الهام. وبه أختم رسالتي هذه.

ألثم يديكم المباركتين، وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول أحترامي بسلامي إلى جميع الأخوان والأصدقاء.

يا أستاذي المعظم. لقد أطلت عليكم التحية، ولكن دفعني لهذه الإطالة أن تحيط سماحتكم علماً، وتحيط جماعتكم بذلك علماً أيضاً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. في ٢٢ أيلول ١٣٢٩هـ.

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

من أقوال هرتسل:

«إن الصهيونية استطاعت أن تكسب معظم معاركها بواسطة الأعلام التضليلي واعتادت على احداث الضجيج الذي يطغى على الأصوات الصادقة حتى ينفي وجودها.

يقول هرتسل في يومياته «إن الضجيج هو كل شيء، الضجيج في الحقيقة يعني شيئاً كثيراً، والضجيج المدعو هو بحد ذاته ميثاق جدير بالاعتبار، إن تاريخ العالم لا شيء سوى ضجيج، ضجيج السلاح والأفكار المتقدمة، والرجال يجب أن يضعوا الضجيج موضع الإستعمال».

ولما فشل هرتسل في الحصول على ميثاق دولي يمنح اليهود حق إستعمار فلسطين عن طريق المفاوضات الدبلوماسية، قامت تكتلات داخل المؤتمرات الصهيونية تنادي بتقييد بعض إستراتيجيات خطة الصهيونية، وظهر في المؤتمر الصهيوني الخامس (١٩٠١) تكتل غالبية من اليهود الروس من أنصار آحاد عام ينادي بتخصيص الجهود لأحياء الثقافة اليهودية، كما طالب آخرون ببذل الجهود العملية لأستعمار فلسطين، فأنشأ الصندوق القومي اليهودي Kerren Kayemeth لشراء الأراضي.

تأييد بريطانيا للصهيونية:

فشلت جهود هرتسل لدى القيصر الألماني، والسلطان العثماني، لكنه في بكل تأكيد لقي التشجيع من كبار الساسة الأستعماريين البريطانيين، وأسباب هذا التعاطف كثيرة، ولكن أهمها هو الأعتبارات الأستعمارية الإستراتيجية لدى بريطانيا (حماية قناة السويس، وطريق الهند البري) والحيلولة دون قيام وحدة عربية، وتخوف بريطانيا من تغلغل ألمانيا وفرنسا في المنطقة، إضافة إلى العوامل الدينية والعاطفية الناجمة عن تأثر البروتستانت بالعهد القديم، والشعور بالذنب إزاء إضطهاد اليهود على أيدي اللاساميين، والرغبة في تحويل الهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية إلى خارج أوروبا.

وبعد وفاة هرتسل أتجهت المنظمة اليهودية نحو تبني وجهة نظر «الصهيونية العملية». بشأن المضي في شراء الأراضي وزراعتها وإقامة المصانع.

موت هرتسل:

توفي هرتسل عام ١٩٠٤، وبالرغم من موته بقيت الخطوط العريضة للأهداف الصهيونية حيّة.

وقد قامت لجنة يهودية بإستقصاء لمعرفة مدى صلاحية أوغندا الأفريقية لتكون وطناً قومياً لليهود، إلا أن المؤتمر الصهيوني السابع الذي أنعقد عام (١٩٠٥) رفض العرض البريطاني.

الحركة الصهيونية بعد هرتسل.

قام صراع ضمن الحركة الصهيونية بين فئة السياسيين، وفئة العمليين التي تؤمن بضرورة الإستمرار في إستيطان فلسطين حتى تصبح واقعاً أمام دول المنطقة، والمجتمع الدولي وبريطانيا، وقد أشتد الخلاف في مؤتمر لندن عام ١٩٠٧، وأنتصر العمليون حين أضافوا هذه البنود إلى قرارات المؤتمر:

«ينادي تجمع مؤتمر لندن إلى ضرورة الإهتمام بفلسطين»، وقد برزت في هذا المؤتمر كتلة «البوند»، وتعني التجمع، ولها عدة أجنحة:

- جناح الأتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا.
- جناح العمال في بولندا.
- جناح العمال في روسيا.
- الحزب العمالي الأشتراكي الديمقراطي.

وفي عام ١٩٠٩ أطاح الأتراك بالسلطان عبد الحميد، وأعتبر الصهاينة ذلك هدم أول الزوايا المتينة التي كانت صامدة أمام الضغوط الصهيونية[1].

وأخذ العمليون في المنظمة زمام المبادرة بعد أن أصبحت تؤول اليهم كل قراراتها، وقد بدأوا يشقون طريقهم تحت شعار (سياسة التغلغل الأقتصادي)، الذي اطلقها المفكر اليهودي (أدوارد يونغ) وأرتأت المنظمة أن تصبح سياستها الخارجية وخطواتها تنفيذ هذه السياسة مثل الدول الأوروبية.

(١) الدكتور أحمد الظاهر - والدكتور محمود الزعبي (مرجع سابق) صفحة: ٢٢.

وإزدادات علاقة الصهيونية الحميمة ببريطانيا، وأنتقل زعيمها حاييم وإيزمان إلى لندن وإزداد نشاطه إلى درجة ملحوظة، حتى أن بلفور قال عنه: «إنه الرجل الذي جعلني صهيونيا». وأمتد نشاط وإيزمان إلى حقل الصحافة، وقد تعرف إلى رئيس تحرير جريدة «المانشتر جارديان» «سكوت» الذي عرفه بدوره إلى «لويد جورج وصموئيل» وكلاهما أبديا تعاطفاً منقطع النظير تجاه وإيزمان ومنظمته[1].

وقد طبق اليهود في فلسطين نظرية «أدوارد يونغ» التي تنادي بسياسة التغلغل، وقرروا إنشاء «مكتب في فلسطين» في يافا، وكان يشرف على هذا المكتب «آرثر روبين» وكلف المكتب بتأسيس «شركة تطوير أراضي فلسطين» وقام اليهود أيضاً بفتح فرع «لصندوق الإئتمان اليهودي للأستعمار» في إستانبول تحت اسم «الشركة المصرفية الأنجلو - فلسطينية».

وفي المؤتمر الصهيوني العاشر الذي عقد عام ١٩١١ في بال/ سويسرا، أستطاع وايزمان فرض شخصيته ونفوذه، وقد حل الخلافات بالمؤتمر بشكل مؤقت.

ثم جاء المؤتمر الحادي عشر الذي عقد عام ١٩١٣ في فيينا / النمسا، وكان آخر المؤتمرات التي سبقت الحرب العالمية الأولى، وكان من أهم قراراته إنشاء الجامعة العبرية في القدس.

وفي عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ارتأت المنظمة اليهودية بأنه لا بد من ترتيب الأمور بشكل يضمن تأمين المصالح الصهيونية على ضوء نتائج الحرب، فاصدرت أمراً إلى جميع المنظمات والأفراد اليهود بضرورة الوقوف على الحياد، ولكن اليهود لم يفعلوا ذلك:

فيهود ألمانيا قرروا منح تأييدهم لألمانيا، وسمحوا لليهود بان يتطوعوا لتأليب يهود روسيا على القيصر، كما قدم اليهود إستعدادهم لإقناع الولايات المتحدة لدخول الحرب لصالح دول المحور. ولم تكن تعهدات اليهود من أجل المانيا وحلفائها بل لأن أحد قادة المنظمات الصهيونية كان يود مفاتحة ألمانيا لاستصدار تصريح يعترف بالحركة الصهيونية ويؤيد الأهداف التي ترمي إليها، وعندئذٍ تبدي في ألمانيا العطف الألماني الرسمي على اليهود لإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

---

(١) إلن تايلور - المدخل إلى إسرائيل - ترجمة شكري محمود نديم - دار مكتبة الحياة - بيروت صفحة: ١٩ .

وفي بريطانيا كان يؤيد الصهيونية هربرت صموئيل ولويد جورج وسكوت وبلفور وتشرتشل وغيرهم كما حركت الصهيونية مطالبها في الولايات المتحدة الأميركية عن طريق برانديس مستشار الرئيس الأميركي، وفي ألمانيا قام اليهود الألمان بإرسال بعثة يهودية إلى الولايات المتحدة للتأثير على اليهود الأميركان. والتأثير على البيت الأبيض من أجل عدم مساعدة دول الحلفاء.

وفي حين كانت تدور رحى المعارك على الجبهات فيما بين هذه الدول، كان اليهود على إتصال مستمر مع هذه الدول كل في دولته، يعرضون عليها التطوع وتقديم المعونة فأين الحياد. . !؟

ومن المفيد حتى يتبيين لنا خط سير الصهيونية أن نثبت الحوادث التالية:

١- في أوائل عام ١٩١٦ وللمرة الثانية، جاء لويد جورج إلى رئاسة الحكومة، وهو معروف بولائه للصهيونية.

٢- قررت الحكومة البريطانية أن لا تنفرد بتأييدها لفكرة الوطن القومي اليهودي، بل تشرك دولا أوروبية أخرى في هذا الموضوع. فقد قام (إدوار غراي) وزير الخارجية بإرسال مذكرة إلى السفير البريطاني في روسيا طالباً منه استمزاج الروس بهذه القضية، وقد استجابت روسيا فوراً لهذا الطلب، وبكل تعاطف، ولكنها اشترطت على أن لا يؤثر ذلك على المصالح الروسية الدينية في فلسطين.

٣- وقد وضعت بريطانيا في إعتبارها أنه بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى، وإنتصار الحلفاء سيقوم صراع حول المصالح الإقتصادية، ورغبت بريطانيا أن تكون السباقة لإحتواء الصهيونية من أجل مصالحها في الشرق بدءاً من الجسر البري الذي يربط آسيا بأفريقيا ويربط البحر الأحمر بالبحر المتوسط حيث ستتمركز قوة ما على مقربة من (السويس) قد تكون ذات علاقة جيدة بها، وذات طبيعة عدوانية متأصلة مع السكان المحليين.

٤- كانت بريطانيا تحسب حسا ب لسياسة توسع فرنسا في المنطقة.

وقبل إنهاء الحرب تسابقت الدول لتحقيق مصالحها الإستعمارية، ورغبت بريطانيا في إعطاء وعد في إنشاء وطن قومي لليهود «كعنوان صداقة» للعلاقات البريطانية الصهيونية التي كانت تعتبر مثالية في حينها، وهذا ما أكده لويد جورج حين رد على بعض

المعارضين، فقال «إن أسباباً دبلوماسية وعسكرية ملحة حققت موافقة الحكومة على موضوع إصدار أعلان تتكفل بموجبه بريطانيا أن يكون لليهود حق في فلسطين[١].

وفي شباط عام ١٩١٧ بدأت الحكومة البريطانية بمفاوضات مع قادة المنظمة، بعد أن ضمنت الحكومة البريطانية موافقة الحلفاء وخاصة الروس، وقد أنتدبت الحكومة البريطانية لهذه المهمة سايكس، وقد تمت المفاوضات في بيت اليهودي (موسى جاستر)، وقال جاستر في كلمة الأفتتاح مؤكداً مواقف اليهود من الحلفاء خلال الحرب، وأعاد إلى الأذهان موقف يهود أميركا بزعامة القاضي المستشار برانديس (Brandes) وهو مستشار الرئيس ويلسن والذي أقنعه بدخول الحرب، كذلك أكد جاستر على أن مصالح بريطانيا في فلسطين والمنطقة ستكون من المهام الأساسية التي ستكون ضمن الأتفاقية التي يتم التوصل إليها، وقد يبدو أن البريطانيين كانوا من السذاجة بمكان بأن وفرت لهم كلمة جاستر شعور يطمئن على الصدق والوفاء[٢].

وأتفق المجتمعون على المبادىء التالية:

١ - الحصول على أعتراف دولي بحق اليهود في فلسطين.

٢- خلق جنسية قانونية لليهود الموجودين في فلسطين.

٣- إنشاء شركة يهودية في فلسطين مخولة في شراء وأمتلاك الأراضي.

٤- وضع فلسطين تحت إدارة موحدة.

٥- إعلان الأماكن المقدسة في فلسطين مناطق حرة.

وكانت هذه المبادىء من نتاج قادة المنظمة الصهيونية الذين كانوا يتلاعبون بالعقل البريطاني، فقد كانت المبادىء الثلاث مطالب صهيونية، أما المطلب الرابع فقد كان خاضعاً للمناقشة، أما المبدأ الخامس فكان لتطمين بريطانيا والحلفاء وغيرهم حول حسن نوايا اليهود[٣].

---

(١) رفيق النتشة، الأستعمار وفلسطين، - دار الجليل - عمان ١٩٨٤. صفحة ٩-١٤.

(٢) إلن تايلور، المدخل إلى إسرائيل، ترجمة شكري محمود نديم، دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٩ صفحة ١٩.

(٣) إلن تايلور - المدخل إلى إسرائيل (مرجع سابق) صفحة ٤٠-٤١.

وفي ختام المفاوضات نبّه البريطانيون إلى صعوبة الموقف الفرنسي، وقد طالب اليهود بتأمين لقاء لهم مع الفرنسيين، وقد عقد الأجتماع في السفارة الفرنسية في لندن وقد أقنع اليهود الفرنسيين بقبول إنتداب إنجلترا على فلسطين.

اليهودية والصهيونية:

إن اليهودية عقيدة دينية شاملة، على عكس الصهيونية التي تمثل حركة سياسية عنصرية، متطرفة، تستغل العاطفة الدينية في سبيل صهر جميع يهود العالم من مختلف القوميات والأجناس في وطن قومي واحد بالضغط والعنف والتهديد، وإسكان اليهود في فلسطين بعد طرد سكانها العرب منها بالقوة[١].

معارضة الصهيونية من الكتّاب اليهود:

يقوم الصهاينة بإستغلال المفاهيم التي وضعتها الديانة اليهودية لتدعيم حركتهم السياسية، وهناك عدد غير قليل من اليهود لا يؤمنون بالصهيونية، فهناك في الولايات المتحدة الأميركية ٥ر٥ مليونا من اليهود، ينتمي منهم فقط مليونا وربع المليون إلى المنظمات الصهيونية والذين لا يحبذون الصهيونية يقاومونها بشدة، أما بدافع الشعور الإنساني، حيث أن الصهيونية مبدأ لا إنساني، وأما حرصاً على اليهود وخوفهم من قيام إضطهادات جديدة ضدهم، أو بدافع من قناعتهم بأن الصهيونية أداة يسخرها الأستعمار العالمي لتحقيق مصالحه على حساب اليهود والعرب معاً.

وقد كان للكتاب الذي نشره الكاتب الفرنسي اليهودي ماكسيم رودنسون سنة ١٩٦٨ بعنوان «إسرائيل والعرب» أثره البالغ في الفكر الغربي.

«إن الصهيونية وإن نجحت اليوم في خلق الدولة اليهودية، فإن تشييدها يبقى على أسس غير سليمة، أن القوة التي تعتمد عليها لن تدوم إلى الأبد، وخطوط الأمم في صعود وإنخفاض، فكما فشلت الدولة الصليبية أن تبقى وتدوم في أرض العرب، فإن إسرائيل ستلقى نفس المصير الذي لاقته هذه الأمارات اللاتينية في فلسطين[٢]».

---

(١) الدكتور أحمد سوسة، العرب والتاريخ (مرجع سابق) صفحة ٦٥٧.

(٢) Rodirson, Israel and the Arabs 1968.

وهناك عدة كتب مهمة لكتاب آخرين في هذا المجال.

اليهودية والصهيونية:

يعتقد الكثيرون أن اليهودية والصهيونية شيء واحد، لكن الأمر ليس كذلك:

- فاليهودية هي دين ذو قيم عالمية، واليهود أناس ينظر إليهم كأعضاء في جماعة متعددة القوميات متوادة، لا تربط أفرادها روابط قومية أو عرقية بمن يدينون بالدين نفسه في الأفكار الأخرى. فلليهود روابط قومية أو عرقية تشدهم إلى مواطني الأقطار التي يعيشون فيها، وذلك بغض النظر عن معتقداتهم الدينية.

فمثل اليهود في هذا مثل المسيحيين والمسلمين.

- أما الصهيونية فهي حركة سياسية عالمية تطمح إلى ربط اليهود جميعاً مهما كانت قوميتهم بالروابط العرقية والقومية، وإلى تحويلهم إلى أمة ذات نطاق عالمي، على أن يكون مركزها السياسي والحضاري هو دولة إسرائيل.

المعارضة اليهودية للصهيونية:

١- من أوائل اليهود المعارضين للصهيونية جينز بيرج (آحاد عام) (١٨٥٦-١٩٢٧) وقد نادى جينز برج بضرورة إنشاء مركز روحي ديني لا دولة لليهود في فلسطين، وتكون مهمة هذا المركز الحفاظ على القيم الروحية لدى اليهود.

وكان من تلاميذه الدكتور ماغنس الذي أصبح أول رئيس للجامعة العبرية.

٢- س. ج موتفيوري:

ومما قاله في هذا الصدد، وقد كان واحداً من الزعماء اليهود الذين أخذ رأيهم في شأن تصريح بلفور قبل إعلانه:

«عندما كان تصريح بلفور موضع بحث لدى الحكومة، عرضت نصوص بصفة شخصية على حفنة من اليهود، كان أربعة منهم صهيونيين غلاة أو أشباه صهيونيين، وكان أثنان - أنا احدهما - يعارضان الصهيونية، وقد بدا لنا نحن الأثنين أن نومىء إلى

أن من شأن عبارة (الوطن القومي للشعب اليهودي) أن تسبب على الأرجح إضطراباً، ولقد كنا فيما يلوح، غير بعيدين عن الخطأ، وقد أعترضنا على هذه العبارة لأننا أنكرنا أن يكون اليهود اليوم شعباً، ولم نشأ لهم أن يعودوا شعباً مرة أخرى، ولقد طالبنا وتمنينا، ولا زلت أطالب وأتمنى أنا وأصدقائي، أن يكونوا مواطنين أحراراً متساوين في جميع البلدان التي يعيشون فيها. ولقد خشينا أن ينشأ عن الوطن القومي المقترح شعور معاد للسامية أبعد بكثير مما يمكن علاجه.

٣- أحتج المجلس الأعلى الأميركي لليهودية (وهو منظمة معادية للصهيونية)، لدى الحكومة الأميركية على تعيين إسرائيل لنفسها كمتحدث بإسم يهود الولايات المتحدة.

٤- الحاخام هيرش، اليهودي الأرثوذكسي التقى وزعيم سدنة المدينة والمقيم في حي مئاشعاريم في القدس قرب حي المصرارة العربي، ويبلغ إتباعه في فلسطين عشرة آلاف شخص في القدس، وما يقرب من مائة ألف في جميع أنحاء العالم.

ففي مقال نشرته صحيفة الواشنطن بوست بتاريخ ٣/ ١٠/١٩٧٨، نقل عنه قوله:

«إن المبدأ الثاني عشر لديننا هو، فيما أعتقد أن المسيح سيجمع المنفيين اليهود الذين تشتتوا ثانية بين أمم الأرض قاطبة، أما الصهيونية فهي متعارضة تماماً مع اليهودية، فهي ترغب في تعريف الشعب اليهودي على أنه كيان قومي، فلسان حالهم في الواقع يقول:

(أنظر يا رب، إننا لا نحب المنفى، فأرجعنا، وإن لم تفعل، فسنشمر عن سواعدنا بجد ونرجع أنفسنا بأنفسنا)[1].

٥- البرت آنيشتاين:

ويقول أنشتاين: أفضل تفضيلاً كبيراً التوصل إلى إتفاق معقول مع العرب على أساس العيش بسلام سوية، على خلق دولة يهودية، فبغض النظر عن الأعتبارات العملية، فإن معرفتي بجوهر اليهودية تجعلني أقاوم فكرة دولة يهودية ذات حدود وشيء من قوة زمنية، مهما كانت متواضعة، فأنا أخشى من التلف الداخلي الذي سيصيب اليهودية[2].

---

(١) سامي هداوي - الحصار المر - ترجمة د. فخري حسين يغمور - منشورات رابطة الجامعيين - الخليل، ١٩٨٢ ص: ٦١.

(٢) نفس المرجع، ص٦٢.

٦- جوداه ل - ماجنس:

يقول: «هل سيكرس اليهود أنفسهم هنا (أي فلسطين)، خلال الجهود التي يقومون بها لخلق كيان سياسي، ولأستعمال القوة العسكرية الوحشية كما فعل الآخرون، ويبدو أننا فكرنا بكل شيء إلا العرب.

٧- موريس ر. كوهن:

يقول: «لا أزال منزعجاً من مفهوم الدولة اليهودية، فهل الدولة اليهودية دولة عرقية قائمة على أفكار (الدم والتراب) الغاشمة، وهل سيكون للمواطن غير اليهودي حقوق متساوية في مثل هذه الدولة، هل من الممكن أن يستلم غير اليهودي منصباً فيها، هل سيجد المسلم عقبة قانونية في أن يصبح رئيس جمهورية مثلاً، وإذا ما سمح لليهود أن يهاجروا إليها، هل سيسمح للعرب أن يهاجروا إليها كذلك. إنني لا أستطيع إطلاقاً حمل نفسي على تأييد الجهود الرامية إلى إنشاء دولة يهودية لا تتمشى مع المبادىء الديمقراطية القائلة بفصل الدين عن الدولة، وبالمساواة في الحقوق المدنية والدينية والأقتصادية لجميع السكان، بغض النظر عن جنسهم وعقيدتهم[١].

٨- لسنج ج. روزنوولد:

يقول: «لا أزال أعتقد بأن الصهيونية، وهي حركة قومية، ضارة بمواطني الولايات المتحدة اليهود، وبالمواطنين اليهود في كثير من الأقطار الأخرى خارج إسرائيل، ولا أزال موالياً ثابت الولاء للمجلس الأميركي لليهودية، وللمبادىء التي أسس عليها، وما زال متمسكاً بها[٢].

---

(١) Antonius, George "The Arab Awaking (Lon don Hamish, Hamilton 1938.

(٢) Jeffries, Jasef mn. Palestine The veality (New York) long mans, Greer and C.o. 1939. pp. 237-238.

٩- ويتكلم روبرت بلار عن سكان حي ميشورم في القدس المحتلة منذ عام ١٩٤٨ والبالغ عددهم عشرة آلاف نسمة بأنهم لا يعترفون بدولة إسرائيل ولا يحملون هويتها.

ويعيشون على تقاليد اليهود الأصليين، ويصرون أن إسرائيل ليست شرعية. ويتبع هؤلاء مائة ألف نسمة في أميركا.

وبالواقع فإن الحركة المثالية اليهودية حركة منظمة ولا تستطيع الصمود أمام زيف الصهيونية العالمية.

الفصل الثالث عشر

المقاومة العربية الفلسطينية

١٨٨٦-١٩٢١

١- المقاومة العربية الفلسطينية قبل الحرب العالمية الأولى.

٢- تيقظ الشعور القومي عند العرب.

٣- الفلاحون العرب يصطدمون بالغزاة الصهاينة.

٤- المطالبة بالأستقلال والوحدة.

٥- المقاومة الفلسطينية ١٩٠٨-١٩١٤.

٦- الحرب العالمية الأولى.

٧- المؤامرة الإستعمارية ضد الدول العربية.

٨- بروتوكول دمشق.

٩- أحرار العرب على أعواد مشانق الأتراك.

١٠- اتفاقية سايكس - بيكو.

١١- مقاومة عرب فلسطين من الأحتلال البريطاني ١٩١٧ إلى ثورة العشرين.

١٢- الجنرال الصليبي اللنبي.

١٣- الجمعيات الإسلامية المسيحية.

١٤- المؤتمر العربي الفلسطيني الأول.

١٥- وايزمان ينادي بدويلات طائفية.

١٦- المواسم الدينية.

١٧- ثورة القدس.

١٨- الحاج أمين الحسيني.

١٩- إنشاء الحكومة المدنية.

٢٠- السكان وملكية الأرض.

المقاومة العربية الفلسطينية
قبل الحرب العالمية الأولى

كانت فلسطين تشكل جزءاً من الأمبراطورية العثمانية، وكان يطلق عليها اسم سوريا الجنوبية، وكانت تتألف من سنجق (متصرفية القدس) وعكا، ونابلس.

وكان عدد سكان فلسطين عام ١٩١٤ (٦٨٩) ألف نسمة، بينما كان عدد اليهود عام ١٨٩٧ (٥٠) ألف نسمة، وازداد عام ١٩١٤ إلى (٨٧) ألف نسمة[١].

ويقدر عدد سكان سنجق القدس بـ (٣٥٠) ألف نسمة، ويشمل هذا السنجق ٢٣٨ قرية، وهو مرتبط بوزير الداخلية في أستنابول لأهميته الدينية، وسنجق عكا ويبلغ عدد سكانه حوالي (٧٧) ألف نسمة ويشمل ٢٢٠ قرية. وكان سنجق عكا وسنجق نابلس مرتبطين بوالي الشام، ثم أعيد التنظيم فألحق بولاية بيروت.

كان اليهود في فلسطين يتجمعون في أربع مدن رئيسة مقدسة لديهم: القدس، طبريا، صفد، والخليل.

كان سكان فلسطين العرب المسلمون القرويون يعملون في الزراعة، ويشكلون غالبية السكان، وكان العرب المسيحيون يعملون في التجارة والمهن المختلفة.

وكان اليهود عمالا مهرة، برعوا في الصباغة والحدادة والخياطة، واحتكروا الأعمال المصرفية والصيرفة[٢]، بينما كان يعيش عدد كبير منهم على نظام الصدقات اليهودية CHALLUKAH [٣].

ولم يكن العرب يكنون لليهود أي مشاعر عداء قبل بداية الغزو الصهيوني والهجرة اليهودية، لقد كان العرب في صفد مثلاً يحتفلون مع اليهود بأعيادهم، وكذلك كان اليهود يحتفلون مع العرب في أعيادهم[٤].

---

(١) بسام العسلي، فلسطين والحملة الصليبية الجديدة - الديوان للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٩١، ص: ٣١.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص: ٤٤.

(٣) بسام العسلي - الحملة الصليبية الجديدة (مرجع سابق)، ص: ٣٢.

(٤) يسار عسكري - قصة مدينة - صفد - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دائرة الثقافة - منظمة التحرير الفلسطينية - تونس، ص: ٣٧.

لقد كان الفلاحون في فلسطين يتعرضون لظروف صعبة نتيجة أرتفاع الضرائب المفروضة على الأراضي، مما أدى إلى أستيلاء الدولة على أراضيهم وبيعها في المزاد العلني.

☆ **تيقظ الشعور القومي عند العرب:**

شهد القرن التاسع عشر احتكاكاً حضارياً بين أوروبا والعالم العربي تأتي عن غزو نابليون بونابارت لمصر وفلسطين، فأطل الوطن العربي على ثقافة وحضارة فرنسا الثورة، المتمثلة: بالعدالة والأخاء، والمساواة.

وكانت بوادر التيقظ القومي قبل ظهور الحركة الصهيونية في طورها التنظيمي.

وقد تتبع جورج أنطونيوس في كتابه «يقظة العرب»[1] أرهاصات الحركة العربية الحديثة والتي أدت إلى تأسيس أول حركة قومية سرية بدأت بخمسة أشخاص من خريجي الكلية البروتستنتية السورية في بيروت عام (١٨٧٥)[2].

وقد لاحظ القنصل البريطاني في عام (١٨٧٢) في دمشق وجود نزعة مكبوتة بين بعض الطبقات، ولا سيما بعض المسلمين في سوريا نحو التوحد مع مصر، وهي نزعة أخذت تزداد وتنتشر تدريجياً في الآونة الأخيرة.

وفي حزيران (١٨٨٠) كتب القنصل البريطاني في بيروت تقريراً حول ظهور «منشورات ثورية» في بيروت تنادي بالوحدة ورفع القيود عن الفكر، والأعتراف باللغة العربية كلغة رسمية في البلاد.

ولم تكن فلسطين معزولة عن هذا التيار القومي، فقد تعاطف عرب فلسطين مع ثورة عرابي في مصر عام (١٨٨٨) كما تعاطفوا مع ثورة المهدي في السودان، كعربي يناضل من أجل جنسه العربي ضد السيطرة البريطانية وسوء الحكم البريطاني.

وقد سجل القنصل البريطاني في تقرير له عن حالة اليهود في فلسطين، وعن مدى التسامح الديني السائد، لا سيما بين المسلمين الذين سمحوا لليهود بالإقامة في الأحياء الإسلامية[3].

---

(١) جورج أنطونيوس - يقظة العرب - بيروت ١٩٦٦.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص: ٤٦.

(٣) بسام العسلي، فلسطين والحملة الصليبية الجديدة، (مرجع سابق) ص: ٤٢.

ولم يكن العرب يكنون لليهود أي مشاعر عداء قبل بداية الغزو الصهيوني والهجرة اليهودية الأولى، ولم يتبدل الموقف اليهود إلا بعد أن أخذت طبيعة الوجود اليهودي في فلسطين تتحول من الطابع الديني ومن المعايشة إلى الطابع الأستعماري الأستيطاني.

☆ الفلاحون العرب يصطدمون بالغزاة الصهاينة:

بدأ الأصطدام بين الفلاحين والمستوطنين عام ١٨٨٦ عندما هاجمهم الفلاحون المطرودون من أراضي الخضيرة وملبس، ونتيجة ذلك أصدرت السلطات العثمانية قيوداً على الهجرة، وسمحت للزائر اليهودي أن يقيم في البلاد ثلاثة أشهر فقط، وقد تكرر الهجوم على قرى يهودية أخرى وللدوافع نفسها عام ١٨٦٢[١].

وكذلك أثارت الهجرة مخاوف طبقة العمال المهرة والحرفيين والتجار خوفاً من منافسة المهاجرين اليهود لها. وقد كتب نجيب الحاج رئيس تحرير صحيفة أبو الهول القاهرية عدة مقالات في هذا الخصوص، والواقع أن شعور العداء للصهاينة لم يقتصر على الفئات المتضررة بل تجاوزه إلى فئات أخرى من عرب فلسطين، فعندما حابى رشاد باشا متصرف القدس اليهود، قام وفد من وجهاء القدس في ٢٤ حزيران ٨٩١ بتقديم عريضة لرئيس الوزارة العثمانية طالبوا فيها بمنع هجرة اليهود الروس، وتضمنت العريضة المطالبة بمنع الهجرة، ومنع استملاك اليهود للأراضي.

كما حارب مفتي القدس (محمد طاهر الحسيني) الهجرة اليهودية، فترأس عام ١٨٩٧ هيئة محلية ذات صلاحيات، مهمتها التدقيق في أوراق نقل ملكية الأراضي، فحال بذلك دون حصول اليهود على أراض جديدة لمدة طويلة.

كما شهد عام ١٩٠٠ حملة شديدة واسعة على أستملاك اليهود للأراضي الزراعية.

☆ المطالبة بالاستقلال والوحدة:

إن العامل القومي والتراثي عند عرب فلسطين، وبعض المسؤولين العثمانيين من المطامع الصهيونية، وكذلك العامل الديني، كانا واضحين.

---

(١) نيفيل مندل - «الأتراك والعرب والهجرة اليهودية» (١٨٨٢- ١٩١٤) اطروحة دكتوراة غير منشورة كلية سانت أنطوني - جامعة أكسفورد (١٩٦٥) ص: ٥٥،٣٢، عن عبد الوهاب الكيالي تاريخ فلسطين الحديث.

فقد نقل ألبرت عنتيبي قول أحد الشباب - ولم يكن متعصباً حسب شهادة عنتيبي - «سوف نبذل كل ما لدينا حتى القطرة الأخيرة من دمائنا لنحول دون استيلاء غير المسلمين على الحرم الشريف»[1].

وكذلك فقد كان الوعي السياسي والثقافي متوافرين خارج فلسطين، فقد أحس المثقفون العرب بأن الصهيونية ليست خطراً على فلسطين فحسب، بل على كامل الوطن العربي.

فقد حذر علي حيدر رضا، وكذلك نجيب عازوري الذي أسس «عصبة الوطن العربي» من أن المخططات الصهيونية تناقض الأماني العربي[2] كما نادى بضرورة فصل الأقطار العربية عن الدولة العثمانية، وقد ازداد السخط على الصهيونية إثر وصول أفواج الهجرة الثانية (١٩٠٥-١٩٠٧) والتي كان أفرادها مشبعين بالفكر الصهيوني، وطرحوا فكرة مقاطعة اليد العاملة العربية. وفي هذا الوقت حوالي عام (١٩٠٤) أنشأ الأتراك جمعية «ترك أوجاخي»[3]، أي العائلة التركية ومركزها أستانبول، ولها فروع في مختلف دول الأمبراطورية، وغايتها الرئيسية العناية بالآداب التركية وتطهيرها من الكلمات العربية، وكذلك تتريك العناصر «الأجنبية» من عرب وأرمن وارناؤوط وأرمن، ومن أقوال زعماء هذه الجمعية «إن البلاد العربية يجب تحويلها إلى مستعمرات تركية».

☆ المقاومة الفلسطينية ١٩٠٨-١٩١٤.

ويبدو أنه بحلول عام (١٩٠٩) أصبحت معارضة الهجرة الصهيونية الحديث الشاغل للناس، وقد تصدت صحيفتا الأصمعي والكرمل في توضيح الخطر الصهيوني، وبسبب شكاوي اليهود على صاحب جريدة الكرمل السيد نجيب الخوري نصار عطلت الصحيفة عدة مرات وتوقفت عن الصدور.

ووجد ممثلو فلسطين في مجلس المبعوثان فرصة لطرح مشكلة معارضة العرب الفلسطينيين للصهيونية، والهجرة اليهودية، ففي عام (١٩٠٩) قدم نائب يافا استجواباً

---

(١) نيفيل مندل - الأتراك والعرب والهجرة اليهودية لفلسطين (مرجع سابق)، ص: ٣٢، ٥٥.

(٢) نجيب عازوري - يقظة الأمة العربية - باريس ١٩٠٥.

(٣) مروان المدور - الأرمن عبر التاريخ - منشورات دار الحياة، بيروت، ص: ٥١٤.

في مجلس المبعوثان العثماني تساءل فيه عما تقصده الصهيونية، وعما إذا كانت الحركة الوطنية لليهود تنسجم مع مصلحة الامبراطورية العثمانية، ثم طالب أن يغلق مرفأ يافا في وجه المهاجرين اليهود[١].

وفي شهر تشرين الأول أوفدت صحيفة الأهرام، مراسلاً خاصاً لزيارة فلسطين فكتب يقول:

«إن الفلسطينيين قلقون من الحركة الصهيونية، فالهجمة اليهودية المستمرة تخلق لديهم المخاوف والقلق والبلاد تكاد الآن أن تكون في أيدي الأجانب[٢].

وفي غمرة الأحداث بدأت مقاومة استيطان اليهود ومعارضة الصهيونية تتخذ شكلاً منظماً، ففي شهر تشرين الأول (١٩٠٩) كتب البرت عنتيبي يقول:

إنه تم تشكيل منظمة محلية مهمتها الحيلولة دون بيع الأراضي إلى اليهود[٣].

وفي عام (١٩١٠) هاجمت الصحف آل سرسق[٤] لأعتزامهم بيع قريتي الفولة والعفولة لليهود، وأرسل سكان الناصرة برقيتي أحتجاج إلى الحكومة المركزية، وفي منتصف شهر آيار طلبت مجموعة من النواب العرب تأكيدات من طلعت بك بأن لا يسمح لليهود بامتلاك أراضي العرب، وعدم السماح لليهود بالهجرة الى فلسطين.

وأثارت الصحف العربية في خريف (١٩١٠) ضجة كبيرة عندما باع (الياس سرسق) لبناني من بيروت أراضٍ مساحتها (٢٤٠٠) فدان لليهود، وتقع هذه الأراضي بين الناصرة وجنين، وهي من أخصب أراضي فلسطين.

وقد بذل قائمقام الناصرة آنذاك (شكري العسلي) مساعيه لمنع انتقال الأراضي الأسلامية لليهود، معارضاً الأوامر الصادرة من بيروت[٥].

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث - (مرجع سابق)، ص: ٦٠.
(٢) صحيفة الأهرام ٧ تشرين الأول ١٩٠٩ (عن عبد الوهاب الكيالي).
(٣) نيفيل مندل - الأتراك والعرب والهجرة اليهودية إلى فلسطين) (مرجع سابق) ص: ٣٢، وصفحة ٥٥.
(٤) آل سرسق عائلة أرمنية من لبنان.
(٥) جريدة فلسطين اليافية - ٢ نيسان ١٩١٤.

وتجددت نفس الضجة في صيف (١٩١٣) عندما أقدم الصهاينة على شراء أراضي الناصرة الزراعية ومساحتها ٢٤ ألف دونم من (لطفي سرسق) أرمني لبناني من بيروت. وكان يقيم على هذه الأراضي أكثر من (٢٠٠) عائلة عربية، وقد قام الفلاحون بمهاجمة المستعمرات اليهودية وقتل حراسها[١].

فعندما أعلنت الحكومة عن عزمها في تنفيذ المشروع الأصفر في شهر آب/ أغسطس ١٩١٣ تنادى السكان العرب في لواء نابلس، وعقدوا اجتماعاً كبيراً في نابلس، وطالبوا بصرف النظر نهائياً عن مشروع بيع الأراضي بالمزاد العلني، وأعطاء هذه الأراضي للمزارعين العرب الذين نزعت ملكية الأراضي من أيديهم بوسائل غير مشروعة، بثمن المثل بالتقسيط، ودعت صحيفة (المقتبس) الدمشقية، الصحف العربية الأخرى وأهل الرأي وأصحاب الأملاك إكراه الحكومة على بيع الأراضي الأميرية للعثمانيين فقط، ويظهر من ذلك كله «أن الحركة الصهيونية قد نفذت الخطة التي أقترحها هرتسل، والتي تتلخص في نزع ملكية الأراضي من أصحابها العرب، ثم التخلص من الفلاحين، على أن يتم ذلك بسرية، وأبعادهم عن الأرض بتوفير فرص العمل لهم في خارج فلسطين، واغلاق مجالات العمل أمامهم في فلسطين، حتى يضطروا للنزوح عنها، ولا يفكروا بالعودة لها في المستقبل. وكان هرتسل يرى أيضاً أنه لا بأس إذا أعتقد أصحاب الأرض العرب أنهم يغشون الحركة الصهيونية ببيعهم الأراضي لها بأكثر من قيمتها الحقيقية، فإن الأرض لن تعود لهم مرة ثانية[٢].

ولم تذهب احتجاجات العرب على نقل ملكية الأراضي لليهود سُدى لدى المسؤولين، فعندما تحدث موظفو السفارة البريطانية في أستانبول إلى طلعت بك عن تجديد القيود المفروضة على بيع الأراضي قيل لهم: «إن تلك القيود جاءت نتيجة شكاوى السكان المحليين الذين يخشون غزواً يهودياً اجنبياً».

---

(١) بسام العسلي – فلسطين – والحملة الصليبية الجديدة (مرجع سابق) ص:٥٩.

(٢) الدكتور عبد العزيز محمد عوض – القضية الفلسطينية والاستيطان اليهودي – شؤون فلسطينية العدد ٣٦ آب ١٩٧٤، ص:٧٣-٨٧.

وبحلول صيف عام (١٩١٠) تصدت عدة صحف عربية للحملة المناوئة للصهيونية ولبيع الأراضي لليهود بينها صحيفة المقتبس الدمشقية، وصحف المفيد والحقيقة والرأي العام الصادرة في بيروت.

وكانت جهود نبيه الخوري نصار ذات أثر كبير في لفت أنظار محرري مختلف الصحف العربية الى الخطر الصهيوني[١]. وقد أظهر عدد من النواب نشاطاً ملحوظاً في سبيل المطالبة بسن تشريع جديد ضد الهجرة الصهيونية إلى فلسطين ومنهم روحي الخالدي وسعيد الحسيني وشكري العسلي.

وفي ايار عام (١٩١١) أُسس «الحزب الوطني العثماني» وقد وزع هذا الحزب كراساً بين فيه مخاطر الصهيونية وأهدافها، وحاول الشيخ سليمان التاجي الفاروقي أحد مؤسسي الحزب تأليب الرأي العام في البلاد العربية المجاورة لفلسطين ضد «الغزو الصهيوني». وكان أعضاء هذا الحزب يكتبون المقالات في الصحف منددين بأعمال الصهيونية.

وقد تركت معارضة الصهيونية أثراً على المولفات والمقالات الأدبية مثل كتاب أسعاف النشاشيبي «الساحر واليهودي» المنشور عام ١٩٠٩، وكتاب «فتاة صهيون» لمعروف الأرناؤوط المنشور عام ١٩١١.

وكذلك ركزت الصحف حملتها على الصهيونية، وأنشأت في القدس الشريف صحيفة جديدة باسم المنادي لمحاربة الصهيونية، ومن الصحف التي كانت تهاجم الصهيونية صحيفتا فلسطين، والكرمل.

☆ تأسيس جمعيات وطنية لنشر التوعية وتقوية الصناعة الوطنية:

وفي شباط عام ١٩١٤ كتبت صحيفة الكرمل تقول: إن الشباب العرب في أستانبول أسسوا جمعية لمكافحة الصهيونية[٢].

وفي نهاية شهر نيسان كتب إبري للدكتور روبين يقول: «إنه واثق من أنه يوجد بين أعضاء منظمتي الشباب في كل من القدس ويافا سواء منهم المسلمون أو المسيحيون من هم على استعداد لمحاربتنا بجميع الوسائل في مختلف أنحاء فلسطين[٣].

---

(١) صحيفة الكرمل ٢٤/ ٢/ ١٩١٤.

(٢) صحيفة الكرمل ٢٤/ ٢/ ١٩١٤.

(٣) نيفيل مندل - الأتراك والعرب والهجرة اليهودية الى فلسطين (مرجع سابق) ص:٤٧٦.

وفي الرابع عشر من حزيران نشرت صحيفة فلسطين رسالة من الشيخ راغب أبو السعود كشف فيها النقاب عن أسماء وبرامج أربع مؤسسات وطنية وخيرية أسست في القدس بقصد الوقوف بوجه الصهيونية. وهذه الجمعيات هي «الجمعية الخيرية الإسلامية»، جمعية الإخاء والعفاف، وشركة الأقتصاد الفلسطيني العربي، وشركة التجارة الوطنية الأقتصادية. وأضاف يقول: إنه يجري تأسيس ناد جديد للتثقيف.

وكذلك أسس الطلبة الفلسطينيون في أستانبول جمعية غايتها محاربة الصهيونية بكل الوسائل، فاذا لم يتسير ذلك من خلال المال فمن خلال رجال العلم والأدب والاخلاص[١].

وكذلك تأسست «جمعية مقاومة الصهيونية» وقد أسسها الطلبة الفلسطينيون في الأزهر الشريف[٢].

وتأسست برعاية نجيب نصار جمعيتان: الأولى في بيروت من شباب نابلس دعيت «الشبيبة النابلسية»، وجمعية المنتدى العربي في حيفا، وقد أسست النساء العربيات «جمعية الإحسان العام»، وجمعية «يقظة الفتاة العربية»، وكانت كلتا الجمعيتين وطنية تتولى برعايتها الصناعات المحلية[٣].

أما صحيفة الاقدام القاهرية الاسبوعية التي صدرت عام ١٩١٤ وتولى رئاسة تحريرها محمد الشنطي وهو فلسطيني الأصل، فقد جعلت الخطر الصهيوني منذ البداية مدار الاهتمام في الحياة العامة والسياسية لفلسطين[٤]. وكانت تجري مقابلات مع المرشحين لمجلس المبعوثان، وجعلت الخطر الصهيوني مدار الحملات الانتخابية، وقد أجرت مقابلت مع مرشحي القدس: سعيد الحسيني وراغب النشاشيبي، وسليم الحسيني، وأجرت مقابلة مع خليل السكاكيني أحد مؤسسي المدرسة الدستورية في القدس حيث كانت تنشر روح العداء للصهيونية، وقد بين السكاكيني مخاطر الصهيونية.

وفي العدد نفسه حذر فيضي العلي، وقال: إذا استمرت الأمور كما هي فسيملك الصهاينة فلسطين ونصبح نحن غرباء فيها.

---

(١) صحيفة الاقدام ٢١/٦/١٩١٤ عن عبد الوهاب الكيالي.
(٢) فتى العرب ٥/٥/١٩١٤.
(٣) الكرمل ٧/٧/١٩١٤.
(٤) الاندام ٢٩/٣/١٩١٤.

أما جميل الحسيني فقد بين مخاطر الصهيونية، وقال: ان الحكومة تؤيد الصهيونية.

وقد ناشد زعماء القدس وغزة ويافا أعضاء المنتدى الأدبي في استانبول وصحيفة بيام التركية العمل على مساعدة شعب فلسطين، وتحدثت النداء عن حالة الفلاح والتاجر وموظف الحكومة الفلسطيني ووضعهم المهدد بسبب المطامع الصهيونية، ونفوذها، مؤكدة أنه اذا لم يسرع المخلصون الى انقاذ الفلسطينيين فان مصيرهم سيكون مماثلاً لمصير الهنود الحمر في أميركا. فالصهيونية التي تشكل دولة ضمن دولة، تهدد مصير العرب، وصميم وجودهم في فلسطين[١].

وقد نشرت جريدة فلسطين مقالاها، حول الضغوطات التي يمارسها بنك انغلو - فلسطين على التجار ورجال الأعمال الذين وقعوا برقية احتجاج ضد الصهاينة. وأورد المقال أسماء التجار المعنيين وبين كيف أنهم سحبوا تواقيعهم أو أنكرها حتى يرفع البنك مقاطعته لهم، باستثناء تاجر واحد رفض سحب توقيعه، ومن ثم ظل يعاني من آثار مقاطعة البنك له.

(١) فلسطين ٢٩/٣/١٩١٤.

الحرب العالمية الأولى

المؤامرة الاستعمارية ضد الدول العربية

في أواخر صيف عام (١٩١٤) كانت الدلائل تشير الى احتمال دخول تركيا الحرب الى جانب ألمانيا، مما دفع انجلترا الى الاتصال بالشريف حسين من أجل اعلان الثورة العربية الكبرى على الأتراك، واعدة اياه بنيل الاستقلال ضمن دولة عربية موحدة في المشرق العربي والجزيرة العربية، وإذا ما ثار العرب على الأتراك فإن الضغط العسكري على قناة السويس يخف، وكذلك تحمى امتيازات النفط في العراق وتبطل دعوى الخليفة العثماني في اعلان الجهاد بين المسلمين.

ولما لاحظت انجلترا تعاظم نفوذ المانيا في الدولة العثمانية، وامتداد الوجود الألماني عبر الخط الحديدي الذي يصل بين برلين وبغداد والحجاز، مما يهدد مصالح بريطانيا ومواصلاتها بين الخليج العربي والهند، اتجهت بريطانيا نحو استغلال الحركة القومية العربية ذات الأهداف الاستقلالية عن تركيا، والتحالف معها بقصد بناء سد في وجه التحالف التركي الألماني[١].

وكان الشريف حسين متردداً ولم يتخذ قراراً بعد لتباين الآراء حول الموضوع، غير أنه في مطلع عام ١٩١٥ اتصل به أحد أعضاء جمعية «العربية الفتاة»، كما زار فيصل جمعية العربية الفتاة في دمشق، وانتسب اليها، ووجد كذلك نفس مشاعر الرغبة بالثورة بين أعضاء «جمعية العهد العسكرية».

وخلال وجود فيصل في دمشق وضع مع الجمعيات خطة وشروطاً تتضمن التعاون مع بريطانيا. وقد عرضت هذه الخطة على الشريف حسين ليقدمها للانجليز كأساس للتعاون، وعرفت ببروتوكول دمشق.

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص: ٨٤.

☆ بروتوكول دمشق:

ويتضمن بروتوكول دمشق الشروط التي يضعها العرب للتعاون مع الحلفاء، وقد وضعت من قبل قادة «جمعية الفتاة» وجمعية «العهد العسكرية» والأمير فيصل.

وقد حدد البروتوكول حدود المملكة العربية كالتالي:

خط مرسين أضنة - أرومه - ماردين - جزيرة ابن عمرو - الى الحدود الايرانية شمالاً، وعلى الحدود الايرانية الى الخليج الفارسي شرقاً، والمحيط الهندي جنوباً، والبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط حتى مارسين غرباً. ومن الواضح أن فلسطين هي جزء لا يتجزأ من الدولة العربية المرجوة.

وقد تبنى الشريف حسين ما جاء في بروتوكول دمشق، وأصر على نيل الاستقلال السياسي، وقد تبادل مع مكماهون عدة ر سائل في هذا الموضوع[١].

وقد كان المسؤولين البريطانيين يجهلون حقيقة قوة تيار «الفتاة» و«العهد العسكرية» من الناحيتين السياسية والعسكرية، وقد تسنى للمسؤولين البريطانيين في القاهرة الاطلاع على مدى قوة هذه الجمعيات، وذلك بفضل المعلومات التي قدمها محمد شريف الفاروقي أحد الضباط العرب المنتمين الى جمعية «العهد» العسكرية، وكان قد فر من الجيش التركي في جبهة غاليبولي، وكانت هذه المعلومات إحدى العوامل التي جعلت مكماهون يقبل بشروط الشريف حسين[٢].

ويتضح من مراسلات حسين - مكماهون أن حدود دولة الاستقلال العربي التي طالب الشريف حسين بها هي حدود بروتوكولات دمشق نفسها، وأن التزموا قبلوا بها، وهناك العديد من الوثائق البريطانية السرية الرسمية التي تدل دلالة قاطعة على وقوع فلسطين ضمن دولة الاستقلال العربي، فقد قال وزير الخارجية البريطاني صراحة في جلسة مجلس الوزراء المعقودة في ٢٧/ ١١/ ١٩١٨ أن ذلك يشكل دليلاً اضافياً قاطعاً على أن فلسطين تدخل ضمن المنظمة التي وعدت بريطانيا بالاعتراف بها بعروبتها واستقلالها في المستقبل[٣].

---

(١) للاطلاع على رسائل حسين - مكماهون كاملة ارجع الى الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث ٣٦٧-٣٩٨.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص:٨٨.

(٣) مكتب السجلات العامة: CAB، صفحة ٢٧-٣٤.

☆ أحرار العرب على اعداد مشانق الأتراك:

كانت خطة الشريف حسين والجمعيات العربية تقضي باعلان الثورة في الحجاز وفي الولايات العربية من المشرق العربي في آن واحد.

لكن جمال باشا السفاح أطلع على أوراق مصادرة من القنصلية الافرنسية في بيروت، وتبين فيها وجود تنظيمات ثورية تضم سياسيين عرب وعسكريين داخل الجيش العثماني، فأخذ جمال باشا السفاح يفتك بالأحرار.

فأعدم القافلة الأولى من الشهداء في ٢١ آب ١٩١٥ وكانت مكونة من (١١) شهيداً، أما القافلة الثانية من الشهداء فكانت مكونة من (٢١) شهيداً، فقد أعدمت في السادس من آيار عام (١٩١٦) وقد ضمت عدداً من رجالات المؤتمر العربي الأول، وكانت التهمة الموجهة لهؤلاء الأحرار هي «العمل من أجل استقلال سوريا وفلسطين والعراق ولبنان عن الدولة العثمانية.

الأحرار العرب على مشانق الأتراك

لبنان	سوريا	فلسطين
محمد المحمصاني	عبد الحميد الزهراوي	حافظ السعيد(مات في السجن)
جوزيف هاني	شفيق المؤيد	الشيخ سعيد الكرمي
الأمير عارف الشهابي	شكري العسلي	(خفف الحكم لمؤبد)
أحمد طبارة	رشدي الشمعة	حسن حماد (نجا بأعجوبة)
جورج حداد	الأمير عمر الجزائري	سيف الدين الخطيب
يوسف الحايك	مسلم عابدين	د.علي عمر النشاشيبي
نخلة المطران	نايف تللو	محمد الشنطي
محمود المحمصاني	عبد القادر الخرسا	أحمد عارف الحسيني
صالح حيدر	محمود العجم	مصطفى أحمد الحسيني
الكولونيل سليم الجزائري	نور الدين القاضي	عبد الكريم الخليل
الشيخ أحمد طبارة	علي الأرضنازي	سليم عبد الهادي
توفيق البساط	عبد الوهاب الانجليزي	
سعيد عقل	رفيق رزق سلوم	
جرجي الحداد	الكولونيل أمين لطفي الحافظ	
	عبد الغني العريس	
	حلال النجازي	

وقد اهتم عرب فلسطين مسلمين ومسيحيين بقيام الثورة العربية الكبرى، والتحق الضباط الجنود الفارون من الجيش التركي بصفوفها، ومن لم يستطع الوصول الى القوات العربية كان يفر من الجيش التركي ويختبىء في القرى البعيدة.

وكان من الضباط الفلسطينيين الذين التحقوا بالثورة العربية الكبرى:

ابراهيم عبد الحليم طهبوب، صبحي الخضراء، فايز طوقان الحسيني، فايز الغصين، صدقي القاسم، أديب وهبة، عبد الله المغير، عبد الفتاح أبو النصر الباقي، اسحق محمد صالح الحسيني، حكمت درويش، محمد أبو الفيلات[١]. وحربي الأيوبي.

وكان أهل القدس ينشدون في حلقات خاصة يعقدونها خفية عن الأتراك أهازيج وأناشيد عن الثورة العربية الكبرى تتعلق بالشريف حسين والأمير فيصل واخوته، وقد تسربت هذه الأناشيد من دمشق الى القدس[٢].

ومن الأناشيد التي كانت شائعة في الثورة.

أيهـــا المـــولـــى العظيـــم فخـــر كـــل العـــرب
ملـــك الملـــك العظيـــم ملـــك قحطـــان الأب

وهذا النشيد نظم من قبل خليل السكاكيني (المقدسي).

ومن الأناشيد والأهازيج:

فيصل دخل الشام، وزيد دخل معان، يا عيني.

☆ اتفاقية سايكس - بيكو:

وقبل أن يجف مداد مراسلات حسين - مكماهون دخلت بريطانيا في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية وروسيا لاقتسام مناطق الدولة العثمانية، ضاربة بعرض الحائط بوعودها للعرب.

وقد تمخض عن هذه المباحثات اتفاقية سايكس/ بيكو[٣]، وقد حصلت بموجب هذه الاتفاقية فرنسا على سوريا ولبنان، وبريطانيا على العراق، وشرقي الأردن وفلسطين.

---

(١) إميل الغوري - فلسطين عبر ستين عاماً - دار النهار للنشر - بيروت لبنا، ص: ٢٤.
(٢) يعقوب كامل الدجاني، الثورة العربية الكبرى - دار القدس للنشر والتوزيع - عمان ١٩٩١ ص: ٣٤.
(٣) مارك سايكس المندوب السامي البريطاني لشؤون الشرق الأدنى وعضو مجلس العموم.
جورج بيكو - القنصل العام الفرنسي في بيروت، وقد عينته الحكومة الفرنسية مندوباً سامياً لمتابعة شؤون الشرق الأدنى.

مقاومة عرب فلسطين

من الاحتلال البريطاني إلى ثورة العشرين ١٩١٧-١٩٢٠

هيمنت أحداث الحرب العالمية الأولى على العرب في فلسطين، وأنهكتهم اقتصادياً، إلا أن تلك الأحداث لم تصرف النظر عن مقاومة الصهيونية.

وفي تقرير أعده المكتب العربي (مؤسسة عسكرية بريطانية مقرها القاهرة)، ورفع هذا التقرير في مطلع عام (١٩١٧)، أبلغ المسؤولون البريطانيون أنه تم بالفعل تشكيل جمعية في القدس تضم الطبقة المثقفة من الشباب المسلم لمحاربة الأستعمار اليهودي[١].

ولما كانت بريطانيا تدرك طبيعة مشاعر العرب تجاه الصهيونية، فقد حاولت أن تحول دون إجراء أي بحث لموضوع الصهيونية خلال الحرب[٢].

وعندما نشرت صحيفة القبلة التابعة للشريف حسين مقالا عن الصهيونية[٣]، في أواخر عام ١٩١٦، وأصدر الجنرال ماكدونت رئيس الأستخبارات البريطانية تعليماته إلى الجنرال كلايتون رئيس الشعبة السياسية في البعثة العسكرية المصرية، ورئيس المكتب العربي بأن يوجه إلى شريف مكة «إنذاراً جدياً وشخصياً» وأن يحثه على بذل أقصى جهده للحيلولة دون بحث هذا الموضوع الخطير[٤].

واستطاعت جهود بريطانيا أخفاء الحقائق عن العرب، وأن تحول فقدان حسن النية لدى العرب واستقبلت الجيوش البريطانية بالترحاب، بوصفها جيوش تحرير.

---

(١) المكتب العربي «مذكرة حول المسألة اليهودية الفلسطينية - ٥/ ٢/ ١٩١٧-٨٣٢-١٤، ص: ١٦٠.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص: ١٠٣.

(٣) يعقوب كامل الدجاني - الدور الذي لعبه عرب شرقي الأردن في نضال أخوانهم عرب فلسطين ١٩٠٨-١٩٤٩ عمان ١٩٩٢، ص: ٢٦.

(٤) سايكس يوكانان ١٤/ ٥/ ١٩١٦ وخ ٣٧١-٢٧٦٧ مكدونال الى كلايتون في ٢١/ ١١/ ١٩١٦ وخ ٨٨٢٠-١٤ (عن الكيالي).

لقد تحددت مواقف جميع الفرقاء في هذه المرحلة، كما توضحت المعالم الواضحة للصراع الفلسطيني في ظل الحكم البريطاني الملتزم بدعم المطامع الصهيونية، وأقامة وطن قومي لليهود في أرض فلسطين.

وكانت بريطانيا تقدم الدعم العسكري والسياسي للحركة الصهيونية، وبالمقابل تخفي الحقائق عن عرب فلسطين تمهيداً لفصل فلسطين عن سوريا، وتمكين السيطرة الاستعمارية والصهيونية على فلسطين.

أذاع القائد العام لقوات الحلفاء في الشرق الأوسط بياناً على العرب (يوم ١٠/٨/١٩١٨) جاء فيه: «إن الهدف الذي من أجله حاربت فرنسا وبريطانيا في الشرق الأوسط، يكمن في عزم الدولتين على تحرير شعوبه بصورة كاملة ونهائية، حكومات وإدارات قومية تستمد سلطانها من الأدارة الحرة لشعوب هذه المنطقة»[١]، وإذن فقد كان من المفروض وفقاً لما تضمنه هذا البيان ووفقاً لما قطعته أنجلترا على نفسها من العهود تجاه العرب والشريف حسين، أن تنسحب القوات البريطانية - الفرنسية بعد أبعاد القوات التركية عن البلاد العربية، ولكن القوات البريطانية استقرت في فلسطين والأردن والعراق، فيما زحفت القوات الفرنسية لاحتلال سوريا ولبنان، وظهر لأهل فلسطين بخاصة خطر هذه التحولات التي حصلت في بلاد الشام والعراق وأخضعتها لحكم القوات الأجنبية، وربطت بين هذه الأحتلالات وبين ما أعلن عن (وعد بلفور) الذي وصف بأنه: «من أغرب الوثائق في التاريخ، أذ منحت بموجبه دولة أستعمارية أرضاً لا تملكها - هي فلسطين - إلى جماعة لا تستحقها - وهي جماعة الصهيونيين - على حساب من يملكها - وهو الشعب العربي الفلسطيني - مما أدى إلى أغتصاب وطن شعب بكامله على نحو لا سابقة له في التاريخ، ومما يسترعي الأنتباه أن أنجلترا أقدمت على أرتكاب هذه الجريمة قبل أن تصل جيوشها إلى القدس، وفيما كانت تتقدم في هذه الجيوش بفضل مساعدة حلفائها - العرب.

---

(١) إميل الغوري - فلسطين عبر ستين عاماً (مرجع سابق) ص: ٣٠.

☆ الجنرال الصليبي:

دعي الوجهاء والموظفون الرسميون في القدس لأستقبال اللنبي ومن بينهم:

مفتي القدس الشيخ كامل الحسيني، ورئيس بلديتها حسين سليم الحسيني، وبطاركة النصارى وحاخام اليهود، وقد صافحوا جميعاً اللنبي. وبعد فترة ساد الهرج والمرج وانسحب المفتي دون أن يصافح اللنبي، وسبب ذلك أن الجنرال اللنبي لم يذكر جهود العرب بشيء، وتحدث عن الحروب الصليبية وقال:

«اليوم أنهت الحروب الصليبية»[1].

وقد قال أحمد شوقي مخاطباً اللنبي.

يا فاتح القدس خلِّ السيف ناحية.

ليس الصليب حديداً كان بل خشبا.

وبعد أيام قليلة من دخول اللنبي إلى القدس، كتب الكولونيل التابع للبعثة العسكرية المصرية يصف ردود الفعل الأولية لوعد بلفور، فقال:

«إن نبأ تصريح بلفور فيما يتعلق بفلسطين جديد على القدس، وقد أحدث قدراً غير ضئيل من المخاوف بين العناصر التي بلغني أنها تحاول مقابلتي».

وقد أعلن عن وصول لجنة صهيونية هدفها أن تنجر ضمن سلطة اللنبي أية خطوات تستدعيها مقتضيات تنفيذ تصريح الحكومة بشأن إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وفي الوقت نفسه تهدئة شكوك العرب بشأن النيات الحقيقية للصهيونية.

☆ الجمعيات الإسلامية المسيحية:

وقبل وصول اللجنة نظم العرب صفوفهم في فلسطين، وتشكلت الجمعيات الإسلامية- المسيحية التي كانت مماثلة للمنظمات الصهيونية واليهودية.

---

(١) ديدس إلى المندوب السامي في مصر ١٦/١٢/١٩١٧ وخ (١٤١-٨٠٣).

وقد حاول الموظفون البريطانيون خلق جو من الوفاق والوئام، ولكن جهودهم باءت بالفشل - وكان كلاتيون يأمل متفائلاً بأن «تفلح الاجتماعات التي ستعقد بين أعضاء اللجنة الصهيونية وبين البارزين من الوجهاء المحليين العرب في إزالة مخاوف الجمعيات الإسلامية - المسيحية في فلسطين، إلا أن آماله خابت، فالعرب متخوفون من انتزاع بلادهم لليهود، واليهود متخوفون من التعصب والمحاولات الرامية للسيطرة عليهم.

ولقد كتب وايزمان رسالة بعث بها إلى الزعيم الصهيوني الأميركي برانديس وجاء فيها[1].

«إن المجتمع غير اليهودي، ولا سيما المجتمع العربي: بمسلميه ومسيحييه على السواء، فسر التصريح على أنه يعني أعتزام الحكومة البريطانية إقامة حكومة يهودية في نهاية الحرب لتحرم العرب من أراضيهم، وتخرجهم من البلاد، ونظروا إلى اللجنة كما لو كانت رأس حربة للرأسماليين اليهود، ومن الطبيعي أنهم أستقبلونا بأكبر قدر من الشبهات».

وقد أيد ناحوم سوكوز في أجتماع ترأس فيه اللجنة السياسية الصهيونية بلندن في السادس عشر من آب ١٩١٨ الغاية المقصودة من محاولة الصهيونية إجراء أتصالات مع العرب خارج فلسطين (القاهرة والحجاز) عندما قال أن الصهيونيين لا يأملون بأن يقيموا أحسن العلاقات مع الممثلين الحقيقيين للعرب خارج فلسطين وذلك حتى يؤثروا في العرب داخل فلسطين[2].

وقد قام عرب فلسطين بتوثيق عرى التحالف مع الحركة العربية العامة[3]، فقد تبنى عرب فلسطين «العلم العربي»، والنشيد القومي العربي»، نشيد الثورة العربية الكبرى، كما تمكنوا من إقامة مؤسسات أجتماعية وثقافية.

وقد تشكلت عدة جمعيات في يافا هي: «دار العلوم الإسلامية»، و«جمعية الشبيبة اليافية» و«جمعية التعاون المسيحي والجمعية الأهلية».

وظهر كذلك أول نادٍ نسائي عربي، وتم في القدس تشكيل جمعية مسيحية إسلامية ذات برنامج يهدف إلى مقاومة السيطرة اليهودية وإلى مكافحة النفوذ اليهودي والحيلولة

---

(١) وايزمان إلى برانديس ١٩١٨/٤/٢٧ و خ ٣٧١-٣٣٩٥.
(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي «تاريخ فلسطين الحديث» (مرجع سابق) ص: ١١٥.
(٣) كلايتون إلى ونيغي ١٩١٩/٨/٢ أوراق كلايتون ١٤٩ - ٣، (عن الكيالي).

بكل الوسائل الممكنة دون شراء اليهود للأراضي، وكذلك تم إحياء النادي العربي في القدس برعاية الحاج أمين الحسيني.

وقد تشكلت الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس عام ١٩١٨ من:

موسى كاظم باشا الحسيني (رئيس البلدية)، عارف باشا الدجاني، جميل الحسيني وشكري الكرمي، أنضوني الغوري، خليل السكاكيني، عبد القادر العفيفي، الياس مشيل، أنضوني الحلبي، جودت النشاشيبي، حسام أبو السعود، إسحق البديري، شلبي الجمل، إبراهيم الشماس، بالإضافة إلى آخرين من أعيان القدس وزعماء القرى.

وكان - إضافة إلى الجمعيات المسيحية الإسلامية - كتلة من الشباب تعمل بنشاط وحماس في العمل الوطني ومنها: أمين الحسيني، إسحق درويش كامل البديري، جميل التهاني، إبراهيم درويش، سعد الدين الخطيب، عبد اللطيف الحسيني. منيف الحسيني.

☆ المؤتمر العربي الفلسطيني الأول:

إنعقد المؤتمر العربي الفلسطيني الأول في القدس خلال الفترة ما بين ٢٧ كانون الثاني والعاشر من شباط عام (١٩١٩) وكان يرأسه عارف باشا الدجاني، وفيه ممثلون من جميع أنحاء فلسطين، وقد أتخذ المؤتمر القرارات التالية:

١- أننا نعتبر فلسطين جزءاً من سوريا العربية إذلم يحدث قط أن أنفصلت عنها في أي وقت من الأوقات، ونحن مرتبطون بها بروابط قومية ودينية ولغوية وطبيعية وأقتصادية وجغرافية.

٢- أن التصريح الذي أدلي به المسيو بيكو وزير خارجية فرنسا وقال فيه أن لفرنسا حقوقاً في بلدنا مبنية على رغائب ومطامح السكان ليس له أساس، ونحن نرفض جميع التصريحات التي أدلى بها في الخطاب الذي ألقاه في التاسع والعشرين من كانون الأول ١٩١٨، لأن تمنياتنا ومطامحنا تنحصر في الوحدة العربية والأستقلال التام.

٣- بناء على ما تقدم، أننا نعرب عن رغبتنا بأن لا تنفصل سوريا الجنوبية أو فلسطين عن حكومة سوريا العربية المستقلة وأن تكون متحررة من جميع أنواع النفوذ والحماية الأجنبية.

٤- وفقاً للمبدأ الذي وضعه الرئيس ولسون وأقرته معظم الدول الكبرى نعتبر كل وعد صدر أو معاهدة عقدت فيما يتعلق ببلادنا ومستقبلها لأغية وباطلة ونحن نرفضهما.

٥- إن حكومة هذه البلاد ستطلب العون من صديقتها بريطانيا العظمى إذا دعت الحاجة إلى إحداث تحسين أو تطوير في البلاد شريطة أن لا ينقص ذلك من أستقلالها أو يؤثر في الوحدة العربية بأي شكل من الأشكال، كما أنها ستبقى على علاقات طيبة مع الدول الحليفة[١].

وقرر المؤتمر إيفاد السادة: إبراهيم عبد الهادي، حيدر عبد الهادي، الشيخ راغب أبو السعود، جبران قرفا، وعزت دروزة إلى دمشق «لأبلاغ الوطنيين العرب هناك مضمون القرار الذي يدعو إلى تسمية فلسطين سوريا الجنوبية، وتوحيدها مع سوريا الشمالية.

وسمي ثلاثة للذهاب إلى باريس، وبلغت قرارات المؤتمر كتابياً إلى ممثلي بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا في القدس.

☆ وايزمان ينادي بدويلات طائفية:

طالب وايزمان بأمتيازات لليهود، وبإعطائهم أراضي الدولة لتوطين ما بين أربعين وخمسين ألف يهودي سنوياً، وقد وافقت بريطانيا على هذا المطلب.

وقد كان الأستعمار البريطاني يميل إلى تشجيع العناصر غير الإسلامية من أوروبية ويهودية على إستعمار فلسطين، في ضوء الإفتراض بأن الإسلام هو الخطر الرئيسي[٢]، كما كان يميل إلى تشجيع فكرة إنشاء دويلات طائفية لتفتيت وحدة العرب وبعثرة جهودهم وقواهم أمام أوروبا الصهيونية.

☆ مظاهرات في القدس.

أصدرت «الجمعية الإسلامية المسيحية» في القدس بياناً بالمطالب الوطنية وذلك في آذار عام ١٩١٩ ضمنته أحتجاجها على تصريح بلفور وإستمرار الأحتلال البريطاني، ودعت إلى القيام بمظاهرات سليمة في كافة أنحاء فلسطين، لأفهام لجنة كنغ - كراين إصرار الشعب على مطالبه[٣].

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص: ١٢٧.
(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، صفحة ١٢٧.
(٣) إميل الغوري - فلسطين عبر ستين عاماً - دار النهار للنشر ش م ل ١٩٧٣ ص: ٣.

وأتفق على أن يخرج المسلمون من ساحة المسجد الأقصى ليلتقوا بعد خروجهم مع العرب المسيحيين، وكان يتقدم المظاهرة موسى كاظم باشا الحسيني، وإلى جانبه عارف باشا الدجاني والأعضاء المسلمون والمسيحيون في الجمعية الإسلامية مع المسيحية، وقد طافت المظاهرة مزارع القدس وسلم المتظاهرون عرائض إلى عدة قنصليا ت.

وكان المتظاهرون ينشدون[١].

أنـــت ســـوريـــة بـــلادي أنـــت عنـــوان الفخـــامـــة

كما كان من أبرز الأهازيج.

فيصـــل يـــا رأس العـــربـــان مـــن مكـــة لبـــاب الشـــام

وقامت مظاهرة ثانية في شهر نيسان من عام ١٩١٩، وقد أوعز اليهود للسلطات البريطانية بعدم السماح للمظاهرة السير في الأحياء اليهودية فوافق العرب على ذلك وسارت المظاهرة في الأحياء العربية جميعها وألقى بعض الخطباء كلماتهم ثم أعلن موسى كاظم باشا الحسيني أنتهاء المظاهرة.

☆ **المواسم الدينية:**

كانت تجري في فلسطين، كل عام، ما يعرف بالمواسم الدينية، مثل موسم النبي موسى في القدس في أسبوع الآلام عند المسيحيين الشرقيين، وموسم النبي صالح في الرملة في الأسبوع الذي يلي عيد الفصح الشرقي، وموسم النبي روبين في جنوبي يافا في الخريف، وموسم المنطار في غزة وموسن النحل في المجدل وغيرها[٢].

وتعود هذه المواسم في أصلها إلى عهدي صلاح الدين الأيوبي والمماليك.

وكانت تقام أجل حشد المسلمين وجمعهم تحسباً للحوادث ولأظهار قوتهم.

وكان موسم النبي موسى في القدس، من أهم هذه المواسم وأعظمها شأنا وكان يصادف أسبوع عيد الفصح (أسبوع الآلام) وكان يحتشد المسلمون في القدس ثم يتحركون إلى مقام النبي موسى (على مسافة ٢٥ كيلو متر إلى الشرق من القدس).

وجرى أول أحتفال بموسم النبي موسى في القدس بعد الأحتلال البريطاني وكان في نيسان (١٩١٨) وعلى أثر قيام الحركة الوطنية الفلسطينية، عمل قادتها على صبغ

(١) نفس المرجع، ص: ٤.
(٢) إميل الغوري - فلسطين عبر ستين عاماً - دار النهار للنشر - لبنان - بيروت ١٩٧٢، ص: ٤٩.

المواسم بالصيغة الوطنية، فقد تحول موسم النبي موسى إلى مواكب وطنية ومظاهرات شعبية، وجعل وسيلة للتوعية، وأثارة روح الحماس والمقاومة، وقد بلغ من عمق المظهر الوطني والسياسي الجديد لموسم النبي موسى أن المسيحيين العرب كانوا يشاركون فيه (على الرغم من الصبغة الدينية الإسلامية التي كانت تلازمه)(١).

☆ **ثورة القدس.**

في يوم الأحد ٤ نيسان ١٩٢٠ كان عيد (الشعانين) لدى العرب المسيحيين (الشرقيين)، وكان أيضاً موعد وصول بيرق الخليل في أحتفالات موسم النبي موسى، وقد تجمع العرب وكان موسى كاظم باشا الحسيني «رئيس البلدية ورئيس الجمعية الإسلامية المسيحية» فوق شرفة بنك (الكريدي ليونيه الفرنسي)، وكان عدد من الزعماء والشباب يملأون الشرفة، وقد تحدث عدد من الأشخاص منهم:

عارف العارف والشيخ عبد الفتاح درويش، وخليل بيدس، والحاج أمين الحسيني، وبعد أن بدأ كلمته، رفع صورة الملك فيصل بن الحسين ونادى: «أيها العرب هذا ملككم».

وقد قام اليهود بزعامة الأرهابي (فلا ديمير جابوتنسكي)، بمظاهرة مسلحة لدخول البلدة القديمة والوصول إلى الحي اليهودي فيها، إلا أن العرب منعوهم من ذلك، وقد أستعملت القوات البريطانية الأسلحة النارية لتفريق المتظاهرين وقد أدى ذلك إلى وقوع (٢٥١) إصابة توفي منهم تسعة، وكانت أصابات (٢٢) منهم خطيرة./

بينما كانت أصابات (٢٢٠) بسيطة، ومن بين هذه الأصابات شملت إصابات اليهود خمس وفيات و(١٨) إصابة خطيرة و (١٩٣) إصابة بسيطة معظمها تسببت عن هجمات العرب بالخناجر والعصي والحجارة، وجرح سبعة جنود بريطانيون كلهم بالطبع على أيدي المتظاهرين العرب(٢).

وأستمرت الأنتفاضة وأعمال العنف طيلة الفترة الواقعة بين الرابع والعاشر من نيسان.

☆ **أعتقال الزعماء:**

فرضت السلطات البريطانية نظام منع التجول على الأحياء العربية، وقبضت على العشرات من الشباب وأعتقلت موسى كاظم الحسيني، وحاولت السلطات البريطانية

---

(١) نفس المرجع، ص: ٤٦.
(٢) إميل الغوري - فلسطين عبر ستين عاماً (مرجع سابق) ص: ٥٧.

أعتقال الحاج أمين الحسيني، وعارف العارف، إلا أنهما فرأ إلى شرقي الأردن وأقاما في السلط، وقد أصدرت السلطات البريطانية حكماً غيابياً على كل من الحاج أمين الحسيني وعارف العارف بالأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاماً وعشرة أعوام، وكان عارف العارف يصدر جريدة (سورية الجنوبية).

وفي عام ١٩٢١ توفي كامل الحسيني مفتي القدس، وأصبح منصب الأفتاء شاغراً.

☆ الحاج أمين الحسيني:

يقول إميل الغوري: أنه بعد إعلان الحكم المدني البريطاني في فلسطين أصدر المندوب السامي عفواً عن أمين الحسيني وعارف العارف، وسمح لهما بالعودة إلى البلاد. فقبل عارف العارف العفو وعاد إلى القدس (ثم توظف في الحكومة)، أما أمين الحسيني (وكان يقيم في الشام) فقد رفض العفو لأنه لم يكن مجرماً ليعفى عنه، وبعث برسالة إلى المندوب السامي جعل مطلعها بيت الشعر التالي:

أبـريـيء يعفـو عنـه مجـرم   كيـف تسـدي العفـو أيـدي المجـرم

وأشترط لعودته إلى القدس الغاء حكم المحكمة العسكرية: فلما ألغي هذا الحكم عاد الحاج أمين إلى البلاد ليستأنف جهاده في سبيل وطنه وشعبه.

بينما يقول سليمان الموسى عن نفس الموضوع:

«أثناء إجتماع الشيوخ بالمندوب (المندوب السامي في فلسطين هربرت صموئيل) طلبوا إليه أن يصدر عفوا عن الحاج أمين الحسيني والسيد عارف العارف، فقال المندوب أنه أعلن في السابق أن العفو لا يمكن أن يصدر عنهما إلا بعد أن يستسلما للسلطة المنتدبة في فلسطين، ولكنه إكراماً للشيوخ يعلن العفو عنهما دون أية شروط، وكان السيد عارف موجوداً في السلط عند آل الخطيب، فحضر إلى مكان الإجتماع وألقى كلمة شكر فيها المندوب وحيّا العرب.

ولتباين الرأي فأنا ميال إلى تصديق رواية سليمان الموسى، إذ لا يعقلٙ أن يتلقى هربرت صموئيل الصهيوني مثل البرقية التي يوردها الغوري في كتابه من زعيم يشكل خطراً على كيان فلسطين ويصف المندوب السامي بالمجرم ويرضخ لمطالبه.

إضافة إلى ما يلي:

١- يورد إميل الغوري في كتابه (صفحة ٥٨) أن الحاج أمين الحسيني أصبح مفتياً عام ١٩٢١.

٢- ثم يورد في نفس الصفحة نبأ قدوم تشرتشل إلى القدس في أواخر شهر آذار ١٩٢١.

٣- طبق الحكم المدني في فلسطين في ١/ تموز/ ١٩٢١.

إذا كيف أصبح الحاج أمين الحسيني مفتياً في القدس قبل أن تشكل الإدارة المدنية ويصدر عنه عفواً.

☆ إنشاء الحكومة المدنية:

في ١/ تموز/ ١٩٢١ أقيمت الحكومة المدنية لأول مرة في فلسطين، وقد وصل البلاد من أعضائها هربرت صموئيل يهودي الأصل وأحد صانعي وعد بلفور والذي عين مندوباً سامياً، ونورمان مثبوش وعين مدعياً عاماً ورئيس مشرعي القوانين الفلسطينية والبرت هيافن الذي عُيّن مديراً لدائرة الهجرة وماكس نيورك السكرتير للحكومة.

وأول عمل قام به هؤلاء في ١٩٢٠/٨/٢٦ السماح بدخول (١٦٫٥٠٠) مهاجر يهودي للبلاد. ثم سنوا قانون نقل ملكية الأرض لصالح اليهود، وقد تم نتيجة ذلك بيع أكثر من (١٨) قرية، وطرد (٦٨٨) عائلة عربية.

ومن بين الإجراءات التي كانت تحابي اليهود منحهم أمتيازات فيما يتعلق بالأراضي الأميرية، وبالمصادر الطبيعية للبلاد مثل الري والكهرباء وإستخراج البوتاس.

☆ السكان وملكية الأرض:

عندما أنتهت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨، كان عدد سكان فلسطين حوالي ٧٠٠٫٠٠٠ نسمة منهم ٥٧٤٫٠٠ مسلم عربي و٧٠٫٠٠٠ عربي مسيحي و٥٦٫٠٠٠ يهودي، وكان اليهود يمتلكون ٢٪ من الأراضي.

وقد كانت السياسة الصهيونية المتعلقة بالأرض تشكل جزءاً من دستور الوكالة اليهودية لفلسطين الذي وقع في زيورخ بسويسرة بتاريخ ١٩٢٩/٨/١٤.

وبموجبه أنشيء الصندوق القومي اليهودي Kern Kymeth وصندوق التأسيس الفلسطيني Keren Hayesot.

الفصل الرابع عشر

وعد بلفور

الخطأ منذ بداية المعركة:

عندما بدأت المعركة مع الصهيونية إثر إعلان وعد بلفور سنة ١٩١٧، وهذه المرتكزات «الدينية المزيفة»، كانت وحدها فقط الدافع الوحيد لإعطاء ذلك الوعد آنذاك، وقد صمت رجال الدين والمفكرون في المشرق العربي تجاه هذه القضية، ولم يحاولوا بحث صحتها أو مدى انطباقها على أسس الديانة المسيحية. واصبح هذا المطلب اليهودي المرتكز على التضليل الغربي، وكأنه هو المعطية الحقيقية.

وبما أنه لم يظهر أمام العالم المسيحي الغربي أي إتجاه ديني معاكس لما كان اليهود يطالبون به «دينياً»، لذلك سيطر التضليل فوق ساحة الحقيقة، وهكذا انتشر التفسير اليهودي المدعوم بالزخم الصهيوني، وطمست الحقيقة وكل الآراء المخالفة لذلك التضليل، ورسخ في الأذهان وقتذاك أن محاولة الصهيونية لإقامة دولة يهودية في فلسطين أمر بدهي وواقعي وأنه «يمثل نضالاً من أجل غاية عظيمة» كما قال رئيس وزراء إنجلترا لويد جورج للزعيم الصهيوني وإيزمان.

لقد تحمّس لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني، وتشرشل وزير المستعمرات وبلفور وزير الخارجية بعد أن سيطرت على عقولهم الخلفية الذهنية المؤاتية للمآرب الصهيونية، ولكن هذا التدين والحماس لم يكونا أصيلين في أذهانهم بل جاء نتيجة تضليل وتفاسير خاطئة قام بها اليهود لإقامة دولتهم قبل الصهيونية، ثم أكملتها الصهيونية بكل ذكاء ولباقة فترسخت في أذهان كثير من الألمان والفرنسيين والإنجليز.

لقد اخطأنا منذ البداية إذ كان علينا منذ ذلك الزمن أن ندحض المرتكزات الدينية الزائفة بالحقائق الدينية الأصلية الواضحة التي وحدها فقط تستطيع أن تجتث الزيف وتقضي على التضليل من الأساس.

كان علينا أن نبين للمتحمسين البريطانيين في ذلك العهد أن ما «ظننتموه نضالاً من أجل فكرة عظيمة» ما هو إلا «تزييف لإرادة الله وتفسير خاطىء لآيات التوراة، وتضليل مقصود للفكر المسيحي».

النورانيون:

من المعروف أن حاخامي اليهودي يزعمون لأنفسهم السلطة المطلقة في تفسير ما يسمونه المعاني السرية للكتابات المقدسة وذلك بواسطة إلهام إلهي خاص. وليس لهذا الادعاء أهمية تذكر في حد ذاته إذ لم يكن بيد هؤلاء الحاخامين جمعية أو وسيلة ليضعوا ما تلقوه في الوحي موضع التنفيذ، وهكذا اجتمع عدد من المرابين وكبار الحاخامين والمديرين والحكماء، وقرروا أن يؤسسوا مجمعاً سرياً يعمل على تحقيق أغراضهم، وسموه المجمع النوراني The llumi nati وكلمة نوراني مشتقة من كلمة «لوسيفير Lucifer» التي تعني (حامل الضوء) أو (الكائن الفائق الضياء). وهكذا فإن المجمع النوراني قد أنشيء لتنفيذ الإيحاءات التي يتلقاها كبار الحاخامين من لوسيفر (أي إبليس) وهكذا نرى صوابية تسمية المسيح لهم كاتب الشيطان[1].

النورانيون والصهاينة واليهود:

إن النورانيين هم عبدة الشيطان وأتباعه، وهم لا يؤمنون بالأديان ولا بالأخلاق، بل يؤمنونْ بالمادة والمال. (وكلمة النورانيين تعبير شيطاني يعني حملة النور).

وفي عام ١٧٧٦ نظم وإيزهاويت جماعة النورانيين لوضع المؤامرة العالمية لتدمير العالم موضع التنفيذ، ولجأ إلى الوصول إلى تأسيس حكومة عالمية واحدة، تتكون من ذوي القدرات الفكرية الكبرى، ممن يتم البرهان على تفوقهم العقلي، وقد استطاع وايز هاويت أن يستقطب ما يقارب الألفي شخص من بينهم أبرز المتفوقين في ميادين الفنون والآداب والعلوم والاقتصاد والصناعة.

وأسس عندئذ محفل الشرق الأكبر، ليكون مركزاً للقيادة السرية لرجال المخطط الجديد وتقتضي خطته المنقحة من أتباعه النورانيين اتباع التضحيات الآتية، لتنفيذ أهدافهم:

١- استعمال الرشوة بالمال والجنس للوصول إلى السيطرة على الأشخاص الذين يشغلون المراكز الحساسة.

---

(١) وليام غاي كار-أحجار على رقعة الشطرنج، ترجمة سعيد جزائري-دار النفائس-بيروت. ص: ٨٩.

٢- يجب على النورانيين الذين يعملون بالتدريس بالجامعة استقطاب الطلاب الأذكياء والنابهين، وأبناء العائلات ليصبحوا نورانيين.

٣- يتم استخدام الطلاب والأشخاص الذين سقطوا في شباك النورانيين أدوات لتحقيق الأهداف النورانية.

٤- السيطرة على الصحافة ووسائل الإعلام وتسخيرها لخدمة النورانيين.

وقد استطاع النورانيون وقادتهم ومعظمهم من اليهود اثارة المشاكل في العالم من أجل تدميره، وبناء الهيكل في القدس، وجعل دولة إسرائيل سيدة العالم.

أعمال النورانيين واليهود خلال التاريخ:

١- أن اليهود ومن ورائهم حلفاؤهم النورانيين هم الذين غذوا ثورة كرمويل عام ١٦٤٠، وساعدوه على الوقوف ضد ملك بريطانيا، وقسموا الشعب الإنجليزي إلى كاثوليك وبروتستانت، وهدفهم من ذلك تقويض الحكم الشرعي في إنجلترا لتدميرها ضمن مخطط واسع لتدمير العالم.

٢- غذى اليهودي والنورانيون الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ . وتغلغلت خلاياهم ضمن جماهير الشعب الثائرة وكان يمول هذه العملية ويشرف عليها روتشلد اليهودي.

وبعد الثورة الفرنسية تألف المجتمع النوراني، وهو يتشكل من كبار المرابين والمديرين والحكماء، وهم ينفذون كل تعاليم الشر لتدمير العالم.

٣- كما لعبت النورانية واليهود دوراً بارزاً في الحرب الأهلية الأميركية البريطانية عام ١٧٧٥، مول اليهود النورانيون الحكومة البريطانية في هذه الحرب، وبعد إنتصار أميركا في عام ١٧٨١، بدأ تغلغل النورانيين واليهود يمتد إلى الولايات المتحدة الأميركية.

٤- النورانيون واليهود تبنوا ماركس السوفياتي الشيوعي حين كان لاجئاً في بريطانيا، وهم الذين مولوا الثورات الروسية المتعددة.

٥- مول النورانيون واليهود الثورة الصينية عام ١٩١١.

٦- لقد أستغل النورانيون وأصحاب المصارف محافل الشرق الأكبر الماسونية لإشغال الحرب العالمية الأولى، وذلك عندما قتلوا وريث العرش النمساوي الأرشيدوق فرنسيس فرديناند عام ١٩١٤، وكان مقتله السبب المباشر للحرب العالمية الأولى.

وقد لعبت الصهيونية العالمية دوراً رئيسياً في إسقاط مستر إسكويت رئيس وزراء بريطانيا المعادي للصهيونية من الحكم.

ففي يوم ٢٨ كانون الثاني عام ١٩١٥ دون رئيس الوزراء البريطاني المستر إسكويت الفقرات التالية في سجله اليومي، وكان إسكويت يلتزم بسياسة إحلال العرب محل الأتراك كأصدقاء لبريطانيا في الشرق الأدنى:[١]

«تلقيت للتو من هربرت صمويل[٢] مذكرة بعنوان «مستقبل فلسطين» وهو يظن أننا نستطيع إسكان ثلاثة أو أربعة ملايين من اليهود الاوروبيين في ذلك البلد (فلسطين)، وقد بدت لي فكرته هذه كنسخة جديدة من أقاصيص الحروب الصليبية، وأعترف بنفوري من هذه المقترحات التي تضم مسؤوليات إضافية إلى مسؤولياتنا إلخ»، وهذه العبارة تدل على عدم ميل إسكويت للصهيونية.

ونتيجة ذلك قام النوارنيون والصهاينة واليهود بإشغال الفتن في إنجلترا فوقعت إنفجارات في مصانع الأسلحة وحرائق في المكاتب المختلفة، مما زعزع موقف إسكويت وأسقط حكومته. وقد تألفت حكومة إئتلافية بعد سقوط حكومة إسكويت على أن يكون لويد جورج رئيساً لها، وونستون تشرتشل وآرثر جيمس بلفور من أعضاء الحكومة.

وقد سبق للويد جورج رئيس الحكومة أن كان محامياً عن الحركة الصهيونية، أما تشرتشل وبلفور فكانا من المؤازرين للصهيونية منذ دخولهما المعترك السياسي.

النورانيون واليهود يجرون أميركا إلى دخول الحرب.

لقد كانت الحرب العالمية الأولى ناشبة ما بين ألمانيا وتركيا وفرنسا وفي الخامس من نيسان من عام ١٩١٧ أعلنت الحكومة البريطانية عن إرسال آرثر جيمس بلفور وزير

---

(١) الدكتور أحمد طربين - قضية فلسطين - ١٨٩٧-١٩٤٨ الجزء الأول ١٩٦٨، دمشق، ص١١٧.
(٢) هربرت صمويل بريطاني يهودي الأصل، وقد عمل أول مندوب سام في فلسطين.

خارجيتها إلى الولايات المتحدة الأميركية للأتصال بالنورانيين واليهود وممثلي المصارف المالية، وابلاغهم رسمياً بأن الحكومة البريطانية ستتبنى رسمياً مشاريعهم المتعلقة بالصهيونية، وإقامة دولة يهودية في فلسطين مقابل تعهدهم بإدخال أميركا الحرب إلى جانب الحلفاء.

وهكذا خضعت الحكومة البريطانية ممثلة بوزير خارجيتها بلفور إلى مطاليب الصهيونية العالمية الممثلة بروتشلد.

الوضع في بريطانيا قبل الحرب العالمية الأولى.

لقد نشبت الحرب العالمية الأولى ما بين الحلفاء: بريطانيا، فرنسا، وإيطاليا وروسيا من جهة وألمانيا وتركيا من جهة أخرى.

وخلال سير المعارك، ومساندة قوات الثورة العربية الكبرى للحلفاء، لقاء وعود تلقاها العرب من الحلفاء بالإستقلال. فإن الحلفاء: إنجلترا وفرنسا وروسيا كانوا يتفقون فيما بينهم على إقتسام سوريا الطبيعية بموجب إتفاقية سايكس/ بيكو[١]، وكان السير مارك سايكس ممثل بريطانيا في التوقيع على هذه المعاهدة من أكبر أنصار الحركة الصهيونية ومخبريها، وكان من العاملين بإصرار على توطين اليهود في فلسطين، لإنشاء الوطن القومي اليهودي فيها.

وكان دعاة الصهيونية والنورانيون قد أقنعوا الإنجليز، أن دولة يهودية تنشأ في فلسطين هي الضمان الوحيد للمصالح البريطانية في الشرق الأوسط، كما بينوا لإنجلترا الثروات الهائلة الموجودة في البحر الميت.

وكذلك فإن الزعيم الصهيوني حاييم وإيزمان بصفته كيميائياً قدّم خدمات جلّى للبحرية البريطانية عندما إكتشف طريقة خاصة في التخمير يستخرج منها الأستون بكثرة، والأسيتون هو المادة الأساسية التي كانت البحرية البريطانية بأشد الحاجة إليها، لأستعمالها في المتفجرات ضد ألمانيا وأسطولها البحري.

---

(١) عاش إستقلال بلادي - محمود الرجبي - سلسلة كتب المناسبات للناشئين رقم (٣) دار القدس للنشر والتوزيع ١٩٩١، ص١٢.

وعلى هذا الأساس من مراعاة المصالح المتبادلة للمستقبل ما بين بريطانيا والنورانيين والصهاينة، ثم الترابط ما بين الحكومة البريطانية والصهيونية.

اليهودية تستغل المذهب البروتستانتي.

كانت المسيحية تعتبر الأخذ بالمبادىء الصهيونية ضلالاً عن سواء السبيل، وأن السير في ذلك التفسير ليس له ما يؤيده في العهد الجديد، وليس ذلك فقط، بل إن التفكير في إنشاء دولة يهودية في فلسطين هو مخالف لروح الإنجيل، وناشيء عن سوء التصرف.

وقد جاءت الفرصة الذهبية لليهود بعد الإصلاح الديني الذي قام في أوروبا في بداية القرن السادس عشر، إذ طلبت الكنيسة البروتستانتية المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية الرجوع إلى عادة قراءة التوراة (العهد القديم) عند جميع المؤمنين، بعد أن كانت محرمة عليهم، ومن خلال الأنفتاح على قراءة التوراة ودراستها، بدأت التفاسير الحرفية للنصوص تؤدي دورها في عقول المسيحيين وأذهانهم، وبعد أن كان اليهود مضطهدين في جميع أنحاء أوروبا، وجدوا لهم ملاجىء ترحب في دول أوروبا الغربية التي أعتنقت البروتستانتية، وفي هذه الفترة أعتنق عدد كبير من اليهود المذهب البروتستانتي ظاهرياً لنشر تفاسير التوراة مع ما يؤيد نظرهم في فلسطين.

الثورة العربية الكبرى وخديعة بريطانيا للعرب.

١- رسائل الحسين - مكماهون:

لقد تبادل الشريف حسين مع مكماهون نائب ملك بريطانيا في مصر رسائل عديدة، وكانت هذه الرسائل تتعلق بعلاقة بريطانيا مع العرب خلال الحرب العالمية الأولى، وتتعلق أيضاً بمستقبل المشرق العربي بعد إنتهاء الحرب العالمية وإنتصار الحلفاء.

لقد كان الشريف حسين بن علي على إتصال مستمر مع أحرار العرب في كل مكان، ومع الجمعيات العربية في كل من سوريا والعراق، وكانت مفاوضات الحسين مع مكماهون تتم نيابة عن عرب الجزيرة والمشرق العربي.

وقد تم تبادل رسائل عديدة ما بين الشريف حسين ومكماهون، ويمكن إستخلاص الحقائق التالية من هذه الرسائل:

١- يشترك العرب إلى جانب بريطانيا والحلفاء في الحرب الدائرة ضد تركيا وألمانيا.

٢- بعد تحرير المشرق العربي والذي ستلعب فيه قوات الثورة العربية دوراً رئيسياً تمنح بلاد المشرق العربي إستقلالها وحق تقرير مصيرها.

٣- تنشأ مملكة عربية في أراضي الأردن وسوريا وفلسطين ولبنان وعلى هذا الأساس قدّم العرب آلاف الشهداء لتحرير وطنهم من حكم الأتراك، وحاربوا إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى.

٢- معاهدة سايكس - بيكو.

في الوقت الذي كان فيه العرب يحاربون الأتراك إلى جانب بريطانيا وفي الوقت الذي كان فيه جيش الثورة العربية يخوض غمار المعارك الضارية ضد الأتراك في أرض الحجاز والأردن، كانت بريطانيا تجري مفاوضات سرية فيما بينها وبين حليفتيها فرنسا وروسيا لإقتسام أراضي البلدان التي تسيطر عليها الدولة العثمانية حال إنتهاء الحرب العالمية الأولى، ومن جملة هذه الأراضي أراضي المشرق العربي.

وقد عرفت هذه الإتفاقية بإسم سايكس - بيكو[١].

وقد نصت الإتفاقية على أن تستحوذ روسيا على بعض أراضي الدولة العثمانية، وتقسيم المشرق العربي بين فرنسا وإنجلترا. وأن تقام في أرض فلسطين إدارة دولية، وبعد قيام الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧ تم أفتضاح أمر هذه الإتفاقية[٢].

وعدلت هذه الإتفاقية كالتالي:

١- تستولي فرنسا على سوريا ولبنان.

٢- تستولي بريطانيا على جميع بلدان الخليج العربي، والعراق، وشرقي الأردن.

٣- تخضع فلسطين لإنتداب بريطانيا.

---

(١) سميت هذه الإتفاقية بإسم سايكس وهو قنصل بريطاني آنذاك في بيروت، وبيكو وهو القنصل الفرنسي في بيروت.

(٢) قامت السلطات الشيوعية بنشر هذه الوثائق بعد سقوط حكم القياصرة، وقد كانت هذه الوثائق محفوظة في وزارة الخارجية الروسية.

طعنة جديدة إنجليزية للعرب (وعد بلفور).

وبعد تسرب أنباء إتفاقية سايكس - بيكو قام الخلاف بين بريطانيا والعرب، وأشتد الخلاف حتى بلغ ذروته حين أعلنت بريطانيا تعهداً لزعماء الحركة الصهيونية بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد وافق على هذا التصريح الرئيس الأميركي ويلسون قبل إعلانه، كما أيدته حكومة فرنسا ومن بعدها حكومة إيطاليا، ومن ثم حكومة جنوب إفريقيا.

وقد وجه هذا التصريح وزير خارجية بريطانيا بلفور إلى المليونير اليهودي روتشيلد يعده فيه تهيئة فلسطين لتصبح وطناً قومياً لليهود.

وحين صدر وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، كان اليهود يمثلون أقل من ١٠٪ من السكان، وعند نهاية الحرب العالمية الأولى وعقب صدور تصريح بلفور حدثت موجة من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ووفقاً لإحصاء (١٩٢٢)[١] كان عدد اليهود ٨٣٫٧٩٤ من أصل السكان وهم (٧٥٧٫١٨٢) نسمة.

وحين إنكشاف هذه الحقائق المذهلة ثارت الجماهير العربية في سوريا ولبنان والأردن وفلسطين ومصر والعراق، غير أن إنجلترا أعادت وأعلنت بصراحة أنها تلتزم بوعودها للعرب، فقد أبرق وزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور إلى الشريف حسين في ٨ تشرين الثاني من عام ١٩١٨ برقية أكد فيها من جديد، تعهد بريطانيا السابق وموافقتها على إستقلال العرب.

ويمكن تقسيم نص «وعد بلفور» الذي صدر في ١٩١٧/١١/٢ على شكل رسالة موجهة إلى أدموند دي روتشيلد إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول المتعلق باليهود، ويقول:

«تنظر حكومة صاحب الجلالة بعين العطف إلى إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذا الهدف».

---

(١) Government of palestine, statistical Absteract of palestine 1941 p.12.

أما القسم الثاني الذي يمس حقوق السكان العرب ووضعهم، فيقول: «من المفهوم بوضوح، أنه يجب عدم القيام بأي عمل من شأنه الإجحاف بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين».

وأما القسم الثالث الذي يشير إلى وضع اليهود خارج فلسطين، فيقول:

«يجب ألا تجحف إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين بالحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في الأقطار الأخرى». أن هذه العبارة الأخيرة، قد أعطت اليهود وطن شعب آخر، في الوقت الذي حافظت فيه على حقوقهم في بلدانهم الأصلية.

وفي القسم الثاني أعطى صورة زائفة عن المسلمين والمسيحيين العرب، مع أنهم كانوا يشكلون ٩٢٪ من السكان، فقد جرت الإشارة إليهم بعبارة الطوائف غير اليهودية، وهذا يعني سلبهم مستقبلاً حقهم وهذا ما حصل فعلاً.

وقد قامت الحكومة البريطانية بالإيفاء بوعدها الأول وهو منح وطن قومي لليهود، ولم تقم بالإيفاء بالتزامها الثاني وهو حماية حقوق السكان العرب.

وكذلك وجهت الحكومة البريطانية كتاب «جوهارت» إلى شريف مكة في كانون الثاني يناير (١٩١٨) رغبة في تبديد مخاوف العرب من ناحية تصريح بلفور، وكان العرب وقتئذ قد علموا بصدور هذا التصريح فأثار شكوكهم بالنسبة لصدق نيات بريطانيا تجاه مستقبل فلسطين[1].

وتصريح السبعة وهو الصادر في ١٦ من حزيران (يونيو) ١٩١٨ والذي أكد لسكان الأقاليم التي تحتلها قوات الحلفاء بأن حكم هذه الأقاليم في المستقبل سيستند إلى رضا المحكومين ومواقفهم وكذلك التصريح الإنجليزي الفرنسي الصادر في ٧ من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ وقد جاء فيه أن الغاية التي تتوخاها فرنسا وبريطانيا العظمى من خوض غمار الحرب إنما هي التحرير الكامل النهائي للشعوب التي طال زمان إستبعاد الأتراك لها، وإقامة حكومات محلية وإدارات وطنية تستمد سلطانها من الممارسة الحرة لحقوق الشعوب المحلية وإختيارها. وقد نشرت آلاف النسخ من هذا التصريح بمنشورات ألقتها الطائرات فوق فلسطين[2].

---

(١) هنري كتن – فلسطين في ضوء الحق والعدل – ترجمة وديع فلسطين – مكتبة لبنان، بيروت ص: ٩.

(٢) نصوص الوعود المبذولة للعرب واردة في كتاب George Antonos, The Rrab

=

تأييد بريطاني للصهيونية.

على الرغم من فشل جهود هرتسل لدى القيصر الألماني والسلطان العثماني لإقامة دولة في فلسطين، فقد تابع هرتسل جهوده الدبلوماسية لدى الدول الإستعمارية، فوجه أنظاره نحو إنجلترا حيث كانت الحركة الصهيونية تلقى تشجيعاً من قبل كبار الساسة البريطانيين الإستعماريين. أما أسباب هذا التعاطف مع الحركة الصهيونية فعديدة، ومن أهمها كما رأينا الإعتبارات الإستعمارية الإستراتيجية (حماية قناة السويس وطريق الهند البري) والحيلولة دون قيام دولة عربية قوية موحدة في المنطقة والتخوف من تغلغل ألمانيا في المنطقة حسب سياسة التوسع الألمانية، والتخوف من أطماع فرنسا في المنطقة، أضف إلى ذلك أعتبارات أخرى مشتركة مع الدول الغربية الأخرى، وهي إن كانت متناقضة فقد غذت إلى حد ما الميل نحو تبني الحركة الصهيونية.

وهناك العوامل الدينية والعاطفية الناتجة عن تأثر الغرب المسيحي وتضليله من قبل اليهود، وتأثره بالعهد القديم بعد أن نشأت الكنيسة البروتستانتية، والشعور بالذنب إزاء إضطهاد اليهود على أيدي اللاساميين والنازيين، بالرغم من تحويل الهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية إلى خارج أوروبا.

هذا ولما كثرت الهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية وروسيا وبولونيا إلى إنجلترا، أقترح هرتسل ضرورة تهجير اليهود خارج أوروبا، وأن الحل الوحيد لهذه المشكلة هو الصهيونية التي تهدف إلى أقامة وطن قومي خاص باليهود خارج أوروبا. وأقترح هرتسل على بعض الساسة الإنجليز إقامة مستعمرة يهودية خاضعة للتاج البريطاني في شبه جزيرة سيناء أو في قبرص كقاعدة إنطلاق لإحتلال فلسطين حين تسنح الفرصة.

وقد تمكن هرتسل من مقابلة جوزف تشمبرلين أحد قادة الإستعماريين البريطانيين والمعروف بمؤازرته للحركة الصهيونية دون تحفظ. وفي هذه المقابلة أبدى تشمبرلين موافقته على مشروع هرتسل لإستعمار قبرص وسيناء في ظل العلم البريطاني شريطة أن يحظى مشروع إستعمار سيناء بموافقة اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر، ولما كان من رأي كرومر أن مشروع إستعمار سيناء غير عملي، عرض تشمبرلين على هرتسل فكرة إستعمار أوغندة في أفريقيا، وقد وجد هذا الإقتراح صدى عند هرتسل، ولما عرضه هرتسل على المؤتمر الصهيوني المنعقد في عام ١٩٠٣ قوبل بالرفض وخاصة من اليهود

الشرقيين الأوروبيين ولما مات هرتسل عام (١٩٠٤) مات معه مشروعه.

وعلى أثر وفاة هرتسل تبنت المنظمة الصهيونية وجهة نظر «الصهيونيين العمليين» بشأن ضرورة المضي في إستقدام لمهاجرين إلى فلسطين والإستيلاء على الأراضي، وإقامة المزارع والمصانع فيها.

وكان من جراء هذه الإتجاهات تنظيم الهجرة الثانية ما بين عامي ١٩٠٥، -١٩٠٧ وقد أرتفع عدد اليهود في فلسطين من ٥٠ ألف إلى ٨٥٠٠٠ ومنذ ذلك الحين بدأ شعور الإستياء يتزايد بين السكان العرب وتعالت الأصوات لمقاومة الصهيونية.

وقد سعت الصهيونية جهدها في إنجلترا وأوروبا وأميركا، لإستصدار وعد بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وعد بلفور.

لقد شاركت المصالح النورانية والصهيونية والبريطانية والأميركية، ومصالح فرنسا وإيطاليا وجنوب إفريقيا في إصداره وعد بلفور، فعندما تولى في كانون الأول لويد جورج رئاسة الوزراء في إنجلترا، وتولى ونستون تشرتشل وزارة المستعمرات، وآرثر بلفور وزارة الخارجية وجميعهم من المؤيدين للصهيونية العالمية والمتعاطفين مع اليهود والصهاينة، أعتبرت الإجتماعات غير الرسمية بين الصهيونية والمسؤولين البريطانيين بمثابة مفاوضات جدية أدت إلى التزام بريطانيا بتحقيق الحلم الصهيوني بإقامة دولة يهودية في فلسطين.

هذا وقد كانت تربط بلفور علاقات وثيقة مع السير هربرت صمويل الصهيوني عضو مجلس العموم البريطاني، ومع الحاخام موشيه جاستر كبير رجال الدين اليهود في إنجلترا، وهذان عرّفاه على (سوكولوف) و(ثيودور هرتسل) و(مايين) وهم من زعماء الحركة الصيونية.

وقد إستغل هؤلاء الزعماء اليهود علاقتهم بوزير الخارجية البريطاني بلفور، وأخذوا يناقشونه، ويؤثرون عليه فيما يتعلق بحقوق الشعب اليهودي في أرض الميعاد، والفوائد التي تجنيها بريطانيا من تبني قضيتهم خاصة وقد أنهكتها الحرب ونضبت مواردها.

وقد وعد الصهاينة بلفور بإقناع أميركا بدخول الحرب إلى جانب الحلفاء وبريطانيا إذا تعهدت إنجلترا بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين العربية.

كما إستعان الزعماء الصهيانية بالقاضي اليهودي الأميركي براندیس مستشار الرئيس

الأميركي (ويلسون) من أجل التأثير على بلفور مادياً ومعنوياً.

وما أن قامت الثورة البلشفية في روسيا، وقد عملت هذه الثورة على إلغاء معاهدة سايكس - بيكو، وحينئذ أنتهزت الصهيونية العالمية هذه الفرصة، وتقدم زعمائها بمشروع القرار الذي حددوا فيه مطالبهم، وقد أخضع مشروع القرار هذا إلى تعديلات من قبل المستر (لويد جورج) رئيس الوزراء البريطاني والمارشال سمطس رئيس إتحاد جنوبي أفريقيا العنصرية والذي كان يؤيد الصهيونية، كما إطلع على مشروع هذا القرار المسيو (كليمانصو) رئيس وزراء فر نسا وأيده، وتمكن القاضي براندس مستشار الرئيس الأميركي (ولسون) من إدخال ثلاث تعديلات عليه حيث كان لها الأثر الكبير في المعنى العام، وهذه التعديلات هي:

١- إستعمال كلمة (الشعب اليهودي) بدلاً من (الجنس اليهودي).

٢- ذكر عبارة (وطن قومي) بدلاً من (كيان سياسي).

٣- إستعمال كلمة بذل الجهد بدلاً من (كلمة المساعي الحميدة).

ولما صدر وعد بلفور في ٢/١١/١٩١٧ وافقت عليه فرنسا وكذلك بريطانيا.

لقد تمثل الزواج غير المقدس بين إنجلترا والصهاينة والذي باركته أميركا وفرنسا وإيطاليا وجنوبي أفريقيا، تمثل في صيغة رسالة بعث بها آرثر بلفور وزير الخارجية البريطاني الذي عمل بحماس لصالح الصهيونية إلى اللورد روتشيلد الثري الصهيوني المعروف، وفي ما يلي نص هذه الرسالة:

عزيزي روتشيلد.

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وتبذل أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جلياً أنه لن يسمح بأي إجراء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها المجتمعات غير اليهودية القائمة في فلسطين، ولا بالحقوق أو بالمركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى».

ويعد وعد بلفور أغرب وثيقة في التاريخ الإنساني، إذ منحت بموجبه دولة إستعمارية أرضاً لا تملكها إلى جماعة لا تستحقها، على حساب من يملكها، وهذا بالتالي أدى إلى وقوع صراعات مستمرة ما بين العرب واليهود، والعرب وبريطانيا.

الفصل الخامس عشر

مؤتمر

السلام وصك الأنتداب

مؤتمر السلام.

كان مستقبل فلسطين وغيرها من الأقطار العربية الأخرى التي أحتلتها قوات الحلفاء في الحرب العالمية الأولى محل مناقشة في مؤتمر الصلح في باريس عام ١٩٢٢ .

أفتتح مؤتمر الصلح أعماله في باريس في شهر كانون الثاني من عام ١٩١٩ وقد مثلت في هذا المؤتمر جميع شعوب وحكام العالم.

فحضره مندوبو جميع الدول، وممثلون عن الشعوب البولونية والتشيكية واليوغسلافية وبلاد العرب، والصهاينة الذين وعدوا أن تكون فلسطين وطناً قومياً لهم، كما حضره جيش جرار من الخبراء المختصين.

كان الهدف من المؤتمر ازالة آثار الحرب ورسم خارطة العالم من جديد، لكنه مع الأسف فإن مؤتمر السلام عمل علىبذر بذور الحرب العالمية الثانية في رماد الحرب العالمية الأولى.

وقد سيطرت على المؤتمر ثلاث دول هي:

فرنسا ويمثلها رئيس وزرائها كليمنصو George Clemencan.

بريطانيا ويمثل رئيس وزرائها جورج لويدDavid Lioyd George.

الولايات المتحدة ويمثلها ودرو ولسون Woodrow Wilson .

وهو أستاذ جامعي سابق لعلم التاريخ.

وكان أذكاهم وأقدرهم جميعاً لويد جورج.

وقد سيطرت على المؤتمر قوتان: القوة الأولى تمثلت في الآراء التي أعلنها الرئس ولسون قرب نهاية الحرب العالمية الأولى، وهي رفض مبدأ الإستيلاء على أي إقليم بحق الفتح، والإعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها.

وقد عقدت بين الدول المتحالفة المتآلفة والدول المغلوبة خمس معاهدات هي:

١ - معاهدة فرساي بين الدول المتحالفة والمؤتلفة وألمانيا، وقد وقعت في ٣ حزيران (يونيو) من عام ١٩١٩ .

٢- معاهدة سان جرمان بين هذه الدول والنمسا. وقد وقعت في ١٠ أيلول (سبتمر) عام ١٩١٩.

٣- معاهدة نويسي بين هذه الدول وبلغاريا وقد وقعت في ٢٧ تشرين ثاني (نوفمبر) عام ١٩١٩.

٤- معاهدة ترياتون بين هذه الدول والمجر ووقعت في ٤ حزيران (يونيو) يونيو عام ١٩٢٠.

٥- معاهدة سيفروبين وقعت بين هذه الدول وتركيا عام ١٩٢٠ ولكن لم يصادق عليها لأن حرباً جديدة قد نشبت وأنتصرت فيها تركيا إنتصاراً باهراً فتأخر عقد الصلح النهائي مع تركيا حتى عام ١٩٢٣ ووقعت معاهدة لوزان.

وقد إشتملت كل معاهدة من المعاهدات الخمس الكبرى على قسمين مهمين أمتازت بها عن أية معاهدة أخرىء. فقد كان القسم الأول من كل معاهدة من هذه المعاهدات هو عبارة عن الست والعشرين مادة التي يتألف منها ميثاق عصبة الأمم، ويعلن هذا الميثاق على إنشاء عصبة عظيمة للسلام تضم بعد حين جميع شعوب الأرض.

وقد كشفت الدول الإستعمارية، فرنسا وبريطانيا عن مطامعهما في ضم أراض جديدة لهما وأقتسام تركة الدولة العثمانية.

كما كانت الصهيونية في موقف جيد حيث تؤيدها بريطانيا وأميركا وفرنسا وإيطاليا وجنوبي إفريقيا. لقد تأكد اليهود من الأيام الأولى لمؤتمر الصلح أنهم ربحوا قضيتهم ضد العرب.

وقد حضر المؤتمر الأمير فيصل كمندوب عن ملك الحجاز، وممثلا للعرب، وقد ألقى خطاباً وعرض مطالب العرب جميعاً في المشرق العربي، وطالب بتنفيذها، وتتضمن مطالب العرب هذه إصرار العرب ورغبتهم في نيل إستقلالهم وإنشاء مملكتهم الربية في المشرق العربي[١]. غير أن بريطانيا وفرنسا تذرعتا بعدم إمكانية تحقيق ذلك، حتى يتبين لدول مؤتمر الصلح رأي سكان هذه الأراضي العربية. وقد أبتكرت الدول الإستعمارية فكرة الإنتداب لتبرر سيطرتها على بعض الشعوب والمهم في الأمر هو أنه

(١) يعقوب كامل الدجاني - الدور الذي لعبه عرب شرقي الأردن في مؤازرة عرب فلسطين في نضالهم للفترة ما بين ١٩٠٨-١٩٤٩ (مرجع سابق) ص: ٢٦.

فيما يتعلق بالعرب وفلسطين، ظهر بوضوح أن بريطانيا بخاصة قد عملت على تنظيم الشبكات الصهيونية بإحكام للعمل خارج المؤتمر وداخله من أجل تنفيذ المخطط الإستعماري البريطاني في فلسطين، ولهذا لم يكن من الغريب بالتالي ظهور هذا المؤتمر العتيد وكأنه لعبة في أيدي الصهيونية، في حين كانت بريطانيا - وأجهزتها - هي الممسكة بخيوط اللعبة وهي التي كانت تحركها وبالتنسيق مع فرنسا[١].

وقد شكل المؤتمر لجنة عرفت باسم «لجنة كنغ كرين» لتقصي الحقائق وقد أقتصرت اللجنة على ممثلين عن الولايات المتحدة الأمريكية، وقد رفضت كل من فرنسا وبريطانيا الإشتراك فيها.

وقد أصدرت الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس منشوراً يتضمن وجهة نظرها، وقد أكد المنشور على وحدة سوريا، كما أنه أكد أن فلسطين (سوريا الجنوبية) هي جزء لا يتجزأ من سوريا. أما بالنسبة لليهود فقد ميزت اللجنة ما بين اليهود والصهيونية، وأعتبرت الصهاينة دخلاء، أما اليهود المقيمون أصلاً في فلسطين فقد أعتبرتهم مواطنين في الدولة الفلسطينية، وقد زارت اللجنة شرقي الأردن وسوريا ولبنان، وقبل أن تغادر اللجنة فلسطين تلقت من مختلف الفئات عرائض كثيرة، ومن أصل ٢٦٠ عريضة تلقتها اللجنة في فلسطين عارضت ٢٢٢ عريضة البرنامج الصهيوني[٢].

وقد أعدت اللجنة دراسة عن الوضع، وبعد أن غادرت فلسطين رفعت ملخصاً عما وجدته فقالت: «إستناداً إلى البينات التي تلقتها اللجنة خلال زيارتها القصيرة إلى فلسطين ١٠-٢٥ حزيران، لم يبد العطف على إقامة وطن قومي لليهود الصهيونيين في ذلك البلد سوى ما يقارب عشر، مجموع السكان، أما بقية السكان من مسلمين ومسيحيين على السواء فإنهم أعربوا عن رغبتهم بالحفاظ على وحدة بلادهم مع سوريا التي يعتبرون فلسطين من كلتي الوجهتين التاريخية والجغرافية جزءاً منها، ولاحظت اللجنة أن هذا

---

(١) بسام العسلي - فلسطين والحملة الصليبية الجديدة (مرجع سابق) ص: ١٤٦.
(٢) بعض العرائض العربية موجودة في أوراق كنغ/ كرين الخاصة في مكتبة كلية أوبرلين - أوبرلين - أوهايو - الولايات المتحدة الأميركية.

الشعور ليس مقتصراً فقط على فلسطين بل يشمل كافة سوريا، فقد كان أكثر من ٧٢٪ من العرائض التي تلقيناها من جميع أنحاء سوريا والبالغ عددها (١٣٥٠) عريضة موجها ضد البرنامج الصهيوني، ولم يزد على التمسك بهذا سوى الممثل بمطلبين هما وحدة سوريا والإستقلال[١].

مؤتمر سان ريمو.

وفي مطلع نيسان عام ١٩٢٠ عقد المجلس الأعلى للحلفاء جلسته وقرر:

١- وضع سوريا ولبنان تحت الأنتداب الفرنسي.

٢- وضع العراق وفلسطين تحت الأنتداب البريطاني.

المؤتمر السوري العام.

وأنعقد المؤتمر السوري العام في دمشق خلال الأسبوع الأول من شهر تموز عام ١٩١٩ وضم مندوبين من كافة أنحاء سوريا ومندوبين بين مسلمين ومسيحيين وموسوين[٢].

وقد أتخذ المؤتمر قراراً يطالب بإستقلال سوريا الطبيعية في ظل حكومة ملكية نيابية. أما ما يتعلق بفلسطين فقد رفض المؤتمر الهجرة اليهودية، ورفض كذلك فصل فلسطين عن سوريا.

وقد كانت قرارات مؤتمر الصلح، بالنسبة للعرب كالتالي:

إن البلاد التي يمتلكها الأتراك، فقد خرجت من أيديهم، فمصر أعلنت عليها الحماية البريطانية في عام ١٩١٤ وأعترف مؤتمر الصلح بضم هذه البلاد إلى الإمبراطورية البريطانية، مع أن المصريين كانوا يطالبون بالإستقلال.

أما المشرق العربي والذي ساهم سكانه في الثورة العربية الكبرى فقد أنشئت فيه خمس دول جديدة هي:

---

(١) تشارلز كرين وهنري كنغ «تقرير الفريق الأميركي من البعثة الحليفة للأنتداب في تركيا، القسم الأول - تقرير سوريا. باريس ٢٨/٨/ ٩١٩ «الأرشيف القومي، ووزارة الخارجية الأميركية ١٨١، ٢، ٩١، ٩.

(٢) وثائق المقاومة الفلسطينية ص: ٣٥٩-٣٦٨.

١- شمال سوريا، وكان من نصيب فرنسا تديره مندوبة عن عصبة الأمم (ثم عرف بعد ذلك بسوريا ولبنان).

٢- أرض فلسطين المقدسة، وقد جعلت وطناً قومياً لليهود تحت حماية بريطانيا.

٣- العراق، وجعلت تحت إنتداب بريطانيا ونصب عليها فيصل بن الحسين ملكا.

٤- الحجاز، وقد كان ملكها الشريف حسين، لكن حكمه لم يستمر لأنه رفض الأعتراف بحق اليهود في فلسطين وعادى بريطانيا.

الجمعيات الفلسطينية:

نشط في القدس المنتدى العربي، والنادي العربي، ونادي الأخاء والعفاف، ومنتدى آل الدجاني و«جمعية الفدائية» والجمعية الأخيرة، كانت هيئة سرية تضم في صفوفها عدداً من رجال البوليس والدرك.

وكانت نشاطات هذه الجمعيات تتناول إعداداً شاملاً للثورة وكانت هذه الجمعيات تشتري الأسلحة وتنظم الخطط اللازمة للثورة، وتتصل بعشائر شرقي الأردن لمؤازرة الثورة، وقد وجدت لدى هذه العشائر كل الإستعداد للمساعدة، وكانت الجمعيات تعد الخطط لأغتيال زعماء الصهيونية.

مؤتمر الصلح:

كانت شروط الصلح أسمياً من عمل مؤتمر عظيم عقد في باريس في شهر كانون الثاني من عام ١٩١٩ في هذا المؤتمر، مثلت شعوب العالم كلها تمثيلاً أقرب إلى الحقيقة منه في أي مؤتمر أخر عقد في أي زمن في تاريخ العالم.

لكن هذا المؤتمر عمل على بذر بذور الحرب العالمية الثانية في رماد الحرب العالمية الأولى.

كما مثلت إلى جانب الحكومات بعض الشعوب، فحضر مندوبون عن بولندا وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا وشعوب البحر الصغرى، وبلاد العرب والصهاينة الذين وعدوا آن تكون فلسطين وطناً قومياً لهم.

وحضر المؤتمر جيش جرار من الخبراء المختصين.

وقد سيطر على المؤتمر ثلاث دول هي: فرنسا ويمثلها السير كلمنصو George Clemencau رئيس وزرائها، وبريطانيا ويمثلها رئيس وزرائها David Lioyd George وأميركا ويمثلها Woodrow Wilson وهذا أستاذ جامعي سابق لعلم التاريخ وكان أقواهم جميعاً لويد جورج وقد عرض على المؤتمر عدد من المعاهدات.

صك الأنتداب:

أقر مجلس عصبة الأمم مشروع صك إنتداب بريطانيا على فلسطين في ١٩٩٢/٧/٢٤، وقد جاء في المادة الثانية من صك الإنتداب ما يلي:

«تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية وأقتصادية تتضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي، وفقاً لما جاء في ديباجة هذا الصك، وترقية مؤسسات الحكم الذاتي، وتكون مسؤولة أيضاً عن صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس والدين».

أن صك الأنتداب قد حدد الأعتراف بوكالة يهودية مستوفية كامل شروط (الهيئة العليا) التي تقوم بإبداء الرأي وقبوله أو الأعتراض عليه أو حتى رفضه مع سلطة الأدارة التي تفترض أن يشكلها الأنتداب من أصحاب العلاقة[1]. ويدلنا على ذلك أوراق المؤتمر الثاني قبول المنظمة وموافقة الجهات الأخرى على هذه النصوص وبصورة رسمية وبما يكفل حقوق الوكالة وأداء الواجبات التي تعبر عن رغبات اليهود المستوطنين والقادمين.

وقد جاء في المادة الرابعة من الصك ما يلي:

«يعترف بهيئة يهودية صالحة كهيئة عمومية لتسير وتعاون في أدارة فلسطين في الشؤون الأقتصادية والأجتماعية وغير ذلك من الأمور التي قد تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي، ومصالح السكان في فلسطين، وعليها أن تشارك في ترقية البلاد «وأن تكون خاضعة لمراقبة المسؤولين فيها».

ومن هنا نرى أن الأعتراف المزودج بهذه الوكالة في ظل الأنتداب هو أعتراف غير مباشر بقيام دولة في الظل.

---

(١) الدكتور أحمد ظاهر والدكتور محمود الزعبي، بين الفكرين العربي والصهيوني (مرجع سابق) صفحة ٤٠.

الفصل السادس عشر

صك

الأنتداب على فلسطين

صك الأنتداب على فلسطين

فلسطين تحت الأنتداب.

انتهت الحرب مع الأتراك بتوقيع الهدنة في ٣٠/ ١/ ١٩١٨ وفي ٣٠/ ١/ ١٩١٩، قرر المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح عدم إعادة الولايات العربية المعلنة بما في ذلك فلسطين إلى الحكم التركي، ولكي يراوغ الحلفاء في أمر تنفيذ وعودهم التي كانوا قد قطعوها على أنفسهم بشأن إستقلال العرب، ولكي ينفذوا إتفاقية سايكس - بيكو الموقعة عام ١٩١٦ فقد أخترعوا ما أصبح يعرف بالأنتداب الذي تبين فيما بعد أنه إستعمار منظم[1].

أعلن مشروعه من قبل عصبة الأمم بتاريخ ٦ تموز سنة ١٩٢١ وصودق عليه في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٢ ووضع موضع التنفيذ في ٢٩ ايلول سنة ١٩٢٣.

لاحظ الشرح في نهاية الصك.

☆ ذكرت اللجنة الملكية في الصفحة ٤١ وما بعدها من الترجمة الرسمية العربية لتقريرها الكامل ما يأتي بصدد الأنتداب على فلسطين.

، وكانت الخطوة الثانية (بعد أن قرر المجلس الأعلى منح الأنتداب على العراق وفلسطين لبريطانيا في ٢٥ نيسان سنة ١٩٢٠) توقيع معاهدة سيفر بتاريخ ١٠ آب (أغسطس) فقد أيدت هذه المعاهدة فصل الولايات التركية عن الأمبراطورية العثمانية فصلاً تاماً. ولكنها فرقت بين سوريا والعراق من جهة، وفلسطين من الجهة الأخرى فيما يتعلق بشكل الحكومات التي تقام فيها في المستقبل، فقد نصت المادة ٩٤ من هذه المعاهدة على الأعتراف بكل قطر من القطرين كدولة مستقلة. بشرط أن تمد بالمشورة والمعونة الأدارية من قبل دولة منتدبة إلى أن تصبح قادرة على حكم ذاتها بذاتها (الوقوف وحدها) وفقاً للفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم. وتم الأتفاق في المادة

---

(١) سامي هنداوي - الحصاد المر - ترجمة الدكتور فخري يغمور - من منشورات رابطة الجامعيين - الخليل، ١٩٨٢، ص: ٧٢.

٩٥ من المعاهدة المذكورة على أن يعهد بإدارة فلسطين، عملاً بأحكام المادة ٢٢ من ميثاق العصبة إلى دولة منتدبة، تكون مسؤولة عن تنفيذ تصريح بلفور الذي أصدرته الحكومة البريطانية في الأصل بتاريخ ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٧ واقرته دول الحلفاء الأخرى فيما بعد ثم تلا ذلك نص تصريح بلفور بكامله غير أن هذه المعاهدة لم تبرم على الإطلاق وقد أستعيض عنها في شهر تموز سنة ١٩٢٣ بمعاهدة لوزان التي لم ترد فيها أية إشارة إلى الأنتدابات.

وقد مر ما يقرب من سنتين بعد توقيع معاهدة سيفر قبل عرض مشروع صك الأنتداب على فلسطين على مجلس عصبة الأمم لأقراره، غير أن هذا التأخير في هذه المرة كان يرجع سببه إلى تدخل حكومات الولايات المتحدة. فقد أدعت الحكومة المذكورة في مذكرة مؤرخة في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ أن من حق الولايات المتحدة بسبب إشتراكها في الحرب أن يؤخذ رأيها حول شروط الأنتدابات. فوافقت الحكومة البريطانية في الحال على هذا الأدعاء، وعرض مشروع صك الأنتداب على فلسطين ومشاريع الأنتدابات البريطانية الأخرى على حكومة الولايات المتحدة وأجريت في هذه المشاريع بعض تغييرات طفيفة إجابة لطلب تلك الحكومة.

وكانت أهم المسائل التي دار حولها النقاش مسألة أقتصادية، إذا أصرت حكومة الولايات المتحدة على تطبيق المبدأ القائل بإعطاء فرصة المساواة الأقتصادية لجميع الدول المنتمية إلى عصبة الأمم، وقد تنازلت عن طلبها هذا فيما يتعلق بفلسطين إعترافاً منها بحالتها الخاصة، ورعاية لمصالح الوطن القومي اليهودي، وكانت حكومة الولايات المتحدة في إبداء عطفها على الأماني الصهيونية على الصورة هذه، معربة عن رأي الهيئة التشريعية في البلاد، فقد إتخذ مجلس الشيوخ والنواب الأميركي القرار المشترك التالي بتاريخ ٣٠ حزيران) ١٩٢٢ .

«إن مجلس الشيوخ والنواب في الولايات المتحدة بأميركا المنعقدين معاً، تحبيذاً لإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين يقرران أن الولايات المتحدة بأميركا تحبذ إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يجحف بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف المسيحية وجميع الطوائف الأخرى غير اليهودية، الموجودة في فلسطين، وأن تحمى الأماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية في فلسطين حماية تامة.

مجلس عصبة الأمم:

لما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت على أن يعهد بإدارة فلسطين التي كانت تابعة فيما مضى للمملكة العثمانية بالحدود التي تعينها تلك الدولة منتدبة تختارها الدول المشار إليها تنفيذاً لنصوص المادة ١٢ من ميثاق عصبة الأمم.

ولما كان الأتفاق على شروط الأنتداب قد تم، فتح باب المفاوضات بعقد معاهدة تضمن المصالح الأميركية، في فلسطين في المستقبل. وأسفرت هذه المفاوضات عن عقد معاهدة بين الحكومة البريطانية وحكومة الولايات المتحدة بأميركا (بشأن حقوق الحكومتين ورعاياهما في فلسطين). وتم التوقيع على المعاهدة في اليوم الثالث من شهر كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٢٤، ثم أبرمت بعد ذلك.

وقد أثبت في هذه المعاهدة نص صك الأنتداب الفلسطيني مع مقدمته.

وكانت أغلب مواد المعاهدة الثماني تتعلق بحقوق الرعايا الأميركيين والأملاك والمؤسسات الأميركية في فلسطين. ولا نرى أننا في حاجة إلى إقتباس أكثر من المواد الثلاث التالية منها:

المادة الأولى: «مع مراعاة أحكام هذه المعاهدة توافق الولايات المتحدة على إدارة فلسطين من قبل صاحب الجلالة البريطانية وفقاً لصك الأنتداب المدرج نصه فيما تقدم».

المادة الثانية: «تتمتع الولايات المتحدة ورعاياها بجميع الحقوق والمنافع المقنعة بشروط صك الأنتداب لأعضاء عصبة الأمم ورعاياها. وبالر غم من أن الولايات المتحدة ليست عضواً في عصبة الأمم.

المادة السابعة: «لا يتأثر شيء مما ورد في هذه المعاهدة بأي تغيير يجري في شروط صك الأنتداب المدرج نصه فيما تقدم، ما لم تكن الولايات المتحدة قد وافقت على ذلك التغيير».

وفي غضون هذه المدة كان مجلس عصبة الأمم قد أقر مشروع صك الأنتداب على فلسطين في اليوم الرابع والعشرين من شهر تموز (يوليو) سنة ١٩٢٢. وقد مضى نحو خمس سنوات بين التاريخ الذي صدر فيه تصريح بلفور والتاريخ الذي أقر فيه صك الأنتداب، وخلال هذه المدة الطويلة برزت للعيان ناحية من نواحي المسألة كانت مهملة بعض الإهمال في بادىء الأمر.

ذلك أن تصريح بلفور كان قد أشترط أن لا يجحف إنشاء الوطن القومي اليهودي بسكان عرب فلسطين الحاليين. غير أن قرائن الحال تدل على أنه لم يكن يعرف أنئذ إلا النزر القليل عن عدد هؤلاء السكان وصفتهم، فقد أتى التصريح على ذكر «الطوائف غير اليهودية الموجودة حالياً في فلسطين». وهي عبارة تدل على وجود جماعات عديدة كالمسلمين العرب، والمسيحيين العرب، والأرمن، والطوائف الأخرى الصغيرة التي كانت تعيش على قدم المساواة تقريباً.

غير أنه ظهر جلياً في سنة ١٩٢٢ أن الشعب السائد في فلسطين هو الشعب العربي الذي يتجاوز عدده نصف مليون وهو يتكلم العربية بمجموعة ويتفق جميع إفراده في أمانيهم القومية، وظهر أيضاً، كما سنأتي على بيانه فيما يلي، أن زعماء هذا الشعب كانوا مقاومين كل المقاومة للسياسة الصهيونية، وإن في وسعهم أن يحرضوا جميع أفراد شعبهم على أختلاف طبقاتهم للقيام بهجمات دموية على اليهود، وفي شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٢٢ صرح الزعماء العرب لوزارة المستعمرات أن أهالي فلسطين لا يمكنهم قبول تصريح بلفور أو الأنتداب وطلبوا أن يمنحوا إستقلالهم القومي.

ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت أيضاً على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي أصدرته في الأصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٧ وأقرته الدول المذكورة لصالح إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة الآن في فلسطين أو بالحقوق والوضع السيا سي مما يتمتع به اليهود في أية بلاد أخرى.

ولما كان قد أعترف بذلك بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين وبالأسباب التي تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد.

ولما كانت دول الحلفاء قد أختارت صاحب الجلالة البريطانية ليكون منتدباً على فلسطين .

ولما كان الأنتداب على فلسطين قد صيغ في النصوص التالية وعرض على مجلس عصبة الأمم لإقراره .

ولما كان صاحب الجلالة البريطانية قد قبل الأنتداب على فلسطين وتعهد بتنفيذه بالنيابة عن عصبة الأمم طبقاً للنصوص والشروط التالية :

ولكا كانت الفقرة الثامنة من المادة ٢٢ المتقدمة الذكر تنص على أن درجة السلطة أو السيطرة والإدارة التي تمارسها الدولة المنتدبة سيحددها بصراحة مجلس عصبة الأمم، إذا لم يكن هناك إتفاق سابق بشأنها بين أعضاء عصبة الأمم .

لذلك فإن مجلس عصبة الأمم بعد تأييده الأنتداب المذكور يحدد شروطه ونصوصه بما يلي :

«المادة الأولى»

يكون للدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والإدارة بإستثناء ما يكون قد قيد في نصوص هذا الصك .

«المادة الثانية»

تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية وإقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي وفقاً لما جاء بيانه في ديباجة هذا الصك، وترقية مؤسسات الحكم الذاتي، وتكون مسؤولة أيضاً عن صيانة الحقوق المدينة والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الجنس والدين .

«المادة الثالثة»

يترتب على الدولة المنتدبة أن تعمل على تشجيع الإستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الظروف .

«المادة الرابعة»

يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لأسداء المشورة إلى إدارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الإقتصادية والإجتماعية وغير ذلك من الأمور التي قد توثر في

إنشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد على أن يكون ذلك خاضعاً دوماً لمراقبة الإدارة.

يعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ما دامت الدولة المنتدبة ترى أن تأليفها ودستورها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض، ويترتب على الجمعية الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير بعد أستشارة حكومة صاحب الجلالة البريانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة في إنشاء الوطن القومي اليهودي.

«المادة الخامسة»

تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن ضمان عدم التنازل عن أي جزء من أراضي فلسطين إلى حكومة دولة أجنبية وعدم تأجيره إلى تلك الحكومة أو وضعه تحت تصرفها بأية صورة أخرى.

«المادة السادسة»

على إدارة فلسطين، مع ضمان عدم الحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالي الأخرى، أن تسهل هجرة اليهود في أحوال ملائمة وأن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار إليها في المادة الرابعة، حشد اليهود في الأراضي الأميرية والأراضي الموات غير المطلوبة للمقاصد العمومية.

«المادة السابعة»

تتولى إدارة فلسطين مسؤولية سن قانون للجنسية ويجب أن يشتمل ذلك القانون على نصوص تسهل إكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً لهم.

«المادة الثامنة»

إن أمتيازات وحصانات الأجانب بما فيها مزايا المحاكم القنصلية والحماية التي يتمتع بها الرعايا الأجانب في السابق بحكم الأمتيازات أو العرف في المملكة العثمانية لا تكون نافذة في فلسطين.

غير أنه متى أنتهى أجل الأنتداب تعاد هذه الأمتيازات في الحال برمتها أو مع التعديل الذي يكون قد تم الاتفاق عليه بين الدول صاحبة الشأن ألا إذا سبق للدول التي كان رعاياها يتمتعون بالأمتيازات المذكورة في أول آب سنة ١٩١٤ أن تنازلت عن حق إسترجاع تلك الأمتيازات أو وافقت على عدم تطبيقها لأجل مسمى.

«المادة التاسعة»

تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل النظام القضائي القائم في فلسطين ضامناً تمام الضمان لحقوق الأجانب والمواطنين على السواء.

ويكون أحترام الأحوال الشخصية والمصالح الدينية لمختلف الشعوب والطوائف مضموناً تمام الضمان أيضاً، وبصورة خاصة تكون إدارة الأوقاف خاضعة للشرائع الدينية وشروط الواقفين.

«المادة العاشرة»

تكون المعاهدات المبرمة بين الدولة المنتدبة وسائر الدول الأجنبية بشأن تسليم المجرمين مرعية الإجراء في فلسطين إلى أن تعقد إتفاقات خاصة بذلك فيما يتعلق بفلسطين.

«المادة الحادية عشرة»

تتخذ إدارة فلسطين جميع ما يلزم من التدابير لصون مصالح الجمهور فيما يتعلق بترقية البلاد وعمرانها ويكون لها السلطة التامة في وضع ما يلزم من الأحكام لأستملاك مورد من موارد البلاد الطبيعية أو الأعمال والمصالح والمنافع العمومية الموجودة في البلاد أو التي ستوسس فيما بعد أو السيطرة عليها بشرط مراعاة الألتزامات التي قبلتها الدولة المنتدبة على نفسها. ويترتب عليها أن توجد نظاماً للأراضي يلائم إحتياجات البلاد مراعية في ذلك، من بين الأمور الأخرى، الرغبة في تشجيع حشد السكان في الأراضي وتكثيف الزراعة.

ويمكن لإدارة البلاد أن تتفق مع الوكالة اليهودية المذكورة في المادة الرابعة على أن تقوم هذه الوكالة بإنشاء أو تسيير الأشغال والمصالح والمنافع العمومية وترقية مرافق

البلاد الطبيعية بشروط عادلة ومنصفة ما دامت الأدارة لا تتولى هذه الأمور مباشرة بنفسها، غير أن كل إتفاق كهذا يجب أن يشترط فيه إلا تتجاوز الأرباح التي توزعها الوكالة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مقدار الفائدة المعقولة التي يعود بها رأس المال المستثمر، وإن كل ما يزيد على هذه الفائدة من الأرباح يجب أن يستخدم لما فيه نفع البلاد على الوجه الذي توافق عليه الإدارة.

وكل من أكتشف أثراً دون أن يكون مزوداً بالتصريح المذكور في الفقرة الخامسة وأبلغ الأمر إلى أحد موظفي الدائرة المختصة يكافأ بمكافأة تتناسب مع قيمة ما أكتشفه.

٣- لا يجوز بيع شيء من الآثار القديمة إلا للدائرة المختصة ما لم تتنازل تلك الدائرة عن شرائه، ولا يجوز إخراج شيء من الآثار القديمة من البلاد إلا بموجب رخصة تصدير صادرة من تلك الدائرة.

٤- كل من أتلف أو ألحق ضرراً بقطعة من الآثار القديمة عن سوء نية أو أهمال يعاقب بالعقوبة المعينة.

٥- يحظر إجراء الحفر أو التنقيب للبحث عن الآثار القديمة إلا بتصريح من الدائرة المختصة ويغرم المخالف بغرامة مالية.

٦- توضع شروط عادلة لنزع ملكية الأراضي ذات القيمة التاريخية أو الأثرية سواء أكان نزع الملكية مؤقتاً أم دائماً.

٧- يقتصر في إعطاء التصريح لإجراء الحفريات على الأشخاص الذين يقدمون أدلة كافية على خبرتهم في الآثار. ويترتب على إدارة فلسطين أن لا تسير عند إعطاء هذا التصريح على طريقة تؤدي إلى إستثناء علماء أية أمة من الأمم من الترخيص بدون سبب مبرر.

٨- يقسم ناتج الحفريات بين المكتشف والدائرة المختصة على أساس النسبة التي تعينها تلك الدائرة، فإذا تعذرت القسمة لأسباب علمية يعطى للمكتشف تعويض عادل بدلاً من إعطائه قسماً من الآثار المكتشفة.

«المادة الثانية عشرة»

يعهد إلى الدولة المنتدبة بالإشراف على علاقات فلسطين الخارجية وحق إصدار البراءات إلى القناصل الذين تعينهم الدول الأجنبية ويكون لها الحق أيضاً في أن تشمل رعايا فلسطين وهم خارج حدود منطقتها بحماية سفرائها وقناصلها.

«المادة الثالثة عشرة»

تضطلع الدولة المنتدبة بجميع المسؤوليات المتعلقة بالإماكن المقدسة والمباني أو المواقع الدينية في فلسطين بما في ذلك مسؤولية المحافظة على الحقوق الموجودة وضمان الوصول إلى الأماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية وحرية العبادة مع المحافظة على مقتضيات النظام العام والآداب العامة، وتكون الدولة المنتدبة مسؤولة أمام عصبة الأمم دون سواها عن كل ما يتعلق بذلك بشرط أن لا تحول نصوص هذه المادة دون إتفاق الدولة المنتدبة مع إدارة البلاد على ما تراه الدولة المنتدبة ملائماً لتنفيذ نصوص هذه المادة وبشرط أن لا يفسر شيء من هذا الصك تفسيراً يخول الدولة المنتدبة سلطة التعرض أو التدخل في نظام أو إدارة المقامات الإسلامية المقدسة الصرفة، المصونة حصانتها.

«المادة الرابعة عشرة»

تؤلف الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس وتحديد وتقرير الحقوق والإدعاءات المتعلقة بالأماكن المقدسة والحقوق والإدعاءات المتعلقة بالطوائف الدينية المختلفة في فلسطين وتعرض طريقة أختيار هذه اللجنة وقوامها ووظائفها على مجلس عصبة الأمم لإقرارها. ولا تعين اللجنة ولا تقوم بوظائفها دون موافقة المجلس المذكور.

«المادة الخامسة عشرة»

يترتب على الدولة المنتدبة أن تضمن جعل الحرية الدينية التامة وحرية القيام بجميع شعائر العبادة مكفولتين للجميع بشرط المحافظة على النظام العام والآداب العامة فقط، ويجب أن لا يكون ثمة تمييز مهما كان للجميع بشرط المحافظة على النظام العام

والآداب العامة فقط، ويجب أن لا يكون ثمة تمييز مهما كان نوعه بين سكان فلسطين على أساس الجنس أو الدين أو اللغة وأن لا يحرم شخص من دخول فلسطين بسبب معتقده الديني فقط.

ويجب أن لا تحرم أية طائفة كانت من حق صيانة مدارسها الخاصة لتعليم أبنائها بلغتها الخاصة وأن لا ينتقص من هذا الحق ما دام ذلك مطابقاً لشرط التعليم العمومية التي قد تفرضها الإدارة.

«المادة السادسة عشرة»

تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن ممارسة ما يقتضيه أمر المحافظة على النظام العام والحكم المنظم من الإشراف على الهيئات الدينية والجزئية التابعة لجميع الطوائف المذهبية في فلسطين ومع مراعاة هذا الشرط لا يجوز أن تتخذ في فلسطين تدابير من شأنها إعاقة أعمال هذه الهيئات أو التعرض لها أو إظهار التحيز ضد أي ممثل من ممثليها أو عضو من أعضائها بسبب دينه أو جنسيته.

«المادة السابعة عشرة»

يجوز لإدارة فلسطين أن تنظم على أساس التطوع القوات اللازمة للمحافظة على السلام والنظام والقوات اللازمة للدفاع عن البلاد أيضاً بشرط أن يكون ذلك خاضعاً لإشراف الدولة المنتدبة ولكن لا يجوز لإدارة فلسطين أن تستخدم هذه القوات في غير الأغراض الآنفة الذكر إلا بموافقة الدولة المنتدبة وفيما عدا ذلك لا يجوز لإدارة فلسطين أن تؤلف أو أن تستبقي أية قوة من القوات العسكرية أو البحرية أو الجوية.

ليس في هذه المادة ما يمنع إدارة فلسطين من الإشتراك في نفقات القوات التي تكون للدولة المنتدبة في فلسطين.

ويحق للدولة المنتدبة في كل وقت أن تستخدم طرق فلسطين وسككها الحديدية ومرافئها لحركات القوات المسلحة ونقل الوقود والمهمات.

«المادة الثامنة عشرة»

يجب على الدولة المنتدبة أن تضمن عدم التميز في فلسطين بين رعايا أية دولة من الدول الداخلة في عصبة الأمم (ومن جملة ذلك الشركات المؤلفة بحسب قوانين تلك الدولة) ورعايا الدولة المنتدبة أو رعايا أية دولة أجنبية أخرى في الأمور المتعلقة بالضرائب أو التجارة أو الملاحة أو تعاطي الصنائع أو المهن أو في معاملة السفن التجارية أو الطيارات المدنية. وكذلك يجب أن لا يكون هناك تميز في فلسطين ضد البضائع التي يكون أصلها من بلاد من بلدان الدول المذكورة أو تكون مرسلة إليها. وتطلق حرية مرور البضائع بطريق التوسط (الترانزيت) عبر البلاد المشمولة بالأنتداب بشروط عادلة.

ومع مراعاة ما تقدم وسائر أحكام صك الأنتداب هذا يجوز لإدارة فلسطين أن تفرض بالتشاور مع الدولة المنتدبة ما تراه ضرورياً من الضرائب والرسوم الجمركية وأن تتخذ ما تراه صالحاً من التدابير لتنشيط ترقية المرافق الطبيعية في البلاد وصيانة مصالح السكان فيها ويجوز لها ان تعقد بالتشاور مع الدولة المنتدبة أتفاقات جمركية خاصاً مع أية دولة من الدول التي كانت جميع أملاكها في سنة ١٩١٤ داخلة في تركيا الأسيوية أو شبه جزيرة العرب.

«المادة التاسعة عشرة»

تنضم الدولة المنتدبة بالنيابة عن إدارة فلسطين إلى كل ميثاق من المواثيق الدولية العامة التي سبق عقدها أو التي تعقد فيما بعد بموافقة عصبة الأمم بشأن الأتجار بالرقيق والإتجار بالسلاح والذخيرة أو بالمخدرات أو فيما يتعلق بالمساواة التجارية وحرية مرور البضائع بطريق التوسط (الترانزيت) والملاحة والطيران والمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية أو بالممتلكات الأدبية والفنية والصناعية.

«المادة العشرون»

تتعاون الدولة المنتدبة بالنيابة عن إدارة فلسطين في تنفيد كل سياسة مشتركة تقررها عصبة الأمم لمنع أنتشار الأمراض ومكافحتها. بما في ذلك أمراض النباتات والحيوانات بقدر ما تسمح به الأحوال الدينية والإجتماعية وغيرها من الأحوال.

«المادة الحادية والعشرون»

يترتب على الدولة أن تؤمن وضع وتنفيذ قانون خاص بالآثار القديمة على أساس القواعد المذكورة فيما يلي خلال الأثني عشر شهراً الأولى من هذا التاريخ، ويكون هذا القانون ضامناً لرعايا جميع الدول الداخلة في عصبة الأمم المساواة في المعاملة فيما يتعلق بالحفريات والتنقيبات الأثرية:

١- تعني عبارة (الآثار القديمة) كل ما أنشأته أو انتجته أيدي البشر قبل سنة ١٧٠٠ ميلادية.

٢- يسن التشريع المتعلق بحماية الآثار القديمة على أساس التشجيع لا التهديد.

«المادة الثانية والعشرون»

تكون الإنجليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية لفلسطين وكل عبارة أو كتابة بالعربية وردت على طوابع أو عملة تستعمل في فلسطين يجب أن تكرر بالعبرية وكل عبارة أو كتابة بالعبرية يجب أن تكرر بالعربية.

«المادة الثالثة والعشرون»

تعترف إدارة فلسطين بالأيام المقدسة (الأعياد) عند كل طائفة من الطوائف في فلسطين كأيام عطلة قانونية لأفراد تلك الطائفة.

«المادة الرابعة والعشرون»

تقدم الدولة المنتدبة إلى عصبة الأمم تقريراً سنوياً بصورة يقنع المجلس، ويتناول التدابير التي أتخذت أثناء تلك السنة لتنفيذ نصوص الأنتداب، وترسل نسخ من جميع الأنظمة والقوانين التي تسن أو تصدر أثناء تلك السنة مع التقرير.

«المادة الخامسة والعشرون»

يحق للدولة المنتدبة بموافقة مجلس عصبة الأمم أن ترجىء أو توقف تطبيق ما تراه من هذه النصوص غير قابل التطبيق على المنطقة الواقعة ما بين نهر الأردن والحد الشرقي لفلسطين كما سيعين فيما بعد، بالنسبة للأحوال المحلية السائدة في تلك المنطقة، وأن تتخذ ما تراه ملائماً من التدابير لإدارة تلك المنطقة وفقاً لأحوالها المحلية بشرط أن لا يؤتى بعمل لا يتفق مع أحكام المواد ١٥، ١٦، ١٨.

«المادة السادسة والعشرون»

توافق الدولة المنتدبة على أنه إذا وقع خلاف بينها وبين عضو آخر من أعضاء عصبة الأمم حول تفسير نصوص صك الأنتداب أو تطبيقها، وتعذر حله بالمفاوضات يعرض على محكمة العدل الدولية الدائمة المنصوص عليها في المادة الرابعة عشرة من ميثاق عصبة الأمم.

«المادة السابعة والعشرون»

أن كل تعديل يجري في شروط هذا الأنتداب يجب أن يكون مقترناً بموافقة مجلس عصبة الأمم.

«المادة الثامنة والعشرون»

في حالة أنتهاء الأنتداب الممنوح للدولة المنتدبة بموجب هذا الصك يتخذ مجلس عصبة الأمم ما يراه ضرورياً من التدابير لصون إستمرار الحقوق المؤمنة، بموجب المادتين ١٣و١٤ على الدوام بضمان العصبة ويستعمل نفوذه لأن يكفل بضمان الجمعية أحترام حكومة فلسطين للألتزامات المالية التي تحملتها إدارة فلسطين بصورة مشروعة في عهد الأنتداب أحتراماً تاماً وفي جملة ذلك حقوق الموظفين في رواتب التقاعد أو المكافآت[1].

وبهذا نرى أن المؤتمرات الصهيونية المتعددة طالبت بقيام دولة يهودية في فلسطين، وأن وعد بلفور عن بريطانيا حقق هذه المطالب، وأن عصبة الأمم ومؤتمر سان ريمو أيدوا هذه الأقتراحات.

وقد توجت في صك الأنتداب.

---

(١) نقل هذا النص عن تقرير اللجنة الملكية (الترجمة العربية الرسمية) (الكتاب الأبيض رقم ٥٤٧٩) الصادر في شهر تموز سنة ٧ ١٩٣ صفحة ٦ ٤و٤٨و٤٩و٥٠و٥١٩و٥٢٠و٥٢١و٥٢٢.
ونقلت الترجمة العربية عن كتاب الخطر الصهيوني والقضية الفلسطينية ص ٣٨٨-ص٣٩٦.

برقيتي احتجاج كبار رجال فلسطين
إلى الرئيس ولسون

اجتمع كبار رجال فلسطين في مؤتمر شعبي ضخم، وجهوا على أثره برقية احتجاج إلى الرئيس الأميركي ويلسون - باعتباره رئيساً لمؤتمر الصلح - جاء فيها:

«إن جميع سكان فلسطين المؤلفة من مناطق القدس، ونابلس وعكا العربية، من مسلمين ومسيحيين اجتمعو ا واختاروا مندوبيهم. الذين حضروا وعقدوا اجتماعاً عاماً في القدس لبحث شكل الحكومة الملائمة لبلادهم. وقد قرروا أن يرفعوا إلى مؤتمركم العالي أحتجاجهم الشديد بسبب ما سمعوه من أن الصهيونيين نالوا وعداً - أي وعد بلفور - يجعل بلدنا وطناً قومياً لهم. وإنهم ينوون الهجرة إلى هذا البلد وإستعماره. وعليه فإننا نحن المسلمين والسيحيين، المجتمعين بصفة مندوبين لأمة عربية حية من الأمم الضعيفة التي حررها الحلفاء، جئنا بهذا رافضين رفضاً قاطعاً كل قرار يتخذ بهذا الصدد قبل أخذ رأينا. وإننا نرفع إلى المؤتمر بياناً مفصلاً بالحيف الذي سيلحق بمصالح سكان هذا البلد من مسلمين ومسيحيين، وهم يشكلون الأكثرية المطلقة من جراء هجرة الصهيونيين إليه، وجعله وطناً قومياً لهم. فنرجوا من مؤتمركم العالي عدم إتخاذ أي قرار يتعلق بهذا البلد، إلا بعد الوقوف على رغباتنا وأمانينا التي سنعرضها».

التوقيع: عارف الداوودي الدجاني و٢٥ ممثلاً عن عرب فلسطين

الفصل السابع عشر

ثورة العشرين

ثورة العشرين:

بضغط صهيوني على رجال الأدارة الإنجليز بفلسطين صدر أمر يحظر المظاهرات، وقد زاد هذا الإجراء الأستياء العام لدى العرب الذين كانوا يتظاهرون ضد أعمال الصهيونية.

وقد صادف وقوع عيد الفصح لدى المسيحيين ولدى اليهود، ومناسبة موسم النبي موسى لدى المسلمين، وقد حضرت وفود من كافة مدن فلسطين والقرى للمشاركة في هذا الموسم، وقد أستغلت المناسبة للتنديد بالصهاينة والبريطانيين، وكان يلقي الخطب عارف العارف وموسى كاظم الحسيني والحاج أمين الحسيني، وقد أشترك المسيحيون القلسطينيون في الموكب داعين للوحدة العربية والإستقلال ومعلنين معارضتهم للهجرة الصهيونية[1].

ويعد تفجير لغم لم يعرف مصدره تماماً بين الجماهير العربية، قام المتظاهرون العرب بقذف الحوانيت اليهودية بالحجارة والأشتباك مع اليهود، وقد كان اليهود مسلحين بالأسلحة النارية وأطلقوا النار على الجماهير العربية.

وأستمرت الأنتفاضة وأعمال العنف المتفرقة طيلة الفترة الواقعة بين الرابع والعاشر من نيسان عام ١٩٤٠.

وقد أعلنت الأحكام العرفية، وبلغ مجموع الإصابات (٢٥١) إصابة، منها تسعة من القتلى. وقد كانت إصابات اليهود (٥) قتلى و(٢٢) إصابة بليغة وباقي الإصابات طفيفة، ومعظم هذه الإصابات تسببت عن هجمات العرب بالخناجر والعصي والحجارة. أما إصابات العرب فبلغت (٢٨) إصابة، (٤) شهداء برصاص اليهود، والبريطانيين، وجرح سبعة عرب، وجرح سبعة جنود بريطانيين.

وقد تبين وجود وحدات يهودية «للدفاع الذاتي» «الهاغاناه»، شكلها جابوتنسكي الصهيوني، الذي كان يحارب في صفوف الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى.

وإن قوات الهاغاناه كانت تتدرب علناً بمعرفة السلطات البريطانية.

---

(١) عيسى السفري «فلسطين العربية بين الأنتداب والصهيونية» القدس ١٩٣٧ ص:٤٧.

وصدرت أحكام مختلفة بالسجن ضد (٢٣) شخصاً، منهم الحاج أمين الحسيني وعارف العارف، وقد فر الأثنان إلى شرقي الأردن، كما نحّي موسى كاظم الحسيني عن رئاسة البلدية لأشتراكه بالمظاهرات السياسية.

وابلغ موسى كاظم باشا الحسيني الكولونيل ستورس، أن في ظل هذه الظروف، لن يجرؤ عربي على أن يحل محلي[١]، ولكن راغب النشاشيبي قبل هذا المنصب حال أن عُرض عليه.

وبالرغم من معارضة أهل فلسطين الشديدة فقد فشلت المعارضة في إحداث أية تغيرات جوهرية في موقف بريطانيا، بل على النقيض من ذلك فكرت حكومة الأنتداب من الأنتقال من الإدارة العسكرية إلى الحكومة المدنية لتلتزم بتنفيذ وعد بلفور، وقررت حكومة إنجلترا تعيين هربرت صموئيل اليهودي الأصل أول مندوب سام لها في فلسطين.

ومما يجدر ذكره أن صموئيل قال في مذكراته المنشورة: أنه حين عُين في المنصب المذكور مع معرفة حكومة صاحب الجلالة التامة بعواطفي فإنني عينت دون شك، بسبب هذه العواطف إلى حد كبير[٢].

وفي الحادي والثلاثين من أيار عقب إعلان الأنتداب على فلسطين وإدخال نص وعد بلفور في صك الإنتداب، وتعيين هربرت صموئيل أول مندوب سام على فلسطين، أجتمعت بعض الشخصيات الفلسطينية في دمشق بحيث تأسست «الجمعية الفلسطينية العربية»، وكان من أقطاب الجمعية الحاج أمين الحسيني وعزت دروزة، وعارف العارف، وأحتجت الجمعية على مؤتمر سان ريمو الذي منح بريطانيا الأنتداب على فلسطين وتعيين صموئيل. وناشد كذلك مسلمي الهند والبابا أن ينتبهوا إلى الأخطار اليهودية على فلسطين[٣].

---

(١) عيسى السفري (مرجع سابق) ص: ٨٢.

(٢) إيلي كدومري «السيد هربرت صموئيل وحكومة فلسطين»، المجلد الخامس رقم (١) كانون الثاني ١٩٦٩.

(٣) هربرت صموئيل - مذكرات - لندن - ١٩٤٥ صفحة ١٦٨.

لقد جاء تعيين صموئيل ضربة قوية للعرب الفلسطينيين الذين بدوا مصممين على مقاومة الصهيونية، وتصريح بلفور. وهكذا دخل الكفاح والنضال ضد الصهيونية والأستعمار في مرحلة جديدة.

مرحلة التبلور ١٩٢٠-١٩٢٣.

لفتت إنتفاضة القدس أنظار مؤتمر السلام إلى النزاع العربي الصهيوني.

ولكن المؤتمر بدلا من أن يعيد النظر في سياسة بريطانيا، منحها حق الأنتداب على فلسطين، وحدّد واجباتها من خلال تكرار وعد بلفور[1]، كما قرر مؤتمر سان ريمو (١٩٢٠) تطبيق بنود الأنتداب البريطاني على فلسطين، كما منعت سلطات الأنتداب عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني.

وقد قاطع العرب هربارت صموئيل، ولكنه شكل مجلساً أستشارياً عام ١٩٢٠ وكان المجلس يتألف برئاسة هربرت صموئيل، ونصف المجلس من الموظفين البريطانيين وأربعة من العرب المسلمين وثلاثة من العرب المسيحيين وثلاثة من اليهود، وقد قال ديديس أن الإجتماع الأول أسفر عن نتائج ونجاح كبيرين.

☆ المؤتمر الفلسطيني الثالث:

وقد عقد المؤتمر الفلسطيني الثالث ضمن ظروف صعبة، وهي سقوط حكم فيصل في دمشق، وبهذا خسر الفلسطينيون فيه مؤازراً كبيراً لهم، لذا كان على المؤتمر أن يعالج هذه الناحية.

عُقد المؤتمر في حيفا في ١٣/ ١/ ١٩٢٠، وقد حضره أعضاء الجمعيات الإسلامية المسيحية وأعضاء الجمعيات الأخرىء. ورئسه موسى كاظم الحسيني، وقد إتخذ المؤتمر المبادىء الثلاث التالية:

١- شجب السياسة الصهيونية التي تنطوي على إقامة وطن قومي لليهود والمبنية على وعد بلفور.

(١) وايزمان «التجربة والخطأ ص: ٣٢٥.

٢- رفض مبدأ الهجرة اليهودية.

٣- اقامة حكومة تمثيلية وطنية.

وأنتخب المؤتمر لجنة تنفيذية برئاسة موسى كاظم الحسيني وعهد إليها تنفيذ هذه القرارات.

ونتيجة عدم معالجة المؤمر الثالث للأمور السياسية بشكل جذري، فقد كتب السيد عيسى العيسى مقالاً أختتمه مشيراً إلى أن مطالب مؤتمر حيفا لم تكن جذرية إلى الحد الكافي[1]. ونظراً لحالة عدم الإستقرار التي تسود المنطقة ولقيام حركة مصطفى كمال أتاتورك وإتجاه تركيا إلى رفض التوقيع على معاهدة الصلح، وهذا بالتالي يؤثر على فرض الأنتداب البريطاني على فلسطين وكذلك شعور الناس بأن العرب سيقومون بمحاولة لطرد فرنسا من سوريا، وقد كتب ديدس سكرتير حكومة الأنتداب تقريراً بين فيه أن العرب الفلسطينيين حتى المسؤولون منهم يؤمنون إيماناً قوياً بأنه لا زال هناك فرص لتغيير الأنتداب، وأن الكثير من السياسيين البريطانيين وقطاعاً من الرأي العام البريطاني يرغب في حدوث التغيير[2].

☆ «مؤتمر القاهرة».

وعندما تسلم تشرتشل وزارة المستعمرات سارع بإستدعاء ضباطه العسكريين والموظفين الإداريين والسياسيين الذين يشغلون مناصب حساسة في المنطقة للتباحث معهم. وقد اعتبر المؤتمر أن الحكومة مسؤولة عن انشاء وطن قومي لليهود، وذلك بموجب شروط الأنتداب، واعتبر شرقي الأردن خارج نطاق الأنتداب، وأعتبر المؤتمر أنه يحترم الألتزامات البريطانية الدولية سواء منها ما كان نحو فرنسا بشأن سوريا أو نحو الصهيونيين بشأن فلسطين.

وقد أعلنت اللجنة التنفيذية لمؤتمر حيفا أختيار وفد للتوجه إلى مصر، لكن السلطات البريطانية طلبت التريث حتى يصل تشرتشل إلى القدس، إلا أن الفلسطينيين رفضوا

---

(١) ديدس إلى أتلي ١٤/١/١٩٢١ وزارة المستعمرات و.م ٧٣٣/١٧/أ.

(٢) ديدس إلى أتلى ١٤/١/١٩٢١ وزارة المستعمرات و.م ٧٣٣/١٧/أ.

ذلك، وتوجهوا بوفد إلى مصر برئاسة موسى كاظم الحسيني، وقد أجتمع بهم تشرتشل مكرها، ولم يبحث معهم قضايا سياسية.

وفي غضون، إقامة أعضاء الوفد، أقامت الشخصيات البارزة في مصر من سورية ولبنان حفلات تكريمية ألقيت خلالها الخطب تحية للوحدة العربية[١].

كما عقد في يوم التاسع عشر من الشهر إجتماع مع حزب الأتحاد السوري بحث فيه التعاون مع العرب الفلسطينيين لتحقيق إستقلال سوريا التام.

وفي أثناء وجود موسى كاظم الحسيني في القاهرة، أجتمع بالدكتور إسماعيل صدقي من الحزب الوطني الذي نصح الزعيم الفلسطيني أن يشكل حزباً يطالب فيه بنيل الإستقلال التام[٢].

تشرتشل في فلسطين:

وحين وصل تشرتشل غزة بالقطار، وجد حشوداً كثيرة بانتظاره، وكانت تهتف ضد بلفور وضد الصهيونية.

وفي حيفا وبيسان قامت مظاهرات دامية رغم الحظر العرفي الذي فرضته السلطات على التظاهر.

وقد اجتمعت لجنة حيفا بتشرتشل بالقدس وعرضت عليه مطالب الفلسطينيين المتضمنة إلغاء وعد بلفور، وفكرة الوطن القومي اليهودي ووقف الهجرة اليهودية، إلا أنه أجاب بأنه لا يستطيع ذلك، لأن هذه هي سياسة بريطانيا، وهي أمر واقع يجب أن يتقبله العرب.

☆ ثورة يافا:

لقد كانت حوادث يافا نتيجة إستياء شعبي عميق. ولم تكن هذه الحوادث نتيجة أعمال غوغائية، بل كانت «إستياء شعبي عميق الجذور وواسع النطاق من السياسة البريطانية الحالية»[٣].

---

(١) ولسون إلى شليوغ ٢٧/ ٢/ ١٩٢٨ وم٧٣٣-١٥٠.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص: ١٧٠.

(٣) تقرير برنتون ص: ٣، ٤.

وقد وقعت في مساء الثلاثين من نيسان عام ١٩٢١ حوادث عنف في يافا وأستمرت حتى الخامس من أيار، وقد أستخدمت فيها الأعيرة النارية، وكانت القوات البريطانية تساعد اليهود علناً، حيث كانوا يمتطون مدرعاتها.

وقد الهبت الحوادث التي وقعت في يافا مشاعر القرويين في مناطق أخرى من فلسطين. وكتب صموئيل إلى تشرتشل يقول: إن العديد من المستعمرات اليهودية في مختلف المناطق تعرضت للهجوم.

«وكان من الضروري إرسال عدة مفارز من الجنود والسيارات المدرعة والطائرات والشرطة إلى عدد من الأماكن المختلفة، ومطالبة السلطات البحرية بارسال السفن البحرية إلى يافا وحيفا، كإجراء احترازي[١]».

وفي الخامس من آيار تجمع نحو ٣٠٠٠ عربي قرب مستعمرة ملبس (بتاح تيكفا) ولكن القوات البريطانية قامت بصدهم ملحقة بهم (٦٠) شهيداً وعدداً آخر من الجرحى.

المؤتمر الفلسطيني الرابع:

لقد تم عقد المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع في القدس خلال شهر أيار عام ١٩٢١، وترأسه الزعيم الفلسطيني موسى كاظم الحسيني «وحضر المؤتمر حوالي (١٠٠) مندوباً مؤكدين القرارات التي أتخذت في مؤتمر حيفا، وأختاروا وفداً عربياً فلسطينياً ليتوجه إلى أوروبا لشرح القضية الفلسطينية، وبانتظار سفر هذا الوفد وما سيقوم به في لندن صدرت التعليمات بتجنب جميع الحركات غير المنظمة[٢]».

الوفد العربي يتوجه إلى أوروبا:

وبعد قضاء فترة قصيرة في القاهرة توجه الوفد إلى روما حيث أستقبلهم البابا وأعرب عن عطفه على قضيتهم[٣]، وبعد ذلك توجه الوفد (بعض أعضائه) إلى جنيف لعرض القضية العربية الفلسطينية أمام عصبة الأمم، وأشترك هؤلاء الأعضاء في الوقت نفسه في جهد عربي دعائي عام ومنسق بذل في جنيف[٤].

---

(١) صموئيل إلى تشرتشل ٨/ ٥/ ١٩٢١ وم، ٣/٧٣٣.
(٢) التقرير السياسي لشهر حزيران عام ١٩٢١ و.م. ٧٣٢-٤.
(٣) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص: ١٨٣.
(٤) أعمال الوفد السوري - الفلسطيني - القاهرة - ١٩٢٣.

ولما عاد الوفد إلى لندن قابل تشرتشل وزير المستعمرات والميجر يونغ من دائرة الشرق الأوسط، وبين تشرتشل أنه لا يعتبر الوفد رسمياً، ما لم يعترف بوعد بلفور، وبيّن له الوفد الفلسطيني: أنه يرفض وعد بلفور والهجرة الصهيونية، وحاول تشرشل جمع الوفد بالدكتور حاييم وإيزمان في سبيل تفاهم عربي - صهيوني، إلا أن الوفد الفلسطيني رفض كذلك الإجتماع بالصهاينة.

حاول صموئيل أن يناور ضد الوفد الفلسطيني الموجود في لندن فسارع إلى إستدعاء (٢٩) عضواً من أعضاء «اللجنة الإستشارية الإسلامية المسيحية» إلى إجتماع يعقد في القدس وذلك في محاولة لزعزعة موقف الوفد في لندن، وتذرع بحجة مشاورة العرب في الدستور الذي سيعلن في بريطانيا، فكان رد الوفد أنه لا يبدو من الرأي في موضوع دستور تتبنى دولته وعد بلفور، وإن الوفد الموجود حينذاك في لندن هو الجهة التي ينبغي إستشارتها في هذه الأمور[١].

المطالبة بالغاء وعد بلفور:

وكان من ضمن ما طلبه الوفد الغاء وعد بلفور وأن تحل محله إتفاقية تصون حقوق ومصالح وحريات شعب فلسطين، وتحفظ الحقوق الدينية لليهود.

وقد فشلت مباحثات الوفد في لندن.

وقد عقدت في شهر أيلول عام ١٩٢١ إجتماعات في الخليل والرملة ولوبية وطولكرم أشتركت فيها وفود من القرى والمدن المجاورة وذلك للتنسيق والتعاون بين القيادة الوطنية في المدن والنشاطات السياسية في القرى[٢].

ولقد اتفق على أن العرب لا يستطيعون مقاومة جيوش بريطانيا الجرارة، بيد أن هناك «وسيلة فعالة واحدة فقط للحيلولة دون الهجرة والقضاء على تصريح بلفور، تلك هي القيام بسلسلة منظمة من الغارات على اليهود في فلسطين[٣]. وذلك لبث الذعر في صفوف الصهاينة.

---

(١) صموئيل إلى تشرتشل ١٩٢١/٨/٢٦ و.م ٧٣٣-٥.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص:١٨٧.

(٣) وإيزمان إلى شكبورغ ٢١/١٢/٢ و.م.٧٣٣-١٦.

وحين أحس صموئيل بعودة الفلسطينيين إلى روح القتال، استأنف جهوده الرامية لإرضائهم وذلك بوضع الشؤون الدينية الإسلامية (من أوقاف ومحاكم شرعية. .الخ) تحت اشراف المسلمين[١] لتحسين الأوضاع الاقتصادية لهم.

وكانت الهجرة اليهودية والسياسة البريطانية تثير إستياء العرب وتقلقهم لا من الناحية السياسية فحسب، بل ومن الزاوية الاقتصادية[٢].

وقد كانت الأعمال في حيفا وعكا متوقفة، فالتجارة متوقفة، وتجارة الترانزيت توقفت بعض القوانين التي وضعتها السلطات الفرنسية، وارتفعت تكاليف المعيشة، وكذلك لقي حال أصحاب الأراضي ضيراً من ذلك فهم مثقلون بالديون.

☆ كتاب تشرتشل الأبيض:

بعد تزايد حدة الضغط على سياسة بريطانيا الموالية للصهيونية، ولأنتقادات الصحف البريطانية التي وصلت إلى مجلس اللوردات، وذلك باصدار بيان رسمي عن سياسة بريطانيا في فلسطين، اصدر تشرشل كتابه الأبيض الشهر في عام ١٩٢٢.

وقد ورد فيه «أن تصريح بلفور الذي تعتزم الحكومة التقيد به لا يهدف إلى اخضاع السكان العرب أو الثقافة العربية، ولكن اليهود موجودون في فلسطين بدافع من الحق وليس التسامح[٣].

ومن حق اليهود أن يزيدوا عددهم بالهجرة ضمن الطاقة الاستيعابية الاقتصادية لفلسطين، والحكومة البريطانية ستتبنى تدريجياً الحكم الذاتي. وسنت مجلساً تشريعياً منتخبا.

وسارع الصهيونيون إلى الموافقة على الكتاب الأبيض ولكن العرب رفضوه[٤].

ومع أن الكتاب الأبيض فشل في إرضاء العرب، إلا أن صدوره كان ضرورياً لمجابهة المعارضة التي قامت في البرلمان البريطاني، ففي النصف الثاني من شهر حزيران اثار اللورد إسقلتون مشكلة فلسطين في مجلس اللوردات واستطاع أن يستصدر قراراً من المجلس أعلن فيه رفضه للأنتداب الفلسطيني[٥].

---

(١) صموئيل إلى تشرتشل ٨-١٠/ ١٩٢١ و.م.٧٣٣-٧.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص: ١٩٢.

(٣) مذكرة تشرشل «السياسة البريطانية في فلسطين» حزيران ١٩٢٢ و.م. ٧٣٢-٣٤.

(٤) حكومة بريطانيا العظمى «مراسلات مع الوفد العربي الفلسطيني والمنظمة الصهيونية» أمر حكومي رقم ١٧٠٠ حزيران ١٩٢٢ ص٢١-٢٨.

(٥) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص: ١٩٧.

☆ **المؤتمر الفلسطيني الخامس:**

حثت الهيئات الوطنية الفلسطينية الفلاحين على الأمتناع عن دفع الضرائب للحكومة غير الإسلامية.

وقد أصبح في هذه الفترة مدرستان فكريتان:

- المدرسة الأولى تؤمن بالمقاومة السلبية وتنادي بها.
- والمدرسة الثانية ثورية تنادي بالعنف.

وقد أقرت اللجنة التنفيذية العربية إستخدام الوسائل غير العنيفة.

عقد المؤتمر الفلسطيني الخامس بنابلس، وقد حضره الوفد الفلسطيني الذي تجول في أوروبا.

وقد أكد موسى كاظم الحسيني أن هناك أنصاراً للقضية العربية في أوروبا وخاصة إنجلترا وفرنسا.

وبدأت جلسات المؤتمر في ٢٢ آب وأستمرت حتى ٢٥ آب.

وقد تبنى المؤتمر (١٨) قراراً منها رفض الدستور الفلسطيني، مقاطعة إنتخابات المجلس التشريعي، إقامة مكتب عربي فلسطيني في لندن، مقاطعة البضائع الصهيونية، وتنفيذ برنامج مالي لجمع التبرعات.

☆ **الميثاق الوطني الفلسطيني.**

تبنى المؤتمر ميثاقاً وطنياً فلسطينياً تعهد المندوبون بالتمسك به وأقسموا اليمين التالي على ذلك «نحن ممثلي الشعب الفلسطيني في المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس، المعقود في نابلس، نتعهد أمام الله والتاريخ والشعب أن نستمر في جهودنا الرامية إلى إستقلال بلادنا وتحقيق الوحدة العربية بجميع الوسائل المشروعة وسوف لا نقبل بإقامة وطن قومي يهودي أو هجرة يهودي».

الأتصال بمصطفى كمال:

وفي شهر أيلول ١٩٢٢ سجل مصطفى كمال أنتصارات في تركيا، وقد أستقبلها سكان فلسطين بالتهليل والتكبير، وأعتقد السكان أنه من الممكن أعادة النظر بالأنتداب البريطاني.

وبرزت فكرة الأتصال بالأتراك، ولما تم الأتصال بالأتراك وعد الأتراك بتأييد المطامح الوطنية الفلسطينية ومنح العرب إستقلالهم، وهنا أبرق لفيف من الفلسطينيين إلى مصطفى كمال يلتمسون منه العمل على تأييد منح الفلسطينيين الإستقلال في ظل إنتداب تركي[١]، وفي الوقت نفسه أستقالت حكومة جورج لويد الأئتلافية في إنجلترا، مما أنعش نفوس الناس وقوي التحريض ضد الدستور والأنتخابات التشريعية.

☆ مقاطعة أنتخابات المجلس التشريعي:

قاطعت جماهير الشعب الأنتخابات بدعوى أن قبول دستور مبني على تصريح بلفور هو بمثابة إنتحار وطني[٢].

وإلى جانب مقاطعة المجلس التشريعي كانت الحركة الوطنية الفلسطينية تعكف على بذل جهدها لتحسين أوضاع المزارعين الأقتصادية. وقد شكل «المؤتمر الزراعي الأقتصادي العربي» وأنتخب لجنة تنفيذية مرتبطة باللجنة التنفيذية للمؤتمر. وطالب المؤتمر الحكومة، بإلغاء بعض الضرائب لتشجيع الإنتاج الزراعي.

وفي أعقاب المقاطعة العربية الناجمة للأنتخابات أعلن صموئيل تعطيل بنود الدستور المتعلقة بالمجلس التشريعي وإقامة مجلس أستشاري جديد[٣].

وفي أثناء شهر أيار، مارست اللجنة التنفيذية الضغط على المرشحين للمجلس الأستشاري لحملهم على رفض التعيين، وهنا واجه الأعضاء ضغطاً شديداً وأستقالوا قبل أن يعين صموئيل موعد عقد الجلسة الأولى.

☆ المؤتمر الفلسطيني السادس:

عقد المؤتمر العربي الفلسطيني السادس في يافا خلال الفترة ما بين السادس عشر من شهر حزيران ١٩٢٣ والعشرين منه برئاسة موسى كاظم الحسيني.

---

(١) عبد الوهاب الكيالي (محرر) «وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الأحتلال البريطاني. والصهيونية ١٩١٨-١٩٣٩) مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٦٨، ص: ٦٧٢٦٦.

(٢) التقرير السياسي لشهر كانون أول ١٩٩٢ الملحق س.

(٣) صموئيل إلى ديغو تشاير ١٥/٦/١٩٢٣ و.م. ٧٣٣-٤٦.

وقد قرر المؤتمر رفض المعاهدة الأنجلو عربية التي أعتبرها لا تحقق حقوق عرب فلسطين ومصالحهم. وقرر المؤتمر توجيه وفد إلى لندن للمفاوضات وشرح وجهة النظر العربية.

وقد قرر المؤتمر فكرة الأمتناع عن جمع الضرائب، وقال جمال الحسيني أن الحكومة البريطانية تجمع الضرائب من العرب وتوزعها على اليهود والمستعمرات الصهيونية، وتقرر أرجاء الموضوع حتى يصبح الوقت مناسباً.

وخلال زيارة الوفد للندن، دخل في محادثات عقيمة مع السلطات البريطانية التي كانت تتبنى وعد بلفور وإقامة الوطن القومي الصهيوني.

وقد بدأ يظهر على الساحة حزب أقلية عربية موالية للسلطات البريطانية وعلى الأقل غير معادي.

ووصف صموئيل بواعث حزب الأقلية الموالي للحكومة والذي أخذ بالتبلور بالعبارات التالية:

«إنهم تواقون لحياة هادئة ولا يودون التورط في صراعات سياسية. فهم يرغبون في زيادة ثرواتهم ويعتقدون أن الإدارة والسيطرة البريطانية في الوقت الراهن، هما خير ما يمكن أن يجعل البلاد وأنفسهم أكثر إزدهاراً، وبعضهم مدفوعون إلى مواقفهم هذه، كما سبق أن ذكرت، بدوافع أقوى ناجمة عن الحزازات داخل صفوف معسكر المعارضة. وهناك من يعتقدون أنهم قد يظفرون بمزايا وفوائد مباشرة أو غير مباشرة من خلال الوقوف إلى جانب الحكومة»[١].

ويلاحظ أن العناصر المسيحية كانت بارزة في الحركة المناهضة للصهيونية وفي الحزب المعتدل على السواء. ولكنهم بصورة عامة أصبحوا ميالين إلى إتخاذ موقف أقل تصلباً نحو الحكومة بعد الأنتصارات التي سجلها مصطفى كمال، وبعد إنتعاش الأفكار الداعية للوحدة الإسلامية. يضاف إلى ذلك أنهم يشكلون نسبة عالية من موظفي الحكومة في فلسطين. ومهما يكن من أمر، فقد كان العديد من المفكرين العرب المسيحيين بين العناصر الشديدة التطرف ضد الصهيونية في فلسطين.

---

(١) صموئيل إلى توماس ٢٥-١-١٩٢٤ و.م ٧٣٣-٦٣٠.

وعزا صموئيل المعارضة الفلسطينية لبريطانيا إلى ثلاثة تيارات فكرية: القومية العربية، العداء للصهيونية، والوحدة الإسلامية.

بحلول نهاية عام ١٩٢٣ كان هناك إعتقاد متصاعد في صفوف الأكثرية العربية الفلسطينية بأن بريطانيا والأنتداب هما الحاميان الفعليان للصهيونية، وأن سياسة الوطن القومي اليهودي إنما تمثل تلاحم المصالح الإستعمارية البريطانية بالإستعمار الصهيوني في فلسطين الذي يكفل نشوء أكثرية وسيطرة يهودية، تم طرد العرب في النهاية من بلادهم[1].

☆ هدوء وركود ١٩٢٣-١٩٢٩.

في غضون شهر تشرين الأول ١٩٢٣ عقدت اللجنة التنفيذية إجتماعين هامين أنبثق منهما خطان سياسيان واضحان. خط ينادي بالثورة (دون تنظيم) وخط ينادي بالتريث، وقد أنتصر الخط الذي ينادي بالتريث ويتزعمه موسى كاظم الحسيني.

وكذلك أخذ نشاط دعاة الحزب المعتدل يتزايد. وقد عقد المؤتمر الأول للحزب في القدس وأنتخب لجنة تنفيذية ولجنة مركزية.

وسارع أنصار اللجنة التنفيذية العربية إلى الحملة على الحزب الجديد بعنف، وأشتبك الجانبان في حملات صحفية متبادلة، وقد هاجم الحزب الوطني أيضاً المجلس الإسلامي الأعلى وظهر في صحيفة مرآة الشرق الناطقة بلسانه مقال أضطر رئيس المجلس الإسلامي الأعلى إلى ملاحقة رئيس تحرير الصحيفة قضائياً[2].

وقد تأسس حزب جديد يتألف معظم أعضائه من القرويين ويتبنى برنامجاً مماثلاً جديداً لبرنامج الحزب الوطني.

هذا، وقد بدأ المجلس الإسلامي الأعلى يظهر وتزداد قوته وفي نفس الوقت كانت سمعة القيادة الوطنية الفلسطينية في تدهور.

☆ زيارة بلفور:

قام اللورد بلفور بزيارة فلسطين عام ١٩٢٥ لأفتتاح الجامعة العبرية وعلى الأثر ويوم وصوله قامت الصحف بمهاجمة وعد بلفور والصهيونية، كما شمل الأضراب العام كل

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص: ٢١٥.

(٢) التقرير السياسي لشهر تشرين الثاني ١٩٢٣ و.م ٧٣٣-٥٢.

مرافق الحياة في فلسطين، وألقى خليل السكاكيني (وهو مسيحي) خطبة في الحرم الشريف وكان رئيس بلدية القدس (راغب النشاشيبي) وثلاث موظفين وبضعة أفراد من شيوخ البلاد هم الوحيدين الذين لم يتقيدوا بالإضراب ومقاطعة بلفور، وحضروا مهرجانات تدشين الجامعة العبرية[١].

وقد زار بلفور كذلك دمشق ولم يجد الحال فيها أقل سوءاً عما كان في فلسطين.

وعندما زار فلسطين وزير المستعمرات الجديد (ال. سي.إمري) أستقبل وفداً فلسطينياً يمثل اللجنة التنفيذية والحزب الوطني وحزب الفلاحين وقد طلب رئيس الوفد موسى كاظم الحسيني من رئيس الحزب الوطني التحدث باسم الوفد، فقال الشيخ سليمان التاجي الفاروقي: أن رغبة الفلسطينيين أن يتعاونوا مع بريطانيا بإخلاص على أساس الصداقة والمصلحة المشتركتين. مما يدل على شعور موسى كاظم باشا الحسيني بقوة الحزب الوطني.

☆ بروصر مندوباً سامياً:

عندما حضر إلى فلسطين الفيلد مارشال اللورد بلومر ليحل محل هربرت صمويل في منصب المندوب السامي، كان المزاج السياسي الفلسطيني مختلفاً كلياً عما كان عليه عام ١٩٢٠[٢].

لقد كانت الأحزاب العربية المختلفة تود أن تتقدم للمندوب السامي الجديد في جبهة متحدة ولكنها تقف موقفاً ودياً، وتبدو مقتنعة بأن عهد السياسة السلبية الحالية قد أنتهت.

ولقد عزز هذا الموقف الأكثر ودية نحو الحكومة عاملان:

العامل الأول إنخفاض الهجرة اليهودية، ففي عام ١٩٢٧ كانت الهجرة إلى خارج البلاد أكثر منها إليها، وفي عام ١٩٢٨ كانت الهجرة من وإلى البلاد متوازية.

العامل الثاني: زيادة حدة التحزب والتشرذم بين السياسيين، وإزدياد الصراع على السيطرة على المجلس الإسلامي الأعلى.

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي «تاريخ فلسطين الحديث» مرجع سابق، ص:٢٤٤.
(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص:٢٢٥.

ثورة البراق:

بلغ التوتر ذروته في شهر تموز ١٩٢٩، حين أعلن اليهود عن عزمهم الأكيد على العمل لبلوغ أهدافهم والوصول إلى البراق، ففي هذا الشهر إنطلقت المنظمات والأحزاب اليهودية المختلفة (ومن ورائها يهود العالم) تعقد الإجتماعات العامة وتقيم المهرجانات الشعبية لإعلان حقوق اليهود «الأزلية» في الحرم المقدسي ووصول إعادته إليهم.

وقام اليهود بتاريخ ٢٩/٨/١٤ بتظاهرة في تل أبيب بمناسبة ذكرى تدمير هيكل سليمان، وفي اليوم التالي تجمع جمهور غفير بقيادة بعض المتطرفين وساروا بمسيرة بشوارع القدس، ثم رفعوا العلم اليهودي وبدأوا ينشدون النشيد القومي الصهيوني (الهاتكفا) وشتموا المسلمين[١]. وأثار هذا الحادث العرب، فقاموا بمظاهرة في اليوم التالي حيث صادف ذكرى المولد النبوي الشريف ويوم الجمعة، وقد توجه المسلمون إلى البراق وحطموا منضدة لليهود، كما أحرقوا بعض الأوراق الدينية والموضوعة في ثقوب حائط المبكى.

وفي ١٧ آب نشب قتال بين شاب عربي ويهودي أسفر عن جرح ١١ عربياً ويهودياً. ولما وصلت قوات البوليس هاجمها جمهور من اليهود فأصابوا المعتقل العربي كذلك بجروح وكذلك رجل بوليس بريطاني بجراح خطيرة[٢]. ثم قام اليهود بالإعتداء على منازل العرب في المناطق المجاورة.

وتكهرب الجو مما أضطر القوات البريطانية إلى سحب بعض مدرعاتها من شرقي الأردن. وقد عقد إجتماع ودي بين ثلاثة من الزعماء العرب وثلاثة من الزعماء اليهود وأتفق على إعادة عقده.

غير أنه في ٢٩/٨/٢٣ تدفقت أعداد كبيرة من القرويين المسلمين إلى المسجد الأقصى للصلاة، وكانت هذه المجموعات تحمل العصي والهراوات، وقد بدأ العرب

---

(١) تقرير شو، ص:٥٣.

(٢) عبد الوهاب الكيالي – تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص:٢٣٨.

هجومهم مسلحين بالعصي والهراوات والسيوف والمسدسات، وقد هاجمت الجماهير العربية الضواحي اليهودية، وقد حلقت الطائرات فوق البلدة القديمة، وتحركت قوات المدرعات من الرملة، وبعد نصف ساعة ساد الهدوء البلدة القديمة من القدس، لكن إطلاق النار أستمر في الضواحي.

وأمتدت الأشتباكات إلى نابلس والخليل، وفي الخليل هوجمت إحدى المدارس اليهودية وقتل يهودي واحد. وفي اليوم التالي هوجم الحي اليهودي في الخليل ومنازل اليهود المتفرقة، وقتل أكثر من ٦٠ يهودياً وجرح أكثر من ٥٠[١].

☆ **مهاجمة مكاتب الحكومة والمستعمرات:**

قام جمهور بمحاولة لأنتزاع السلاح من البوليس فحصلت إشتباكات عنيفة بسبب إطلاق النار على الجمهور، وفي بيسان ويافا قامت إضطرابات مماثلة، كما هوجمت بعض المستعمرات وكان تدميرها شاملاً.

وفي الحي العربي الواقع ما بين يافا وتل أبيب قامت إشتباكات مماثلة.

كما قامت مجموعة من الجماهير بمحاولة لتجريد أحد مراكز الشرطة في نابلس من أسلحته، فنشبت إشتباكات عنيفة بسبب ذلك، وفي يافا قامت إضطرابات مماثلة وهوجمت بعض المستعمرات وفي حيفا قامت إضطرابات وهجوم على حي هادار كرمل.

وفي القدس قام هجوم يهودي على مسجد عكاشة وأصيب بأضرار ووقعت ضحايا، وفي صفد وقع هجوم على الحي اليهودي وقد قتل أو جرح ٤٥ يهودياً.

وقد دلت الأحداث على أن المجلس الإسلامي الأعلى فقد سيطرته على الموقف، وأن الهجوم كان مركزاً على الصهاينة لا على الحكومة البريطانية، علماً بأن بعض الأصوات الوطنية اليسارية في يافا وجمعية الشباب المسلمين في حيفا كانت تنادي بتوجيه المقاومة ضد الإنجليز لا نحو اليهود[٢].

وقد أعتقلت السلطات البريطانية ما يقارب من ١٠٠٠ نسمة، وقد صدر حكم إعدام رسمي بحق كل من: عطا الزير، محمد جمجوم، فؤاد حجازي.

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص:٢٣٩.

(٢) بيان المجلس المركزي للحزب الشيوعي الفلسطيني «الحرب الدموية في فلسطين»، «الطبقة العاملة» أيلول ١٩٢٦ و.م.٧٣٢-١٧٥.

كما طبقت أحكام قانون العقوبات المشتركة على سكان المدن والقرى التي أدينت بالهجوم على اليهود وهي: الخليل، صفد، موتسا، عرطوف، وفرضت عليهم غرامات كبيرة[١].

وكان الشهداء الثلاثة في سجنهم ينشدون نشيداً وطنياً حماسياً، صار ملتصقاً بهم وبنضالهم، حيث لا يذكر هذا النشيد إلا ويذكر معه الأبطال الثلاثة.

يـا ظـلام السجـن خيـمّ — إننـا نهـوى الظـلامـا[٢]
ليـس بعـد الليـل إلا — فجـر مجـد يتسـامـى
أيهـا الحـراس رفقـا — واسمعـوا منـا الكـلامـا
متعـونـا بهـواء — منعـه كـان عنـا حـرامـا

● ● ● ●

يـا رنيـن القيـد زدنـي — نغمـة تشجـي فـؤادي
أن فـي صـوتـك معنـى — لـلأسـى والأضطهـاد
لسـت والله نسيـا — مـا تقـاسيـه بـلادي
فـاشهـدي يـا نجـم أنـي — ذو وفـاء ووداد

● ● ● ●

أيـه يـا دار الفخـار — يـا مقـر المخلصينـا
قـد هبطنـاك شبـابـا — لا يهـابـون المنـونـا
وتعـاهـدنـا جميعـاً — يـوم أقسمنـا اليمينـا
لـن نخـون العهـد يـومـا — وأتخـذنـا الصـدق دينـا

---

(١) تقرير الإدارة في فلسطين وشرقي الأردن لعام ١٩٢٩ كتاب المستعمرات رقم ٤٧ لعام ١٩٣٠، ص٧.

(٢) هذه الأنشودة نظمها الأستاذ نجيب الريس، صاحب جريدة القبس، «من مذكرات أكرم زعيتر قبل خمسين سنة» مجلة القدس، بيروت - العدد الخامس الصادر بتاريخ ١/ ٤/ ١٩٨٠ ص: ٤٠.

وقد خلد الشعراء في فلسطين والوطن العربي في شعرهم هذه المناسبة الكبيرة في تاريخ فلسطين الحديث. نكتفي منها بتقديم قصيدتين طويلتين مشهورتين الأولى للشاعر إبراهيم طوقان الذي عاصر تلك المرحلة، وتابع أولاً بأول قصة إستشهاد الأبطال الثلاثة، ننشرها كما وردت في «ديوان إبراهيم طوقان» الصادر عن دار المسيرة في بيروت سنة ١٩٤٨.

الثلاثاء الحمراء

لما تعرض نجمك المنحوس — وترنحت بعرى الحبال رؤوس

ناح الآذان وأعول الناقوس — فالليل أكدر، والنهار عبوس

طفقت تثور عواصف وعواطف

والموت حينا طائف أو خاطف

والمعول الأبديّ يمعن في الثرى — ليردهم في قلبها المتحجر

يوم أطل على العصور الخاليه — ودعا «أمر على الورى أمثاليه؟»

فأجابه يوم «أجل أنا راوية — لمحاكم التفتيش، تلك الباغيه

ولقد شهدت عجائباً وغرائباً

لكن فيك مصائباً ونوائباً

لم ألق أشباها لها في جورها — فاسأل سواي وكم بها من منكر»

● ●

وإذا بيوم راسف بقيوده — فأجاب، والتاريخ بعض شهوده:

«انظر إلى بيض الرقيق وسوده — من شاء كانوا ملكه بنقوده

بشر يباع ويشترى فتحررا

ومشى الزمان القهقري فيما أرى

فسمعت من منع الرقيق وبيعه نادى على الأحرار يا من يشتري!»

●●

وإذا بيــوم حــالك الجلبـاب مترنـح مـن نشـوة الأوصـاب

فأجاب: «كلا، دون ما بك ما بي أنا في ربى (عاليَ) أضاع شبابي

وشهدت للسفاح ما أبكي دما

ويـل لـه مـا أظلما لكنما

لـم ألـق مثلك طالعـاً في روعة فاذهب لعلك أنت يوم المحشر»

(اليـوم) تنكـره الليـالـي الغـابـره وتظـل تـرمقـه بعيـن حـائـره

عجبـا لأحكـام القضـاء الجـائـره فـأخفُّهـا أمثـال ظلـم سـائـره

وطن يسير إلى الفناء بلا رجاء

والـداء ليس له دواء إلا الأباء

إن الأبـاء منـاعـة، أن تشتمـل نفـس عليـه تمـت ولمـا تقهـر

●●

الكـل يـرجـو أن يبكـر عفـوه نـدعـو لـه ألا يكـدر صفـوه

إن كـان هـذا عطفـه وحنـوه عاشت جلالته وعاش سموه..!

حمل البريد مفصلاً ما أجملا

هـلا أكتفيت توسلا وتسولا

والموت في أخذ الكلام ورده فخذ الحياة عن الطريق الأقصر

●●

ضاق البريد فما تغير حالٌ والذلّ بين سطورنا أشكال

فراقاً لنا الأرواح، والأموال وكرامة - يا حسرتا - أسمال

أو تبصرون وتسألون ماذا يكون؟!

إن الخداع له فنون مثل الجنون

هيهات، فالنفس الذليلة لو غدت مخلوقة من أعين لم تبصر!

●●

إني لشاك صوته إن يسمعا أنّي لباكٍ دمعة أن ينفعا

صخر أحس رجاءنا فتصدعا وأتى الرجاء قلوبهم فتقطعا

لا تعجبوا، فمن الصخور نبع يفور

ولهم قلوب كالقبور بلا شعور

شمس يوماً رجاء عند من جربته فوجدته لم يشعر

الساعات الثلاث

ويصف الشاعر هنا الساعات الثلاث التي تم فيها إعدام الأبطال الثلاثة..

الساعة الأولى

أنا ساعة النفس الأبية الفضل لي بالأسبقية

أنا بكر ساعاتا ثلاث كلها رمز الحميّة

بنتُ القضية إنّ لي أثرا جليلاً في القضية

أثر السيوف المشرفية والرماح الزاغبية

أودعت في مهج الشبيبة نفحة الروح الوفيّة

لابــــدّ مـــن يـــوم لهـــم يسقـــي العدى كأس المنيّة
قسمــــاً بـــروح (فـــؤاد) تصعـد من جـوانحه زكيّة
تـأتـــي السمــــاء حفيــة فتحــل جنتهــا العليــة
مــا نــال مــرتبطــة الخلــود بغيــر تضحيــة رضيــة
عــاشــت نفــوس فــي سبيــل بــلادهــا ذهبــت ضحيــة

الساعة الثانية

أنــا ساعــة الرجــل العتيــد أنا ساعــة البأس الشديــد
أنــا ســاعــة المــوت المشــرف كــل ذي فعــل مجيـــد
بطلــــي يحطـــم قيــــده رمـــزا لتحطيـــم القيـــود
زاحمـت مــن قبلـي لأسبقهــا إلـــى شـــرف الخلـــود
وقـدحـتُ فـي مهـج الشبـاب وأن يخـــدّر بـالعهـــود
قسمـــا بـــروح (محمــــد) تلقـــى الـردى حلـو الـورود
قسمـا بـأمـك عنـد مـوتـك وهـــي تهتـــف بـالنشيـــد
ويـرى العـــزاء عـــن ابنهــا فـــي صيتــه الحســن البعيــد
مــا نــال مــن خــدم البــلاد أجــلّ مــن أجــر الشهيــد

الساعة الثالثة

مــا ســاعــة الــرجــل الصبــور أنــا ســاعــة القلــب الكبيــر
رمــز الثبــات إلــى النهــايــة فــي الخطيــر مــن الأمــور
أشـــــد علـــى لقــــاء المــوت مــن حــم الصخــور

هــــذلان يرتقـــب الـــــردى فأعجب لمــوت في سرور

الالـــه (مخضـــب الكفيـــن) فـــي يـــوم النشــــور

الشبـــاب علـــى المصـــــاب وديعتـــي مـــلءُ الصـــدور

حـــذرت أعـــداء البـــــلاد بشـــر يـــوم مستطيـــر

سمـــا بـــروحـــك يـــا (عطـــاء) وجنـــة الملـــك القـــديـــر

معـــارك الأشبـــــال تبكـــــي الليـــث بالدمـــع الغزيـــر

أنقـــذ الـــوطـــن المفـــدى غيـــر صبـــار جســـور

الخاتمة

الأبطال الثلاثة

فـــي تـــربـــة الأوطـــــان أرواحهـــم فـــي جنـــة الـــرضـــوان

لا شكـــوى مـــن الطغيـــان وهنـــاك فيـــض العفـــو والغفـــران

تـــرج عفوا من سواه هو الاله

وهو الذي ملكت يداه كل جاه

فـــوق الـــذي يغـــرهـــم جبـــروتهـــم فـــي بـــرهـــم والأبحـــر

وهذا هو الشاعر الشعبي يخّلد هذه المناسبة الدامية في قصيدة طويلة، وهي كما جاءت في «ديوان الشعر الفلسطيني» الجزء الأول للأستاذ نمر على لسان الراوية رضا شحادة، بعنوان أحزان عام ١٩٢٩.

من سجن عكا وطلعت جنازة

محمد جمجوم وفؤاد حجازي

جــازي عليــهم يا ربي جازي

المندوب السامي وربعه عموما

●●●

محمد جمجوم ومع عطاء الزير

فــؤاد حجــازي عز الذخيرة

إنظــر لمقـــدّر والتقاديـــر

بحكـــام المـــولى تايعدمونا

●●●

أميّ الشفوقة بالسجن تنادي

ضـــاقت عليها كلّ البلاد

نــادوا فؤاد ومهجة فؤادي

قبـــل نتفـــرق تا يودّعان

●●●

باب المحاكـــم صاحت يا أبني

تدعى على المحاكم هاللي أتبعني

والحاكـــم ظالـــم ما هو معجبني

وإعـــدام الشباب ما هو قانونـــي

●●●

تنـــده ع عطا مـــن وراء البـــاب

وقفـــت تستنظـــر منه الجواب

عطـــا يـــا عطـــا زين الشباب

يهجـم على العسكر ولا يهابونا

●●●

ثلاثـــة ماتـــوا موت الأسود

لا تشمت فيهم وَلَكْ بيارودة

بَسّك تشتكـــي ولك صهيونا

●●●

جابو المُرجيحة جابو الحبال

هذه المـرجيحة شرفنا العالي

وهذه المرجيحة شرفنا العالي

شبـــاب العـــرب لا تهتمونا

●●●

حبســـك يا عطا ما عُدنا نهابـــو

مـــا دام الظلـــم ظارب أطنابـــو

هـــذا وطنـــا وإحنا إصحابـــو

حزب الصهيوني قوموا أرحلونا

●●●

خيّ يا يوسف وصاتك إمّي

أوعي يا أختي بعدي تنهميّ

لأجل الوطن هدرت دمُـي

كلُـه علشانك يا فلسطينـا

●●●

رئيـس المجلـس واحنـا رجالك

فـي نادي الأُمـم ورجينـا أفعالك

حافظ على الوطن أحسن وأبقى لك

لا يقـولـوا خانوا العرب يا عيونا

زوروا المـقابـر يــوم لعيادي

زوروا لـي عطا وزوروا الأمجـادي

أهـل الشجـاعـة عطـا وفـؤاد

ما يهـابـوا الـردى يـوم المنونا

●●●

شرقي القدس صارت مناحة

سمعتهـا يافا طلعت صيّاحة

قالـت يا قدس يلّله يا ريحا

نعلنهـا ثـورة على صهيونا

●●●

صـارت في عكا يوم العِدّامِ

مصيبـــة كبيرة على العُربان

صفوا العساكر صف النظـام

خافو من العرب لا يهجمونا

●●●

ضرب المدافع ما خفنا منه

والمقدّر جاري ما غنى عنه

والموت الحمر ما نسأل عنه

يـومن ردناهـــم ما يمنعونا

●●●

طلبنـــا العفو ما سمعوا منّاً

للشهر العاشر واحنا بنستنّاً

بعثنـــا الوفد يدافـــع عنّـــا

خابت آمالُه ورجع مغبونـا

●●●

يقـــول محمـــد أنا أولكُـــم

خوفي يا عطا أشرب حسرتكم

يقـــول حجازي أنـــا أولكُـم

مـــا نخاف المشانق لو علّقونـا

●●●

فـؤاد حجازي أمي مفقودي

جـودي يا أمي بالبكا جودي

علشان الوطن حلفت أجودي

عشـان الوطـن بيعلقونـا

●●●

نادى المنادي يا ناس اضراب

يـوم الثلاثـا شنق الشباب

أهـل الشجاعة عطا وفؤادي

مـا يهابوا الردى ولا المنونا

وتبين للشعب العربي الفلسطيني قضيتان رئيستان بعد أحداث ١٩٢٩ :

أولاهما أنه لابد من مناصبة بريطانيا العداء لأن الصهيونية تقوم على حراب بريطانيا.

والثانية تبين جبن الوجهاء الفلسطينيين وعدم قدرتهم على قيادة الجماهير في الصراع ضد الصهيونية والسياسة البريطانية في فلسطين(١).

● نواة تنظيم مسلح:

وكان لأمتداد النزاع المسلح ليشمل إنضمام متطوعين سوريين وأردنيين ولبنانيين أثره البالغ في أوساط السلطات البريطانية المنتدبة.

وفي غضون الأسبوع الثالث من تشرين الأول أفادت تقارير البوليس أنه يجرى جمع التبرعات، كما أنه وقع الأختيار بالفعل على (٤٠٠) عربي لتشكل منهم نواة قوة مسلحة عربية»(٢).

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص٢٤٢.

(٢) المندوب السامي إلى وزير المستعمرات ٢٣/ ١٠/ ١٩٢٩ و.م ٧٣٣-١٦٣.

وبعد ذلك باسبوع أفادت تقارير رجال الإستخبارات أنه «تم تشكيل عصابات لمهاجمة الموظفين اليهود البريطانيين، وستعمل هذه العصابات في منطقتي حيفا ونابلس.

وجاء في تقرير قوة الحدود البريطانية المؤرخ في ١٠/١٩ أنه تجري إستشارة عصابات مدربة بشأن خير الوسائل لشن حرب عصابات قد تبدأ أعمالها بعد وصول اللجنة من لندن وإنهاء تقريرها، ويجري الآن تشكيل لجان في مختلف أنحاء فلسطين لتقديم العون لهذه العصابات(١).

● إرهاب عملاء الإنجليز:

وجاء في تقرير لدائرة الإستخبارات أن لجنة سرية أطلق عليها اسم لجنة المقاطعة تشكلت لأغراض الإرهاب وأغتيال الأشخاص الذين يعتقد أنهم يعملون ضد المصالح الوطنية.

وقد أدت هذه التهديدات إلى نضوب المصادر التي منها تستقي دوائر الإستخبارات أخبارها. وقيل أيضاً أن المجلس الإسلامي الأعلى واللجنة التنفيذية العليا وافقتا على الفكرة وأشتركتا في تمويل اللجنة. وقد قتل بالفعل أحد العرب الذين كانوا يعملون لصالح الإستخبارات الصهيونية.

---

(١) ملاحظات حول محادثات بين وزير الدولة وأعضاء الوفد العربي الفلسطيني ١٩٢١/٨/٢٢. و.م ٧٣٣-١٤ ص٢٠.

الفصل الثامن عشر

الهجرة
اليهودية الثانية

١- المؤتمرات الفلسطينية.

٢- الحزب العربي.

٣- الحزب الوطني.

٤- حزب الزراع.

٥- حزب الأهالي - الحزب الديمقراطي.

٦- الحزب الحر الفلسطيني.

٧- حركة الشباب.

٨- الحزب العربي.

٩- حزب مؤتمر الشباب.

١٠- حزب الإصلاح.

١١- حزب الكتلة الوطنية.

١٢- حزب الدفاع الوطني.

١٣- حزب الإستقلال العربي.

١٤- الحزب الشيوعي الفلسطيني.

في دراستنا لقضية الهجرة إلى أرض فلسطين، يجب التشديد على واقعة أساسية، ذات أهمية بالغة، وهي أن هذه الهجرة، بخلاف الهجرات السكانية الأخرى، لم تكن حركة سكانية عفوية، مستندة إلى دواع أقتصادية أو إجتماعية، أو سياسية موضوعية، بل عملاً منظماً، مخططا له في أستراتيجية الصهيونية العالمية[١].

يجب تأمين السكان والأرض والمياه.

وقد أنقسمت موجات الهجرة كالتالي:

١- الهجرة الأولى لفلسطين (١٨٨٢-١٩٣٠م).
٢- الهجرة الثانية (١٩٠٤-١٩١٣م).
٣- الهجرة الثالثة (١٩١٩-١٩٢٣م).
٤- الهجرة الرابعة (١٩٢٤-١٩٣٢م).
٥- الهجرة الخامسة (١٩٣٣-١٩٣٨م).
٦- الهجرة الإسرائيلية بعد إقامة دولة (إسرائيل).
٧- الهجرة اليهودية (١٩٦٨-١٩٧٣).
٨- الهجرة بين سنوات (١٩٧٤-١٩٨٠م).
٩- هجرة اليهود السوفيات.

هذا وقد كان عدد اليهود ضئيلاً في فلسطين، وأرتفع نتيجة الهجرة اليهودية.

	مسلمون	مسيحيون	يهود	آخرون	المجموع
عدد السكان وفقاً لتعداد ١٩٢٢	٥٨٩١٧٧	٧١٤٦٤	٨٣٧٩٠	٧٩١٧	٧٥٢٠٤٨
تقدير السكان في نهاية ١٩٤٤	١٠٦١١٢٧٧	١٣٥٥٤٧	٥٢٨٧٠٢	١٤٠٩٨	١٧٣٩٦٢٤
مجموع الزيادة السكانية	٤٧٢١٠٠	٦٤٠٨٣	٤٤٤٩١٢	٦٤٨١	٩٨٧٥٧٦
الزيادة الطبيعية للسكان	-٤٥٣٤٠٥	٤٥٥٩٠	١١٧٢٢٦	٦٠٢٦	٦٢٢٢٤٧
الزيادة السكانية بفعل الهجرة	١٨٦٩٥	١٨٤٩٣	٣٢٧٦٨٦	٤٥٥	٣٦٥٣٢٩
النسبة المئوية للزيادة الطبيعية	%٩٦	%٧١	%٢٦	%٩٣	%٦٣
النسبة المئوية للزيادة بفعل الهجرة	%٤	%٢٩	%٧٤	%٧	%٣٧

جدول يبين نمو تطور نمو سكان فلسطين خلال الفترة (١٩٢٢-١٩٤٤)[٢]

(١) ناصر موسى الكيلاني - إسرائيل دولة المهجرين - عمان ١٩٨٥.

(٢) المصادر: 1- Luke. C. and Keith - Roach, E. Handbook of Palestine and
2- Tans Jordan. London (1930).

ومن هذا الجدول يتبين أثر الهجرة بأرتفاع عدد نسبة اليهود بفلسطين إلى السكان.

وقد عالج الجزء الأول من هذا الكتاب الهجرتين الأولى والثانية.

الهجرة الثالثة (١٩١٩-١٩٢٣م).

نتيجة لوجود الجيش البريطاني في فلسطين، والعلاقة الخاصة بين بريطانيا والمنظمة الصهيونية، وتعهد الحكومة البريطانية بإقامة وطن قومي لليهود، فقد أتخذت الحكومة البريطانية قراراً بهجرة ١٦٥٠٠ يهودي سنوياً[١]. ولكنها لم تتمكن من جلب هذا العدد.

وقد نشأت عن هذه الهجرة منظمة (الهستدروت) ومنظمة الهاغاناه.

وقد تمكنت الهستدروت، متعاونة مع المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية من إدخال ٤٥ مليون جنيه فلسطيني لتنفق على شراء الأراضي وأستقبال المهاجرين[٢].

الهجرة الرابعة (١٩٢٤-١٩٣٢):

نجحت الحركة الصهيونية، نتيجة جهودها المكثفة، بتهجير حوالي ٩٤ ألف يهودي بين عامي ١٩٢٤و١٩٣٢ إلى فلسطين، لقد أصدرت الولايات المتحدة الأميركية عام (١٩٢٤) قانوناً يحد الهجرة إليها. فأضطر يهود أوروبا الشرقية وبولندا خاصة إلى عدم الذهاب إلى أميركا بل التوجه إلى فلسطين.

ولكن بالمقابل صادفت حركة الهجرة إلى فلسطين مشاكل صعبة، حين أنشأت روسيا جمهورية خاصة باليهود بإسم (بايرانجيتان) وكانت جمهورية ذات حكم ذاتي.

إضافة إلى أن الثورات العربية وخاصة ثورة البراق أدت إلى هجرة (١٧٠٠) يهودي عام (١٩٢٩) من فلسطين.

---

(١) عبد الرحمن أبو عرفة – الأستيطان، ص:١٨.

(٢) الياس سعد، الهجرة إلى فلسطين المحتلة، ص:٢٩.

وتتضح أعداد الهجرة الرابعة كما يلي:

السنة	عدد المهاجرين
١٩٢٤	١٣٫٨٩٢
١٩٢٥	٣٤٫٣٨٦
١٩٢٦	١٣٫٨٥٥
١٩٢٧	٣٫٠٣٤
١٩٢٨	٢٫١٧٨
١٩٢٩	٥٫٢٤٩
١٩٣٠	٤٫٩٤٤
١٩٣١	٤٫٠٥٧
١٩٣٢	١٢٫٥٥٣
المجموع	٩٤٫١٦٦

الهجرة الخامسة (١٩٣٣-١٩٣٨).

حين وصل الزعيم النازي، أدولف هتلر إلى سدة الحكم عام ١٩٣٣ بدأ اليهود يهاجرون إلى فلسطين بسبب الإضطهاد، وحين أعلن النازيون إضطهاد اليهود جهاراً، قام زعماء الصهاينة بالإتصال بوزير الداخلية الألماني لعقد إتفاقات لنقل يهود ألمانيا إلى فلسطين، وقد وضحت الكاتبة الأميركية (H.ANED)[١] تفاصيل الأتفاقات والمبالغ المالية التي تم دفعها وقد أتصل زعماء الصهيونية مع الحكام وأصحاب النفوذ في أميركا وكندا من أجل منع اليهود من الهجرة إليها وأضطرارهم الهجرة إلى فلسطين.

وفيما يلي جدول يبين عدد المهاجرين في السنوات ما بين ١٩٣٢-١٩٣٨[٢].

(١) موسى زيد الكيلاني - سنوات الأغتصاب، ١٩٦٥، عمان، ص:١١٢.

(٢) Statistecal Abstract of Israel 1979. p.135.

السنة	عدد المهاجرين
١٩٢٣	٣٧٣٣٧
١٩٣٤	٤٥٢٦٧
١٩٣٥	٦٦٤٧٢
١٩٣٦	٢٩٥٩٥
١٩٣٧	١٠٦٢٩
١٩٣٨	١٤٦٧٥
المجموع	٢٠٣,٩٧٥

ويلاحظ من الجدول السابق تفاوت معدلات الهجرة، وسبب ذلك ثورة العرب سنة ١٩٣٦، فقد أدت إلى تقليص عدد المهاجرين اليهود، إذ بلغ عددهم عام ١٩٣٥ (٦٦) ألفاً في حين إنخفض هذا العدد بعد الثورة إلى عشرة آلاف نسمة تقريباً.

وقد تميزت الهجرة الخامسة عن غيرها من الهجرات أنها كانت تنتقي شباباً دون الثلاثين من العمر أو أولاداً في الحادية عشر، حيث أصبحوا عام ١٩٤٨ نواة جيش الهاغاناه[١].

كما تم إنتقاء (٢٤) ألف ألماني تتراوح أعمارهم بين (١١-١٢) وتم إسكانهم في مستعمرات خاصة في الساحل وأشبعوا بتعاليم التلمود وكانت المستعمرات تتميز بالطابع العسكري.

كما تتميز الهجرة بالتجاء اليهود من العراق، وسوريا ولبنان الن فلسطين خوفاً من خطر النفوذ الألماني.

إن فترة الأحتلال البريطاني زادت عدد اليهود ليصبحوا ٦ أضعاف عدد اليهود الذين كانوا موجودين قبل الإنتداب، وبعد عام ١٩٣٦ أتخذت الهجرة اليهودية شكلاً مكثفاً، ونجم عن ذلك مذبحة الخليل وإضراب الستة شهور.

وقد قام رد فعل قوي في الدول العربية الصديقة لبريطانيا ونتيجة هذه الأوضاع والضغوط صدر الكتاب الأبيض (١٩٣٩) والذي حدد كوتا للهجرة اليهودية مقدارها (٧٥) ألف مهاجر خلال خمس سنوات تتوقف بعدها الهجرة كلياً. كما وضع قيود على شراء الأراضي من قبل اليهود.

---

(١) ناصر موسى - زيد الكيلاني - إسرائيل دولة المهجرين - عمان ١٩٨٥، ص: ٢٤.

وحين أندلعت الحرب العالمية الثانية تعمدت بريطانيا عدم إستفزاز شعور الفلسطينيين والعرب ليساعدوها في الحرب ضد المحور، ولكنها عملياً كانت تغض النظر عن الهجرة الصهيونية اللاشرعية.

وقد تدنى عدد اليهود المهاجرين خلال الحرب لصعوبة المواصلات.

الهجرة اليهودية إلى فلسطين ١٩٣٩-١٥/٥/٤٨[١].

السنة	عدد المهاجرين
١٩٣٩	٣١٫١٩٥
١٩٤٠	١٠٫٦٤٣
١٩٤١	٤٫٥٩٢
١٩٤٢	٤٫٢٠٦
١٩٤٣	١٠٫٠٦٣
١٩٤٤	١٥٫٥٥٢
١٩٤٥	١٥٫٢٥٩
١٩٤٦	١٨٫٧٦٠
١٩٤٧	٢٢٫٠٩٨
١٤/٥/١٩٤٨	١٧٫١٦٥
المجموع	١٤٩٫٦٣٣

(١) Statistical Abstract of Israel 1979, p.135.

الهجرة اليهودية بعد إقامة دولة إسرائيل:

نتيجة قرار التقسيم الذي أتخذته هيئة الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ قامت دولة إسرائيل، وبدأت أفواج الهجرة الكثيفة من يهود العالم بالقدوم إلى إسرائيل بعد إعلان الإستقلال، عام ١٩٤٨، وقد ظهرت الهجرة بالشكل التالي:

الشهر	عدد المهاجرين
آيار ١٩٤٨	٢٥٠,٠٠٠
خلال المعارك العربية الإسرائيلية	٢٥٠,٠٠٠
حزيران، تموز، آب	٣٣٠,٠٠٠
أيلول، كانون أول	٧٠,٠٠٠
كانون ثاني/ شباط١٩٤٩	١٠٠٠٠٠

مجموع الذين وصلوا خلال عام واحد ٢٠٣,٠٠٠

وكان قسم كبير من هؤلاء المهاجرين من الدول العربية، بعد تقديم رشوات للحكام. كما أفتعلت الصهيونية حوادث إرهابية ضد هؤلاء اليهود العرب لإخافتهم من الإقامة حيث هم للأنتقال إلى إسرائيل وفي هذا الصدد يقول بن غوريون «إنني أعترف بأنه لو كانت لدى السلطة بقدر ما عندي من الرغبة لانتقيت عدداً من الشباب الموهوب المؤمن القوي بقضيتنا وأرسلتهم إلى البلاد التي غرق فيها اليهود في رضا عن النفس غير آبهين بالعودة إلى أرض أجدادهم ولأمرت هؤلاء الشباب بالتظاهر باللايهودية، وجعلتهم يشهرون سلاح اللاسامية على أولئك اليهود الخاضعين[1].

(١) الفرد نتتال، ثمن إسرائيل ص،٢٠٧.

جدول رقم (١)
هجرة عملية بساط الريح لليهود من البلاد العربية والإسلامية
من ٤٨/٥/١٥ حتى ١٩٧٢/٥/٢٢ على فترتين

القطر	عدد المهاجرين	القطر	عدد المهاجرين
العراق	١٢١٥١٢	سوريا ولبنان	١٠٤١٠٢
اليمن وعدن	٤٨٣٠٤	مصر	٢٩٣٢٥
تركيا	٣٤٢١٣	المغرب العربي	٣٣٠٨٣٣
المغرب	٤٥٤٢١	من لبنان	٣٥٦٦٦
ليبيا	٣٠٤٨٢	العراق	١٢٩٢٩٢
مصر	١٦٥٠٨	من اليمن الشمالي والجنوبي	٥٠٥٥٢
ايران	٢٤٨٠٤		
الهند وافغانستان وبلاد أخرى	٩١١٥		
المجموع	٣٣٠٤٠٠	المجموع الكلي	٥٨٦٢٦٨

وضمن تلك الخطة، تم القاء القنابل على أماكن تجمعات يهودية في مراكش وبغداد واليمن، أعترف بذلك سنة ١٩٧٨ الكاتب اليهودية شلومو كوهين بتاريخ ١٢/٣/١٩٧٨[١].

هذا وقد شهدت السنوات الثلاث الأولى من حياة دولة إسرائيل، سيلاً جارفاً من المهاجرين لم يسبق له مثيل، بسبب كثافة الدعاية الصهيونية ورغبة الكثير من يهود أوروبا الأستقرار في «أرض الميعاد»، فكان عدد المهاجرين، في هذه السنوات على النحو:

١٩٤٨ ١٠١٫٨٢٨ مهاجراً.

١٩٤٩ ٢٣٩٫٥٧٦ مهاجراً.

١٩٥٠ ١٧٠٫٢٤ مهاجراً.

١٩٥١ ١٧٥٫٠٩٥ مهاجراً.

---

(١) رينيه صموئيل، إسرائيل الدولة الحديثة ص١٢٦.

وقد انخفضت الهجرة إلى دولة إسرائيل سنوات ٥٢، ٥٣، ٥٤، وذلك لعدم قدرة الأقتصاد الإسرائيلي على إستيعاب المهاجرين ومن عام (١٩٥٦) إلى عام (١٩٦٠) ظهر نقص في معدل الهجرة بسبب العدوان الإسرائيلي على السويس وحوادث هنغاريا.

جدول رقم (٢)

هبوط وارتفاع تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين خلال الفترة (١٥/٥/٤٨-١٩٥٧)

السنة	عدد المهاجرين	السنة	عدد المهاجرين
١٥/٥/٤٨-	١٠١٨٢٨	١٩٥٨	٢٧٢٥٦
١٩٤٨/١٢/٣١		١٩٥٩	٢٣٩٥٣
١٩٤٩	٢٣٩٥٧٨	١٩٦٠	٢٤٦٦
١٩٥٠	١٧٠٢١٣	١٩٦١	٤٧٧١٧
١٩٥١	١٧٥١٢٩	١٩٦٢	٥٩٦٠٠
١٩٥٢	٢٤٣٦٩	١٩٦٣	٦٢١٥٩
١٩٥٣	١١٣١٦	١٩٦٤	٥٢٤٥٦
١٩٥٤	١٨٣٧٠	١٩٦٥	٢٨٧١٥
١٩٥٥	٣٧٤٧٨	١٩٦٦	١٣٦١٠
١٩٥٦	٥٦٢٣٤	١٩٦٧	١٢٢٧٥
١٩٥٧	٧٢٥٩١		

(١) الكتاب الأحصائي الإسرائيلي لعام ١٩٦٧. عن الدكتور حسن عبد القادر صالح - سكان فلسطين: ديموغرافيا وجغرافيا - دار الشروق - عمان/ الأردن ١٩٨٥، ص: ٢٢. =

عدد السكان ونسبتهم	الوحدة	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٢
مجموع سكان فلسطين المحتلة قبل (١٩٦٧)	بالألف	١٣٧٠,١	٢١٥٠,٤	٣٠٢٢,١	٤٠٦٣,٦
عدد المواطنين العرب (بما في ذلك القدس العربية)	بالألف	١٦٧,١	٢٣٩,١	٤٤٠,١	٦٩٠,٤
نسبة المسلمين	%	٦٩,٥	٦٩,٦	٧٤,٧	٧٦,٩
نسبة المسيحيين	%	٢١,٥	٢٠,٧	١٧,١	١٣,٦
نسبة الدروز وآخرين	%	٩	٩,٧	٨,٢	٩,٥
عدد اليهود	بالألف	١٢٠٣,٠	١٩١١,٣	٢٥٨٢,٠	٣٣٧٣,٢
نسبة المواطنين العرب	%	١٢,٢	١١,١	١٤,٦	١٧
نسبة اليهود	%	٨٧,٨	٨٨,٩	٨٥,٤	٨٣

جدول (٣):

تطور نمو السكان في فلسطين المحتلة (قبل ١٩٦٧)

خلال الفترة (١٩٥٠-١٩٨٢)[١]

(١) المصدر : Stat,stical Abstract of Israel. No. 34. (1983) p.3.

الهجرة اليهودية ١٩٦٨-١٩٧٣:

لقد شدد الإتحاد السوفياتي القيود على هجرة اليهود منذ عدوان ١٩٦٧ ولم يسمح بخروج أعداد كبيرة منهم إلا بعد التقارب الأميركي السوفياتي، والوفاق الدولي، وجهود هنري كيسنجر.

وتقوم إسرائيل بخداع اليهود السوفياتي، عن طريق إقناعهم بالهجرة إلى البلاد المزدهرة مثل أميركا وكندا وأوروبا وبعد إستقبالهم في النمسا وحشرهم في معسكرات الهجرة، يضطرون بالقبول بالهجرة إلى إسرائيل.

عدد المهاجرين في الفترة ١٩٦٨ - ١٩٧٣[١]

السنة	عدد المهاجرين
١٩٦٨	٢٠ر٥٤٤
١٩٦٩	٣٧ر٨٠٤
١٩٧٠	٣٦ر٧٥٠
١٩٧١	٤١ر٩٣٠
١٩٧٢	٥٥ر٨٨٨
١٩٧٣	٥٤ر٨٦٨
المجموع	٢٥٦ر٨٦٨

(١) الكتاب الأحصائي الإسرائيلي لعام ١٩٦٧.

الهجرة بين سنوات ١٩٧٤ - ١٩٨٠:

تميزت الهجرة في هذه الفترة بالضمور والجدول التالي يوضح لنا حركة الهجرة.

السنة	عدد المهاجرين
١٩٧٤	٣١٫٩٧٩
١٩٧٥	٣٠٫٠٢٨
١٩٧١	١٩٫٧٤٥
١٩٧٧	٢١٫٤٥٦
١٩٧٨	٢٦٫٣٩٦
١٩٧٩	٣٧٫٢٢

كان القصد من هذه الهجرات المتتالية تحقيق الأنقلاب الديمغرافي المتمثل في توطين اليهود، وطرد العرب، إستناداً إلى العبارة المشهورة (فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض).

لقد نجحت الصهيونية العالمية عن طرق طرد السكان وإستجلاب مهاجرين جدد، وإقامة المشاريع الزراعية الحديثة بتأمين العناصر الأساسية للدولة وهي الأرض والرجال والمياه.

تستقدم الصهيونية مهاجريها من كافة بقاع الأرض، وقد كان اليهود يتوزعون كالتالي:

السنة	العدد
١٨٠٠	٢٫٥٠٠٫٠٠
١٨٥٠	٤٫٧٥٠٫٠٠٠
١٨٨٠	٧٫٧٥٠٫٠٠٠
١٩٠٠	١٠٫١٢٥٫٠٠٠
١٩٤٦	١٢٫ ٩٨٨٫٦٠٠

عدد اليهود بعد حرب عام ١٩٨٢.

- الولايات المتحدة وكندا	٦٫٠١٣٫٠٠٠
- أميركا الجنوبية	٢٫٤١٧٫٩٠٠
- أوروبا الغربية	١٫٠٧٠٫٤٠٠

- أوروبا الشرقية	١٫٧٧١٫٨٠٠ بإستثناء الأتحاد السوفياتي.
- جنوب إفريقيا وروسيا	١٢٠٫١٢٥٠
- شمال إفريقيا وأثيوبيا	٥١٫٧٥٠
- استراليا ونيوزيلندا	٧٩٫٠٠٠
- إسرائيل	٣٫٣٤٧٫٣٠٠
- الأتحاد السوفياتي	٢٫٦٢٠٫٠٠٠
المجموع	١٢٫٩٨٨٫٦٠٠

الهجرة المعاكسة:

تقيّم الرؤية الإسرائيلية الهجرة المعاكسة على أنها نزيف بشري، يُهدد وجود الدولة الإسرائيلية.

يقول الدكتور يولي غولدمان من الوكالة اليهودية:

«إذا ما نضب ينبوع الهجرة فإننا لا نستطيع الحفاظ على الدولة حتى وأن عقدنا مع كل جيراننا تحالفاً سلمياً، إن المحيط العربي سيبتلعنا دون ترك أثر لنا.

٩- هجرة اليهود السوفياتي:

اليهود الوافدون من أوروبا الشرقية هم بقايا شعوب إمبراطورية الخزر:

على شواطىء قزوين والبحر الأسود، وفي الممرات الحيوية. فيما بينهما قامت إمبراطورية الخزر، خلال الفترة ما بين القرنين: السابع والحادي عشر الميلاديين، والخزر هم القوقاز الآريين الأوروبيين ولا يتمون إلى العرق السامي بصلة.

لقد أمتدت خلافة المسلمين العباسيين العرب شرقاً، وعاصمتها بغداد الرشيد، كما قامت في الغرب إمبراطورية البيزنطيين المسيحية، وعاصمتها القسطنطينية.

وبين القوتين الأعظم في تلك الحقبة من التاريخ كانت تقع إمبراطورية الخزر الوثنية.

وحتى لا تنحاز شعوب هذه الإمبراطورية الوثنية إلى العرب المسلمين، أو إلى البيزنطيين النصارى، أعتنق حكام وملوك وشعوب هذه الإمبراطورية الديانة اليهودية عام ٧٤٠ ميلادية.

لقد ذكر مؤرخو العرب عن هذه الإمبراطورية الكثير الكثير، فقد روى لنا المؤرخ المسلم المقدسي في القرن التاسع الميلادي عن هذه الإمبراطورية، فقال: «في خزاريا، توجد الأغنام والعسل، واليهود بكميات كبيرة».

كما أورد المؤرخ العربي ابن فضلان بعض المعلومات عن هذه الأمبراطورية الخزرية اليهودية، حيث قال:

«للملك مدينة عظيمة على ضفتي نهر اتل (الفولغا)، حيث يعيش المسلمون لحكم أحد تابعي الملك الرسميين، وهو بدوره مسلم، وينظر هذا الحاكم في الدعاوى القضائية الخاصة بالمسلمين الذين يقطنون عاصمة الخزر، وبالتجار القادمين من الخارج، ولا يتدخل أي شخص في شؤون هؤلاء المسلمين، أو يتميز عنهم.

ويختتم ابن فضلان حديثه عن بلاد الخزر فيقول:

«كل الخزر، وكذلك ملكهم، يهود، ويخضع له البلغار، وكل جيرانهم في أوروبا الشرقية، وشعب الخزر يعامل الملك بإذن وطاعة شبيهة بالعبادة، ويظن البعض أن يأجوج ومأجوج هم الخزر»[١].

هذا وقد تغزل يهود آسيا في قرطبة في الأندلس بمملكة الخزر، وأعتبروها أرض الميعاد لهم وطالبوا بالتجمع فيها. مثلما هم يطالبون حالياً بالتجمع في فلسطين.

ففي سنة ٩٢٩ ميلادية، عين الخليفة عبد الرحمن الثالث سليل الأمويين في قرطبة من الأندلس طبيباً يهودياً في بلاطه، وقام هذا الطبيب اليهودي (حسداي) بمناشط سياسية

---

(١) آرثر كوستلر - ترجمة حمدي متولي مصطفى صالح - إمبراطورية الخزر وميراثها/ القبيلة الثالثة عشرة - لجنة الدراسات الفلسطينية - دمشق ١٩٧٨، ص: ١١٢.

كثيرة، بالإضافة إلى أسداء المشورة الطبية للخليفة عبد الرحمن، فقد كان (حسداي) هذا مستشاراً سياسياً للخليفة عبد الرحمن الثالث، وكان يشرف على تنظيم العلاقات بين العرب المسلمين في الأندلس وبين المسيحيين في إسبانيا والإمبراطورية البيزنطية. وقد أصبح (حسداي) هذا رجلاً مرموقاً في الدولة العربية الأندلسية، وصاحب نفوذ.

لقد دفعته يهوديته إلى البحث والتحري عن يهود العالم محاولاً التعرف عليهم ليجمع شتاتهم، ولما ترامى إلى مسامعه خبر إمبراطورية الخزر اليهودية حول بحر قزوين أرسل إلى ملكها يوسف يسأله عن طبيعة هذه الإمبراطورية وعن نسب ملكها يوسف[1].

لقد رغب (حسداي) أن يزيف التاريخ، وأشاع أن يوسف هذا ملك إمبراطورية الخزر من نسل اليهود في فلسطين، وبدأ يستفسر منه عن طريق الرسل عن السبط الذي ينتسب إليه يوسف من أسباط اليهود الأثني عشر الذين أنحدروا من فلسطين.

ولما عاد رسل (حسداي) بعد زيارة إمبراطورية الخزر، بحمل ردود ملكها يوسف، تبين (الحسداي) هذا أن يوسف أرسل له نسباً جديداً خاصاً به لا يعود إلى يهود فلسطين، وأن يوسف ليس من نسل إبراهيم، بل من نسل «بولخان» القائد الوثني الآريّ، الذي غزا بلاد الخزر.

وقد تغزل (حسداي) اليهودي الأندلس بمملكة الخزر هذه، حيث قال: «هل يستطيع الإسرائيلي المضطهد أن يحكم نفسه وإذا تبين لي أن هناك مكاناً لليهود في العالم، وبالرغم مما بلغته من جاه وسلطان في بلاد الأندلس فإنني كصهيوني، مستعد أن أهاجر إلى بلاد الخزر أو إلى بل يحكمها ملك يهودي.

وبعد إنهيار إمبراطورية الخزر اليهودية هذه، أنتشرت شعوبها إلى أوروبا الشرقية.

لقد توزع الخزر اليهود بين سكان: روسيا، وبولونيا، ورومانيا والصرب والمجر وبلغاريا. أن العناصر اليهودية المهاجرة والوافدة إلى فلسطين العربية منذ عام ١٨٩٠

---

(١) يعقوب كامل الدجاني هذا بيتي وأغاني للعراق - دار الفرقان - عمان ١٩٩١، ص:٥١.

وبشكل مكثف بعد عام ١٩٤٨ ليست شعباً واحداً، وليست كذلك شعوباً سامية، بل هي حتماً شعوب آرية.

إن اليهود الوافدين إلى فلسطين من أوروبا الشرقية لا تجمعهم ثقافة واحدة، لا بل أن ثقافتهم لا تمت إلى الثقافة اليهودية الدينية بشيء، بل هي مزيج من ثقافة الشعوب المختلفة التي وفدوا من بلادها في أوروبا الشرقية.

في عام ١٩٨٢ صرح متيتيا هو درويلس (رئيس قسم الأستيطان السابق في الوكالة اليهودية) إن عدد المستوطنين الصهاينة في الضفة الغربية سيصل إلى ١٠٠ ألف عام ١٩٨٧ وأنه بحلول عام ٢٠١٠م ستضم الضفة الغربية ١٫٢٥٠٫٠٠٠ يهودي[1].

(١) الدكتور عبد الوهاب المسيري – هجرة اليهود السوفيات – كتاب الهلال – مصر، ص:٩.

عدد المهاجرين السوفيات إلى فلسطين ١٩٥٩-١٩٨٩[١].

السنة	عدد المهاجرين الكلي	هاجر منهم إلى اسرائيل		وإلى دول أخرى	
		عدد المهاجرين	النسبة المئوية	عدد المهاجرين	النسبة المئوية
١٩٥٩	٧	٧	١٠٠	—	—
١٩٦٠	١٠٢	١٠٢	١٠٠	—	—
١٩٦١	١٢٨	١٢٨	١٠٠	—	—
١٩٦٢	١٨٢	١٨٢	١٠٠	—	—
١٩٦٣	٣٨٨	٣٨٨	١٠٠	—	—
١٩٦٤	٥٣٩	٥٣٩	١٠٠	—	—
١٩٦٥	١,٤٤	١,٤٤٤	١٠٠	—	—
١٩٦٦	١,٨٩٢	١,٨٩٢	١٠٠	—	—
١٩٦٧	١,١٦٢	١,١٦٢	١٠٠	—	—
١٩٦٨	٢٢٩	٢٢٩	١٠٠	—	—
١٩٦٩	٢,٩٧٩	٢,٩٧٩	١٠٠	—	—
١٩٧٠	١,٠٢٧	١,٠٢٧	١٠٠	—	—
١٩٧١	١٣,٠٢٢	١٢,٩٦٤	١٠٠	٥٨	٠,٤
١٩٧٢	٣١,٦٨١	٣١,٤٣	٩٩,٢	٢٥١	٠,٨
١٩٧٣	٣٤,٧٣٣	٣٣,٢٧٧	٩٥,٨	١,٤٥٦	٤,٢
١٩٧٤	٢٠,٦٢٨	١٦,٧٤٩	٨١,٢	٣,٨٣٩	١٨,٨
١٩٧٥	١٣,٢٢١	٨,٢٩٣	٦٢,٧	٤,٩٢٨	٣٧,٣
١٩٧٦	١٤,٢٦١	٧,٢٥٧	٥٠,٩	٧,٠٠٤	٤٩,١
١٩٧٧	١٦,٧٣٦	٨,٢٥٣	٤٩,٣	٨,٤٨٣	٥٠,٧
١٩٧٨	٢٨,٨٦٥	١١,٩٩٨	٤١,٦	١٦,٨٦٧	٥٨,٤
١٩٧٩	٥١,٣٣	١٧,٢٧٧	٣٣,٧	٣٤,٠٥٦	٦٦,٣
١٩٨٠	٢١,٤٧٢	٧,٣٩٤	٣٤,٤	١٤,٠٧٨	٦٥,٦
١٩٨١	٩,٤٤٨	١,٧٦٢	١٨,٦	٧,٦٨٦	٨١,٤
١٩٨٢	٢,٦٨٣	٧٣١	٢٧,٢	١,٩٥٢	٧٢,٨
١٩٨٣	١,٣٢٠	٣٩١	٢٩,٦	٩٢٩	٧٠,٤
١٩٨٤	٨٣٣	٣٣٢	٣٧,٦	٥٥١	٦٢,٤
١٩٨٥	١,١٤١	٣٥٤	٣١,٠	٧٨٧	٦٩,٠
١٩٨٦	٩٠٤	٢٠١	٢٢,٠	٧٠٣	٧٨,٠
١٩٨٧	٨,٠٨٠	٢,٠٨٣	٢٦.٠	٥,٩٩٧	٧٤,٠
١٩٨٨	١٩,٢٥١	٢,٢٣١	١١,٦	١٧,٠٢٠	٨٨,٤
١٩٨٩	٧١,١٩٦	١١,١٠٠	١٥,٥	٦٠,٠٩٦	٨٤,٥
الاجمالي	٣٧٠,٠٣٣	١٨٣,٩٥٥	%٤٩,٧	١٨٦,٠٧٨	٥٠,٣

(١) موردخاي التشولار - اليهود السوفيات منذ الحرب العالمية الثانية - السكان والبناء، ص: ١٩٧.

الفصل التاسع عشر

ما قبل العاصفة، وأنتفاضة ١٩٣٣

١٩٣٠-١٩٣٥

ما قبل العاصفة ١٩٣٠-١٩٣٥:

تدفقت الهجرة اليهودية على فلسطين عام ١٩٣٣ بشكل خطير، وذلك أثر تولي هتلر السلطة في ألمانيا[١] وبعد أحداث ١٩٢٩ تبلور شعار الوحدة بين البلاد العربية وفلسطين، وقد بدأ الشعور بأنه لا يكفي التخلص من الأستعمار اليهودية، بل يجب كذلك التخلص من الإنجليز لأنهم سبب البلاء، وكذلك يجب نيل الأستقلال. كما تضررت مكانة العرب المتطرفين والذين ينادون بالكفاح المسلّح.

وقد أثارت هذه الهجرة اليهودية مخاوف العرب، ووجهت دعوة سرية إلى بعض الأخوان المخلصين لعقد إجتماع خاص في ٢٧ أيلول ١٩٣٣ واتسم هذا الإجتماع بطابع السرية، وقد حضره في بيت أميل الغوري الدكتور فوتي فريج ومنيف الحسيني وأنسطاس خنانيا، ونافذ الحسيني وموسى عبد الله الحسيني وإبراهيم درويش ومينا الحلبي ويوسف عبده وطاهر العيتاني[٢].

وقرر المجتمعون دعوة الشعب إلى التظاهر إبتداء من القدس ثم يافا ثم حيفا، فنابلس فسائر المدن الفلسطينية بحيث تستمر المظاهرات عدة أشهر.

☆ ثورة الكف الأخضر:

وكانت هذه المجموعة تعمل في منطقة صفد - عكا - سمخ، وتقوم بمهاجمة الصهاينة والإنجليز، وقد ذكرها البروفيسور أرنولد توينبي في مقال له عن الوضع في فلسطين وقال: «إن العصابات المذكورة قد حطمت بسرعة بمساعدة السلطات الفرنسية المذكورة في المنطقة الخاضعة للأنتداب الفرنسي[٣].

---

(١) أميل الغوري - فلسطين خلال ستين عاماً (مرجع سابق)، ص:١٥٨.

(٢) نفس المرجع، ص:١٥٩.

(٣) أرنولد توينبي Syrvey of International Affairs 1936 - London

عن الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث، ص:٢٨٢.

وقد كانت عصابة الكف الأخضر تعمل بقيادة أحمد طافش بعد أن وصلت إليه بعض القوات الدرزية الآتية من سوريا، وقد أمتد عملها إلى عكا وقامت بعدة عمليات.

إلا أن عدم تجارب القيادة معها، وتكثيف حملات الجيش البريطاني، ووقوع رئيسها وعدد من مؤسسي الحركة في الأسر في شرقي الأردن أدى إلى ضعفها وتلاشيها.

كما فشلت تنظيمات أخرى في البلاد لعدم قيام السلطات المحلية بمساعدتها.

☆ الخلاف حول أولويات العمل الوطني:

وظهر الأنقسام واضحاً، في بداية الثلاثينات بين رجال الفكر والسياسة حول أولويات النضال السياسي وتحديد العدو الأول الواجب مقاومته: الحركة الصهيونية أم العدو البريطاني، وأنقسم السياسيون إلى فريقين: فريق تقليدي يعتبر الصهيونية العدو الأول. وينادي إلى كسب الإنجليز لجانب العرب، وفريق من الشباب العرب يعتبر الأنتداب العدو الأول الواجب مقارعته لأنه حامي الحركة الصهيونية ومنفذ خططها.

ويمثل الفريق الأول اللجنة التنفيذية العربية وكان جمال الحسيني ينطق بإسمها[١].

ويمثل الشباب الذي يعتبر الأنتداب البريطاني هو العدو الأول والخطر الأكبر الواجب مقاومته حزب الإستقلال العربي، وقد عقد مؤتمر التسلح في نابلس وقد نادى هذا المؤتمر بمقاطعة حكومة الأنتداب ورفض التعاون معها ومن هؤلاء فهمي العبوشي، وأكرم زعيتر ومحمد عزة ومحمد عزة دروزة وعبد الله سمارة وجمال القاسم، وكان يعبر عن آرائهم، أكرم زعيتر[٢].

ودعا هذا الفريق من الشباب العربي الفلسطيني إلى مواجهة الحكومة البريطانية «مواجهة صريحة وبجرأة» وحثه على أن يتأكد أن لا خلاص لفلسطين وحدها، إلا إذا أعتصمت بأخواتها العربيات، وتضافرت بقوتهن، فتوحدت القضية، وأتخذت شكلاً عالمياً، تصبح فيه من القضايا الدولية المهمة، كما هي قضية الهند وقضية مصر[٣].

---

(١) الجامعة العربية، القدس، العدد ٥٣٩، ١/٣/١٩٣١.

(٢) بيان الحوت - القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين - بيروت - مؤسسة الدراسات الفلسطينية - الطبعة الأولى ١٩٨١.

(٣) الجامعة العربية، القدس، العدد ٦٧٤، ٥/١٠/١٩٣١.

وقد طلب عزت دروزة تأليف أحزاب سياسية متجانسة، وطلب كذلك ضرورة التخلي عن اللجنة التنفيذية العربية كصيغة للتنظيم السياسي بسبب فقدان التجانس بين أعضائها في المبادىء والأخلاق والميول.

☆ سياسة اللاتعاون:

وقد نجح هذا الفريق بعقد مؤتمر في يافا في ٢٦ آذار ١٩٣٣ لبحث موضوع عدم التعاون مع سلطات الأنتداب، ونجحت الحملة التي شنها وأيدتهم الصحافة الوطنية في مقاطعة الحفلات الرسمية وأشتد الهجوم على اللجنة التنفيذية العربية، وقد وصفها عجاج نويهض بأنها «مرقعة المؤتمرات «ولدت خرساء عمياء، بيد شلاء»[١].

☆ فشل سياسة اللا تعاون والعودة إلى التفاوض:

لم تأخذ الدعوة إلى اللاتعاون مأخذ الجد مع سلطات الأنتداب. ولما أحس المجلسيون والمعارضة أن حزب الإستقلال يجرهم إلى التصادم مع سلطات الأنتداب، رفضوا هذا الشعار ولم يتقيدوا به وتراضوا فيما بينهم، وألفوا وفدا قابل المندوب السامي في آب/ اغسطس ١٩٣٣ لبحث موضوع القرض الذي تنوي حكومة الأنتداب التعاون بشأنه لدعم إقتصاد البلاد، وكان هذا اللقاء مع المندوب السامي، نهاية لدعوة اللا تعاون وتثبيتاً لفشلها[٢].

☆ كتاب بأسفيلد الأبيض:

لقد أستمرت بريطانيا بنظرية «الألتزام» المزدوج، ومبدأ الأستيعاب، وقد تبنت الحكومة البريطانية كتاب بأسفيلد الأبيض، وقد ورد في هذا الكتاب فكرة إقامة مجلس تشريعي وفقاً للخطوط التي رسمها كتاب تشرتشل الأبيض.

---

(١) الجامعة العربية، القدس، العدد ٦٧٠، ٣٠/ ٩/ ١٩٣١.
(٢) جريدة فلسطين - يافا - العدد ٢٤٠٣ - ١٣٨- ١٠/ ٨/ ١٩٣٣.

وقد كان رد اليهود معارضاً لكتاب بأسفيلد الأبيض، وأحتج عليه وإيزمان وقال:

إنه لا ينسجم مع نصوص صك الأنتداب، وقد قام اليهود بمظاهرات في عدد من الأقطار الغربية، وساند اليهود بصورة علنية عدد من كبار الساسة الإنجليز.

أما العرب فقد شعروا بشيء من الإطمئنان تجاهه. وقد أبدي جمال الحسيني الممثل الشخصي للمفتي في لندن تساهلاً إذ قال:

إنه على إستعداد الآن لأن يجتمع مع اليهود غير الصهيونيين في فلسطين حول مائدة مستديرة.

وقد برز على الساحة قوتان:

التيار المتطرف من القوميين العرب والحاج أمين الحسيني. وبدأ الصراع والمنافسة على زعامة المجلس الإسلامي الأعلى[١].

وفي شهر أيار ١٩٣١ بدأت السلطات البريطانية في فلسطين بتلقي معلومات سرية تتعلق بمخطط ثوري معين يكون مسرحه الأقطار العربية والإسلامية ويرمي إلى إنقاذ الأقطار العربية ولا سيما فلسطين وسوريا من الحكم الأجنبي.

ودلت التقارير الأولى على أن الأمير شكيب أرسلان الشخصية الدرزية اللبنانية البارزة كان قائد هذه الحركة وكان على إتصال بجميع كبار زعماء القوميين العرب في سوريا والعراق ولبنان، ومصر وفلسطين، ومختلف الحكام في شبه الجزيرة العربية بكاملها فضلاً عن الأقطار الإسلامية. ودلت تلك المعلومات أيضاً على أن الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت علي الزعيم الإسلامي الهندي مشتركان في هذا «المخطط». ويقوم المخطط نفسه على تنظيم عصابات مسلحة في شرق الأردن ووادي سرحان وصحراء سيناء للعمل في كل من سوريا وفلسطين في وقت واحد.

أما الأقطار المجاورة فيقتصر دورها على توفير المساعدات المادية وتقديم القوات والمتطوعين من مختلف الأقطار العربية والتعاون على تجديد الثورة السورية تدريجاً[٢].

---

(١) للأطلاع على الآثار السلبية التي تركتها المنافسة على زعامة المجلس الإسلامي الأعلى راجع كتاب محمد عزة دروزة حول الحركة العربية الحديثة - صيدا. المطبعة العصرية ١٩٦١.

(٢) تاريخ فلسطين الحديث - عبد الوهاب الكيالي (مرجع سابق) ص: ٢٦٤.

وهناك عاملان ساعدا على تصديق تقارير البوليس السابقة الذكر بشأن هذا المخطط الثوري الواسع، أولهما هو الخوف من أن تتحول حملات التحريض ضد الإيطاليين، وهي حملات متواصلة تولدت من الفظائع في طرابلس الغرب، إلى حركة مناوئة للأوروبيين. أما العامل الثاني فهو إعتقاد البوليس، وهو أعتقاد كانت تشاطره إياه الأدارة البريطانية في فلسطين، بأن حادث قتل ثلاثة يهود في «أهافا ياجور» في الحادي عشر من نيسان ١٩٣١ «قد أرتكبه أعضاء عصابة إرهابية تعمل بتوجيه منظمة سياسية»(١).

☆ كتاب مكدونالد الأسود:

وفي أوائل شهر كانون الثاني ١٩٣١ أبلغ بأسفيلد تشانسلور أنه بالنظر إلى ضرورة التوصل إلى صيغة تفاهم مع المنظمات اليهودية بعد تلك المعارضة القوية التي لقيها الكتاب الأبيض من تلك المنظمات فإنه:

«يبدو أن الحكومة لا تجد مفراً من كتابه ونشر أو السماح بنشر نص رسالة موجهة إلى الدكتور وإيزمان تحدد سياستنا في فلسطين بعبارات أكثر دقة من تلك العبارات الواردة في الكتاب الأبيض وتلقى من اليهود قبولاً أكثر مما تلقاه هذه العبارات بحيث يصبح مضمون الرسالة هو التفسير الرسمي للأمور التي تثيرها».

وقبل وقت قصير من نشر نص رسالة مكدونالد إلى وإيزمان تكهن بأسفيلد بأنه من المحتمل أن يكون لهذه الرسالة أثر يزيد من المتاعب التي يلقاها تشانسلور من العرب وأن هذه النتيجة لا مفر منها «لأسباب سياسية ودولية». منبثقة من الضغط الصهيوني.

وأكد مكدونالد في رسالته إلى وإيزمان أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعتزم التقيد بنصوص صك الأنتداب الذي تعتبره التزاماً منها نحو اليهودية العالمية لا نحو يهود فلسطين فقط، كما تعتزم التقيد بسياسة الوطن القومي اليهودي من خلال السماح بمزيد من الهجرة اليهودية وإستيطان الأراضي فضلاً عن التجاوز عن ممارسة السياسة الصهيونية من حيث الأصرار على أن تشتغل الأيدي العاملة اليهودية وحدها في المشروعات اليهودية. وأعتبر وإيزمان رسالة مكدونالد هذه عاملاً حاسماً مكننا من أحراز المكاسب الضخمة التي تحقق في السنوات التالية(٢).

---

(١) نفس المرجع، ص: ٢٦٥.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص: ٦١.

وقد صُدم العرب بهذا الكتاب، وأحرج موقف الزعماء العرب أمام الجماهير، ونتيجة هذا الكتاب قرر وإيزمان زيارة فلسطين، لكن العرب قاطعوه.

والواقع أن رسالة مكدونالد كانت بمثابة لطمة قوية للزعامات العربية المسؤولة، وأتاحت للمعارضين إمكانية الظهور والتطور، وأدت إلى أنتهاج إستراتيجية جديدة تقوم على أساس التعاون مع العالمين العربي والإسلامي[١].

حزب (المجلسيون) وحزب (المعارضة):

ولد محمد أمين الحسيني وترعرع في القدس، وهو ابن عائلة لها نفوذها منذ عام ١٨٩٥، أما أجداده الأوائل فينتمون إلى هاشم عم النبي ﷺ الذي كان عماد عائلة هاشم في مكة.

أما ثقافته الأولية والتي بدأها في مدارس القدس الأبتدائية فقد أكملها في الأزهر، وبعد ذلك زار المدرسة الحربية في الأستانة، وخلال تأديته لخدمة العلم عمل ضابط مدفعية وبعد نهاية الحرب عاد إلى مسقط رأسه، وأشتغل بعد ذلك ولفترة قصيرة في إدارة حكومة الأنتداب[٢].

وقد أعتمر الحاج أمين وأدى فريضة الحج والتحي ولبس لباس رجل الدين وبدأ يشارك في المظاهرات وتوالت أحتجاجاته علناً على إدارة الأنتداب وأضطر لذلك للهرب لأن إحدى المحاكم العسكرية البريطانية حكمت عليه بالأعدام غيابياً. وفي سنة ١٩٢٠ أصدر هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني قراراً بالعفو فعاد الحاج أمين إلى القدس.

وأستطاع في صيف عام ١٩٢٢ تسلم منصب الأمناء في فلسطين وأستطاع عام ١٩٢٣ تبوء منصب رئاسة مجلس الأوقاف. وبذلك بدأ المفتي عن طريق هاذين المنصبين يعمل ضد سياسة بريطانيا الموالية لليهود[٣].

---

(١) في عام (١٩٣٠) أظهر مسلمون الهند وسيلان وبورما تضامنهم مع كفاح عرب فلسطين وأعتبروا يوم ١٦ آيار من كل عام يوماً للتعاون مع شعب فلسطين، «أنظر وثائق المقاومة الفلسطينية» ص: ١٧١.

(٢) الدكتور نظام عزت العباسي - السياسة الداخلية للحركة الوطنية الفلسطينية - دار هشام للنشر والتوزيع - أربد ١٩٨٤، ص: ٧١.

(٣) مجيد قدوري - عرب معاصرون - الدار المتحدة للنشر، ص: ١٢٩-١٩٣٩.

وبذلك تشكلت تكتلات جديدة:

التكتل الأول سمى نفسه (المجلسيون) نسبة إلى مجلس الأفتاء الأعلى، والذي ترأسه آل الحسيني والمعارضة وعلى رأسهم آل النشاشيبي.

وقد ظهر تجمع ثالث في فلسطين أنذاك بسبب التزايد الخطير لأعداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين.

وكان التحريض ضد البريطانيين بمثابة تمهيد لتأسيس حزب الأستقلال العربي، ومن مؤسسي هذا الحزب محمد عزة دروزة، وصبحي الخضراء، وعوني عبد الهادي، وحربي الأيوبي، وقد تأسس هذا الحزب عام ١٩٣٢، وقبل أن يؤسس الإستقلاليون حزبهم، جرت بينهم وبين المفتي عدة مباحثات ولكن الحاج أمين الحسيني، أمتنع حينذاك عن السير معهم حفاظاً على مركزه الرسمي ومصالحه الشخصية، كون خط حزب الإستقلال العربي مناهضاً للسياسة البريطانية.

وعزا الإستقلاليون في بيانهم السياسي الأول أسباب الفوضى التي تسود البلاد وصفوف الحركة الوطنية إلى الأنانية والمصلحة الذاتية الفردية التي تهيمن على الوجهاء الخاضعين للحكام الإستعماريين.

وفي عام ١٩٣٢ عقد في يافا مؤتمر للشباب الفلسطيني لبحث الطرق الكفيلة بتجنيد الشباب العربي لخدمة الحركة الوطنية في فلسطين، وقد قرر المؤتمر تبني مبادىء «الميثاق القومي». وإقامة فروع له في كافة نواحي فلسطين، وتشجيع الصناعة الوطنية.

وفي ربيع عام ١٩٣٢ عقدت مؤتمرات خاصة بشأن الضرائب قُدمت خلالها مذكرات ضد السياسة الغربية للدول المنتدبة.

وفي أيلول ١٩٣٢ تمكن الإستقلاليون من إقناع اللجنة التنفيذية العربية بالموافقة على قرار يعلن الحظر على أي عربي أن يقبل تعيينه عضواً في هئية أو مجلس حكومي أو التعاون بأي شكل من الأشكال مع الحكومة.

وقد حاول المفتي وبعض آل النشاشيبي عرقلة تنفيذ القرار. وبالرغم من التحريض الذي مارسه الإستقلاليون ضد بريطانيا، فقد ظل الحاج أمين (المفتي) يتعاون مع الحكومة بشكل ملحوظ[١].

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص: ٢٧٣.

وقد رد الإستقلاليون على خطاب المندوب السامي الذي ألقاه أمام لجنة الأنتداب الفلسطينية، وفي هذا الرد كرروا رفضهم لتصريح بلفور والأنتداب وفضحوا الدعائم الاساسية للحلف القائم ما بين الصهيونية والإستعمار البريطاني[١].

وقالوا أن الحكومة البريطانية المنتدبة تصرف ثلث ميزانية البلاد على الدفاع مما أضطر الفلاح الفلسطيني إلى تحمل ضرائب إضافية.

وقد عقد إجتماع في الرابع والعشرين من شباط من عام ١٩٣٣ برئاسة موسى كاظم الحسيني. وقد شن الشباب حملات على الزعماء اللامبالين ووصف سماسرة بيع الأراضي بالخيانة وطالبوا بالعصيان المدني، ومقاطعة البضائع البريطانية، وذهب وفد لمقابلة (واكهوب) المندوب السامي، ولما كانت إجاباته غير مقنعة عُقد إجتماع في يافا ضم ٦٠٠ نسمة بينهم أعضاء اللجنة التنفيذية والحاج أمين الحسيني ومعظم رؤساء البلديات الرئيسية.

وأقترح الإستقلاليون مقاطعة الحكومة إجتماعياً وسياسياً والأمتناع عن دفع الضرائب المباشرة كالأعشار والويركو، وضريبة العقارات، كما بحث موضوع مقاطعة البضائع البريطانية واليهودية[٢].

وكان النزاع بين الإستقلاليين والمفتي مهيمناً على الإجتماع، وكان الهم الأول لخصوم المفتي وضع الحاج أمين في مركز حرج من حيث الإصرار على إستقالته[٣].

ولم يستطع المتشددون من الحصول على قرار بالإمتناع عن دفع الضرائب لمعارضة الملاكين له، وأقتصرت التوصيات على مقاطعة الحكومة سياسياً وإجتماعياً والأمتناع عن شراى البضائع من إنجلترا واليهود.

☆ أنتفاضة عام ١٩٣٣:

لقد كانت الأعدادات لمظاهرة يافا قوية، وتجمع في اليوم المحدد للمظاهرة أكثر من سبعة آلاف متظاهر، مسلحين بالعصي والهراوات، وقد قتل نتيجة الإضطرابات أحد رجالات الشرطة وجرح ٢٥ فرداً، أما المتظاهرون فقد أستشهد منهم ١٢ شخصاً وجرح ٧٨.

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين (مرجع سابق) ص: ٢٧٣.

(٢) نفس المرجع السابق، ص: ٢٧٥.

(٣) واكهوب إلى كنليف ليستر مرفق ٣، ١-٢-١٩٣٣، و.م ٧٣٣-٢٣٤.

وقد أعلن نتيجة لمجزرة يافا الإضراب العام في البلاد، وسارت مظاهرات صحبتها أعمال عنف في كل من حيفا ونابلس، وأقفل ميناء حيفا ثلاثة أيام بسبب أعمال المقاومة.

أما صفد والناصرة وطولكرم فقد أحتلتها قوات بريطانية.

وفي القدس وصل المدينة عدد من شبان نابلس وزاروا الزعماء الذين أعتقلوا أثر حوادث يافا، وفي أثناء الليل بدا القناصة نشاطهم في منطقة جبل المكبر وكان نشاطهم موجهاً نحو معسكر البوليس، وفي اليوم الثاني للأنتفاضة قذفت الجماهير العربية القنابل اليدوية على أفراد البوليس. وقد أعيدت الرقابة على الصحف فأحتجبت عن الظهور. وقد ظل الإضراب العام مستمراً حتى الثالث من تشرين ثاني عندما دعت اللجنة التنفيذية العربية إلى فكه.

والحقيقة أن أحداث ١٩٣٣ كشفت النقاب عن وجود تصميم متصاعد لدى الفلسطينيين، فقد شغلت هذه الأحداث أسبوعاً لم يسبق له مثيل من حيث قوة الإضطرابات والإصطدامات مع قوات الحكومة في مختلف أنحاء فلسطين مما يدل على عمق المشاعر العربية ضد سياسة الوطن القومي اليهودي. ثم إنها برهنت كذلك على أن العرب مصممون على اللجوء إلى العنف للحيلولة دون تنفيذ مضمون صك الأنتداب وأن هدفهم الحقيقي إنما هو الإستقلال الوطني[١].

☆ أبو جلدة:

خلال هذه الفترة لعب الخروج المسلح للفلاح الفلسطيني أبو جلدة ضد الأحتلال الإنجليزي وسياسته في منطقة نابلس، دوراً خاصاً، حين قاد هذا الفلاح حركة مسلحة مع بعض رفاقه في جبال نابلس، ولم تستطع السلطات الأنتدابية إنهاء حركته إلا في مطلع ١٩٣٤[٢].

---

(١) وأكهوب إلى تنليف - ليستر - ١٠/١١/١٩٣٣ و.م ٧٣٣-٢٣٩.

(٢) الدكتور نظام عباسي - السياسة الداخلية للحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٤٨- الطبعة الأولى ١٩٨٤- جامعة اليرموك، ص:١١-١١٥.

لابد لنا هنا من ملاحظة أن حركة أبو جلدة المسلحة لم تلق مكانها المناسب في كتب التاريخ الفلسطيني، أن لم يكن بعضها قد أغفله تماماً. فعلى الرغم من أن الصحافة الفلسطينية لم تكتب كثيراً عن هذا الرجل وحركته ودوره في مقارعة السلطات الأنتدابية الإنجليزية - مقارنة مع القسام مثلاً - إلا أننا نستطيع بالرغم من ذلك أن ننسج صورة معبرة عن هذا الرجل وحركته ودوره معبئين بذلك هذه الفجوة. ففي إحدى التقارير لمراسل صحيفة فلسطين وصف مراسل الصحيفة أبو جلدة ومنظمته على النحو التالي:

«محمد محمود أبو جلدة - رئيس العصابة يرتدي الثياب العربية المؤلفة من قنباز وعباءة وكوفية وعقال ويحمل بندقيتين أحدهما بيده والأخرى على كتفه ويتمنطق في وسطه وعلى صدره بكميات كبيرة جداً من الرصاص ويحمل ناظوراً وعدة قنابل يدوية ومسدساً وخنجراً وهو سريع الحركة والعدو في الجبال حتى لا يكاد يلحقه أحد. كيف ينام؟: وإذا ما أنتشر الظلام وجاء وقت النوم تبدأ أوامر أبي جلدة الصارمة فيبلغ أفراد عصابته الأمكنة التي يجب أن يناموا فيها بين الجبال ويفرقهم عن بعضهم البعض ويقول لهم أني سأنام في هذا الكهف بينما يذهب إلى مكان آخر يجهله أفراد العصابة، وقبيل الفجر يأتي إلى أفراد العصابة فيوقظهم واحداً بعد الآخر بقوله لكل واحد منهم (قم، اقعد) وإذا تأخر لحظة عن الوقوف على قدميه خاطبه بكعب البندقية التي لا يتركها من يده لحظة واحدة ويكون رصاصها جاهزاً للضرب».

وتضيف الصحيفة في تقريرها حول كيفية تعامله مع جواسيسه قائلة: «وهو حذر كثير الحذر من كل الناس حتى من أفراد عصابته.. وحوالي غروب الشمس يأخذ العصابة ويذهب جواسيسه بها إلى أحد الوديان والجبال وبعد سماع إشارات وأصوات معينة يظهر شخص أو أشخاص من جواسيس أبي جلدة الذين يتقاضون منه راتباً شهرياً. وعند أقتربهم من العصابة يأمرهم أبو جلدة برفع أيديهم للعملاء ويأمر العبد بتفتيشهم وبعد أن يطمئن من أنهم لا يحملون سلاحاً يقترب من جاسوسه مصوباً إليه البندقية ومن على بعد عشرة أمتار يقول له: تكلم، ما هي أخبارك؟ فيسرد عليه الجاسوس أخبار البوليس وتنقلاته وحركاته. الضباط والبوليس الأضافي وأخبار القرى وأهلها وماذا نشرت عنه الصحف..».

تمكنت سلطات الأنتداب البريطانية بعد قبضها على أحد أعوانه المعروف بمحمد أبو دولة بتاريخ ٢٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٣[١]، وبعد أن ضاعفت جهودها لمطاردة أبو جلدة (فضربت حصاراً حول بلدة طمون مسقط رأس أبو جلدة، من القضاء على هذا الرجل وزمرته)[٢].

ويقول إميل الغوري أن بعض القرويين كانوا يرسلون الطعام سراً إلى أبو جلدة، فأرسل أحد أعوانه السلطة طعاماً إلى أبو جلدة، ووضع فيه سماً، وبعد أن تناوله ببضع دقائق مات، وقد أعلنت الدولة أنها ألقت القبض عليه و قتل، وقد تصدت جريدة الوحدة بعد أن وقفت على حقيقة الأمر لبيان الحكومة وفضحت الخديعة[٣].

وتتأكد لدينا الصورة حول أبو جلدة الثائر وليس أبو جلدة «صاحب عصابة التشليح» بصورة أفضل ليس فقط من خلال تشديد الهجمات على الجنود الإنجليز ودورياتهم أثناء إضطرابات نهاية عام ١٩٣٣ في فلسطين، وإنما أيضاً من خلال محاولاته رد هذه التهمة الملصقة به. فقد كتب رسالة إلى جريدة فلسطين يقول فيها:

«جناب حضرة الفاضل صاحب جريدة فلسطين المحترم».

نرجوكم أن تنشروا هذه المقالة التي نرسلها لكم.. الآن كنت موجوداً في قرية طولكرم وإذا ورد عليّ من أفراد البوليس الذي عندي وأحضر لي أخبار المزاهرة التي حصلت بالقدس الشريف وقد تأسفت جداً، ولكن أشكر همة السيدات الذين قاموا بواجبهم في تلك الحفلة، والآن أنا أبو جلدة الذي مشهور مع الحكومة إنني من الآن وصاعداً على كل رجل من الأفراد يطلع إلى زيارتي فأنا مستعد لأستقباله فأرجو أن تنشر المقال هذا لكي يتبلغ العموم ويعرف أستعدادي لأستقباله.. وإذا لم تنشر هذا المقال يا حضرة المحرر فحياتك في خطر.

رئس العصابة

أحمد محمود أبو جلدة[٤]

---

(١) رافق مضاعفات الحكومة الإنتدابية الإنجليزية لجهودها في مطاردة أبو جلدة أنتفاضة تشرين أول (اكتوبر) ١٩٣٣ والتي أستمرت حتى نهاية ذلك العام.

(٢) قارن فلسطين بتاريخ ١٤، ١٦ تشرين أول (اكتوبر) ١٩٣٣، لقد قام مراسل جريدة فلسطين بزيارة لقرية طمون وأرسل تقريره من هناك.

(٣) إميل الغوري - فلسطين عبر ستين عاماً (مرجع سابق)، ص: ١٨٣.

(٤) أنظر فلسطين في ٢١ أكتوبر ١٩٣٣.

وتعطينا هذه الرسالة صورة واضحة عن دور أبو جلدة وتنظيمه البدائي في بساطته لمقاومة حكومة الأنتداب البريطانية كعضو أساسي لحركة التحرر الفلسطيني، مما يعكس بالوقت نفسه الأعتراف بالدور الذي قام به أبو جلدة والعرميط في مقارعة العدو البريطاني.

ونلاحظ أيضاً أن الشعب الفلسطيني قد أبنه كقائد وطني بقصيدة غناء شعبية نشرت في جريدة فلسطين بتاريخ ١٤ نيسان (ابريل) ١٩٣٤ فتحت صورته مع رفيقه العرميط تقول القصيدة:

أبـو جلـدة والعـرميـط ... ربطـوا الطـرق تـربـي

أبـو جلـدة مـاشـي بحـالـه ... والعـرميـط رأسمـالـه

واللـي بيـريـد وصـالـه ... ينـزل عليـه كـالعفـريـت

صيـت أبـو جلـدة بـالأفـاق ... فـي بـلاد الغـرب بـالأتفـاق

والستـات بـدون نفـاق ... لـذكـورا يبـدوا الـزغـاريـط

الجـرائـد نسبـوه ... بـاسـم الملـك لقبـوه

واللـي راحـوا يسحبـوه ... هبـط قلـوبهـم تهبيـط[1]

هذه الأغنية الشعبية التي أمتدحت أبو جلدة كثائر ومناضل هاجمت في الوقت نفسه أولئك الجواسيس الذين وشوا به حتى سقط بيد القوات الإنجليزية:

أبـو دولـة وأبـو علـة ... حبـوا يعيشـوا بمـذلـة

سلمـوا حـالهـم بـالجملـة ... وصـاروا شبـه الـوطـاويـط[2]

---

(١) فلسطين بتاريخ ٨ نيسان (ابريل) ١٩٣٤، القصيدة طويلة وتتالف من ٣٠ بيتاً أخترت منها هذه الأبيات، لقد أبقيت على الأخطاء الإملائية والقواعدية كما هي حفظاً للأمانة العلمية.

(٢) نفس المصدر السابق.

مما لا شك فيه إذا أن أبو جلدة وخروجه المسلح مع مجموعة من رفاقه كان قد آثار حماس الجماهير الفلسطينية والتي كانت تتطلع إلى قائد قدوة لتنطلق خلفه في نضالها ضد الأنتداب والصهيونية. وقد أدلى الحسينيون بدلوهم أيضاً أنذاك أملين تحقيق بعض المكاسب. فها هي جريدتهم الجامعة العربية – تقول حول أستسلام أبو جلدة لسلطات الأنتداب: «وأخيراً.. أستسلم الثائر أبو جلدة وزميله العرميط لأدارة الأمن العام.. بعد أن ظل زهاء سبعة أشهر يقاوم السلطة البريطانية مقاومة عجيبة، كانت حديث الناس والصحف في الداخل والخارج.. ولسنا نعدو الحقيقة حين نقول أن معظم الآهلين تلقوا الخبر بأسف عظيم وليس ذلك لأنهم يعطفون على رجلين فارين من وجه العدالة ولكن ذلك لأنهم يرون في مقاومة هذين الرجلين كل هذه المدة الطويلة لقوى حكومة الأنتداب[١]».

زعامة الحاج أمين الحسيني:

يُعتبر الحاج أمين الحسيني القوة الوحيدة الفلسطينية القادرة على تغيير الموقف.

وقد منحت الحكومة بصورة مؤقتة للمجلس الإسلامي الأعلى الذي يترأسه الحاج أمين الحسني حق السيطرة الكاملة على أموال «الأوقاف» وذلك مكافأة للمفتي على ممارسة سلطته الواسعة على الفلاحين للحيلولة دون انقيادهم للمتطرفين[٢]. وعندما نجح الحاج أمين في كبح جماح مظاهرات عام ١٩٣٤ أصبح هذا الأتفاق دائماً.

لقد استطاع المفتي أن يصل إلى صفوف الصدارة في الحركة الوطنية في فلسطين، وقد حافظ أيضاً على علاقات ودية مع البريطانيين وهذا الموقف المتناقض يمكن تفسيره (وينم عن مهارة كبيرة) في ضوء الحالة القائمة داخل المعسكر السياسي العربي الفلسطيني في ذلك الحين:

---

(١) الدكتور نظام عباسي – السياسة الداخلية للحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٤٨. (مرجع سابق)، ص: ١١٧.

(٢) الوزارة «فلسطين» ٢٨/٣/١٩٣٤ و.م ٧٣٣-٢٥٧. عن عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص: ٢٨٥.

كان خصوم المفتي، أما العناصر المتطرفة من حزب «الاستقلال» فقد عمل الحاج أمين الحسيني ونجح في أضعافها.

وفي أعقاب انتفاضة ١٩٣٣ حافظ المفتي على موقفه الودي من البريطانيين دون أن يعلق آمالاً كبيرة على امكان إحداث أي تغيير بارز في السياسة البريطانية.

ولابد من القول أن الحاج أمين كان يعتقد أن الإصطدام مع الإنجليز من ناحية عسكرية قضية مميتة، ولكنه بالمقابل كان لا يستطيع السكوت والصمت وهو يرى الهجرة الصهيونية يزداد نطاقها وتتعاظم أخطارها.

☆ الأحزاب العربية:

لقد كان لهزيمة راغب النشاشيبي في الأنتخابات البلدية عام ١٩٣٤، ولوفاة موسى كاظم الحسيني إثر أعتداء الشرطة عليه، فرصة لتأليف الأحزاب الفلسطينية، ومن أهم هذه الأحزاب ما يلي:

١- حزب الدفاع الوطني:

ويرأس هذا الحزب فخري النشاشيبي.

٢- الحزب العربي الفلسطيني.

وقد ظهر بعد حزب الدفاع الوطني بأربعة أشهر ويرأسه جمال الحسيني اليد اليمنى للحاج أمين الحسيني.

لقد كان حزب الدفاع يضم عدداً من رؤساء البلديات الذين عاهدوا أنفسهم على:

«محاولة الإستقلال لفلسطين مع تأمين سيادة العرب التامة عليها وعدم الأعتراف بأي التزام دولي يقصد به أن ينتهي بأية سيطرة أو نفوذ أجنبي»[١].

أما الحزب العربي الفلسطيني فكان حزباً شعبياً يعلن مقارعته للصهيونية والأنتداب، وكان ينادي بالوحدة العربية، ويبذل أفراده جهوداً عملية لمنع بيع الأراضي لليهود.

---

(١) الوزارة «فلسطين المجلس التشريعي» ١٩٣٤/١١/٤ و.م. ٧٢٣-٢٦٥. عن الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث، ص: ٢٨٩.

٣- مؤتمر الشباب كحزب سياسي ثالث.

ويرأسه يعقوب الغصين، ولم يكن هذا الحزب معادياً لأحد.

٤- حزب الكتلة الوطنية بزعامة المحامي عبد اللطيف صلاح (من نابلس).

وكانت أهداف كلا الحزبين مقاربة لأهداف الحزب العربي الفلسطيني.

ولقد كانت البواعث الأنانية وراء تعدد الأحزاب العربية واضحة أمام أنظار الفلسطينيين جميعاً، وأثارة خصوماتهم وللرأي العام فيهم كلمة «والأعتقاد الذي يسود القرى أن الزعماء لا يعملون إلا لأنفسهم»[1].

☆ القسام يدعو للجهاد/ ثورة القسام:

وقد طلب المفتي الحاج أمين الحسيني من مدير التحقيقات الجنائية تزويده بحراسة كما طلب إعطاءه بدلة واقية من الرصاص، وحصل على ذلك.

كما أتخذ المفتي إجراءاً آخراً بإنشاء «منظمة الجهاد المقدس» بقيادة عبد القادر الحسيني نجل موسى كاظم باشا الحسيني، وبالإضافة إلى ذلك كان الحاج أمين على صلة بالقسام.

والقسام سوري المولد، عمل مدرساً في حيفا بعد أن انهارت الثورة السورية، ثم انضم إلى جمعية الشباب المسلمين، ومنذ عام ١٩٢٩ بعد أن أصبح رئيس جمعية الشبان المسلمين أخذ يتجول في قرى شمالي فلسطين بصفته موظفاً في المحكمة الشرعية بحيفا، وبفضل إتصالاته نظم خلايا متعددة يبلغ عدد أفرادها خمس أشخاص. وفي أواخر عام ١٩٣٣ انضم إلى حزب «الإستقلال»، في حيفا. ثم بدأ يجمع التبرعات لشراء الأسلحة لإقامة الثورة ضد بريطانيا التي هي بالواقع الحامية الحقيقية للصهيونية في فلسطين.

وكان القسام يسكن في الحي الفقير من حيفا حيث يقطن الفلاحين الذين نزحوا من قراهم إلى المدينة، وكانت تنظيمات القسام دقيقة وسرية للغاية.

---

(١) جريدة فلسطين ٣/ ٧/ ١٩٣٥.

وكان القسام يحاول تحسين أحوال هؤلاء الفلاحين ويكافح لديهم الأمية وذلك بإعطائهم دروساً ليلية، مما جعله يحوز ثقة الفلاحين ومحبتهم.

ومما تجدر الإشارة إليه إلى أن ثوار فلسطين في مطلع الثلاثينات كانوا تلامذة وأعضاء في تنظيمات القسام السرية، ولكنهم لم يوافقوا أستاذهم في ما ذهب إليه من ضرورة المزيد من التحضير والأستعداد قبل إعلان الثورة[١].

وقد نظم بحلول عام ١٩٣٥ القسام خمس لجان لتحقيق الأهداف التالية: الدعوة أو الدعاية، التدريب العسكري، التموين، الإستخبارات، العلاقات الخارجية. ويعتقد البعض ولا دليل على ذلك أن القسام كان على اتصال بإيطاليا.

ومع أن القسام نظم خلايا كافية في منطقة حيفا بالشمال، إلا أنه أرسل أحد أتباعه، محمود سالم، إلى المفتي طالباً منه اعلان الثورة في الجنوب في نفس الوقت الذي يعلنها هو بالشمال، وقيل أن الحاج أمين الحسيني أجاب بأنه يؤثر التوصل إلى حل سياسي على االمجوء إلى ثورة مسلحة[٢].

لقد فعل هذا لإثارة العقبات في وجه الخطة البريطانية الغادرة، ولأنه كان يريد من ناحية أخرى أن يتصل بالقرويين مباشرة بغية التعرف على أوضاعهم وأحوال قراهم، وانتقاء الصادقين منهم للانضمام إلى التنظيم السري، والقرويون هم أكثرية الشعب الساحقة، ومنبع المناضلين الذي لا ينضب له معين.

نشاط التنظيم:

لقد بدأت اعادة تنظيم هذا التنظيم عام ١٩٣٤ ورؤي ضرورة إعادة النظر في الوضع القائم، فوجه عبد القادر الحسيني دعوة سرية إلى جميع المسؤولين عن أعمال التنظيم السري في سائر أنحاء فلسطين لعقد اجتماع لهم في القدس في ٢٥ آذار ١٩٣٤ وتمويهاً على المخابرات الإنجليزية وجه الدعوة الشيخ محيي الدين الحسيني وأقام مأدبة عامرة

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص: ٢٩٢.

(٢) صبحي ياسين «الثورة العربية الكبرى في فلسطين» (١٩٣٦-١٩٣٩) دمشق ١٩٥٩، ص: ٢١.

دعي إليها مائة شخص وموضوع الدعوة كان حصول عبد القادر على وظيفة جديدة في دائرة تسوية الأراضي.

وبعد الانتهاء من الوليمة انصرف الحضور وتخلف في غضبة جبر (بيت الشيخ محيي الدين الحسيني) التالية أسماؤهم:

الأخوة عبد القادر الحسيي ونافذ الحسيني وعلي خلف وعبد الرحمن العلي وأحمد العياوي وأميل الغوري من (قضاء القدس) وشريف الريماوي وعاهد الريماوي وحنا خلف وصالح الريماوي ومحمد الأسمر من (قضاء رام الله) وجميل الفارس وشافع سعد الدين من (قضاء نابلس) وخالد الفرخ وعلى الدباغ (يافا) وعبد الحليم الجيلاني وحسان القواسمة وأحمد من (قضاء الخليل) وصالح عون الله ورفيق الجريس عويس من (الناصرة) وفريد فخر الدين وحسن الشامخ (بيسان) ومنير الرب ورشاد السقا (غزة) وسليمان أبو ربيعة (بئر السبع) وحسن سلامة وشحادة حسونة (قضاء اللد).

وعقد هؤلاء الشبان اجتماعا برئاسة عبد القادر، وبعد أن أقسم اليمين على التمسك بالميثاق الوطني والحفاظ علىالسرية والكتمان، انطلقوا يبحثون شؤون التنظيم السري ودراسة خير الوسائل والاساليب التي يؤدي الاخذ بها إلى إيصاله إلى أهدافه. واستمر الإجتماع أكثر من ثلاث ساعات وانجلى عن القرارات التالية:

١- تتشكل القاعدة الشعبية العامة للتنظيم من الأشخاص المجتمعين ومن تأخر من زملائهم عن الحضور.

٢- مضاعفة الجهود والمساعي لتسليح الشبان وتدريبهم.

٣- إعادة بناء التنظيم السري على أساس الخلايا، بحيث تتألف كل خلية من خمسة أفراد، يرأسهم مسؤول. وتكون كل خلية منفصلة ومستقلة ولا صلة لها (أو معرفة) بأية خلية أخرى.

٤- تناط بعبد القادر الحسيني (قائد التنظيم) مهمة إنشاء الخلايا، واختيار المسؤولين عنها، وتنسيق أعمال التنظيم ووضع أسس العلاقات بين العاملين.

٥- تعيين «لجنة عليا للتنظيم» من «حسن سلامة ونافذ الحسيني وجميل الفارس وصالح الريماوي وإميل الغوري». لمعاونة عبد القادر في أعماله ومهامه، وتنمية موارد التنظيم من المال والسلاح.

٦- تعقد إجتماعات دورية للقاعدة الشعبية للتنظيم بدعوة من القائد العام.

وقد تبرع الحضور بمبلغ (١٦٧) جنيهاً وبإشتراكات رمزية، وتبرع الشيخ الجليل محيي الدين الحسيني بمبلغ (٥٠٠) دينار وكان يمد الحركة دوماً بالمال.

وقد جمع التنظيم مبالغ بسيطة من المال لشراء السلاح، وقد كان اقبال الشباب على التنظيم كبيراً، وبعضهم كان يقدم المال لشراء السلاح وبعضهم كان يحضر سلاحه معه. وقد بلغ عدد التنظيم عام ١٩٣٤ نحو ٤٠٠ عنصر. وكان يقوم بالتدريب صغار الضباط السوريين والعراقيين.

وكانت مشكلة الحصول على السلاح من أخطر المشاكل التي تواجه التنظيم إذ يتعذر شراؤه من فلسطين وشرقي الأردن بسبب موقف السلطات البريطانية.

وقد استطاع التنظيم مهاجمة مخفر الشرطة الكبيرة في باب الواد وانتزاع أسلحته وقد ساهمت الشرطة العربية في إنجاح هذه العملية، وكذلك هوجمت الشرطة في النبي صالح وأريحا وسيلة الظهر واللجون وحلحول[1]. وقد عقد رجال التنظيم علاقات مودة مع بعض الضباط الإنجليز مما سهل لهم مهمة شراء، والحصول على أسلحة.

حملات دعائية:

وقام خصوم الحاج أمين الحسيني ومعارضيه بحملات دعائية بالصحف وأقاويل بأنه لا يعادي بريطانيا بل يعادي اليهود. وقد تأثر جمهور الشباب بالقول بأن الحاج أمين يقاوم اليهود ولا يقاوم بريطانيا. لهذا طلب أعضاء التنظيم موعد لمقابلة الحاج أمين ومفاتحته بالأمر.

---

(١) إميل الغوري - فلسطين عبر ستين عاماً (مرجع سابق)، ص: ٢٣٤.

ولما قابله الوفد طلب من المفتي شرح موقفه وسياسته.

فأبتسم المفتي ثم قال ما رأيكم لو قمتم أنتم بمقاتلة الحكم البريطاني وأنا أقاتل اليهود فقط.

ثم أنتصب الحاج أمين وقال: أسمعوا يا إخوان أنا أرى بأنكم أن تصدقوا مثلى هذه الأشاعات وتتيقنوا أن قتال الإنجليز يحتاج إلى تحضير وإعداد، وتيقنوا أن غيركم يفعل مثلماً تفعلون، وسيأتي اليوم الذي تتعرفون فيه على بعضكم البعض.

وبعد أن خرجنا فوجئيا بأن الحاج أمين يعرف ما نعمل وأنه يقول بأن الأصطدام مع الإنجليز يحتاج إلى تنظيم جدي.

أصدامات وعصابات:

كان الناس يسمعون ابتداء من عام ١٩٣٠ عن أصطدامات مسلحة تقع ما بين مجهولين والحكومة في جبال صفد والجليل ومنطقة حيفا، وكانت الحكومة تكذب وتقول إنها أصطدامات بين اللصوص والدولة، وحيث أنه لم يثبت لدى الجمهور أن هذه عصابات للسلب والنهب فقد تيقن الناس بأنها أعمال وطنية.

وأتسعت نطاق هجمات هذه العصابات، ولازمها هجمات شديدة على بعض المستعمرات مثل «نهلال» وقامت في منطقة حيفا بعض أعمال التأديب ضد بعض ضباط البوليس، والجواسيس وبعض الذين قاموا بالسمسرة لبيع الأراضي لليهود.

ولما كانت تنظيمات عبد القادر تقوم بمثل هذه الأعمال، فأصبح من الواضح أن هناك تنظيماً مجهولاً آخر يعمل في الساحة.

من يقف وراء هذه التنظيمات:

بدأ تنظيم عبد القادر يبحث عن التنظيم السري، فبعض الأخوان ظنوا أن حزب الإستقلال هو الذي يشكل هذه العصابات، وبعضهم الآخر ظن أن الذي يشكلها هو الحزب القومي السوري وقال البعض أن هذه التنظيمات ربما تكون من عمل الشيخ محمد الأشر.

ولكن الحقيقة ظهرت واضحة جلية أن وراء هذه العصابات الحاج أمين الحسيني الذي بدأ يعدها وينظمها منذ عام ١٩٢٩ .

وفي الخامس والعشرين من شهر تموز ١٩٣٥ كانت الحالة متفاقمة في فلسطين وسحبت بريطانيا كتابها الأبيض التقى الحاج أمين الحسيني ببعض قادة تنظيم عبد القادر الحسيني، وقد أفهمهم الحاج أمين الحسيني أن الوقت قد حان للتصادم مع بريطانيا وأن على جميع الفلسطينيين أن يعدوا نفسهم لذلك.

وقد أستدرجنا المفتي للحديث عن تنظيماتنا، فتبين لنا من حديثه أنه يعرف الكثير عنا، ولكنه آثر حتى ذلك الوقت عدم توضيح شيء عن تشكيلاته وأكتفى بالقول أن هناك تنظيمات كثيرة غير تنظيم عبد القادر الحسيني، وقال يجدر بهذه التشكيلات أن تتعاون معاً، وقال المفتي بأنه سيبذل جهده لمعرفة هذه التشكيلات ودعوتها للعمل معاً.

وبعد تفاقم الأمور كشف المفتي عن جهاز الجهاد المقدس الذي كان يشرف عليه مباشرة .

لذا قامت في صيف ١٩٣٥ منظمة فلسطينية عسكرية عامة هي منظمة الجهاد المقدس أندمجت بها كل المنظمات ما عدا منظمة القسامين التي بقيت مستقلة حسب الأتفاق الذي أرتأته القيادة العامة .

القساميون:

نعود إلى التحدث عن أخطر منظمة سرية، وأعظم حركة فدائية عرفها تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية، بل تاريخ الجهاد العربي الحديث تلك هي حركة القسام، وقد ظلت المعلومات الخاصة بهذه الحركة مجهولة وبحاجة إلى دراسة وأستقصاء، وذلك نظراً لأن القسام ورفاقه كانوا يبتعدون عن حب الظهور.

أن مؤسس هذه الحركة هو الشيخ عز الدين القسام، فعرفت بحركة «القساميين» نسبة إلى اسم رئيسها، والشيخ عز الدين القسام عربي سوري من قضاء اللاذقية، ولد عام ١٨٧١ ، درس في الأزهر على يد الشيخ محمد عبده. ساهم في الحركة الوطنية السورية وأشترك في أعمال الجهاد ضد الحكم الفرنسي، وعرف بمواقفه العنيدة. وعلى الرغم

من أنتهاء الثورة السورية في ١٩٢٧ وبدء عهد المفاوضات الرسمية بين الكتلة الوطنية وحكومة الأنتداب الفرنسي، فإن الفرنسيين ظلوا يلاحقون الشيخ القسام بالإضطهاد والمضايقة. فأنتقل إلى فلسطين وأقام في مدينة حيفا، وكان غرضه من المجيء إلى فلسطين (سورية الجنوبية) فضلاً عن التخلص من أذى الفرنسيين، الحصول على عمل في المجال الديني، فهو عالم مسلم قدير، والإسهام في حركة الدفاع عن فلسطين.

وكان الحاج أمين، بفضل دوره القيادي في الثورة السورية، يعرف الشيء الكثير عن جهاد القسام وصلابته الوطنية وما يمتاز به من ذكاء وفطنة وغيرة على الدين، فرحب بقدومه إلى أرض فلسطين.

وجرت بين القسام والحاج أمين الحسيني عدة أجتماعات، وعينه الحسيني واعظاً لجامع الإستقلال، وأتاح له فرصة الألتقاء بمناضلي الشمال.

وكان القسام يجمع حوله خيرة الرجال وأصبحت دروسه الدينية مصنعاً للرجال وأصبح يتمتع بسمعة طيبة في حيفا والقضاء.

ثم أنضم القسام إلى الحركة الوطنية علانية وكان من ممثلي مدينة حيفا في المؤتمرات.

وكان يعقد أجتماعات سرية في بيته أو بيت أحد أصدقاء يحضرها المغموررون، وقد كثرت التفسيرات حول هذه الإجتماعات، وظهرت في ذلك الوقت العصابات المسلحة.

وقد شعر الحاج أمين الحسيني بضرورة تشكيل منظمة يمتزج فيها الشعور الوطني والديني النقي وأوكل للقسام بهذه المهمة بتأسيس المنظمة، وقيادتها، كما ألتف حول القسام الكثيرون من الوطنيين.

وقد قام القسام بإنشاء هذه المنظمة ووضع لها نظاماً داخلياً وميثاقاً دينياً وطنياً، وكان القسام يختار رفاقه ضمن شروط خاصة ودقيقة وقاسية.

وقد أحيطت عملية الشيخ القسام بالكتمان السري وقطعت شكلا الأتصالات بينها وبين الحاج محمد أمين الحسيني.

وكان الزعيم السوري المعروف الشيخ كامل القصاص قد هاجر بعد الثورة السورية من دمشق إلى حيفا حيث جعل يمارس الأعمال التجارية فيها. وكان للقصاص صلة وثيقة

وعلاقة متينة بالحاج أمين نشأت أيام الثورة السورية ونمت وأتسعت على مر الأيام. وفي الوقت نفسه كان القصاص صديقاً حميماً للشيخ القسام، وكلاهما من المجاهدين في الثورة السورية. فأختير الشيخ كامل القصاص ليكون صلة الوصل بين الحاج أمين والقسام، ومعتمدهما في جميع الأمور المتعلقة بالمنظمة وأعمالها وتوجيهها. وكانت أعمال الشيخ القصاص التجارية قد أمتدت إلى القدس، فأتخذ منها ذريعة للتردد على المدينة والإجتماع بالحاج أمين، فيبدو إجتماعهما المتكرر أمراً عادياً. وكان الشيخ كامل القصاص ينقل توجيهات الحاج أمين إلى المنظمة، ويتسلم منه الأموال المطلوبة، لنفقاتها وأعمالها وتسليحها. . الخ. . ويسلمها بدوره للشيخ القسام ليتولى أنفاقها، وكان دائماً أبداً ينفقها على الوجه الصحيح.

وقد قام القساميون بعمليات كثيرة رائعة ظلت طي الكتمان، وكان من بين الأعمال ملاحقة وتأديب من يخرجون عن إرادة الشعب أو التجسس لصالح المخابرات البريطانية أو بيع الأراضي لليهود.

أما الأعمال التي قام بها «القساميون» فكانت من أروع ما قام به المجاهدون في فلسطين، وعلى الرغم من كثرتها وتعدد أشكالها ومظاهرها، فإنها ظلت محاطة بالسرية والكتمان، إلى مدى كان معه أكثر الناس يجهلون مصدر هذه الأعمال، بل كانوا لا يعرفون إطلاقاً بوجود حركة القساميين. وكان من هذه الأعمال، ملاحقة و(تأديب) الذين يخرجون عن الشعب ومصالحه، مثل التعاون مع الحكومة ضد الحركة الوطنية، أو التجسس لحساب المخابرات البريطانية، أو بيع الأراضي من اليهود أو السمسرة عليها لحساب الأعداء.

وكان من أعمال القساميين العديدة الواسعة النطاق، التصدي لدوريات الجيش والشرطة والأصطدام بها، وقطع طرق المواصلات والأغارة على ثكنات الجيش ومراكز الشرطة، ومهاجمة حرس المستعمرات اليهودية وزرع الألغام والمفجرات فيها.

ولم ينكشف «سر» الشيخ عز الدين وإخوانه «القساميين» للشعب الفلسطيني والأمة العربية، إلا بعد مرور ما يقرب من خمسة أعوام على إنشاء منظمتهم! وكان ذلك في

تشرين الثاني ١٩٣٥.. ففي صيف عام ١٩٣٥ وقد أتسعت أعمال القساميين نطاقاً، خاصة في شمال فلسطين، شعر الشيخ عز الدين بأن أتباعه (أعضاء منظمته) غدوا على مدى من القوة وحسن التنظيم والتدريب والتسليح يسمح لهم بأعلان ثورة (مكشوفة) على الإنجليز.. وأتصل القسام بالحاج أمين بهذا الشأن للوقوف على رأيه فوافق المفتي على رأي القسام وأقر خطوته، وتعهد بمد «الثورة» العتيدة بالرجال والأموال والسلاح. فعزم القسام وتوكل وفي اليوم الثاني من تشرين الثاني ١٩٣٥ (الذكرى الثامنة عشرة لصدور تصريح بلفور) قاد الشيخ عز الدين القسام بنفسه عدداً من زملائه المؤمنين في حملة ضد القوات البريطانية في منطقة جنين تمهيداً لأعلان الثورة على الحكم البريطاني. وأختار القسام أحراش «يعبد» مكاناً للأصطدام بالقوات البريطانية. وحدث أن علم أحد ضباط الأمن العام في حيفا بخطة القسام فأبلغها إلى السلطات البريطانية، فحشدت قوات ضخمة في أحراش يعبد، فلما بدأ القسام حركته، طوقته هذه القوات البريطانية فنشب قتال عنيف بين المجاهدين وبين هذه القوات التي كانت متفوقة عليهم عدة وعدداً.. وأستمر القتال بضعة أيام وتبين بأن الإنجليز سيتمكنون من القضاء على المجاهدين. وكان بإستطاعة القسام وزملائه شق طريقهم عبر القوات البريطانية والنجاة من الطوق المضروب عليهم، ولكن القسام آثر الصمود والأستشهاد، على النجاة والفرار، وأيده إخوانه في موقفه، فوقعت معركة فاصلة في ١٧ تشرين الثاني، ١٩٣٥ أستشهد فيها القسام وعدد من زملائه، وجرح آخرون منهم.

(وعلم المجاهدون فيما بعد بالخيانة التي أقترفها ضابط الأمن العام (أحمد نايف) المذكور آنفاً، فاغتالوه في مدينة حيفا في وضح النهار).

ولم يثبط أستشهاد القسام من عزيمة إخوانه، ولم يثنهم عن خطتهم وأعمالهم فواصلوها بشكل رائع، وبشتى الوسائل والأساليب، ولما قامت ثورة فلسطين في نيسان ١٩٣٦ (كما سيأتي ذكر ذلك) أنضم إليها القساميون فكانوا درعاً من دروعها وقوة من أعظم قواها.

ثورة القسام:

إن توالي الأحداث عام ١٩٣٥ أجبر القسام وأتباعه من المجاهدين على البدء بثورة مسلحة ضد بريطانيا والصهاينة.

وقد فقد كثير من الفلاحين أرضه، وأزدادت البطالة بين العمال وأزدادت الهجرة اليهودية بشكل ملحوظ حتى بلغت ٦٠٫٠٠٠ مهاجر يهودي وهذا الرقم يتجاوز القدرة الإستيعابية للبلاد.

كما أن تحرشات الصهاينة بالقرى العربية قد زادت، وأكتشفت شحنة كبيرة من الأسلحة المهربة إلى الصهاينة. ولما لم يجد العرب طريقاً لا يقاف بيع الأراضي لليهود وتوقف الهجرة والحياة البرلمانية، كان البديل الوحيد أمام العرب اللجوء إلى الثورة المسلحة.

وكان السياسيون العرب يكشفون عن مواقفهم الهزيلة أمام بريطانيا والصهاينة.

تحرك القسام مع خمسة عشر من رجاله المسلحين حيفا في الثاني عشر من تشرين الثاني قاصدين إلى ضواحي جنين لدعوة الفلاحين لحمل السلاح.

وقد أحتل الجيش حيفا وضرب طوقاً حول القسام ورجاله الذين أشتبكوا مع القوات البريطانية في معركة غير متكافئة. وقد رفض القسام الإستسلام وحث أتباعه على القتال وقد أستشهد القسام في التاسع عشر من تشرين الثاني وأثنين من أتباعه وأسر خمسة آخرون وأختفى الباقون في الجبال.

☆ أثر أستشهاد القسام:

شيع القسام في حيفا كبطل للجهاد في مسيرة ضخمة نادت بسقوط الإنجليز والوطن القومي اليهودي، ورجم المتظاهرون أثناء سيرهم أفراد البوليس بالحجارة.

وبعد ثورة القسام وجد الزعماء الفلسطينيون أنفسهم، مكرهين على إنتهاج سياسة أقل تقرباً من بريطانيا.

ففي مقابلة أجراها ممثلوا الأحزاب الخمسة مع واكهوب بعد ستة أيام فقط من إستشهاد القسام، قدم له هؤلاء الزعماء مذكرة جاء فيها:

«إنهم إذا لم يتلقوا عن مذكراتهم جواباً يمكن أعتباره بصورة عامة مرضياً، فإنهم سيفقدون كل ما يملكونه من نفوذ على أتباعهم.. وعندئذ تسود الآراء المتطرفة غير المسؤولة وتتدهور الحالة سريعاً»[1].

---

(١) هانيغ - إلى وزير الحربية ص٦ عن عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص: ٢٩٦. =

وهكذا ألقت ثورة القسام ظلا كبيراً على المسرح السياسي الفلسطيني، وأصبحت كل محاولة لإقامة تقارب بين الفلسطينيين والسلطات الحكومية مكتوباً عليها بالفشل.

وظهرت تشكيلات جديدة في المدن الكبرى بقيادة عناصر الشباب فكان أكرم زعيتر في نابلس وميشيل متري وحمدي الحسيني في يافا، وفي قلقيلية تشكلت لجنة جديدة للشباب الثوري. وفي طولكوم ظهر سليم عبد الرحمن وفي حيفا ظهر عاطف نور الله وكان يساند هؤلاء الشباب عزت دروزة وعجاج نويهض من زعماء حزب الإستقلال.

ويستفاد من تقارير دائرة التحقيقات الجنائية أن هذه الكتل مجتمعة تعتزم توجيه النضال ضد السلطات البريطانية بالإضافة إلى الصهاينة والتوصية بإصدار قرارات كعدم التعاون والأمتناع عن دفع الضرائب والقيام بالمظاهرات، والهاب المشاعر وأعمال التحريض وفي النهاية أثارة الإضطرابات.

تشييع جثمان القسام:

فعند تشييع جثمان القسام ورفاقه إلى مثواهم الأخير في حيفا وصف مراسل هذه الجريدة الشعور العام على النحو التالي:[١]

«وصلت إلى هنا (حيفا ن.ع) أمس جثث الشهداء الأبرار: الشيخ عز الدين القسام ويوسف عبدالله (من قرية الزين) والسيد المصري، وما أن أنتشر النبأ في المدينة حتى علت الوجوه إمارات الألم والتفجع وظل حادث أستشهادهم حديث المدينة التي باتت ليلة أمس في قلق ورعب وأضطراب فكري عظيم.. وفي الصباح الباكر تدفقت جماهير الشعب من القرى المجاورة ثم تلتهم وفود اللواء الشمالي ثم وفود بقية أنحاء فلسطين، وكان كل واحد منهم يعزي أخاه ويذكر الشهداء بالخير ويترحم عليهم. وقد أضربت المدينة إضراباً عاماً وشاملاً فأغلقت الحوانيت والمتاجر والمطاعم والمقاهي وهرعت الجموع إلى البيوت بيوت الشهداء فغصت بهم وذهب قسم من الآهلين إلى منزلي الشهيدين يوسف عبد الله والسيد المصري وجاؤا بجثتيهما إلى منزل الشيخ عز الدين.

---

(١) هانيع - إلى وزير الحربية ص ٦ عن عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص:٢٩٦.

وحوالي الساعة ١١ قبل الظهر نقلت الجثث في موكب رائع إلى الجامع الكبير وبعد صلاة الظهر صلي عليها صلاة الجنازة وكانت ساحة الجرينة والطرق المؤدية للجامع الكبير ملأى بالناس رغم الأمطار الغزيرة التي كانت تهطل في ذلك الوقت. وبعد الصلاة وقف الخطباء وابنوا الشهداء وذكروا تضحياتهم بالنفوس والأموال في سبيل الله والوطن بعبارات تفتت الأكباد. .

ولما خرجت الجنازة المثلثة كانت نعوش الشهداء ملفوفة بأغطية حمراء وخضراء وسوداء من الوان علم العرب، ولما رأتها الجماهير أشتد غليانها وأضطرابها عندما رأوها فوق بعض الشباب وعلى أكتاف المشيعين وأخذوا يهتفون بسقوط الإنجليز والإستعمار وحياة الإستقلال والتضحية والبلاد العربية ثم يصيحون الله أكبر. وكانت النساء تملأ أسطح المنازل والحوانيت من ساحة الجرينة إلى شارع الناصرة وكنَّ يزغردن كل الوقت. . وقد سارت الجماهير في الجنازة على الترتيب التالي:

شابان يركبان دراجتين ناريتين عليهما علمان أسودان ففرق الكشافة وعلى صدورهم شارات الحداد، فالنعوش فوجوه المدينة فوفود البلاد، فالعلماء، فممثلو الهيئات الوطنية، فالشباب والجماهير التي يربو عددها على ٣٠ ألفاً. . وبعد رجم دائرة البوليس تابع الموكب سيره فرأى المشيعون سيارة ودراجة نارية للبوليس فحطموهما بالحجارة ثم صادفوا بوليساً إنجليزياً على دراجة نارية فانهالوا عليه رجماً وأضطروه إلى الفرار مهشماً. . ولما وصلوا قرب تمثال الملك فيصل بجانب سكة الحديد، جاءت قوة من البوليس الإنجليزي وعلى رأسها الضابطان مستر جيمس ومستر رنغ فأشتبكوا معها في معركة وتغلبوا عليها وأصيب الضابط جيمس بحجر في رأسه وأصيب رنغ بطعنة خنجر

في رقبته. . وأضطرت القوة إلى الفرار. ولا تزال الحالة في حيفا غير طبيعية والجمهور في غليان شديد والسخط عام وشامل. . ».

أما قادة الأحزاب الفلسطينية التي تأسست قبل هذا الحدث بمدة فقد حاولوا من خلال عقدهم لبعض الأحتفالات السياسية أن يعبروا عن شعورهم الوطني التضامني لأستشهاد القسام ورفاقه، نشر دعاية لأنفسهم، ولذلك فقد وقعوا في مهاجمة الجرائد المستقلة وعلى رأسها الكرمل التي مثلت أنداك رأي الجماهير في سياسة هذه الأحزاب العريقة في تقليدها. فتحت عنوان: «نداء عام إلى رؤساء الأحزاب والوجهاء والمخلصين في كل البلاد. . يا زعماء فلسطين». تقول: «ويحكم منذ ١٨ سنة وقبلتكم المندوب السامي في جميع شكاويكم ومطالبكم. . .لقد تضاءلت مطالبكم والسياسة الإنجليزية لم تصغ لكم لا في الأول ولا في الآخر، لم تتحول عن الحكم لتمنحكم الإستقلال، وسياسة تصريح بلفور لن تبقيكم في أوطانكم كيف تصغي وهي مصدر البلاء، السياسة الإنجليزية هي صاحبة تصريح بلفور؟ وهي التي تطبق الشق الأول فيه وتهمل الثاني. وهي التي تدخل المهجرين بالألوف وتمنحهم الحقوق الوطنية وتمنعكم منها؟ هي التي جمعت سلاحكم وتتركهم يتسلحون؟ فلماذا توجهون وجوهكم شطر هذه القبلة السياسية. . فإن كانت السياسة الإنجليزية لم تصغ لصلواتكم وطلباتكم فولوا وجوهكم شطر قبلة تصغي إليكم وتعطف عليكم، ولوا وجوهكم شطر أنفسكم وغيروا ما بها ونظموا صفوفكم وأعملوا أنتم لمصلحتكم. ولوا وجوهكم شطر البلدان العربية والإسلامية وأشكوا إلى ملوكها وهيئاتها ورجالاتها ظلامتكم. . جربوا غير قبلة المندوب السامي وأذكروا قول يعقوب لبنيه: يا بني لا تدخلوا من باب واحد. . ».

وفي مكان آخر تقول الصحيفة: «ألا تظنون يا سادتي أن أرواح الشهداء على الرغم من أنها قدرت لكم أهتمامكم بها وتقديركم لتضحياتها.

مقارنة بين حركة أبو جلدة والقسام:

وقبل أن نتحدث عن نتيجة هذا الهيجان في الشعور العام وما أفرزه على ساحة العمل السياسي والتقارب بين الأحزاب السياسية والذي تجسد في الإضراب العام سنة ١٩٣٦، لابد لنا من التساؤل: لماذا أوجدت حركة القسام هذا التضامن والصدى الكبير بين أفراد

الشعب - مقارنة مع أنتفاضة أبو جلدة ١٩٣٣/١٩٣٤ المسلحة؟ مرة أخرى تساعدنا الصحف الفلسطينية في الإجابة على هذا التساؤل وتوسيع دائرة معرفتنا حول تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية خلال فترة الأنتداب.

كان توقيت ثورة أبي جلدة قد حصل في وقت انتفض فيه الشعب ضد حكومة الأنتداب وسياسته المنحازة للصهيونية، وعمت الأنتفاضة أنذاك كل المدن الفلسطينية، وتبعها إضراب عام. وبالتالي كان من المفروض أن يكون مثالاً رائعاً في التضحية والخروج المسلح على سلطات الأنتداب. فما هي الأسباب التي لم تجعل الشعب الفلسطيني يعده مثالاً للتضحية - كما هو الحال عند القسام.

أن القيمة الأجتماعية وشخصية القائد قد لعبتا دوراً رئيسياً في الحركة الوطنية الفلسطينية. فكون الشيخ عز الدين أمام دين أكسبه ذلك تعاطفاً أكبر من قبل أفراد الشعب الفلسطيني.

إضافة إلى ذلك فقد كان القسام رئيساً لجمعية الشبان المسلمين في حيفا، وقد أنضم إلى منظمته أيضاً رجال مسلحون، فرفيقه بالنضال الشيخ نمر الدعوي ممثلاً، ينتمي إلى عائلة فلسطينية معروفة ومحترمة وتشكل تجمع قوي في منطقة جنين. ففي قرية المزار، مسقط رأسه، كان جميع قاطنيها تقريباً من أفراد عائلته، والشيخ نمر كان أيضاً أحد وجهاء عائلته - ولا ننسى أن الشيخ فرحان السعدي والذي طاردته قوات الأنتداب الإنجليزي فيما بعد كان أحد أفراد هذه العائلة - وقد انتمى إلى الجماعات الوطنية المقاتلا ت للأنتداب - وكان أحد رجالات القسام. ومن هنا فدفاع العائلة عن أبنائها - خاصة إذا تبوؤا مركز الصدارة فيها - يعتبر شيئاً يجب أن لا نقلل من أهميته، وبالضرورة سيلقي صدى بين أوساط الشعب. وأخيراً فقد استشهدوا من أجل الوطن.

فمنظمة - كمنظمة القسام، التي لم تنته بموت قائدها - بل بقيت دروس كفاح هذا القائد ماثلة أمام أعضائها ليكملوا المشوار.

لم تكن موجودة في عصيان أو «ثورة» أبي جلده.

إضافة لما سبق، فقد أنحدر أبو جلدة - من عائلة فلسطينية صغيرة، لم تصل في

مكانتها الأجتماعية إلى المستوى الأجتماعي لأعضاء منظمة القسام.

ومن هنا نرى بأن أبا جلدة بعد أن أستسلم للسلطات الإنجليزية يضع ثقته ووصيته لأبنه البالغ من العمر أنذاك أثني عشر عاماً ليأخذ بثأره.

أما نهايته فكانت الإعدام شنقاً بدون صدى من قبل أبناء شعبه كالصدى الذي أحدثه موت القسام - من هيجان وصدامات مع قوات الأمن الإنجليزي في أثناء دفنه كما رأينا. أما تخليده في ذاكرة الشعب فلم تكن كما هو الحال عند أبي جلدة حيث غناه الشعراء فقط، وإنما غناه ورثاه أشهر شعراء فلسطين أنذاك.

بعد حادثة القسام بدأت الصحافة الوطنية تشن حملة جديدة ضد الحكومة الإنجليزية المنتدبة بحيث أعطت المنتدبين الأنطباع بأن خلف هذه الموجة تقف حركة جديدة وخطيرة على سلطات الأنتداب ومشاريعها في فلسطين. لم تبتعد التجمعات الفلسطينية في هذه الفترة عن الخط الوطني العام رغم تناحرها فيما بينها. فالجامعة العربية - صحيفة القيادة التقليدية - سخرت نفسها للقيام بحملة دعم لعلاثلات المتضررين الفلسطينية، والذين أستشهدوا دفاعاً عن الوطن: «إن عدم دعم هذه العائلات سيؤدي إلى تخلف الناس عن تقديم الضحايا من أجل نيل الحرية والعمل من أجل القضية الوطنية. . ».

التنظيمات السرية:

كانت الأحداث والتطورات التي وقعت في فلسطين، حافزاً إلى مزيد من التنظيم والتدريب. وزادت الشباب قناعة بوجود اللجوء إلى القوة.

ونظراً لمعرفة عرب فلسطين بأن اليهود يقومون بتهريب الأسلحة بكثرة، وأنهم يزيدون من تدريب (الهاغانا) وأنهم أنشأوا عصابة شتيرن وأرغون زفاي ليؤمي فإن تصميمهم أزداد إصراراً.

وكان هناك فريقان عربيان يعملان بسرية ومنفصلين في ميدان التدريب والعمل، ينشط كل منهما في ناصيته وبمعزل عن الفريق الآخر. ولكنها ما لثا أن أصبحا فيما بعد، فريقاً واحداً يعمل ضمن خطة موحدة وتحت قيادة واحدة.

عبد القادر الحسيني:

لما ضعفت الحركة الوطنية عام ١٩٣٤ وزاد أستعداد اليهود وتنظيمهم اليريّان، بدأ الشبان العرب يضاعفون جهودهم.

ولد عبد القدر عام ١٩٠٧ وهو نجل الزعيم المعروف موسى كاظم باشا الحسيني، درس في كلية روضة المعارف والمطران.

درس في الجامعة الأميركية في القاهرة، وذلك لرغبته معايشة الحركة الوطنية فيها. وقد مزق شهادته الجامعية أبان التخرج وفي الأحتفال الرسمي نقمة على الأميركيين[١].

وفي القدس بدأ يعمل بالتنظيم السري مستتراً بالزراعة، ومن ثم حصل على وظيفة حكومية، لأبعاد الشبهة عن تنظيمه السري وقد أنتقل عبد القادر إلى دائرة «تسوية الأراضي» وكان يسعى من ذلك إلى عرقلة أنتقال الأراضي لليهود.

(١) أميل الغوري - فلسطين عبر ستين عاماً (مرجع سابق)، ص: ٢٢٩-٢٣٢.

الفصل العشرون

الأحزاب

في فلسطين

١- المؤتمرات الفلسطينية.

٢-الحزب العربي.

٣- الحزب الوطني.

٤- حزب الزراع.

٥- حزب الأهالي - الحزب الديمقراطي.

٦- الحزب الحر الفلسطيني.

٧- حركة الشباب.

٨- الحزب العربي.

٩- حزب مؤتمر الشباب.

١٠- حزب الإصلاح.

١١- حزب الكتلة الوطنية.

١٢- حزب الدفاع الوطني.

١٣- حزب الاستقلال العربي.

١٤- الحزب الشيوعي الفلسطيني.

الأحزاب في فلسطين

تعريفات:

جاء في الموسوعة السياسية المجلد الثاني حول الحزب السياسي ما يلي:

الحزب السياسي (Political Party): مجموعة من المواطنين يؤمنون بأهداف سياسية وأيديولوجية مشتركة، وينظمون أنفسهم بهدف الوصول إلى السلطة وتحقيق برنامجهم.

والأحزاب اليوم عامل ملازم لكل نظام سياسي معروف، فهو موجود في الأنظمة السلطوية كما هو موجود في الأنظمة الليبرالية. وفي البلدان النامية والتي على طريق النمو[١].

الجمعيات الإسلامية المسيحية:

تعتبر هذه الجمعيات أول تكوينان سياسية منظمة شاملة وموحدة لجميع أبناء الشعب العربي الفلسطيني ومستقلة، أخذت على عاتقها مقاومة الصهيونية بشكل خاص والاستعمار البريطاني بشكل عام.

تأسست أول جمعية إسلامية مسيحية في مدينة يافا عام ١٩١٨ وانبثقت عن الجمعية الأهلية في يافا برئاسة راغب أبو السعود الدجاني وعضوية وجهاء وتجار وبعض مثقفي مدينة يافا.

ثم تأسست جمعية القدس الإسلامية المسيحية بعد ذلك بأسبوعين برئاسة عارف باشا الدجاني ومن أهم الأعضاء موسى كاظم الحسيني. وخلال فترة وجيزة انتشرت هذه الجمعيات في كافة أرجاء فلسطين. ثم وحدت جميع هذه الجميعات باسم «الجمعية الإسلامية المسيحية الفلسطينية» وجعل مركزها القدس عام ١٩١٩ وسمح لها بافتتاح فروع في كافة أنحاء فلسطين.

---

(١) يوسف عبد المنعم الزبن - لمحة عن الأحزاب العربية - الفلسطينية، ١٩٠٩-١٩٤٨ - عمان - الطبعة الأولى ١٩٩١ دار جاد للنشر والتوزيع، ص :٤٩.

وقد أصبحت قرارات الجمعية الإسلامية المسيحية الفلسطينية سارية على كل فلسطين.

وقد اتخذت جمعية فلسطين الهلال رمزاً لها وبداخله الصليب. وأخذت الجمعية على عاتقها مسؤولية المطالبة بحقوق عرب فلسطين في وطنهم، ومناهضة وعد بلفور، والوقوف في وجه الهجرة الصهيونية والدفاع عن عروبة فلسطين، والحيلولة دون عزلها عن الحركة العربية، المتمثلة بالثورة العربية وقيادة الملك فيصل[1].

وأبرز ما قامت به الجمعية الفلسطينية هو عقد المؤتمرات العامة الفلسطينية المتعاقبة والتي بلغ عددها سبع مؤتمرات حتى عام ١٩٢٧.

وقد عقدت هذه المؤتمرات اجتماعات كالتالي:

١- المؤتمر الأول:

وعقد في مدينة القدس للفترة ما بين ٢٧ كانون الثاني و٩ شباط عام ١٩١٩.

وقد رأس المؤتمر عارف باشا الدجاني وعمل سكرتيراً له، وكانت أول أعمال المؤتمر تسمية فلسطين «سورية الجنوبية». وقد اجتمع المجتمعون إلى مؤتمر الصلح في باريس ضد الهجرة اليهودية. ولعل أهم ما خرج به المؤتمر هو تحديد مبادىء الحركة الوطنية ضمن ميثاق قومي تقيد به عرب فلسطين على مدار ثلاثين عاماً من النضال. ويتضمن الميثاق: رفض وعد بلفور، والهجرة اليهودية، والانتداب والدعوة إلى توحيد فلسطين مع سوريا وإطلاق اسم سورية الجنوبية عليها. وأرسل المؤتمر وفدين أحدهما لفيصل والثاني لمؤتمر الصلح في باريس.

٢- المؤتمر الثاني:

بعد انتهاء أعمال المؤتمر الأول، تقرر عقد المؤتمر الثاني، في مدينة نابلس بعد ثلاثة أشهر، ولكن السلطات البريطانية منعت ذلك.

---

(١) يوسف عبد المنعم الزبن - لمحة عن الأحزاب العربية الفلسطينية ١٩٠٩ -١٩٤٨ - دار جاد للنشر والتوزيع - عمان - ١٩٩١ - الطبعة الأولى ، ص:٣٧.

وقد استطاعت الجمعية العربية الفلسطينية أن تقود النضال الموحد أمام لجنة كنغ غراين، كما آثروا في قرارات المؤتمر السوري التي قدمت إلى لجنة كنغ غراين.

٣- المؤتمر الثالث:

عقدت الجمعية الفلسطينية (المؤتمر الفلسطيني الثالث) في مدينة يافا عام ١٩٢٠ برئاسة موسى كاظم الحسيني وتم الاتفاق السير على الخطى السابقة مع المطالبة بقيام حكومة وطنية مستقلة. وتقرر تشكيل لجنة تنفيذية لمواصلة السعي لدى بريطانيا ودول العالم لشرح أبعاد القضية الفلسطينية. وكان من أهم ما انجزته اللجنة مقابلة تشرشل.

٤- المؤتمر الرابع:

عقد المؤتمر الرابع في القدس عام ١٩٢٠ برئاسة موسى كاظم باشا الحسيني.

قرر المؤتمر التأكيد على الميثاق القومي المعدل وإرسال وفد إلى لندن والمطالبة بحق الفلسطينيين الشرعي في فلسطين.

٥- المؤتمر الخامس:

عقد المؤتمر الخامس في نابلس في عام ١٩٢٢، وقد قرر المجتمعون مقاطعة المجلس التشريعي، وعدم التعاون مع السلطات البريطانية في تطبيق الدستور المفروض، والاستمرار في المقاومة والنضال، وقد انتخب المجتمعون لجنة تنفيذية لتنظيم حركة المقاومة وبث روح النشاط والنضال.

٦- المؤتمر السادس:

عقد في يافا عام ١٩٢٣ وأكد على قرارات المؤتمر الخامس، ودعا إلى مقاطعة البضائع الإنجليزية والصهيونية ورفض دفع الضرائب.

٧- المؤتمر السابع:

لقد تميزت سياسة بريطانيا في هذه الفترة بمحاولة خرق وزعزعة الوحدة الوطنية لدى الشعب العربي في فلسطين. وذلك بسلسلة من التدخلات المباشرة، فقد عملت على

تعيين راغب النشاشيبي - رئيساً للبلدية بدل موسى كاظم الحسيني، وتعيين الحاج محمد أمين الحسيني رئيساً للمجلس الأعلى الإسلامي بدلاً من الشيخ حسام الدين جار الله الناجح الأول في الانتخابات.

وقد عقد المؤتمر السابع عام ١٩٢٧ في ظل الانقسام وقد شكلت اللجنة التنفيذية من (٤٨) عضواً لمجابهة حالة الانقسام والشقاق الذي كانت تعاني منه المؤسسات السياسية الفلسطينية منذ عام ١٩٢٣.

وقد وقفت اللجنة التنفيذية عاجزة أمام محاولة بريطانيا إيجاد أحزاب موالية لها. كما أن الأحزاب والجماهير بدأت تتجاوز اللجنة التنفيذية التي وقفت عاجزة أمام المحاولات البريطانية الرامية إلى شق الصف الوطني، ووقفت كذلك اللجنة التنفيذية عاجزة أمام تطور الأحداث السياسية الخطيرة في فلسطين مما حدا بعدد من الوطنيين التصدي لانقاذ الوضع.

فقد دعا هؤلاء في مؤتمر لهم في نابلس عقد ١٠ آب ١٩٣١ حضره مندوبون عن معظم أرجاء فلسطين إعلان الأضراب العام يوم ١٥ آب ١٩٣١.

أن قرارات مؤتمر نابلس أجبرت اللجنة التنفيذية إلى الاجتماع بها والانضمام إليها وصدر قرار بالإضراب العام المشترك في ٢٣ آب ١٩٣١ ولما توفي موسى كاظم الحسيني أثر اعتداء عليه من السلطات البريطانية، انحلت اللجنة التنفيذية وبقيت زمرة بسيطة تتلقى المعونة من المحسنين.

ولما ثبت للجنة صعوبة صمودها في الساحة أصدرت قراراً في ٨ آب ١٩٣٤ دعت فيه الكتل السياسية المختلفة إلى تأسيس أحزاب وجماعات سياسية مختلفة لخدمة البلاد طبقاً للمناهج الوطنية.

١ - الحزب العربي:

لقد فضلت العديد من الشرائح الاجتماعية الاعتماد على بريطانيا وعدم معاداتها حفاظاً على مواقعها الوظيفية في أجهزة السلطات البريطانية آنذاك[١]، فتقدم كل من أمين

(١) يوسف عبدالمنعم الزين - لمحة عن الأحزاب العربية الفلسطينية ١٩٠٩-١٩٤٨ (مرجع سابق)، ص: ٧٠. =

عبد الهادي ونجيب نصار وعبدالله مخلص ورسية نصار في ٢ تشرين ثاني عام ١٩١٨ إلى الحاكم العسكري البريطاني في حيفا، بمذكرة طالبين فيها تأسيس الحزب العربي (الموالي لبريطانيا) ضد الصهيونية، وكان هؤلاء من كبار التجار والملاكين والمثقفين الذين تلقوا علومهم في المدارس التبشيرية، ولم يكونوا يتدخلون في السياسة ولم يستمر الحزب أكثر من ثلاث شهور.

ومع تطور الأحداث وتواطؤ بريطانيا مع الصهيونية أضطر أعضاء الحزب إلى تقديم مذكرة احتجاج بهذا الخصوص للسلطات البريطانية عام ١٩١٩. وقد قرر الحزب الاندماج بالجمعيات الإسلامية المسيحية في كافة أنحاء فلسطين.

٢- الحزب الوطني:

عقد الحزب مؤتمره الأول في مدينة القدس في ١٩ تشرين ثاني عام ١٩٢٣ بزعامة عارف باشا الدجاني، وتم اختيار الشيخ سليمان التاجي الفاروقي رئيساً للحزب.

اتخذ الحزب من سياسة الاعتدال شعاراً له على قاعدة (خذ وطالب)، هذا وقد اشترك في الحزب رؤساء بلديات وأعضاء لجان حكومية وأعضاء سابقون في المجلس التشريعي والمجلس الاستشاري وبعض الوجهاء، وقد كان مركز الحزب القدس، وله فروع صغيرة في الرملة والناصرة وحيفا وعكدا والخليل وطولكرم وغزة، وكان مبادىء الحزب «السعي للوحدة، وعدم الاعتراف بتصريح بلفور ومقاومته، وسن دستور مطابق لنزعات الأمة، وأموالها، ورفض الدستور الذي وضعته السلطات، وتأييد مجلس قيادي يشكل حكومة وطنية، وقبول ما يمكن قبوله وما يمكن الحصول عليه من الحكومة»[١].

٣- حزب الزراع:

تأسيس هذا الحزب في أوائل تشرين ثاني من عام ١٩٢٤ في مدينة نابلس بالاتفاق مع بريطانيا والصهاينة، وقد انتشر في قرى نابلس وجنين - وكان ينادي هذا الحزب بضرورة التعاون مع بريطانيا، بل نادى كذلك بإقامة علاقات مع اليهود، وكان يدعو إلى إثارة

---

(١) صحيفة «مرآة الشرق» تشرين ثاني عام ١٩٢٣.

النعرة بين القرويين والمدنيين واعتمد على المخاتير. وقد انتهى أمره سريعاً بعد أن تم اغتيال أحد أهم مؤسسيه فارس المسعود من قبل الوطنيين المناضلين.

٤- حزب الأهالي «الحزب الديمقراطي»:

تأسس في مدينة نابلس في أواخر نيسان عام ١٩٢٥ من أبرز أشخاصه المؤسسين عبد اللطيف صلاح وعادل زعيتر وكانت أهدافه إصلاح الخلل الذي طرأ على الحركة الوطنية.

وقد قام الحزب ببعض النشاط السياسي، فقدم المذكرات والمطالب، واحتج على موقف سلطات الانتداب المنحازة وأخذ نشاط الحزب يتضاءل في عام ١٩٢٧م[1].

٥- الحزب الحر الفلسطيني:

أنشأ هذا الحزب في يافا من قبل بعض كبار رجال السياسة، وكبار التجار مثل عبد الرؤوف البيطاروالفرد روك وعبد اللطيف أبو خضرا والشيخ عبد القادر أبو رباح وموسى الكيالي.

وحين تأسيسه كانت الحركة الوطنية تعاني من ضعف وانشقاقات وقصرت الوظائف الحكومية والمشاريع العامة على اليهود وقد تشعبت ميادين هذا الحزب بين الأنشطة السياسية، والاقتصادية والعلمية.

ومن أبرز ما طالب به الحزب إسقاط مطلب الوحدة العربية والتأكيد على عدم وجود أية صلة أو اشتراك بينه وبين الأحزاب السياسية في البلاد العربية.

لم يعمر هذا الحزب طويلاً، وبقي حزباً محلياً في يافا ولم يكن له رئيس بل هيئة إدارية.

٦- حزب الشباب:

لقد انخرطت عام ١٩٢٩-١٩٣٤ قطاعات واسعة من الشعب في النضال ومنها الشباب.

فالشباب الفلسطيني هم أول من أسس حركة منظمة للشباب.

وقد اتخذ تنظيم الشباب أشكالاً عديدة منها تنظيم الأخوان المسلمون وارتبطت بجمعية الشبان المسلمين في مصر ورفعت على الصعيد السياسي شعارات معادية للاستعمار.

---

(١) يوسف عبد المنعم الزبن - الأحزاب العربية الفلسطينية (مرجع سابق)، ص: ٧٧.

وقد عقد أول مؤتمر للطلاب في مدينة نابلس في ايلول (سبتمبر) عام ١٩٢٩، ثم تلته مؤتمرات في بقية مدن فلسطين.

وكان من أهم قرارات هذا المؤتمر طلب بأن يكون النضال ضد السلطات البريطانية ويتم بمقاطعة أعمال السلطة الرسمية، والعمل على منع تسرب الأراضي لليهود، ودعم الاقتصاد العربي.

وقد عقد المؤتمر الأول لشباب فلسطين عام ١٩٣٢ برئاسة الخالدي وقد ضم شباب فلسطين على اختلاف مبادئهم ونزعاتهم[١]. وبحث المؤتمر في مشاكل عدة، كالتعليم القومي وتشجيع الانتاج الصناعي الوطني وتبني الميثاق القومي. أسس مؤتمر الشباب أو ما عرف فيما بعد حزب الشباب عمله التنظيمي على أساس الفرع.

وقد تبلورت حركة الشباب في مؤتمرها الثاني في حيفا والذي عقد عام ١٩٣٥. وكان الحزب ينادي بالوحدة العربية.

تأسيس الحزب العربي وبقية الأحزاب الفلسطينية في الثلاثينات

نظراً للشلل الذي منيت به اللجنة التنفيذية[٢] العربية في فلسطين، فقد دعت، في أحد اجتماعاتها، إلى تأليف أحزاب «وطنية متجانسة، وانتخاب لجنة تنفيذية جديدة، نظراً لصعوبة العمل، بل لاستحالته تقريباً، لأن اللجنة الحاضرة غير متجانسة ومفككة، ولذلك، بدأ الوطنيون يعملون على تأليف حزب وطني يضم المخلصين المتجانسين في الفكرة والعقيدة الوطنية»[٣]، وقد أدى تأسيس المعارضة لحزب الدفاع إلى حفز هذا الإتجاه، فوجد المجلسيون أنفسهم مضطرين لتأسيس حزب خاص بهم، هو الذي اتخذ اسم الحزب العربي الفلسطيني، على أن يشمل دستور حزبهم مبادىء الميثاق الوطني .

---

(١) عادل حسن غنيم – الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٧– ١٩٣٩ –القاهرة – ١٩٣٦، ص:٧٩.

(٢) جمال قدورة – نشوء الأحزاب الفلسطينية – حزب الدفاع العربي شؤون فلسطين، العدد ١٤٢/١٤٣ كانون الثاني وشباط ١٩٨٥، ص:٧٦،٧٧.

(٣) دعوة مباركة إلى تأليف حزب جديد – الجامعة العربية – العدد ١٥٥٣ تاريخ ٢٦/٣/١٩٣٥.

الفلسطيني[١]. ولتحقيق هذا الغرض، تألفت لجنة عقدت عدة اجتماعات في دار روضة المعارف في القدس، بين السادس عشر والثالث والعشرين من شباط (فبراير) ١٩٣٥. وكانت هذه اللجنة مكونة من كل من جمال الحسيني، محمد إسحق درويش، فريد الغبشاوي، موسى الصوراني، كامل الدجاني، خالد الفرح، ميشيل عازر، علي رضا النحوي، حسن الحافظ جرار، عبد الله الجودة، فؤاد عطا الله، صالح عون الله، شحادة حسونة، عبد الحي عرفة، حنا خلف، طلال عابدين، أحمد حجة، موسى عيسى عابدة، أميل الغوري[٢].

وكثمرة لمداولات هذه اللجنة، تشكلت لجنة الحزب التحضيرية من كل من جمال الحسيني وإميل الغوري (القدس)، وفريد الغبشاوي ومصطفى بُشناق وجمال القاسم (نابلس)، ويوسف ضياء الدجاني ويوسف عاشور وكامل الدجاني والشيخ راغب أبو السعود وميشيل عازر وخالد الفرخ (يافا)، ومحمد علي التميمي وفؤاد عطا الله وأحمد الإمام (حيفا)، وحنا خلف وصالح عون الله (الناصرة)،وموسى الصوراني، ويوسف العلمي، ويوسف الصايغ (غزة)، وشحادة حسونة وأسعد حجازي (اللد)، وعلي علاء الدين (الرملة)، وطلال عابدين وعبد الحي عرفة (الخليل)، وآخرين[٣] وهذه اللجنة هي التي تولت وضع الخطوط العريضة للبرنامج السياسي وللقانون الداخلي للحزب[٤].

وفي ٢٢/ ٣/ ١٩٣٥ عقد جمال الحسيني لقاء مع الصحافيين في منزله في القدس، وتلا عليهم البيان التالي:

«قررت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني السابع، وفي اجتماعها الأخير، أن تدعو البلاد إلى تأليف أحزاب وطنية متجانسة في الميول والمبادىء العامة، لكي تتمكن، بعد

---

(١) كامل الدجاني - مقابلة شخصية - بيروت، تاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٩٨١ وكذلك إميل الغوري فلسطين عبر ستين عاماً - الجزء الأول - بيروت -دار النهار لنشر ١٩٨٢، ص: ١٩٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٩٣، ١٩٤.

(٤) Porath Yahoshoua, The Emergency of th palestine Arab National Movement Vol. 2 1929-1939, London: Frank Cass and Company 1977.P.75.

ذلك، من جمع ممثلين لهذه الأحزاب للقيام بالأعمال الإجتماعية العامة التي تتطلبها حالات البلاد السياسية من وقت لآخر، فتنفيذاً لهذا القرار، عقد بعض الأخوان المتجانسين في المبدأ والأساليب الوطنية عدة اجتماعات، وضعوا فيها مشروع تأسيس حزب جديد يضم إخوانهم في العقيدة والأسلوب، كي يتمكنوا من تنظيم عملهم حسب الطرق والأنظمة القويمة التي تمكنهم من القيام بالأعمال التي ترتضيها عقائدهم ومبادئهم الوطنية»[١].

☆ الحزب العربي:

مؤتمر ظهور الحزب:

عينت الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٧ آذار (مارس) ١٩٣٥، موعداً للإجتماع في فندق الأوقاف لمن يعتقد فيهم الميل والتجانس في المبادى والأهداف، من أجل إنشاء حزب يهدف إلى خدمة البلاد البعيدة عن المطامع الشخصية والمآرب الحزبية، والعمل مع أي شخص أو هيئة أو حزب لمصلحة القضية العامة، بعيدين عن إلحاق الضرر بهذا الوطن العزيز[٢].

تم عقد الاجتماع في المكان والزمان المحددين، وغصت القاعة بالحضور الذي زاد على ألف وخمسمائة شخص، وفق بعض المصادر[٣]، والذي بلغ ١٥٧١ شخصاً بالتحديد، وفق مصادر أخرى. وهم زعماء ومحامون وأطباء وعلماء ورؤساء الشيوخ والعشائر وكبار التجار، وجميعهم متجانسون في المبدأ والعقيدة، وممن لم يتدنسوا بأعمال الخيانة[٤]. وكان عدد من الأفاضل يستقبلون المدعون بالإضافة إلى فرق الكشافة بألبستها الجميلة، المصطفة على الجانبين بنظام دقيق محافظة على النظام، وتستقبل المدعوين. وقد غطى المهرجان مندوبو الصحافة العربية في فلسطين والخارج[٥].

---

(١) جمال الحسيني «الدعوة إلى تأليف حزب جديد» الجامعة العربية، العدد ١٥٥٣ تاريخ ١٩٣٥/٣/٢٦.

(٢) دعوة مباركة، مرجع سابق، كذلك «دعوة إلى حزب جديد» فلسطين العدد ١٥٥٣، تاريخ ٢٤ر٣/ ١٩٣٥.

(٣) Porath Vol. 2,Op. Cit. p. 75.

(٤) الغوري - مرجع سابق، ص:١٩٦.

(٥) الجامعة العربية - العدد ١٥٥٤ تاريخ ٢٩/ ٣/ ١٩٣٥.

افتتح المؤتمر الوجيه يوسف ضياء بك الدجاني باسم اللجنة التنفيذية بقوله:

«أيها السادة، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، فاتباعاً لهذه الآية الشريفة، فكر فريق من أبناء هذه الأمة الكريمة بوجوب العمل المنتج، وقام يدعو إلى عقد مؤتمر يجمع شتاتها ويفكر فيما وصلت إليه حالة البلاد من البؤس والشقاء ويعمل على تخفيف الآلام التي تعانيها. وقد عقد هذا المؤتمر بحضوركم يا نخبة رجال فلسطين. وإني أشكركم لتجشمكم مشاق السفر والحضور إلى هذا المؤتمر، وقد أنابتني اللجنة التحضيرية أن افتتح هذا المؤتمر المبارك، ولذلك فإني باسم الله تعالى افتتح هذا المؤتمر، وأرجو الله تعالى أن يكلل أعمالكم بالنجاح والتوفيق. أن اللجنة التحضيرية قد انتخبت خمسة أشخاص ليقوموا بالأعمال الكتابية، وهم السادة: كامل الدجاني وإميل الغوري وعبد الله السمارة، وخالد الفرخ، وجمال القاسم، فليتفضلوا للقيام بعملهم»[1].

ثم أعلن إميل الغوري عن انتخاب جمال الحسيني رئيساً مؤقتاً للمؤتمر، وسأل عمن يعارض ذلك فأجيب بالموافقة الأجماعية، وهكذا تم تعيين رئيس المؤتمر الذي جلس على المنصة في المكان المحدد له وبالأسلوب نفسه، عين الفرد روك نائباً للرئيس[2] وكان اختيار الفرد روك لهذا المنصب ذا مغزى واضح، فهذا التاجر والمزارع الكبير كاثوليكي المذهب. وقد جسم وجوده في قيادة الحزب التضامن الإسلامي - المسيحي، وأظهر أن المجلسيين غير متعصبين دينياً على الرغم من وجود رجالات دين في صفوفهم، كما أعطى مصداقية لدعوة الحزب، وقبله المجلسيين، لحماية الأماكن المقدسة إزاء الخطر الصهيوني.

بعد اختيار الرئيس ونائبه، شكر جمال الحسيني الحضور على ثقتهم بهما، ثم طالبهم بالوقوف دقيقتي صمت إجلالاً لأرواح الشهداء. واستشهد الحسيني بعبارة اشتهرت عن موسى كاظم باشا الحسيني، سبق أن قالها حين استفسر المندوب السامي البريطاني عن

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

صحته: «قولوا له أن لا يسأل عن صحتي، بل يسأل عن حالة الأمة التي وصلت إلى الدرجة الأخيرة من الضنك والشقاء»[١]. ثم تعاقب الخطباء على الكلام: فتحدث قاسم آغا النمر، وهو الذي كان رئيس السنّ للمؤتمر[٢]، وبعده كامل الدجاني الذي قرأ مشروع دستور أعده ليصبح دستور الحزب[٣] كما تحدث الشيخ حلمي المحتسب فجاءت كلمته بمثابة عظة دينية تحرض ضد بيع الأراضي والسمسرة[٤]. أما إميل الغوري، فتحدث عن تدفق الهجرة اليهودية على البلاد، والأضرار الناجمة عنها[٥]، وتحدث أيضاً، عبد المطلب فضة عن طرق تهريب اليهود إلى فلسطين، وذكر أن مدينة صيدا اللبنانية شركة أقيمت لهذا الغرض[٦] ودعا أحمد الحسين الغول، في كلمته، إلى العمل الجدي لخلاص الوطن. وذلك عن طريق جمع التبرعات المالية، بل أنه أعلن عن بداية حملة لجمع التبرعات وافتتحها من جانبه بالتبرع بجنيه واحد، داعياً الحاضرين للاقتداء به، فجمع ٥٧٤ جنيهاً و٢٥٠ مليماً، منها ١٠٣، جنيهاً تبرع بها محيي الدين الحسيني وحده، ثم تعهد الشيخ محمود الدجاني بإيصال المبلغ المجموع إلى ٦٠٠ جنيه[٧].

تأليف اللجنة التنفيذية:

أعلن الرئيس جمال الحسيني أن القانون يجيز انتخاب عضوين من كل قضاء لتأسيس الفرع في ذلك القضاء، وذلك ممن تتوسم فيهم روح النشاط والعمل، وليس على أساس الوجاهة والمظاهر الخداعة. ويبدو أنه حصل بعض الخلافات حول انتخاب الممثلين، فاقترح بعضهم زيادة التمثيل لكل قضاء إلى ثلاثة لحل بعض الإشكالات[٨]. وأخيراً،

---

(١) الجامعة العربية – العدد ١٥٥٤ تاريخ ٢٩/ ٣/ ١٩٣٥.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الدجاني كامل – مرجع سابق.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه.
(٨) المصدر نفسه.

ترك لكل قضاء أن يختار عدد ممثليه، فأما أن يكونوا ثلاثة أو اثنين، فقدمت بعض الأقضية ممثليها ووعدت الأخرى بالقيام بذلك حتى الساعة التاسعة مساء، لأن اللجنة التنفيذية ستعقد اجتماعها في ذلك الوقت في كلية روضة المعارف في القدس، وذلك كما جرى، مثلاً بالنسبة لمندوبي قضاء المجدل الذين وقع خلاف فيما بينهم حول تسمية ممثليهم[١].

شكر جمال الحسيني الحاضرين على ثقتهم الغالية وعاهدهم على المضي في الإخلاص والتضحية في سبيل الله والوطن، ثم أقسم الجميع على ما يلي:

«الحرية حقي، والاستقلال غايتي، والعربية مبدئي، وفلسطين موطني، وليس لغير العربية فيها مقام. بهذا آمنت وعلى الأخلاص لمبادىء الحزب العربي الفلسطيني المنطوية على هذه المبادىء الشريفة أقسمت... عليّ في ذلك عهد الله وميثاقه، والله على ما أقوله شهيد»[٢].

كانت للحزب غايات استقلالية وقومية في مواجهة الانتداب والصهيونية، وقد حدد القانون الداخلي للحزب هذه الغايات بما يلي:

«أ- استقلال فلسطين ورفع الانتداب.

«ب- المحافظة على عروبة فلسطين ومقاومة تأسيس وطن قومي لليهود.

«جـ- ارتباط فلسطين بالأقطار العربية في وحدة قومية سياسية مستقلة استقلالاً تاماً.

«د- تحسين حالة الأمة العربية في فلسطين، اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً»[٣].

وأراد الحزب جمع كل القوى العربية في فلسطين، وتوجيهها في سبيل تحقيق مراميه، ومن ثم الإستعانة بالعالمين، الشرقي والغربي، من أجل تحقيق الوعود الإستقلالية التي أعطيت للعرب من قبل حكومة الانتداب، ومن ثم مقاومة عمليتي

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) الجامعة العربية العدد ١٥٥٤ تاريخ ٢٩/ ٣/ ١٩٣٥.

(٣) عيسى السفري - فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، يافا - مكتبة فلسطين الجديدة - ١٩٣٧، ص٢٤٥.

الاستيطان والهجرة اليهودية، وبالتالي تعزيز الروابط الفكرية والاقتصادية بين البلاد العربية والاتصال بالأحزاب الوطنية العربية[١].

ومن أجل تقوية شعبية الحزب، فلسطينياً وعربياً، اعتمد أسلوب إنشاء الفروع في الأقطار العربية، وفي المهجر، بالإضافة إلى تركيزه على مدن وقرى فلسطين حيث بلغت سبعة عشر فرعاً[٢].

يقسم أعضاء الحزب إلى فريقين: مؤازر، وعامل، شريطة أن يكون العضو عربياً. والعضو المؤازر هو الذي يناصر الحزب ويساعده مادياً وأدبياً. أما العضو العامل فهو الذي نال ثقة اللجنة التنفيذية بعد ترشيحه من قبل الفرع ويدفع الرسوم المتفق عليها. ويقسم العضو اليمين الذي ذكر آنفاً. وفي حالة تعرض العضو للفصل لسبب ما يتنافى مع مبادىء الحزب، يعطي له أمر الدفاع عن نفسه حتى تثبت براءته أو تؤكد تهمته.

ومن جهة تنظيم دوائر الحزب، فهي مركزية، ومؤلفة بشكل هرمي من القاعدة إلى القمة، أي من اللجان الفرعية والفروع ومكتب الحزب واللجنة التنفيذية. والأخيرة تعقد اجتماعاتها دورياً كل شهرين، أو عند الحاجة الملحة بأمر مكتب الحزب. أما مكتب الحزب فهو يخلف اللجنة التنفيذية في قيادة الحزب أثناء غيابها مستعيناً بقراراتها ومقررات المؤتمر، وهو يحفظ وينظم أوراق الحزب وملفاته ووثائقه ويعد الميزانية السنوية للحزب[٣].

أما مالية الحزب، فأنها تأتي من الرسوم والتبرعات والرواتب. فرسم الدخول لا يقل عن مائة مليم، والراتب الشهري لا يقل عن عشرين مليماً، بالإضافة إلى رسول إضافية تفرض على أعضاء اللجنة التنفيذية ومقدارها مائتا مليم لصندوق المركز العام[٤].

---

(١) عبد الوهاب الكيالي - وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨-١٩٣٩ بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية - ١٩٦٨، ص: ٣٦٠.

(٢) الغوري - مرجع سابق، ص: ١٩٨.

(٣) النص الكامل لقانون الحزب العربي الفلسطيني ونظامه الداخلي في الجامعة العربية العدد ١٥٥ تاريخ ١/ ٤/ ١٩٣٥.

(٤) المصدر نفسه.

وقد ضمت اللجنة التنفيذية للحزب العربي الفلسطيني، عند تأسيسه، كلاً من، محمد إسحق درويش، أحمد حسين الغول، سعيد خلف، عبد الرحيم الطبجي، يوسف رضا الدجانيّ، يعقوب برتقس، الشيخ راغب أبو السعود الدجاني، يوسف عاشور، علي الدباغ، فريد العنبتاوي، عبد الرحيم التميمي، مصطفى البشناق، صدقي ملحس، محمد الفارس، فهمي العبدالله، جمال القاسم، الشيخ عز الدين القسام (الذي ورد اسمه في قائمة أعضاء اللجنة، وأن اختلفت الآراء بشأن حزبيته، ذلك أن أكثر من حزب ادعى انتماءه إليه). كما ضمت اللجنة أيضاً، فؤاد عطا الله، حكمت النملي، محمود رشدي الخياط، أحمد العكي، علي رضا النحوي، عز الدين قدورة، صدقي الطبري، إسماعيل القره شولي، حنا خليف، صالح عون الله، سعيد عبيد الزعبي، فريد فخر الدين، مبارك الزعبي، محمد صالح الغزاوي، حسن الشامخ، سعيد الملبوني، نافع العبوشي، عبد العفو أمين، حسن الحافظ جرار، عبد الله السمارة، الشيخ يوسف القبج، يونس العمر، عفيف الحاج إبراهيم، شحادة حسونة، أسعد حجازي، اسكندر الحبشي، علي علاء الدين، سليم أبو شرخ، سليم الشريف، موسى الصوراني، يوسف الصائغ، محمد الريس، إبراهيم الصانع، يوسف العلمي، حسين أبوستة، شفيق مشتهى، بترو ترزي، محمد علي الجعبري، رشاد الخطيب، أحمد حجة، طلال عابدين، يوسف خميس، عبد الحي عرفة، محمد حجازي، موسى عيسى عابد، نقولا شاهين، اسكندر بدر، اسكندر الخوري، جودت الحلبي، صبري خلف، أحمد خميس، حنا خلف، عبد الله الجودة، صالح الريماوي. كما ضمت اللجنة عدداً من مشايخ العشائر وآخرين[١].

نشاطات الحزب:

تنوعت نشاطات الحزب العربي. منها ما يتعلق بافتتاح مراكز الفروع وحشد الجماهير، وأخرى تقوم على رفع المذكرات الاحتجاجية إلى الحكومة البريطانية وإلى اللجنة الدائمة للانتدابات، ومنها الاتصالات بالعالمين العربي والإسلامي، حين يتطلب الموقف ذلك.

---

(١) الغوري، مرجع سابق، ص: ١٩٧و١٩٨.

أما بخصوص إقامة المراكز للحزب، فقد كانت الترتيبات تجري لحشد أكبر عدد ممكن من الجماهير لتعبئتها. لذلك، كانت الخطة ترمي إلى المرور بالقرى والمدن المجاورة لمكان افتتاح الفرع، لتجميع ما أمكن من الأنصار والمؤيدين والسير معاً، حيث مكان الافتتاح، كما حصل في حفلة افتتاح فرع الحزب في الناصرة، عندما مروا ببلدة جنين، وتناولوا مشروب الضيافة ثم تابعوا سيرهم إلى الناصرة، حيث كان في استقبالهم حنا خليف رئيس الفرع وصالح عون الله سكرتيره وصالح الصفدي وغيرهم. وكانت الخطابة وسيلة الحزب لإثارة عواطف الجماهير، وتوضيح غايات الحزب والأخطار المحدقة بالبلاد، خاصة ما يتعلق ببيع الأراضي وتدفق الهجرة اليهودية، ثم تعاقب على الكلام كل من رئيس فرع الناصرة حنا خليف وسكرتير الفرع صالح عون الله ومنيف الحسيني وإميل الغوري وجمال الحسيني. وبعد الانتهاء من حفل الافتتاح، اجتماع أعضاء وفد القيادة في بيت عثمان آغا عون الله، وبحثوا عدة أمور منها تأليف الفتوة وتنظيم أعمال الحزب وإرسال مذكرات إلى الحكومة تتعلق بحالة المعارف في البلاد، وغيرها من المقررات[١].

استخدم الحزب العربي كل وسائل الإثارة والتشويق والحشد أثناء افتتاح المراكز كما حدث في مهرجان بيسان الكبير، فقد اشترك فيه الفرسان على الخيول المطهمة، وقاموا بألعاب الفروسية وسط الزغاريد الحماسية. وكانت الشخصيات الحزبية الكبيرة تنتقل مع رئيس الحزب، حاشدة كل الطاقات من أجل جمع أكبر شعبية ممكنة. وقد تناوب على الكلام كل من عضو بيسان في اللجنة التنفيذية، فريد فخر الدين، ورئيس الحزب جمال الحسيني، والشيخ يونس أبو الرب. وتطرق الخطباء إلى السمسرة والخيانة والمفاسد الأخرى التي تجب محاربتها. كما تحدثوا عما تعانيه البلاد من أعمال غير قانونية يقوم بها المسؤولون عن الأمن والنظام والقانون، وتمنوا التوفيق للحزب لما فيه خير البلاد[٢].

كذلك اتجه نشاط الحزب نحو العالمين العربي والإسلامي، فعندما تكررت اعتداءات اليهود على الأماكن المقدسة ومحاولتهم اقتحام الحرم الإبراهيمي ودخول المسجد

(١) الجامعة العربية - العدد ١٦٩٨ تاريخ ١/ ١٠/ ١٩٣٥.
(٢) المصدر نفسه - العدد ١٧٠٠ تاريخ ١٥/ ١٠/ ١٩٣٥.

الشريف بالقوة، وزع الحزب رسالة على العالمين العربي والإسلامي، موضحاً اعتداءات اليهود المتكررة على الأماكن المقدسة، وشارحاً موقف السياسة البريطانية في مواكبتها للخطة الصهيونية في تثبيت أقدام اليهود في البلاد المقدسة، وطالباً يد العون والمساعدة لمنع الظلم والعمل على بقاء فلسطين عربية تنعم في قداستها وآثارها الدينية، كما جاء في الرسالة.

ثم تناول الحزب أزمة المدارس في البلاد وانتقد السياسة البريطانية في موقفها من الخطة التعليمية حيث تجاهلت خطتها التثقيفية التي تبنتها العام ١٩٢٠ -١٩٢١ وذلك ببناء مدرسة كل أسبوع، فرفع الحزب مذكرة إلى المندوب السامي، موضحاً تقصير الحكومة بحق أولئك الذين يريدون الارتشاف من مناهل العلم والمعرفة لعدم وجود مدارس تؤمن لهم سبل تثقيفهم وذلك لإهمال دائرة المعارف. وطلبت المذكرة تسليم العرب هيئة المعارف الخاصة بهم، أسوة باليهود. مع جزء معين من ميزانيتها وصلاحيات واسعة لمحاربة الجهل والأمية والقضاء عليهما[١].

ومن نشاطات الحزب، أيضاً، إنشاء فرق الفتوة المؤلفة من الشبان ذوي الأبدان القوية، ففي الحفلة التي أقامتها جمعية الشبان المسلمين في يافا لافتتاح بنايتها الجديدة، تكلم عبد العزيز الثعالبي عن أهمية الشبان وأثرهم في بناء الوطن، ثم تبعه جمال الحسيني الذي أوضح أسباب تأليف فرقة الفتوة وغاياتهاو وأن الحزب عازم على تأليف الفرق لرد الأذى عن البلاد التي تكالب عليها المستعمرون والطامعون[٢]. وقد اختلف المؤرخون حول مصدر فرق الفتوة، فقال أحدهم إنها مأخوذة عن النازية[٣]. وآخر ذكر أنها مشابهة لمجموعات في سورية والعراق[٤]. وثالث رأى أنها مقتبسة عن الميليشيا المصرية لتستغل قوة الشبان وحماسهم لمصلحة الوطن[٥].

---

(١) الجامعة العربية - العدد ١٦٩٩ تاريخ ١٤/ ١٠/ ١٩٣٥.

(٢) فرق الفتوة في فلسطين ووجوب الإسراع في تشكيلها - المصدر نفسه العدد ١٧٢٨ تاريخ ١٧/ ١/ ١٩٣٦.

(٣) Porath, Col. 2,Op, Cit, p76.

Hurowizt J.C. The stimgle for palestine, New York W.W. Norton and Company 1950, p.61.

(٤) الجامعة العربية - العدد ١٧٢٨ تاريخ ٢٧/ ١/ ١٩٣٦.

(٥) أكرم زعيتر - مقابلة شخصية - بيروت، تاريخ ١٥/ ١/ ١٩٨٢.

ويبدو أن فرق الفتوة ذات أصول عربية ولا علاقة لها بالنازية، فقد انتشرت في العراق في بداية الثلاثينات، قبل قيام الحزب الهتلري، وقامت على أساس عسكري ولها رتب عسكرية، وكان رئيسها وزير المعارف حينذاك. كما قامت في سوريا، أيضاً، وكانت تسمى جماعة «القمصان الحديدية»، حيث كان لون القمصان رمادياً يشبه الحديد، والحديد يوحي بالقوة، وكانت تلك الفئة تابعة للكتلة الوطنية في سوريا[١] ومن الجدير بالذكر، أنه أنشئت في العام ١٩٣١ منظمة مؤلفة من الشبان الأقوياء الشجعان برئاسة المرحوم عبد القادر الحسيني، نجل موسى كاظم الحسيني، قبل قيام هتلر، ثم تطورت هذه إلى المنظمة الجهاد المقدس، وأصبح لها سبعة عشر فرعاً في مدن فلسطين وقراها[٢].

أن فرق الفتوة كانت تلبية لحاجة الشباب الفلسطيني للتنظيم وتقوية الروح الوطنية وتنمية الشعور القومي وتوجيه الوجهة الصحيحة وتكتيل الشباب في بوتقة واحدة والوقوف في وجه الاعداء الذين يتحينون الفرص، ولذلك قامت في فلسطين حوالي ثلاثين فرقة من الفتوة[٣].

ويمكن هنا، بمقالات الاستقلاليين وغيرهم عن الشبان وأهمية دورهم في بناء الوكن، وقد نشرت قبل قيام هتلر، وقد جرى التركيز في كتابات الكثيرين من المفكرين الفلسطينيين على الشبان، ومن هؤلاء الكتاب محمد صلاح وحلمي أبو شعبان وشكري قطنية ومحمد علي الصالح وأكرم خالدي وهاشم السبع وحسن صدقي الدجاني وسامي الحسيني ورشاد الخطيب[٤].

ولعله من الجدير بالذكر أن هتلر أعجب بشجاعة شعب فلسطين وصموده، حيث خاطب شعب السوديت بقوله: «تشبهوا في نضالكم بالفلسطينيين قليلي العدد وكثيري الشجاعة، الذين يتحدون، في حربهم غير المتكافئة، الإمبراطورية البريطانية واليهودية العالمية وانصارهما مجتمعين . . . اجعلوا هؤلاء الأبطال مثلاًلكم»[٥].

---

(١) الغوري - مرجع سابق، ص:١٥٦و١٥٧.
(٢) ملف ت١، قسم الوثائق، مركز الأبحاث - بيروت.
(٣) أكرم زعيتر - مذكرات قبل خمسين سنة - القدس - العدد ٢٤ تاريخ ١/٢/١٩٨١.
(٤) فلسطين - الهيئة العربية العليا لفلسطين السنة ١٧ العدد ١٨٢ تموز وآب ١٩٧٧، ص:٩.
(٥) الغوري - مرجع سابق، ص:٣٦.

هذا، وقد شاركت فرق الفتوة في ثورة ١٩٣٦ حيث قامت بدور فعال، تأكيداً للغاية التي أنشئت من أجلها.

ومن أبرز نشاطات الحزب، أيضاً، مساعيه لانقاذ الأراضي. فقد تفرغ الحاج أمين الحسيني، وهو الأب الروحي للحزب ورئيسه الفعلي، لتخليص الأراضي من السماسرة، وطلب من الوعاظ والمرشدين تركيز دعواهم على الاحتفاظ بالأراضي وان يقصروا عنايتهم على هذه الناحية النبيلة. كما أنه دعا مخاتير ووجهاء وعلماء القرى المجاورة للقدس إلى اجتماع عام عقد في كلية روضة المعارف الوطنية في القدس ضم أربعمائة شخص، حيث نوه سماحته بالأخطار الناجمة عن تسرب الأراضي إلى اليهود، معلناً أن الخزي والعار واللعنة، في الدارين، ستكون من نصيب السماسرة ومروجي البيع مستشهداً على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكان لهذا الاجتماع أهمية كبرى، حيث اتخذت القرارات التالية[١].

«أ- تحريم بيع الأرض للمهاجرين الصهاينة واعتبار الباعة والسماسرة خارجين عن الدين الإسلامي، ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين.

«ب- مطالبة الحكومة البريطانية بوقف عمليتي الهجرة الصهيونية وتسرب الأراضي، وإصدار قانون لحماية المزارعين الصغار من جشع الأغنياء والملاكين الكبار.

«جـ- توجيه نداء إلى الملوك والأمراء والرؤساء العرب إلى المسلمين حول الخطر الصهيوني.

«د- إنشاء شركات وطنية وحض الأهلين على تشجيعها.

«ر- تألي جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لمتابعة تنفيذ تلك القرارات، وقد اختير المفتي رئيساً لها».

ومن الملفت للنظر أن يصدر قرار يطالب بحماية الفلاحين من جشع الاقطاعيين والأغنياء، ولكن من يحميهم؟ اتحميهم حكومة الانتداب التي سنت كل القوانين

---

(١) السفري - مرجع سابق، ص:٢٢٩.

لأفقارهم وعملت على اضطرارهم لبيع أراضيهم من أجل التخلص من الضرائب الباهظة التي اثقلت كاهلهم؟ أو يحميهم كبار الملاكين الذين كانوا في صفوف الحركة الوطنية والذين كانوا يستغلونهم لمآربهم الشخصية؟ ولكن موقف العلماء ورجال الدين كان عين الصواب، لأن صغار المزارعين والفلاحين كانوا يعانون من اضطهاد مزدوج، أي من حكومة الانتداب وكبار الملاكين والأغنياء، فكان أمرهم يستحق هذا الاهتمام[١].

ثم أن الحزب العربي اهتم بأمر السجين أحمد طافش، المحكوم بسبب اضطرابات البراق العام ١٩٢٩، فأرسل مذكرة إلى المندوب السامي يذكره بأن قراري العفو والتخفيض لم يشملاه، ولذلك من الواجب تدارك السهو وإصلاح ما بدر من حرمان هذا الإنسان الوحيد بين جماعته الذين عفي عنهم[٢]. كما أن الحزب العربي كان يزود بعثات طلاب وأساتذة الجامعات الأميركية، عندما يصلون إلى القدس، بالوثائق والمعلومات اللازمة لتوضيح القضية الفلسطينية وخطر الصهيونية وبطلان أقاويلها[٣].

وهناك من يرى أن النشاط الرئيسي للحزب العربي يكمن في إرسال المذكرات والاحتجاجات المرفوعة إلى الحكومة البريطانية، وإلى اللجنة الدائمة للأنتدابات. وقد اتمت اتصالات الحزب بالعالم الكوثوليكي بواسطة الفرد روك، ومع البلاد الإسلامية من خلال المفتي الحاج أمين الحسيني وجمال الحسيني، سواء باتصالاتهما المباشرة أو بمراسلاتهما. وقد توطدت علاقة المفتي مع عبد العزيز ابن سعود، خاصة بعد أن ترأس وفد المصالحة بينه وبين الإمام يحيى في اليمن في ٢٠ آيار (مايو) ١٩٣٥ ونجح في ذلك[٤].

---

(١) ناجي علوش – الحركة الوطنية الفلسطينية (١٨٨٢-١٩٤٨) - بيروت – مركز الأبحاث م. ت. ف. ١٩٧٤، ص٧٤.

(٢) أعمال الحزب العربي الفلسطيني – الجامعة العربية – العدد ١٦٠٦ تاريخ ١٣/٦/١٩٣٥.

(٣) عادل غنيم – الحركة الوطنية الفلسطينية – ١٩١٧- ١٩٣٩، القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤، ص٢٨٢.

(٤) ESCO Foundation for Palestine, Palestine, Astudy of Jewish Arab and British Policies, Vol, 2. New Haven: Yale, University press, 1947

آراء حول الحزب:

لم تطبق قوانيين الحزب، سواء من حيث الأمور المالية أو المؤتمرات الحولية أو انتخاب الهيئات الإدارية، بل أن مركز القيادة يعتبر أن الشعب الفلسطيني موافق على برامجه السياسية ومواقف قادته ومستعد لتلبية النداء عند الضرورة[١].

وهناك من يرى أن قيادة الحزب كانت مزدوجة، فالحاج أمين الحسيني فهو الرئيس الاسمي والظاهري، وأن المفتي كان يرى من الأنسب عدم ظهوره على المسرح السياسي، نظراً لمقامه الديني، بالرغم من نشاطه السياسي وهو في سن الشباب حيث انتخب رئيساً للنادي العربي الذي كان منبر الحركة الوطنية حينذاك[٢]. ثم اشتراك المفتي في أحداث نيسان (إبريل) ١٩٢٠ وإتهامه بتحويل المهرجانات الدينية إلى مظاهرات وطنية، وحض المحتفلين على الثورة والعصيان مما جعل السلطات البريطانية تحاول القبض عليه وتحكمه غيابياً مدة خمسة عشر عاماً [٣]. كما أنه ساعد الثورة السورية في العام ١٩٢٥ حيث زود الثوار السوريين بالمال والسلاح، وأصبحت القدس مركزاً لتوجيه الثورة السورية[٤].

ويرى آخرون أن الحزب العربي كان من أكثر الأحزاب السياسية اعتدالاً في منهجه[٥]. ويأخذ فريق ثالث على الحزب أنه، بالرغم من تعبئته وتنظيمه للشعب الفلسطيني وتنبيهه للأخطار المحدقة به، وما ينتظره من محن، لم يحدد الخط العملي الذي يؤدي إلى تحقيق الأماني الوطنية. كما يأخذون عليه أنه، بالرغم من إدراكه ضرورة

---

(١) صرقة – مصدر سبق ذكره، ص: ٢٧٢.

(٢) الغوري ـ مرجع سابق – ص: ٣٧.

(٣) إميل الغوري – المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين ومحمد العرب– القاهرة – دار النيل للطباعة ١٩٥٥، ص: ٥٧، ٥٨.

(٤) خيرية قاسمية – فلسطين في سياسات الدول العربية – ١٩٢٠ –١٩٤٨. المستقبل العربي العدد ٢١ تشرين الثاني ١٩٨٠، ص: ١٩.

(٥) نبيل الآغا – الشهيد عبد القادر الحسيني – بيروت – المؤسسة العربية للدراسات والنشر– الطبعة الأولى – نيسان ١٩٨٠ – ص: ١٩.

مساعدة الدول العربية للوقوف أمام الزحف الاستعماري والصهيوني، لم يعمل على تنظيم قواه مع القوى العربية التي كان بإمكانها مساندة الحركة الوطنية الكائنة في الوطن العربي، لتنسيق الجهود لمواجهة المعتدلين، وعلى الأقل للتعاون الاقتصادي رغبة في الحفاظ ومنع تسربها(١).

وهناك من يرى أن الحزب العربي كان أكثر الأحزاب قوة وانتشارا. فهو عبارة عن حركة شعبية، وهو يضم المتصلبين الذين ساهموا في بداية الحركة الوطنية وفي بداية الحركة الوطنية وفي الانتفاضات المتكررة خاصة ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩. ولم يقبلوا التساهل مع حكومة الانتداب أو الحركة الصهيونية.

وبالإجمال، فإنه كان ينظر إلى الحزب العربي على أنه المنقذ من الوضع الذي يعاني منه الشعب، وأنه سد أمام التحركات الإستعمارية والصهيونية، وذلك عن طريق نشاطاته المتنوعة خاصة في قيادته للثورة الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٩)، حيث كانت الآمال معلقة على قيادته بتحقيق المطالب الوطنية(٢).

وخلاصة القول أن المفتي كان الأب الروحي للحزب العربي. وكانت للحزب آمال وطنية وقومية وإستقلالية. كما اهتم الحزب بالأمور السياسية والثقافية والأجتماعية والأقتصادية، وقدم المذكرات إلى حكومة الانتداب، وأجرى اتصالات بالعالمين العربي والإسلامي حيث اعتبر بمثابة حزب الشعب.

ولعل الظروف العامة التي أحاطت بالحزب العربي تبرر بعض ما حصل من هفوات تتعلق بتطبيق دستور الحزب، فيما يتعلق بالانتخابات أو الأجتماعات الدورية أو بالناحية المالية.

وبالرغم من عدم ظهور تنسيقه مع الأحزاب العربية الوطنية لما يعود بالخير العميم على القضية الفلسطينية، سواء من ناحية محاربة بيع الأرض أو الحد من تهريب اليهود عبر البلدان العربية المجاورة لفلسطين، إلا أنه حارب السماسرة، وباعة الأرض، وأصدر

(١) غنيم - مرجع سابق، ص: ٢٧٢.
(٢) صدقة - مرجع سابق، ص: ٢٧٢.

فتاوى تحريمية خدمة لتلك الأغراض، وأفرز جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتطبيق ما يعود بالنفع على الفلسطينين خاصة فيما يتعلق ببيع الأرض والسمسرة، ثم أنه أنشأ صندوقاً وطنياً لشراء الأرض المعرضة للبيع ونقض عقوداً كانت معدة لبيع الأرض لليهود.

ولا يسعنا أخيراً إلا التنويه بالجهود الجبارة لقادة الحزب في توجيه الثورة الكبرى العام ١٩٣٦-١٩٣٩، والتي اقضت مضجع حكومة الانتداب والحركة الصهيونية.

حزب مؤتمر الشباب:

تحول مؤتمر الشباب إلى حزب سياسي:

في سياق حركة تكوين الأحزاب، وما رافقها من نشاط سياسي بارز، عقد مؤتمر الشباب اجتماعاً في الحولة تقرر فيه تأسيس شركة لانقاذ الأراضي، وخاصة أراضي الحولة، من الوقوع في أيدي اليهود. وحدد المجتمعون لهذه الشركة رأسمال قدره ١٠٠ ألف جنيه، إلا أنه تعذر جمع هذا المبلغ لأسباب عديدة، منها كثرة الجهات التي أعلنت مسؤوليتها عن جمعه، فلم تتحق الغاية التي أنشئت الشركة من أجلها[١].

وفي ١٠ أيار (مايو) ١٩٣٥ عقد مؤتمر الشباب اجتماعاً آخر في حيفا. وكان هذا الاجتماع حاشداً، فقد ضم ألف شخص من مدن وقرى فلسطين ورئسه الحاج محمد يعقوب الغصين.

أما زعيم الحزب، الغصين، فهو من أغنياء فلسطين ومن كبار ملاكي البيارات في وادي جنين، وكانت له مكانة مرقومة منذ أيام العثمانيين. وقد اهتم الغصين بالناحية الاقتصادية في الريف، وبالعمل على مقاومة تسرب الأراضي إلى اليهود. وأشهر ما قام به الغصين في الأزمة الاقتصادية العام ١٩٢٥ عندما لازم مكاتب البنك العربي في القدس ليقنع مواطنيه بعدم سحب أرصدتهم منه[٢].

وفي هذا الاجتماع جرى الإعلان عن تأسيس الحزب، أو عن تحول المؤتمر إلى حزب. كما أعلن عن بقاء الهيئة السابقة التي كانت قد انتخبت في ٥ أيلول (سبتمبر)

---

(١) بيان نويهض الحوت - مرجع سابق: ص: ٢٦١.

(٢) ESCO Foundation, Vol 2. Op. Cit. P.P. 676 -677.

١٩٣٢[١]. ومن أبرز أعضائها بالإضافة إلى الرئيس، كل من سعيد الخليل وسليم عبد الرحمن وفريد فخر الدين وصليبا عريضة ونمر المصري وعاصم بسيسو ومحمد علي الغصين وزيد عمورة وعاطف نور الله وأدمون روك ويوسف عبد عيسى دهمش[٢].

وقد اتخذت في الاجتماع القرارات التالية[٣]:

١- تنظيم الشباب في مدن وقرى فلسطين.

٢- توحيد الجهود لدرء الخطر المحدق بالبلاد.

٣- الاهتمام بالمشاريع الاقتصادية والعمرانية.

٤- تقوية الروح الوطنية بالخطب والمحاضرات.

٥- نشر الدعاية للقضية الفلسطينية، داخلياً، وخارجياً، وتوثيق العلاقة مع الأقطار العربية الشقيقة.

٦- الاهتمام بالأراضي والتمسك بها، وتأسيس شركة لأنقاذ الأراضي المعروضة للبيع بصورة إضطرارية.

٧- العناية التامة بالمعارف والتعليم القومي.

٨- تنظيم العمال داخل نقابات في كل بلد لدراسة مشاكلهم والأخذ بيدهم.

٩- إقامة «صندوق الشباب» وجعل أول تموز (يوليو) من كل عام عيداً قومياً تجمع فيه الأموال للمشاريع القومية.

١٠- العناية التامة بالحركة الكشفية، وإقامة المخيمات لها لأن المخيمات نواة الحركة الكشفية.

---

(١) Hurewitz, Op. Cit. P.68.

(٢) الغوري - فلسطين عبر ستين عاماً - مرجع سابق، ص: ١٩٥.

(٣) السفري - مرجع سابق، ص: ١٦٧ -٢٠١.

مواقف حزب الشباب:

أهتم حزب مؤتمر الشباب بعدة أمور، منها:

١- **تكريم الشهداء**: وذلك بإقامة احتفالات تكريمية لوطنيتهم واستشهادهم في سبيل وطنهم، فقد أقيم احتفال في صفد، حضره وفد من شباب يافا، من بين أعضائه سليم عبد الرحمن وسعيد الخليل ونمر المصري وفريد فخر الدين، وآخر من عكا مؤلف من أحمد العكي ومحمود الغندور وإحسان الجراح وأحمد العفيفي وخيري القبلاوي وغيرهم، بالإضافة إلىأهالي صفد. وبعد تكريم الشهداء من قبل الخطباء سليم عبد الرحمن ورؤوف حجازي ونمر المصري والإشادة بصمود السجناء الذين لم يفرج عنهم، أرسل المجتمعون برقية إلى المندوب السامي يذكرونه بالمعتقل أحمد طافش الذي كان ضحية أحداث ١٩٢٩[١] ثم عقد المجتمعون صلحاً بين آل النحوي وآل قدورة، حيث تمت المصالحة بين زعيمي العائلتين علي رضا بك النحوي والشيخ أسعد قدورة، وتقرر مساعدة السجناء الذين أطلق سراحهم، ريثما يجدون لهم عملاً مناسباً. ثم تمت الموافقة على تقديم المساعدات لأتباع سلطان باشا الأطرش، نظراً لخدماتهم الجليلة ومواقفهم الوطنية، فتعهد فريد فخر الدين بتقديم خمسين جنيهاً من بيسان، وتعهدت جريدة «الكرمل» بفتح اكتتاب باسم سلطان باشا الأطرش وتحويل المبلغ على البنك العربي في عمان[٢].

٢- **الناحية الثقافية**: اهتم الحزب بالناحية الثقافية لأبناء فلسطين، فقدم رئيسه محمد يعقوب الغصين مذكرة إلى المندوب السامي موضحاً عدم كفاية المدارس الرسمية لثلث طلاب فلسطين، مما أدى إلى انتشار المدارس الخاصة لمحاربة الأمية والجهل، كما وضّح أن المعونة المالية التي تدفعها الحكومة عن كل تلميذ، البالغ قدرها عشرون قرشاً، تعتبر ضئيلة، وأن المبلغ المناسب هو جنيه واحد، لأن ما توفره الحكومة سنوياً يبلغ الخمسة ملايين جنيه، مع العلم بأن الضرائب الباهظة تؤخذ من الآهلين، في حين أن بعض الأموال تصرف في أمور لا تنفعهم. وشجعت المذكرة على الأهتمام بتلك الأمور، وإلا فستلجأ المدارس الخاصة إلى مواقف تكفل لها حقوقها[٣].

---

(١) الكرمل الجديد - العدد ١٩٧٣ تاريخ ٢٢/٦/١٩٣٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) محمد يعقوب الغصين - مؤتمر الشباب والمدارس - العدد ١٩٨٠ تاريخ ١٠/٨/١٩٣٥.

٣- الأماكن المقدسة: اهتم الحزب بالأماكن المقدسة، وشجب السياسة الحكومية المؤيدة لليهود، فقد بعثت اللجنة التنفيذية لحزب مؤتمر الشباب مذكرة إلى فخامة القائم بأعمال الحكومة حول اعتداءات اليهود على العرب، شرحت فيها تكرار مثل تلك الحوادث دون تقدير العواقب الوخيمة التي تنتج عنها، وعدم تحرك الحكومة لوقف مثل تلك الأعمال المخلة بالنظام، بينما أظهرت حكومة تسرب اليهود المهاجرين غير الشرعيين. كما طلبت المذكرة من الحكومة كبح اليهود ومعاقبة المعتدين، لأن أي تهاون من السطات البريطانية سيؤدي إلى نتائج سيئة، لكون العرب ليسوا بالضعفاء ولا بالذين يقبلون الاعتداء عليهم في عقر دارهم. وبينت المذكرة، كذلك، أن من أسباب التصرفات العدائية ضد اليهود، ما يعود إلى موقف الحكومة العاطفي تجاههم وتصريحات الكثيرين من النواب البريطانيين المشجعة لهم، ولذلك يجب معاقبة اليهود المعتدين وتفتيش المستعمرات اليهودية وجمع ما بحوزتهم من أسلحة، ومنع الهجرة الصهيونية لأن البلاد ضاقت بهم، وضرورة إعادة النظر في السياسة البريطانية المؤدية إلى الضرر بالعرب واليهود والبريطانيين معاً [١].

٤- تنظيم الشباب: عقد حزب مؤتمر الشباب اجتماعاً في ٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٥، حضره أعضاء اللجنة التنفيذية، ورؤساء وسكرتيرو الفروع في مختلف مدن فلسطين وقراها، حيث اتخذت الخطوات التالية[٢]

أ- تشكيل حاميات عربية لرد اعتداءات اليهود، على أن تشرف لجان المؤتمر في كل بلد على تنظيم تلك الحاميات .

ب- ان ينتدب وفد يمثل الهيئات والأحزاب لمقابلة المندوب السامي في فلسطين ، وتقديم مذكرة تتضمن طلب توظيف بيع الأرض لليهود ومنع الهجرة كلياً ، وبالاضافة الى تشكيل حكومة وطنية نيابية.

---

(١) محمد يعقوب الغصين «مذكرة مؤتمر الشباب» العدد ١٩٨٤ تاريخ ١٩٢٥/٩/٧، ص:٨.

(٢) المصدر نفسه.

جـ- تأييد الهيئات الدينية والشعبية في البلاد ، تلك المطالب في ذات اليوم الذي تقدم فيه المذكرة .

د- استنفار شباب فلسطين لما يمليه عليه الواجب الوطني .

هـ- الاتصال بالدول الاسلاميه المشتركة في عضوية جمعية الأمم لتأييد قضية فلسطين .

ثم أرسل المجتمعون برقية . استنكاراً لاعتداءات اليهود على الحرم الابراهيمي وتحميل حكومة الانتداب نتيجة الأعمال متضمنه ما يلي :

« شباب العرب المجتمعون في مكتب لجنتهم التنفيذية يستنكرون اعتداء اليهود على الحرم الابراهيمي الشريف واستخفافهم يشعور العرب والمسلمين ويحملون الانتداب نتيجة هذه الأعمال التي تقود البلاد الى اسوأ الحالات [١].

ملاحظات حول حزب مؤتمر الشباب

لقد وجهت بعض الملاحظات الى قرارات مؤتمر حزب الشباب ، منها أنه يجب تنظيم الشبان في الأندية الرياضية والفتيان في الفرق الكشفيه ، وصهر الأحزاب السياسية في بوتقة واحدة تنفذها لجنة تنفيذية عليا تمثيلاً خالصاً للوطن قبل تأليف الحاميات التي يجب أن تكون غايتها منع كل تجاوز يهودي على الحقوق والمصالح والممتلكات العربية، ومن ثم مجابهة أصحاب النفوس الضعيفة الذين يتعاونون مع العدو حباً لمنصب أو جاه أو مصلحة خاصة[٢]. ثم وضع خطة لمنع بيع الأرض، وذلك عن طريق تنظيم الشعب تنظيماً يرهب السماسرة، وتأليف شركة لأنقاذ الأراضي المعرضة للبيع بصورة اضطرارية ثم توقيف الهجرة اليهودية، وذلك بالوقوف سداً منيعاً أمام الحكومة عن طريق التصميم على الانتصار أو الموت الزؤام، لأن الموت بحراب الظلم أشرف من السكوت عن سياسة الوطن القومي اليهودي[٣].

---

(١) اتحاد الأحزاب ، قرارات مؤتمر الشباب – المصدر نفسه العدد ١٩٠ تاريخ ١٩/ ١٠/ ١٩٣٥ .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) اتحاد الأحزاب – قرارات مؤتمر الشباب – المصدر نفسه العدد ١٩٩٠، تاريخ ١٩/ ١٠/ ١٩٣٥ .

وما يجدر ذكره، أن حزب مؤتمر الشباب كان يميل لصالح المجلسيين بالإضافة إلى الحزب العربي[١].

وخلاصة القول، أن حزب مؤتمر الشباب هو امتداد لمؤتمر الشباب الذي تكون في العام ١٩٣٢ برئاسة يعقوب الغصين. وقد اهتم بتنظيم الشباب عن طريق إنشاء الفرق الكشفية وحراسة الحدود لمنع تسرب الهجرة ونبذ السياسة الحكومية المؤيدة للصهيونية، كما أنه اهتم بالحياة الاجتماعية والثقافية، فاصلح بين العائلات المتخاصمة، وطلب من الحكومة العناية بالمدارس وزيادة المعونة المالية التي تدفعها عن طلاب المدارس الخاصة. كما أنه وجه عناية للأماكن المقدسة والاحتفاظ بالأراضي خوفاً من تسربها إلى اليهود. وهكذا فإن اهتمامات الحزب كان منصبة على الأمور الأقتصادية والثقافية والدينية والاجتماعية معاً.

☆ حزب الاصلاح:

ظروف تأليفه:

بعد ظهور أحزاب الدفاع والوطني ومؤتمر الشباب، عقد حسين الخالدي مع بعض مؤيديه اجتماعاً في بيت الوجيه إبراهيم حقي بك التاجي، وذلك في ٧ حزيران (يونيو) ١٩٣٥. وكان بين المجتمعين ثلاثة من رؤساء بلديات المدن الهامة في فلسطين، هم حسين الخالدي، رئيس بلدية القدس، وفهمي الحسيني، رئيس بلدية غزة، وعيسى البندك، رئيس بلدية بيت لحم. وتدارس المجتمعون ضرورة تأسيس حزب سياسي خاص بهم. ثم عقد اجتماع آخر موسع حضره مئة شخص بضمنهم من حضروا الاجتماع الأول، وذلك في ٢٢ حزيران (يونيو)، في رام الله، حيث أُعلن عن تأسيس حزب الاصلاح بعد انضمام ثلاثة رؤساء بلديات جدد، هم رؤساء بلديات كل من عكا ورام الله وبيت جالا. وقد انتخبت في هذا الاجتماع لجنة تنفيذية من عشرة أعضاء، هم إسحاق البديري وفهمي الحسيني وسعد الله قسيس وحسني خليفة والحاج نمر حماد والمحامي جورج صلاح وإبراهيم حقي التاجي الفاروقي وعيسى البندك وحامد عمر ويعقوب برتقس[٢].

---

(١) الدجاني – مرجع سابق – كامل خلة، فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢-١٩٣٩ – بيروت– مركز الأبحاث – م. ت. ف. ١٩٧٤ ص ٢٣٢.

(٢) السفري – مرجع سابق، ص:٢٤٦.

أما رئاسة الحزب فأنيطت بثلاثة سكرتيرين، هم حسين الخالدي ومحمود أبو خضرة وشبلي محمد. وكان حسين الخالدي هو الزعيم الحقيقي للحزب. وهو من مواليد القدس، وكان مجنداً في الجيش التركي ثم التحق بجيش فيصل بن الحسين. شغل مناصب طبية إدارية حتى العام ١٩٣٤ حين انتخب لرئاسة بلدية القدس، ثم أصبح عضواً في الهيئة العربية العليا ومديراً لمكتبها في القدس[١].

أهداف الحزب:

أما أهداف الحزب، فكانت كأهداف بقية الأحزاب الأخرى، استقلالية ووحدوية وقومية، تحارب دعائم الاستيطان الصهيوني القائمة على الهجرة وبيع الأرض، وتدعو إلى رفع مستوى الفلاح وترقية معيشته والتعاون مع بقية الأحزاب لما فيه خير البلاد. وقد تجلت تلك الأهداف في صياغة الحزب لغايته التي تحددت كالتالي:

١- السعي لاستقلال فلسطين ضمن الوحدة العربية واعتبار فلسطين جزءاً من القضية العربية الكبرى، ومقاومة السياسة الأقليمية والطائفية والعمل على تنمية الصلات السياسية بين فلسطين والأقطار العربية.

٢- السعي عند الحكومة لعقد معاهدة بين العرب والإنجليز كالمعاهدة المعقودة بين انجلترا والعراق.

٣- مقاومة مشروع الوطن القومي اليهودي بكل الوسائل الممكنة، والإلحاح على الحكومة بوجوب وقف الهجرة وبيوع الأراضي لخطرهما على كيان العرب وعلى رخاء البلاد والأمن العام.

٤- مطالبة الحكومة بتأسيس الحكم الذاتي في البلاد.

٥- العمل على إنهاض الفلاح وترقية مستوى معيشته، والتعاون مع أي حزب وطني في كل ما يقوم به من خدمات مفيدة»[٢].

لم يكن في برنامج الحزب شيء جديد ليسمى بحزب الاصلاح، فإن أهدافه شبيهة بأهداف الأحزاب الأخرى، لكنه ركز على العلاقة بين فلسطين والبلاد العربية[٣]. كما أنه

---

(١) أوراق حسين الخالدي - المذكرات (غير منشورة) مكتبة صامد - بيروت، ص:٣، و١١ و١٩٥.

(٢) حزب الاصلاح العربي الفلسطيني - المقطم - القاهرة العدد ١٤١٦، تاريخ ١٩٣٥/٦/٣٠.

(٣) ESCO Foundation, Vol 2 Op. Cit. P777.

يميل إلى الاعتدال في سياسته الداخلية، مما يدل على أنه «متحد الميول في السياسة المحلية مع الحزب العربي نتيجة لانتخابات بلدية القدس»[١].

اتخذ الحزب مدينة القدس مركزاً له، وانفرد بنوع جديد في القيادة الجماعية بشكل يختلف عن الأحزاب السابقة، ولم تتمثل في شخصية حسين الخالدي خوفاً من القول أن الهدف من إنشاء حزب إصلاح هو خدمة أشخاص أو عائلات[٢]، وقد ذكر البعض أن الهدف الأساسي من تأسيس هذا الحزب هو ارضاء طموح حسين الخالدي، لأنه بدون تنظيم حزبي سيضطر الى اتباع الحسينيين على المجلس الاسلامي الأعلى ،[٣]لكن حسين الخالدي نفى ما اشيع من أنه كان وراء تأليف الحزب ليدعم به مركزه الجديد في رئاسة البلدية ، ووضح الأسباب الرئيسية التي أدت الى تأليفه بقولة :

«قيل في الأوساط الحكومية وغيرها أنني كنت الدافع لتأسيس حزب الاصلاح لأمتن به مركزي الجديد في رئاسة بلدية العاصمة ، وكان هذا الظن خاطئاً من أساسه , لأني ، وقد حضرت اجتماعه الأول في مدينة رام اللهلم الق في الاجتماع المذكور بكلمة واحدة .ولكنني لا استطيع أن أنكر أن بعض البارزين من أعضائه في ذلك الحين كانوا من أعضاء المعارضة أو أصدقاء شخصيين لرئيسها. ولكن القسم الأعظم (هم) من الشخصيات الحيادية المحترمة، ويدل اسم هذا الحزب على الغاية التي كنا نرمي اليها. فقد آلمنا كما آلم كل مخلص، أن نرى ذلك الانقسام الخطير في الجبهة العربية، وكأننا نتمنى ما سيكون له من أثر سيء فقد حاولنا اصلاح ذات البين بين الطرفين المتخاصمين، وكانت لنا مع الطرفين اجتماعات عدة لا تزال محاضر جلساتها موجودة الى اليوم، وكان في تفكيرنا جميعاً أن نطالب بالغاء الأحزاب اذا ما نجحنا في مسعانا، ولكن العناد والتصلب، مع الأسف الشديد، بلغ أشده من الطرفين حتى وصل الجرح إلى العظم كما يقولون، ولم يكن اندماله ليتم بالسهولة التي كنا نرجوها له»[٤].

وهكذا، نرى أن تبرير تاليف حزب الإصلاح هو الحالة السيئة التي وصلت إليها البلاد من جراء الأنقسام في الجبهة العربية الفلسطينية، والفشل في تقريب شقة الخلاف بين

---

(١) محمد عزت دروزة – القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها – الجزء الأول – صيدا– المكتبة العصرية ١٩٥٩، ص:١١٨.

(٢) يعقوب خوري – حزب الأصلاح، المقطم العدد ١٤١٦٥ تاريخ ١٩٣٥/٧/٤.

(٣) ESCO Fundation Vol 2,op. Cit p, 779.

(٤) أوراق حسين خالدي – المذكرات – مرجع سابق، ص: ١٦٥-١٩٦.

الطرفين المتنازعين المعروفين بالمجلسيين والمعارضة. ولكن هل الفشل في توحيد الحزبين الكبيرين يبرر تأليف حزب جديد ليزيد في توسيع الخلاف بين أبناء البلاد، خاصة إذا عرفنا أن قسماً من المعارضة التحق بالحزب الجديد (الاصلاح)، نظراً لانتقال رئاسة البلدية إلى حسين الخالدي.

وهناك من يرى أن حسين الخالدي لم يرض أن يكون شريكاً ثانوياً لعائلة الحسيني بعد انفصاله عن عائلة النشاشيبي، نظراً لعلو عائلته على العائلة الحسينية[١]. لكن الحقائق أثبتت أن عائلة الحسيني كانت تحتل المركز الثالث من حيث الملكية بعد عائلتي الشوا وعبد الهادي، حيث كانت عائلة الشوا في غزة تملك ١٠٠ ألف دونم، وعائلة عبد الهادي في نابلس وجنين تملك ٦٠ ألف دونم، فيما بلغت ممتلكات عائلة الحسيني ٥٠ ألفاً [٢] ومن حيث المناصب، كانت الحسيني تتولى مناصب الأفتاء ورئاسة البلدية في القدس منذ أيام العثمانيين. ولكن هذا لا يعني التقليل من شأن عائلة الخالدي في فلسطين.

يبدو أن الجماعات التي وقفت إلى جانب حسين الخالدي في انتخابات البلدية والتي انفصلت عن المعارضة، وكان من بينها عدد من رؤساء البلديات، شعرت بالحرج إذا ما انضمت للمجلسين نظراً لخلافاتها السابقة معهم، كما أنها لم تستطع البقاء في صف المعارضة إلى جانب راغب النشاشيبي، فكانت النتيجة الحتمية تأليف حزب يدعم نفوذها خاصة إذا صحت محاولتها في تقريب وجهة النظر بين الفريقين المتخاصمين.

بعد تأليف حزب الاصلاح، أثيرت تساؤلات، منها: هل تفتقر فلسطين، في هذا الوقت، إلى تعدد الأحزاب وزيادة عددها أو أنها بحاجة إلى شيء آخر[٣] ثم ذكرت إحدى الصحف بأهمية وحدة الأحزاب، وذكرت، كذلك، بما لقي أعضاء الوفد الفلسطيني الأول من رعاية واحترام في دوائر لندن السياسية والاجتماعية، وكيف اتخذ مجلس الاعيان البريطاني قراراً في مصلحتهم، كما كان له وقع شديد لدى الحكومة وفي جميع أنحاء بريطانيا. ليس هذا فحسب، بل نبهت الصحيفة إلى ما أصاب البلاد من جراء تنافس زعمائها في جميع نواحي الحياة[٤].

---

(١) Porath Vol 2 Op. Cit, P77.

(٢) عنان العامري – التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠-١٩٧٠ – بيروت – مركز الابحاث– م. ت. ف. ١٩٧٤ ص:٦١.

(٣) الأحزاب في فلسطين – المقطم العدد ١٤١٦٢ تاريخ ١٩٣٥/٧/١.

(٤) المصدر نفسه.

كان مؤيدو الحزب موجودين بشكل رئيسي في القدس وغزة ويافا والضواحي[١]. وكان بضعهم متفانياً في خدمة البلاد وعلى قدر كبير من النزاهة والتضحية لأن غايته استقلال البلاد وحفظ كرامتها وتأمين مستقبل أهلها[٢].

المواقف الوطنية للحزب:

أولاً: حاول الحزب، بشخصية حسين الخالدي، حل النزاع القائم بين الفئتين الكبرتين في فلسطين من أجل مصلحة البلاد.

ثانياً: رفض حسين الخالدي، بوصفه رئيساً لبلدية القدس، طلب المندوب السامي التحدث في الإذاعة ودعوة الشعب الخلود إلى السكينة والهدوء، والكف عن القتال بعد أن فشلت السلطات البريطانية في القاء القبض على المفتي باعتباره المحرك الأول للثورة (١٩٣٦-١٩٣٩). وقد برر الخالدي رفضه بأنه مسؤول عن أعمال البلدية ولا علاقة له بالأمن العام[٣].

ثالثاً: رفض حسين الخالدي الانسحاب من اللجنة العربية العليا باعتبارها الحصن المنيع للثورة والوحدة الوطنية، فقد طلب منه ذلك قائد القوات المسلحة الجنرال دل، مشيراً إلى أن السلطات البريطانية ستعتقل جميع أعضاء اللجنة العربية العليا، فرفض الخالدي الانصياع لهذا الانذار، وقال: «لقد دخلنا اللجنة في يوم واحد، فإن انسحب هو (المفتي) انسحبت،وإلا فليفعل الله ما يشاء»[٤]. جاء هذا في الحديث الذي جرى بين الجنرال دل وحسين الخالدي في فندق الملك داود، عندما اشار دل إلى أن السلطات البريطانيةستوقف الثورة وذلك بالقاء القبض على المفتي ورجال اللجنة العربية العليا، فكان جواب الخالدي الحاسم باستحالة القضاء على الثورة، إذا لم تستجب الحكومة لمطالب العرب، وأهمها توقيف الهجرة، وإن أي اعتقال سيؤدي إلى اشعال لهيب الثورة

---

(١) Hurewitz Op.Cit. P62.

(٢) يعقوب خوري - «الأحزاب في فلسطين» المقطم، العدد ٤١٦٢، تاريخ ١/٧/١٩٣٥.

(٣) أوراق حسين الخالدي- مرجع سابق، ص: ٢٦٤.

(٤) الصدر نفسه، ص: ٤٦٥.

بشكل أكثر عنفاً وقوة. هذه الحقيقة اضطرت المستر دل للقول: «هذا ليس رأي جميع من قابلتهم لأن شخصاً عربياً أخبرني، بعزم وتأكيد، أن القاء القبض على المفتي وبعض رجال اللجنة العربية العليا سنهي الثورة في أيام أو أسابيع معدودة». فأجابه الخالدي: افعل ما تريد، ولماذا، إذن، كل هذه الخسائر في الأرواح والعتاد؟[1]. زعيم حزب الدفاع والذي انسحب من اللجنة العربية العليا.

ومما يجدر ذكره أن مواقف حسين الخالدي اثبتت وطنيته: فهو الرجل الوحيد في حزب الاصلاح الذي استمر في العمل السياسي بعد انتهاء المرحلة الحزبية كرجل مستقل، في فلسطين، وأنه مكث في فلسطين يدير مكتب الهيئة العربية العليا في القدس حتى العام ١٩٤٨[2].

أما القاسم المشترك بين حزب الاصلاح وحزب الدفاع، فهو موقفهما الايجابي من الأمير عبد الله في شرق الأردن[3].

وخلاصة القول، أن حزب الاصلاح تألف بعد فشل سعاة الخير في حل النزاع القائم بين المجلسيين والمعارضة (بمن فيهم الخالدي). عند ذلك، رأى الخالدي وأتباعه أنه من الضروري الحفاظ على وجودهم في مركزهم الجديد، في رئاسة بلدية القدس، فألفوا حزب الاصلاح بقيادة جماعية فريدة من نوعها بالنسبة للأحزاب الأخرى. أما الأهداف، فهي متشابهة مع الأحزاب الأخرى من حيث الأماني الاستقلالية والوحدة الوطنية والقومية. وقد برهنت مواقف حسين الخالدي العملية على مواقف وطنية جريئة عميقة الجذور.

☆ حزب الكتله الوطنية:

دوافع نشأته:

أصدرت فئة من أبناء فلسطين بياناً في منتصف نيسان (ابريل) ١٩٣٥ بزعامة المحامي عبد اللطيف صلاح وعبد الفتاح طوقان، في بلدة نابلس، جاء فيه:

---

(١) أوراق حسين الخالدي -المذكرات- مرجع سابق، ص: ٢٦٧.

(٢) ملف (ج) قسم الوثائق -مركز الأبحاث م.ت.ف. بيروت.

(٣) رسالة ماجستير غير منشورة -بيروت- الجامعة اليسوعية (١٩٧٩) ص: ٨٨.

«إن الحالة الحاضرة دعت البعض إلى التفكير بتأليف كتلة محايدة، تقوم بالقسط الواجب عليها من الاشتغال في الحقل الوطني، وتوحيد جبهة الدفاع، وترى أن أول واجب عليها لإن تؤلف هذه الكتلة من المخلصين الذين لا يدينون إلا بدين الوطن، ولذلك تدعو جميع الذين يعتنقون هذا المبدأ إلى الاشتراك معها لنخرج هذه الفكرة من القول إلى العمل».

وبعد أربعة أشهر من ظهور حزب الاصلاح، أي في شهر تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٥م، عقدت جماعة أطلق عليها اسم «حزب الكتلة الوطنية» اجتماعاً في مدينة نابلس حضرته وفود مدعوة من مدن وقرى فلسطين. ترأس الاجتماع عبد القادر أفندي اليوسف، بصفته أكبر الحاضرين سناً. وافتتح الاجتماع بالبسملة والوقوف دقيقتين احتراماً لأرواح الشهداء الفلسطينيين والعرب، ثم بحث المجتمعون في برنامج حزب الكتلة الوطنية حيث عدّلت بعض المواد، وانتخب عبد اللطيف صلاح رئيساً للحزب وعبد الله مخلص وعبد الله متري نائبين له، وحمدي بك النابلسي أميناً للصندوق، واتخذت مدينة نابلس مقراً للحزب، وتكونت لجنة مكتب الحزب من المنتخبين بالاضافة إلى شفيق عسل.

برر عبد اللطيف صلاح تأليف كتلته الوطنية بعدة عوامل منها:

١- علاقة البلاد بالوضع السياسي القائم على تشجيع الهجرة الصهيونية، حيث بلغ عدد المهاجرين في ستة أشهر من العام ١٩٣٥ عشرين ألفاً على الجرار.

٢- حالة الشعب الفلسطيني المهددة بالخطر والجلاء إذا ما استمرت عمليتا الهجرة وتسرب الأرض.

٣- العلاقة القائمة بين فئات الشعب الفلسطيني، ولا سيما الأحزاب التي تشكلت منذ دخول حكومة الانتداب، خاصة الحزبين الكبيرين (العربي والدفاع).

إن الدافع القوي عند عبد اللطيف صلاح لتأليف هذا الحزب هو أن تبعة الاحتراب الحزبي بين الحزبين الكبيرين لا تقع عليهما فقط، بل تتعداهما إلى الذين التزموا الصمت طوعاً أو اضطراراً. وهو يقول بهذا الصدد: «أما تبعة هذا الاحتراب واستمرار هذه الحالة

(فإنها) لا تقع على رجال الحزبين فحسب، بل تقع، بالدرجة الأولى، على الرجال الذين التزموا السكوت أمام هذه الحالة اختياراً أو اضطراراً، وكان على هؤلاء أن يستلموا العمل الذي بقي يتيماً. فها نحن، عندما شعرنا بهذا الواجب المزدوج، اتفقنا على تشكيل كتلتنا الوطنية لتقوم بالعمل المنقذ للبلاد من الحالة الحاضرة»[١].

وهناك من يرى أن الدافع إلى تأليف الحزب من قِبَل عبد اللطيف صلاح يكمن في الرغبة في ردم الهوة بين الحسينيين والنشاشيبيين وتحقيق الوحدة الوطنية[٢]. كما قيل أن الدافع وراء تأليف الحزب هو تثبيت أقدام عبد اللطيف كقائد وطني بذات المستوى لزعيمي الحزبين الكبيرين ؛العربي والدفاع[٣]. في حين قال أحد معاصريه : إن تأليف الحزب لم يخل من باعث شخصي أو سياسة محلية خاصة[٤]. هذا مع العلم بأنه أي عبد اللطيف صلاح، انشأ حزب الأهالي مع عادل زعيتر في العشرينات، لكن الحزب كان محدوداً[٥].

انتقد رئيس الحزب أسلوب الشكاوى والإحتجاجات والمذكرات التي تقدم إلى السلطات البريطانية من أجل انصاف عرب فلسطين، لأن تلك الشكاوى تقدم إلى الحكومة ضد الحكومة، «أي من المظلوم للظالم، ومن مغصوب الحق للغاصب، ومتى رؤي أن ظالماً أغاث مظلوماً أو أن جانياً رحم فريسته، فالشكوى والأنين لا يدفعان الخطر الماثل»[٦].

طرح عبد اللطيف صلاح بعض الحلول للخروج من الحالة السيئة التي تعيشها البلاد، وذلك بايجاد برنامج منظم وشامل للأعمال التي تقوي الأجسام والعضلات وتؤمن

---

(١) Hurewitz Op. Cit. P:62.

(٢) عبد اللطيف صلاح- في اجتماع الكتلة الوطنية في نابلس العدد ١٨٨-٣٠٧٢- تاريخ ١٠/١٠/١٩٣٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) محمد عزة دروزة- حول الحركة العربية الحديثة -الجزء الثالث- صيدا- المكتبة العصرية ١٩٥٩، ص: ١٨٨. Porath, Vol 2. Op. Cit. P:79.

(٥) الدجاني -مرجع سابق.

(٦) عبد اللطيف صلاح - مرجع سابق.

الصحة لأبناء المجتمع وتفتح، بالوقت نفسه، أبواب المعيشة والثروة الداخلية لتعطي القوة والدفاع أمام العدو المجهز بالعدد والعتاد والمال. تلك هي الأعمال الكشفية التي يجب توافرها في كل مدينة وقرية، وكذلك تنظيم حركة العمال والتجارة والزراعة وتشكيل نقابات منظمة، وهذا يؤدي إلى تنفيذ برنامج سياسي -اقتصادي واجتماعي بدون أية قوة مؤثرة، وبالتالي مد يد العون والمساعدة للأحزاب وللرجال العاملين في فلسطين.[١]

برنامج الحزب:

وجه رئيس حزب الكتلة الوطنية نقده إلى الشباب لأنهم لم يأخذوا دورهم الطليعي في خدمة البلاد تاركين الشيوخ يتقلدون زمام الأمور، بعكس البلاد الأخرى حيث تقاد البلاد من قِبَل الشباب، فقال: «لا يوجد بلد في العالم انتصر الشيوخ فيه على الشباب كهذا البلد، فبينما نرى الشباب في بلاد العالم هم عضلات جسم الأمة المتحركة نراهم في فلسطين غير ذلك»[٢].

وبعد أن اهتم حزب الكتلة الوطنية بعنصر الشباب، دعاهم إلى المشاركة في العمل المستند إلى برامج. ثم اهتم الحزب، أيضاً، بالصحافة، لسان الأمة، فدعاها لتلعب دورها الطليعي في تثوير النفوس والهاب المشاعر الوطنية وتشجيع الأثر المنتج، وأن يكون نقدها موجهاً إلى العمل لا إلى صاحب العمل[٣].

تضمن برنامج الكتلة الوطنية الاتصال بالعالمين الشرقي والغربي، عبر المذكرات الشهرية، لتوضيح حالة البلاد السياسية والادارية، كما أنه اشار إلى ضرورة توحيد جهود أبناء البلاد في جبهة واحدة للوقوف صفاً واحداً أمام العدو الغاشم، لأن الفرقة والاحتراب ليسا في مصلحة الوطن. كذلك، اهتم بمناصرته للجمعيات النسائية، وكل الأحزاب التي تنبذ المصلحة الخاصة وتعمل للقضية الوطنية بكل إمكانياتها، ثم اعلن عن وجود فروع له في مدن فلسطين، وله أعضاء ومناصرون، وأن لجنته المركزية تؤلف بالانتخاب من

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) عبد اللطيف صلاح -مرجع سابق.
(٣) المصدر نفسه.

جميع الفروع، وحدد اجتماعاته السنوية وعند الضرورة الملحة في إحدى المدن التي يتواجد فيها فرع للحزب[١].

أما شروط العضوية في الحزب، فهي أن يكون العضو بالغاً العشرين من عمره، وأن يلتزم بعدم التفريط بحقوق الوطن خاصة فيما يتعلق بالأرض، أي أن لا يبيع أرضاً ولا يتوسط لغير العربي في الشراء، يضاف إلى ذلك عدم الازدواجية الحزبية[٢].

ميزات الحزب:

انفرد حزب الكتلة الوطنية عن بقية الأحزاب بأن جعل مركزه مدينة نابلس. كذلك اهتم بالنصف الثاني للمجتمع الفلسطيني ألا وهو «المرأة»، حيث فتح الباب أمام النساء لتسجيل الأسماء كمؤازرات للحزب. كذلك رأى ضرورة توحيد جهود أبناء الوطن، وتقليص النزاع القائم بين الحزبين الكبيرين، العربي والدفاع، فأرسل إلى رئيسيهما، جمال الحسيني وراغب النشاشيبي، رسائل لتشكيل لجنة مؤلفة منهما بالاضافة إلى رئيس حزب الكتلة الوطنية وشخص أو شخصين آخرين ممن يتفق عليهما، للبحث في كيفية الوصول إلى تشكيل جبهة موحدة للدفاع عن الوطن[٣].

ونجح حزب الكتلة الوطنية في استمالة بعض الوجهاء والعناصر الغنية في منطقة نابلس، لكن التأييد في الناطق الأخرى كان ضئيلاً، بالرغم من وجود فروع له في بعض المناطق الفلسطينية[٤]. كما قيل أنه لم تكن هناك رابطة ظاهرة بين أعضائه[٥] وكان آخر الأحزاب الفلسطينية وأقلها شأناً[٦].

وكان موقف الحزب من النزاع بين المجلسين والمعارضة يتسم بالحياد نوعاً ما[٧].

---

(١) «برنامج الكتلة الوطنية» الكرمل الجديد - العدد ١٨٨٩ تاريخ ١٢/ ١٠/ ١٩٣٥، ص: ٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) برنامج الكتلة الوطنية، الكرمل الجديد - العدد ١٨٨٩ - ٢، تاريخ ١٢/ ١٠/ ١٩٣٥.

(٤) Parath, Vol 2, Op. Cit P: 79.

(٥) أوراق حسين الخالدي - المذكرات- مرجع سابق، ص: ١٩٦.

(٦) Parath, Vol 2, Op. Cit, P:78.

(٧) دروزة «حول الحركة العربية» -مرجع سابق، ص: ١١٨.

سلبيات الحزب:

يؤخذ على حزب الكتلة الوطنية أنه لم تكن له مطامح وحدوية عربية، إذ اكتفى بالدعوة إلى اسقلال سياسي كامل لفلسطين وإلى المحافظة على عروبتها[١] إلا أن هناك من رأى أن أهداف الحزب متقاربة مع أهداف الحزب العربي[٢] وقد رأى آخرون أن حزب الكتلة الوطنية كان أكثر فاعلية وأقل تطرفاً من الحزب العربي، واستشهدوا على ذلك بمذكرة نسبوا إلى الحزب تقديمها للمندوب السامي حول مشكلة الأرض في فلسطين. هذه المذكرة المنسوبة للحزب لا تحرّم انتقال الأرض من العرب إلى اليهود بل تسعى إلى وضع قيود وسقوف للانتقال ليس إلا. فالمذكرة تدعو إلى تحديد مساحة ثلاثمائة دونم كسقف لما يمكن أن يبتاعه مشتر واحد من الأراضي الزراعية، وتشترط أن يكون هذا المشتري مقيماً في فلسطين. أما أراضي المدن، فتجعل المذكرة السقف بالنسبة لها عشرة دونمات. كما تضع المذكرة شرطاً آخر هو أن تعطي للسكان، في القرى والمدن، الأفضلية في الشراء عند عرض أرض للبيع[٣]. والملاحظ، أن أمر هذه المذكرة لم يشع في حينه. ولم تقع أية محاولة من جانب الحزب لاقناع الرأي العام أو الزعماء الآخرين بمضمونها، بينما يستنتج بورات،وهو المصدر الوحيد الذي تحدث عنها،إن عبد اللطيف صلاح أراد من ورائها أن يجعل من نفسه زعيماً معتدلاً ومقبولاً لدى المندوب السامي، ويعزز هذا الاستنتاج أن محاولة عبد اللطيف صلاح ايجاد قاعدة حزبية لاقت نجاحاً محدوداً[٤].

وعلى كل حال، فإن الشك يدور حول صحة تلك المذكرة، والتي ذكرها بورات، وذلك للأسباب التالية:

١- لأن أهم شرط للعضوية في برنامج حزب الكتلة الوطنية هو عدم التفريط بالأرض وضرورة المحافظة عليها، وذلك بعدم البيع ولا التوسط فيه لغير العربي.

---

(١) Parath, Vol 2, Op. Cit, P:79.

(٢) حلّة - مرجع سابق، ص: ٣٧٢.

(٣) Parath, Vol, 2, Op. Cit. P: 79.

(٤) اكرم زعيتر - مقابلة شخصية - مرجع سابق- تاريخ ١٥/ ١/ ١٩٨٢- بيروت

٢- لو وجدت مثل هذه المذكرة، حقاً، لما احتفظت بها سلطات الانتداب سرية. فالسياسة البريطانية كانت تهدف لايجاد الفرقة بين الشعب الفلسطيني متحينة الفرص المناسبة، خاصة فيما يتعلق بمثل هذه الوثائق.

٣- إن الربط بين صحة تلك المذكرة والنجاح المحدود في القاعدة الحزبية ضعيف، لأن عدم الاستقطاب الشعبي للحزب يعود لعدة أسباب، منها أن ظهور الحزب جاء متأخراً، حيث كان الحزب الأخير في الظهور، وهذا يعني أن معظم الشعب أصبح مسيساً أو موزعاً حسب رغبته على الأحزاب الأخرى، فلم يبق سوى غير المتحمسين للسياسة، خاصة أنه لم يحتل منصباً أو مركزاً مرموقاً ليشجع على الالتفاف حوله لقاء المصالح الذاتية كما حصل ويحصل.

٤- نفى أحد المعاصرين والمهتمين بتلك الأمور أن يكون قد وصل إلى مسامعه أي خبر يتعلق بتلك المذكرة.

وخلاصة القول، أن حزب الكتلة الوطنية كان آخر الأحزاب الفلسطينية من حيث تاريخ الظهور في أواسط الثلاثينيات وكان من أسباب تأليفه وضع حد للاحتراب الحزبي بين الحزبين الكبيرين، العربي والدفاع، لأن المسؤولية في ذلك تتعدى الحزبين المذكورين لتشمل الذين التزموا الصمت أمام تلك الأحداث، ولكن هذا لا ينفي العامل الشخصي في تثبيت مؤسسيه بين زعماء البلاد.

لقد وضع الحزب شروطاً للعضوية، وتوسم الخير بعنصري الشباب والصحافة، واهتم بالنصف الثاني للمجتمع ألا وهو المرأة، وطلب مؤازرة العالمين الشرقي والغربي، ونبذ سياسة المذكرات الاحتجاجية حيث لا تجدي نفعاً، لأن الظالم لا يعطي المظلوم حقه إلا بالقوة.

حاول الحزب، فعلاً ايجاد تفاهم بين حزبي العربي والدفاع، وتأليف كتلة وطنية موحدة.

☆ الحزب الشيوعي:

لقد خا ، شعب فلسطين صراعاً مريراً ودامياً ضد الصهيونية، وظهر في فلسطين في بدايات الحزب من القرن العشرين عدد من الأحزاب السياسية، ومنها الحزب

الشيوعي الفلسطيني الذي وحد بين صفوف الشيوعيين العرب واليهود، وحارب الامبريالية الصهيونية[١].

وحيث أن الحزب نشأ بين العمال والمثقفين اليهود، ولأن الوعي الطبقي كان أشد بين العمال اليهود[٢]، فلقد كان الثقل في الهيكل التنظيمي للحزب يهودياً.

وقد مرّ الحزب الشيوعي في أربع مراحل:

١- الفترة التي خاض فيها الحزب نشاطه السياسي تحت اسم الحزب الشيوعي الفلسطيني وذلك للفترة ما بين ١٩٢٣م وحتى ١٩٤٣م.

٢- الفترة ما بين ١٩٤٣م وحتى ١٩٤٨ التي خاض فيها الحزب نشاطه تحت اسم عصبة التحرر الوطني في فلسطين .

٣- فترة النشاط داخل الحزب الشيوعي الأردني منذ عام ١٩٥١ إلى ١٩٨٢م.

٤- اعادة تشكيل الحزب الشيوعي الفلسطيني منذ عام ١٩٨٢م وحتى الآن.

أولاً: تأسيس الحزب لغاية انقسامه من عام ١٩٤٣م.

كان حزب (البعال تسيون) الفلسطيني الذي نشأ بين المهاجرين اليهود عام ١٩٠٦ وكان يدعو إلى تحقيق الصهيونية (البروليتارية) والحل الأشتراكي للمسألة اليهودية[٣].

وكان نشاط الحزب يقتصر على الأقلية اليهودية.

لقد حملت نشأة الحركة العمالية في فلسطين صراعاً ضد الحركة العمالية العربية ومصالحها .

وفي عام ١٩١٩ تأسس حزب العمال الاشتراكي في فلسطين من أغلبية يهودية داعياً لتحقيق ما أسماه (الصهيونية البروليتارية)، (الصهيونية الحقيقية) في فلسطين.

---

(١) الدكتور أميل توما -جذور القضية الفلسطينية-دار الجليل -دمشق الطبعة الثانية-١٨٩١،ص:٧٠٢

(٢) المصر نفسه ص:٢٠٨.

(٣) الدكتور ماهر الشريف - الأممية الشيوعية وفلسطين - ١٩١٩ إلى عام ١٩٢٨ - بيروت دار ابن خلدون - ١٩٨٠م. ص: ٢٧٨-٢٨٨.

وقد توهم الأشتراكيون أنه الممكن التوفيق بين الأشتراكية والصهيونية، وعندما خاب ظنهم تشكل مناخ للقاء جديد أسفر في المؤتمر الذي عقده ممثلوا الاتجاهين في عام ١٩٢٣ عن إعادة الوحدة للحزب والعمل تحت اسم (الحزب الشيوعي الفلسطيني) ولتجاوز أشكال «التناقض القومي» في صفوف الحركة العمالية.

دعا الحزب لإقامة جبهة أممية موحدة يهودية وعربية تناضل ضد الاستيطان الصهيوني وضد الطابع الأقطاعي للحركة الوطنية العربية الفلسطينية، داعياً جذب اليهود بعيداً عن تأثيرت الصهيونية.

وظهر مقاومة الحزب السياسية للاستيطان وتهجير السكان من خلال تصادمات عفوية (العفولة) عام ١٩٢٤، وقد نادى الحزب الشيوعي (العربي اليهودي) إلى مقاومة الاستيطان بالقوة من قبل الفلاحين العرب. ودعا اليهود إلى رفض المشاركة في ترحيل السكان عن قريتهم وقد استجاب الشيوعيون اليهود لذلك.

ولقد أثبتت انتفاضة آب عام (١٩٢٩)التناقض الحاد فيما بين الشعب العربي الفلسطيني من جانب، وبين عناصر المشروع الأستيطاني الامبريالي من جانب آخر.

ولقد اختلف الدارسون في تحديد موقف الحزب من الانتفاضة نظراً للارتباك والتناقض الذي يأتي على تحليله للأنتفاضة[١].

فبعض الدارسين رأى أن الحزب قد نظر للأنتفاضة كتعبير عن (مذبحة لليهود)، فيما رأى آخرون في موقف الحزب أنه تعبير عن انتفاضة عربية شاملة معادية للأمبريالية والصهيونية[٢]. لقد عكست آراء الباحثين الأرتباك وسوء التقدير الذي إنطوى عليه الموقف المتباين للحزب ضد ثورة (البراق)، والذي اعتبر اندفاع الجماهير من الفلاحين والبدو تحت قيادة الأقطاعيين والبرجوازيين ورجال الدين لمهاجمة المستوطنات اليهودية الفقيرة.

---

(١) ملحم ملحم - المشروع الصهيوني في الممارسة السياسية للحزب الشيوعي الفلسطيني - مجلة الوحدة - العدد ٤٦، ص:٢١٨.

(٢) الدكتور ماهر الشريف - الحزب الشيوعي الفلسطيني، وهبة البراق - مجلة شؤون فلسطينية العدد ٦١ كانون أول عام ١٩٧٦.

وتحاول التحاليل أن تبرىء الطبقة العاملة العربية وكذلك الحركة الشيوعية من مسؤولية المشاركة في الأنتفاضة.

ورغم التعثرات في تطبيق شعار التعريب، فقد صعد في عام ١٩٣٤ أول عربي إلى منصب الأمين العام للحزب وهو (رضوان الحلو) الذي أكد على أهمية الانتقال من التحريض الطبقي الأجتماعي إلى التحريض الوطني بين أوساط الجماهير العربية[١].

وفي نفس الفترة انعقد في موسكو عام ١٩٣٥ المؤتمر السابع للأممية الشيوعية الذي مثل تطوراً هاماً في السلوك التحالفي للحركة الشيوعية العالمية بطرح إقامة جبهة عمالية وشعبية موحدة ضد الفاشية والحرب، وبدعوة شيوعي البلدان المستعمرة، والتابعة إلى النضال من أجل توحيد جميع القوى المناضلة في سبيل التحرر الوطني بما فيها العناصر «القومية الأصلاحية»[٢].

وقد حاول الحزب الشيوعي الفلسطيني الأنخراط في جسم الحركة التحررية العربية في فلسطين، واعتبر الأقلية اليهودية - مرتبطة بالصهيونية - تؤدي دوراً فاشياً وأن العمال اليهود تحولوا إلى ارستقراطية عمالية[٣]، وأنهم يؤدون أدواراً تخدم الأمبريالية».

وأكد نفس البيان أن حركة الشعب الفلسطيني «لا يمكنها أن تقتصر في نضالها على الأضراب العام كشكل نضالي وحيد» وطالب بأستخدام أداة «حرب العصابات» والاقتداء «بالمثال العظيم الذي قدمه الثوار الصينيون» ودعا إلى تدمير «القاعدة الأقتصادية التي يستند إليها الغزاة الصهاينة» لقد حملت هذه المرحلة صدامية أرقى في سياسيات الحزب الشيوعي الفلسطيني، وصلت ذروتها في مطالبة أعضائه بالأنخراط في الكفاح المسلح الذي تمارسه المجموعات العربية المقاتلة أثناء ثورة ١٩٣٦. ولقد لبى عدد من الشيوعيين هذا النداء، والتحقوا بالمجموعات العربية المقاتلة، وكان في طليعتهم «نمرة عودة» عضو اللجنة المركزية للحزب.

---

(١) الدكتور ماهر الشريف - الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين (مرجع سابق)، ص: ٨٣-٨٦.

(٢) الدكتور ماهر الشريف - فلسطين والمشرق العربي في نقاشات المؤتمر العالمي السابع للأممية الشيوعية - مجلة الثقافة الجديدة - بغداد- العدد ١٢٥ - تشرين أول ١٩٨٠.

(٣) المرجع السابق، ص: ٩١.

وحين طرحت «لجنة بيل» مشروع التقسيم، كان الحزب في قائمة المعارضين له، إذ رفض فكرة إنشاء وطن قومي لليهود على جزء من أرض فلسطين.

لقد دفعت التطورات اللاحقة والصدامات العنيفة بين المستوطنين اليهود والحركة الصهيونية وبين الجماهير العربية إلى إحداث تغييرات جديدة في علاقة التجمع الأستيطاني اليهودي بمحيطه العربي، وخاصة بعد الأضراب السياسي العام الذي نفذه العرب. ولقد عززت هذه التطورات الاستقلال الذاتي للتجمع اليهودي، وعزلته عن الوسط العربي، مما دفع الحزب الشيوعي إلى إقامة قسم يهودي للحزب لممارسة سياسات الحزب داخل التجمع اليهودي. ولكن هذه الخطوة عمقت الشرخ القائم بين اليهود والعرب داخل الحزب، خاصة أن القسم اليهودي أخذ ينتهج سياسات مستقلة عن الاتجاه العام للحزب. فقد دعا القسم اليهودي إلى العمل داخل المنظمات والأحزاب الصهيونية بهدف ما أسماه سحب «العناصر الثورية» اليهودية من الحركة الصهيونية، ودعا لدعم ما أسماه «المعتدلين الصهاينة» مثل «وايزمن - بن غوريون» ضد المتطرفين «جابوتينسكي - منظمة الأرغون». ودعا إلى تشكيل جبهة شعبية متحدة تضم المعتدلين الصهاينة، في الوقت الذي كانت فيه اللجنة المركزية للحزب تعارض هذه السياسات، وترفض - بالقطع - فكرة وجود عناصر تقدمية داخل المعسكر الصيهوني. وفي عام ١٩٣٩ قررت اللجنة حل القسم اليهودي، مما تسبب بانشقاق قسم يهودي عمل لمدة عامين تحت اسم «ها أميث» أو «الحقيقة». وفي عام ١٩٤٣ كان انقسام الحزب حقيقة واقعة[١].

ثانياً: تشكيل عصبة التحرر الوطني:

- تشكيل عصبة التحرر الوطني:

في عام ١٩٤٣ تشكلت «عصبة التحرر الوطني في فلسطين» من الشخصيات والكوادر العربية المنقسمة عن جسم الحزب الشيوعي الفلسطيني، ومن عدد من المناضلين النقابيين ذوي الميول الديمقراطية. وجد السلوك السياسي اللاحق للعصبة مسارّ متطوراً في نهج الشيوعيين الفلسطينيين العرب المتصادم مع المشروع الصهيوني ومع الأمبريالية البريطانية. وفي حقيقة الأمر، فإن ولادة العصبة توافقت مع حدوث تطورات اقتصادية -

(١) الدكتور ماهر الشريف - الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين (مرجع سابق) ص: ٨٦-٨٨.

إجتماعية وسياسية هامة في بنية المجتمع العربي في فلسطين. فمن الناحية السياسية أفضت الخبرة العلمية للعمل الشيوعي في فلسطين إلى تأكيد مهمة التعريب، واعتبار الجماهير العربية الفلسطينية أداة إنجاز مهمات التحرر الوطني والديمقراطي، وبدت واضحة تماماً حقيقة ارتباط المستوطن اليهودي بالمشروع الصهيوني - الأمبريالي في فلسطين. ومن الناحية الأقتصادية - الأجتماعية. حصلت تطورات ملموسة في حجم الطبقة العاملة الفلسطينية في بداية الأربعينات، وترافق ذلك مع ظروف الحرب العالمية الثانية، وصعوبة إتصال الأنتداب البريطاني في فلسطين مع مصادره إمداده في أوروبا، واضطراره لإقامة فروع أنتاجية جديدة ومتزايدة في فلسطين لسد حاجات جيش الأنتداب، واضطراره لأستخدام فئات أوسع من اليد العاملة العربية[١]. ونرى أن هذه الظروف تتيح لعصبة التحرر الوطني الأدعاء - بحق - بأن تشكيلها جاء متوافقاً مع المتطلبات الجديدة التي باتت تفرضها عملية النمو الأقتصادي - الأجتماعي والخبرة السياسية في المجتمع العربي الفلسطيني في ظروف تأسيسها.

كما أن تشكيل العصبة من المناضلين الشيوعيين والنقابيين المجربين قد أتاح للعصبة طرح سياسات متميزة عن باقي القوى الفلسطينية السياسية في تلك المرحلة.

فلقد فضحت العصبة الصهيونية كحركة عنصرية رجعية مرتبطة بالإمبريالية، ورفعت شعار تقرير المصير للشعب الفلسطيني محددة معناه بأنه حق الشعب «بأن يصل إلى تحرره الوطني، واستقلال بلاده من كل نفوذ أجنبي واستعماري»، وكذلك حقه في تقرير «شؤونه الداخلية والخارجية وحده، وبمحض اختياره». وفند الحزب المقولة الصهيونية الزاعمة بأنها «حركة تحرر وطني» مبينا رجعيتها، وعنصريتها، ومعاداتها للديمقراطية[٢]وأشار ميثاق العصبة المقرر في شباط ١٩٤٤[٣] إلى أن العصبة تميز بين

---

(١) الدكتور إميل توما - ستون عاماً على الحركة القومية الفلسطينية - بيروت - دار ابن رشد ١٩٧٨، صفحة: ١٧١.

(٢) عصبة التحرر الوطني في فلسطين - العقدة الفلسطينية والطريق إلى حلها نقلاً عن ملاحق النصوص في كتابي: الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين مرجع سابق.

(٣) عصبة التحرر الوطني - العقدة الفلسطينية والطريق الى حلها - مرجع سابق.

السكان اليهود وبين الصهيونية، وإلى تعارض الحركة الصهيونية مع المصالح النهائية لليهود، وإلى استغلال الحركة الصهيونية اليهودية لتحقيق أهداف الأمبريالية والبرجوازية اليهودية المتواطئة معها.

وكانت العصبة هي «القوة السياسية الوحيدة التي طالبت في ظروف الحرب العالمية الثانية بضمان استقلال، وتحرر فلسطين» وأكدت على كون هذه المرحلة «مرحلة الاستقلال، والحرية» في تاريخ الشعب الفلسطيني.

وفي عام ١٩٤٥ طرحت العصبة مطلب «إقامة حكم وطني ديمقراطي مستقل يضمن حقوق السكان جميعاً»[١]. وبوسعنا أن نقرر أن هذا الشعار مثل تطوراً هاماً في الأطروحات الهدفية لنضال الشعب الفلسطيني. وإذا كانت العصبة قد دعت لنبذ أسلوب الأرهاب الفردي ودعت للتوجه نحو تطوير حركة الشعب الفلسطيني بإتجاه أن تكون حركة شعبية قائمة على «الديمقراطية في التنظيم الشعبي» فإنها - وفي نفس الوقت - رفضت قرار جامعة الدول العربية بالتفاوض مع بريطانيا والوكالة اليهودية من قبل «الهيئة العربية العليا» اليت مثلت - في تلك الفترة- قيادة الحركة العربية في فلسطين. وهاجمت بعنف قرار الهيئة عام ١٩٤٧ بالأشتراك في جولة المباحثات الثانية في لندن بفعل الضغوط التي مارستها الجامعة العربية على الهيئة[٢] وكان قرار الرفض ناتجاً عن رفض العصبة فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين. ورفضت العصبة - حتى هذا التاريخ - مشروع التقسيم. وأعتبرت أنه «يجر البلاد إلى المصائب» وأنه «يؤمن مستقبل الصهيونية»[٣] في فلسطين. وترفض التقسيم حتى تاريخ صدور قرار هيئة الأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ بالموافقة على التقسيم، حيث بينت العصبة أن هذا القرار يهدف «لإقامة دولة يهودية صرفة»[٤].

---

(١) عصبة التحرر الوطني - العقدة الفلسطينية والطريق إلى حلها - مرجع سابق.
(٢) الدكتور ماهر الشريف - الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين - مرجع سابق، ص: ١٢٤.
(٣) عصبة التحرر الوطني - العقدة الفلسطينية والطريق إلى حلها (مرجع سابق).
(٤) الدكتور ماهر الشريف - الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين - (مرجع سابق)، ص: ١٢٦-١٣٠.

=

وفي شباط ١٩٤٨ وافقت العصبة على القرار، داعية الجماهير العربية للبقاء فوق أراضيها[١]، وحصلت النكبة في أيار ١٩٤٨ وأعلن قيام «إسرائيل».

وبعد النكبة وقفت العصبة كما يقول كادر الحزب «فؤاد نصار» في مذكراته «ضد الضم للأردن»[٢] ولكن مجرد الموقف لم يستطع أن يحقق هدف إنشاء دولة فلسطينية على أرض الضفة الغربية وتقسمت العصبة.

وفي أيار ١٩٥١ قررت بقية الكوادر والأعضاء الموجودين في الضفة تشكيل «الحزب الشيوعي الأردني» والنضال من ضمنه.

ضعف اللجنة التنفيذية:

كانت اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني السابع ضعيفة التركيب، فلم تواكب تطور الأحداث، حيث ظلت تهادن سلطة الانتداب على اعتبار أن الصهيونية هي العدو فقط، بالرغم من افتضاح دور السلطات البريطانية في ثورة ١٩٢٩، وذلك باستثناء موقف زعماء حزب الاستقلال، الذين كانت دعواتهم ضد بريطانيا تملأ الصحف وأصواتهم تعلو في المهرجانات والاحتفالات.

وبعد وفاة موسى كاظم باشا الحسيني، رئيس اللجنة التنفيذية العربية، في العام ١٩٣٤، أصيبت اللجنة المذكورة بنكسة قوية، إذ أنه كان الجامع المشترك. وبوفاته، أنهار الركن الرئيسي في اللجنة التنفيذية، فقد بكاه العرب في فلسطين، وكان الكثيرون من الجاليات الأجنبية يقدرونه لما كان يمتاز به من وطنية صلبة ومرونة في التفكير والعمل وحياد مطلق وعفة في اللسان واحترام للكبير والصغير، دون أن يكترث للعنعنات الحزبية والعائلية. وكان ينتقد الفريقين الكبيرين المتعارضين لمواقفهما المتباعدة، حتى أنه هدد، مراراً بالأستقالة من منصب رئاسة اللجنة التنفيذية[٣].

---

(١) الدكتور ماهر الشريف - الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين - (مرجع سابق)، ص:١٢٦-١٣٠.

(٢) الدكتور ماهر الشريف - الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين - (مرجع سابق)، ص ١٢٦-١٣٠.

(٣) حسين الخالدي (أوراق غير منشورة) محفوظات مكتبة صامد، بيروت - ص ١٩١ - ٩١٢ - ١٩٥. =

وقد ذكر أن الأحزاب ظهرت في فلسطين بعد وفاة موسى كاظم الحسيني.[١]، لأنه لم يعد بالامكان جمع الفريقين المتخاصمين في هيئة واحدة، والاتفاق على مجلس محايد[٢]. ولذلك احتدم الخلاف بين المجلسين والمعارضة[٣]. حتى اتخذ قرار بتأليف أحزاب لعقد المؤتمر الثامن بواسطة ممثلين عن الأحزاب الجديدة. «لذلك، اشتد اليقين بعدم امكانية استمرار العمل الوطني في نطاق اللجنة التنفيذية وانبثق عن هذا اليقين خطوات في سبيل تشكل الأحزاب المتمازجة ونفض اليدين من اللجنة التنفيذية»[٤].

ولا شك في أن محاولة اللجنة التنفيذية احتواء التحرك الشعبي والالتفاف حول التحرك الثوري المتنامي قد فشلت، وذلك بسبب التغيير في توازي القوى، نظراً لبروز البرجوازية العربية صناعياً ومالياً، ونزايد عدد المثقفين العرب في المجتمع الفلسطيني وتحسسهم الخطر البريطاني الصهيوني معاً، ومقتهم التنافس العائلي الذي لا يتماشى مع الاسلوب العلمي في مواجهة العدو، يضاف الى ذلك بروز حركة العمال العرب، هذا بالاضافة الى موقف اللجنة التنفيذية العربية المهادن للسلطات البريطانية وتركيز الأنظار حول الصهونية فقط[٥].

ثم ان انتخابات البلديات في العام ١٩٣٤ نتج عنها هزيمة راغب النشاشيبي الذي تربع على سدة الرئاسة أربع عشرة سنة، منذ العام ١٩٢٠، ونجاح حسين الخالدي في رئاسة بلدية القدس والحلول مكانه.

وكانت هزيمة راغب النشاشيبي والمعارضة، بشكل خاص في الوصول إلى سدة رئاسة بلدية القدس، بمثابة تحطيم للتوزان العائلي القائم بين الكتلتين الكبيرتين،

---

(١) يعقوب خوري – الأحزاب في فلسطين – المقطم – العدد ١٤١٦٥ ، ١٩٣٥/٧/٤ .

(٢) حسين الخالدي – مصدر سبق ذكره، ص : ١٩٤.

(٣) اميل الغوري – فلسطين عبر ستين عاماً – الجزء الثاني – بيروت – دار النهار للنشر ٩٧٣، ص : ١٩١ و ١٩٢.

(٤) محمد عزت دروزة – حول الحركة العربية الحديثة – الجزء الثالث – صيدا – بيروت، – المكتبة العصرية ١٩٥٩ ، ص ١٧١.

(٥) اميل توما، ستون عاماً على الحركة القومية العربية، بيروت، م.ت.ف – دائرة الثقافة والاعلام – دار أبن رشد. ١٩٧٨، ص: ١٠٢ – ١٠٤.

المجلسية والمعارضة، منذ بداية العشرينات، لذلك كان لا بد من إيجاد ما يعوض عن تلك الخسارة، وذلك بإيجاد تكتل سياسي أو منظمة سياسية تجمع شتات المعارضة التي أصيبت في الصميم من جراء فقدان منصب الرئاسة، أولاً، وانفصال عائلة الخالدي عن المعارضة، ثانياً، وعدم استقطاب الاستقلاليين، ثالثاً، لذلك حصلت اجتماعات متكررة للمعارضة نتج عنها، أولاً: حسين الخالدي منها، وتأليف لجنة تحضيرية انبثق عنها حزب الدفاع الوطني الذي ظهر للوجود في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٤ بزعامة راغب النشاشيبي، وهو أول حزب سياسي علني ظهر بعد حزب الاستقلال العربي.

ثم توالى ظهور الأحزاب بالرغم من تشابه برامجها وأهدافها. لكن الصحف أخذت تدعو القادة السياسيين إلى العمل لمصلحة البلاد «لأن المبادىء والأصول، وأن اختلف برنامج السعي والجهاد، فهي كالجدول والأنهر تسير مختلفة في تعاريجها واتجاهاتها، ولكنها، جميعاً، تحيي العمران، وتنبع كلها من مصدر واحد هو قلب الأرض، وتسير إلى نهاية واحدة هي البحر»[١]. وهكذا ظهرت الأحزاب.

☆ حزب الدفاع الوطني:

مؤتمر الحزب وأهدافه:

بعد فشل راغب النشاشيبي في انتخابات البلديات سنة ١٩٣٤ ونجاح حسين الخالدي في رئاسة بلدية القدس، حصلت مشاروات واتصالات بين المعارضة تألفت على أثرها لجنة تحضيرية لتأليف حزب الدفاع الوطني، الذي أعلن عنه رسمياً في سينما أبولو في يافا، في الثاني من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٤. لقد حضر الاجتماع أكثر من ستمائة شخص، منهم اثنان من أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى وتسعة من أعضاء اللجنة التنفيذية العربية وخمسة من رؤساء البلديات، بالإضافة إلى عدد من الأمراء والمشايخ وزعماء القبائل[٢]. وقد ذكر أن قائمة أعضاء الحزب ضمت، أيضاً، عدداً من السماسرة

---

(١) يعقوب خوري «الأحزاب في فلسطين» المقطم العدد ١٤١٦٥، ١٩٣٥/٧/٤.

(٢) لمعرفة معظم الأسماء أنظر «مؤتمر حزب الدفاع الوطني الكبير، فلسطين العدد ٢٣٩ -٢٨١٢، ١٩٣٤/١٢/٥.

والمتعصبين الطائفيين المعروفين برجعيتهم، كما ضمت بعض الزعماء الفاشلين، وذكر، أيضاً، أن بعض هؤلاء وإلى الحركة الوطنية مع وجوده في صفوف المعارضة[1].

وقد افتتح راغب النشاشيبي المؤتمر بقوله «بالنظر لسوء الحالة التي وصلت إليها البلاد، اقترح الكثيرون من الأخوان وجوب تأليف حزب منظم، ولذلك دعوناكم لنتلو عليكم دستور الحزب الجديد الذي دعوناه حزب الدفاع الوطني، لأن الاسم الذي كان يطلق علينا في الماضي كان مغلوطاً، خلقه الأخصام، وأني أرحب بكم جميعاً، وأعلن افتتاح هذا المؤتمر باسم الوطن والعروبة»[2].

وبهذا، حاول راغب النشاشيبي تبرئة نفسه من مسؤولية تأليف الحزب بقوله «اقترح الكثيرون»، لكن الدارس لنفسيته سيدرك أنه كان لولب الحركة، وكان هدفه أن يعوض خسارته في مركز البلدية. كان زعيم المعارضة هذا يعرف الدبلوماسية جيداً، وكان يفتخر بعضيوتيه في مجلس «المبعوثان» العثماني، ولم يكن من الذين تحمسوا للثورة العربية العام ١٩١٧، بل آثر ارتباطاته بأوامر الصداقة والزمالة مع كثيرين من رجال الأتراك، وقد اشتهرت يافطة علقها في صالون بيته وفيها الشعر الذي مطلعه:

إذا هبّت رياحك فاغتنمها فإن لكل عاصفة سكون

وفي الأنتخابات البلدية سنة ١٩٢٧، كان راغب النشاشيبي يدعو لتأليف حزب، لكنه تخلى عن هذه الدعوة بعد أن نجح في الانتخابات.

ثم تكلم في المؤتمر الحاج نمر النابلسي مشيراً إلى أن أسباب تأسيس الحزب هي حالة الضعف التي أصابت البلاد وفتور الهمة بسبب تسرب الأرض وتدفق المهاجرين اليهود حتى أصبح الجلاء قريباً والبلاء عظيماً، وأن غاية الحزب هي الذود عن الوطن، ومنع بيع الأراضي التي كانت تعقد صفقاتها بمئات الدونمات، ثم تطورت بالألوف وعشرات الألوف، وأن الوطن آخذ بالذوبان كما يذوب الملح بالماء، والحكومة غافلة متغافلة، ولذا فإنهم سيعلمون جهدهم لمنع خطري الهجرة وبيع الأرض[3].

---

(١) د. أنيس صايغ الهاشميون وقضية فلسطين - صيدا - المكتبة العصرية - وبيروت منشورات جريدة المحرر ١٩٦٦، ص: ١٥١.

(٢) فلسطين العدد ٢٣٨- ٢٨١١، ٤/ ١٢/ ١٩٣٤.

(٣) فلسطين العدد ٢٣٨ -٢٨١١، ٤/ ١٢/ ١٩٣٤.

وقرأ سكرتير الحزب، مغنم مغنم، مواد الحزب موضحاً غاياته الرئيسية بما يلي:

«١- السعي لاستقلال فلسطين استقلالاً تاماً يكفل السيادة العربية، وعدم الاعتراف بأية تعهدات دولية تؤدي إلى أية سيطرة أجنبية أو نفوذ خارجي أو أي وضع سياسي أو إداري يمس ذلك الاستقلال.

«٢- تأميناً للوصول إلى الغاية المنوه عنها فيما تقدم، يسعى الحزب بجميع الطرق الممكنة التي تؤدي لتأليف حكومة وطنية، تتفق مع رغبات الشعب العربي في فلسطين، وتستمد قوتها من إدارته.

«٣- السعي لتقدم البلاد اقتصادياً واجتماعياً وزراعياً، وتحسين حالة الفلاح والعمل العربيين وترقية شؤونهما»(١).

ثم اتفق على أن تكون القدس مركز الحزب، بعد أن عرضت مدينتا يافا ونابلس، نظراً لتواجد مركزي الحكومة والمندوب السامي فيها. ثم طلب السيد حلمي الفتياني من الحاضرين القسم على عدم السمسرة «وعفا الله عما مضى»(٢) وأخيراً، أقسم الحضور القسم التالي:

«نقسم بالله العظيم، أن نكون أمناء في خدمة وطننا وأن نحتفظ بكل شبر من أراضينا وأن ننكر على كل أحد، بقدر ما نستطيع، أن يخون هذه الأمانة أما ببيع أو سمسرة والله على ما نقول شهيد»(٣).

وفي أثناء المؤتمر، طلب فخري النشاشيبي من راغب ضرورة مطالبة الحكومة بإنشاء مصرف زراعي يمكن الفلاحين من استغلال أراضيهم والمحافظة عليها. وفخري النشاشيبي، هذا، شخصية متقلبة، شارك بعنف في المرحلة الأولى من ثورة ١٩٣٦ حتى أنه دخل المعتقل، أما في المرحلة الثانية من هذه الثورة، فأصبح زعيم الثورة المضادة

---

(١) المصدر نفسه وكذلك Porath, yahoshoua: The Palestinian National Movement 1929 -1939, Vol, 2, London: Frank Cass and Company, 1977, pp. 66-67.

(٢) فلسطين - العدد ٢٣٨ - ٢٨١١ تاريخ ١٩٣٤/١٢/٤.

(٣) المصدر نفسه.

حيث قاد «فصائل السلام» المعادلة للثوار الفلسطينيين، منطلقاً، بهذا، من موقفه العدائي ضد الحسينيين، ويصف نجيب صدقة فخري النشاشيبي بأنه القائد الحقيقي لحزب الدفاع، ويقول عنه مؤرخ أجنبي أنه وضع الحزب، بشكل صريح، إلى جانب الحكومة ضد الثورة الفلسطينية، العام ١٩٣٩، كما أنه دفع الثوار إلى مناطق مكشوفة أثناء قيادته لفصائل السلام مما ساعد القوات البريطانية على مطاردتهم وتكبيدهم خسائر أثرت على معنوياتهم. ونظراً لطموحاته الشخصية، فقد فكر فخري بالأنشقاق عن راغب وتأليف حزب خاص به، إلا أنه فشل[١].

وأخيراً، وقف في المؤتمر الشيخ أسعد الشقيري مادحاً المندوب السامي، واصفاً إياه بصاحب القلب الرقيق والعطوف على العرب، وهاجم اللجنة التنفيذية معتبراً إياها غير موجودة، نظراً لعدم قيامها بأي عمل لأنها نائمة كنوم أهل الكهف[٢].

وقد تألفت الهيئة المركزية للحزب من اثني عشر عضواً [٣] بينما تكونت الهيئة العامة من خمسة وثلاثين. وقبل فض المؤتمر، أدى الحاضرون القسم التالي: «نقسم بالله تعالى على الأخلاص لحزب الدفاع الوطني ومبادئه وقواعده التي وقعت الموافقة عليها في هذا المجلس، والله على ما نقول شهيد»[٤].

أن أول ما يلاحظ على أهداف الحزب، أنها لم تشر إلى الأمنية العربية بالوحدة، كما نادى بذلك الاستقلاليون أو الحزب العربي وغيرهم، بالرغم من التلاقي مع بقية الأهداف[٥].

وقد تباينت الآراء حول تأسيس حزب الدفاع الوطني، فمنها من أشار إلى أن تأسيسه كان أول خطوة عملية في سبيل تنظيم الأحزاب الفلسطينية، وبالتالي الأسراع في عقد المؤتمر الثامن لبعث الحركة الوكنية الفلسطينية من جديد بشكل أقوى وأنشط[٦]. وهناك من رأى أن حزب الدفاع جاء تكريساً للحزبية البغيضة، فقد جمع أكثر عناصر المعارضة السابقة،

---

(١) نجيب صدقة - قضية فلسطين - بيروت - بلا نشر ١٩٤٦، ص٢٧٣.

(٢) فلسطين - العدد ٢٣٨ - ٢٨١١ تاريخ ٤/ ١٢/ ٣٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) Porath, The Palestenian Arab National Movement 1929 -1939 Vol. 2, Op.Cit. P. 67.

باستثناء عائلة الخالدي التي ساهمت في فشل راغب النشاشيبي في انتخابات رئاسة البلدية. وقد جاءت المعارضة بشكل أقوى للتعبير عن سخطها للفشل والتعويض عما فقدته، من حيث توازنها مع القوى السياسية الأخرى، فضمت من بقي مخلصاً لرئيسه راغب النشاشيبي أو من ربطتهم به رابطة العداء الشخصي للمفتي الأكبر الحاج أمين الحسيني، وليس رابطة العقيدة وطرق التفكير(١).

أن شخصيات الحزب، وقد تحدثنا عن بعضها، تنتمي إلى الطبقة الاقطاعية والغنية الممثلة بأصحاب البيارات والمقاولين والتجار(٢) ومن الشخصيات التي ساهمت في تأسيس الحزب وفي تمويله، فضلاً عمن ذكرنا أعلاه، السادة الحاج نمر النابلسي، عبد الرحمن التاجي، عبد المجيد يوسف العزة، عبد الرحمن الفرا، عبد الرؤوف البيطار، عاصم السعيد. أحمد الشكعة، الحاج عبد الرحيم النابلسي، الحاج طاهر المصري، الحاج عادل الشوا، أبناء عبد الله الصوراني، حسن صدقي الدجاني، مغنم مغنم، رشاد الشوا وعيسى العيسى(٣).

اجتماعات الحزب وبياناته

اجتمعت الهيئة المركزية لحزب الدفع برئاسة راغب النشاشيبي، وأوضح بلاغها الأول أنها درست أوضاع البلاد، وقررت الاتصال ببعض الشخصيات الهامة في البلاد، لتتزود بآرائها وخبرتها، كما أنها أبرقت إلى المندوب السامي محتجة على قتل أحد أفراد عرب الزبيدات ظلماً لتمسكه بأرضه واعتبرته في عداد الشهداء، ثم بعثت برقية أخرى إلى لجنة تأبين الأمير شاكر في عمان معزية بوفاته ومبتهلة لله بإسكانه فسيح جناته. كذلك، طلبت من المندوب السامي العمل لافراج مسجوني الأضطرابات من السجون(٤). أن هذا البلاغ الأول أصدره الحزب يعتبر إدارياً، وهو لا يطالب بوقف الهجرة اليهودية المتدفقة ولا يشير إلى موضوع الاستقلال أو الوحدة ولا يرفع شعاراً لمقامة الانتداب أو الصهيونية(٥).

---

(١) مسائل اليوم، فلسطين العدد ٢١٤ - ٢٧٨٧ تاريخ ١٩٣٤/١١/٦.

(٢) كامل توفيق الدجاني - مقابلة شخصية، بيروت ١٩٨١/٩/١. انظر أيضاً إميل توما مصدر سبق ذكره، ص: ٤٤.

(٣) بلاغ رقم ٣، سكرتيرية حزب الدفاع، مقررات حزب الدفاع الفلسطيني العدد ٦٦-٢٩٥٠، تاريخ ٣٥/٥/١٨.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) بلاغ رقم ١، فلسطين، العدد ٢٩٠ - ٢٨٦٣- تاريخ ١٩٣٥/٢/٥.

كما أن البلاغ الثاني الصادر عن الحزب، يشير إلى أن الاجتماع دام أربع ساعات، حيث أطلع المجتمعون «على المراسلات المتبادلة بين المكتب ودوائر الحكومة المختصة بمطالب الحزب السياسية المستندة إلى غايات الحزب القانونية المبينة في نظامه . . وقد بحثت الهيئة أيضاً بعض الشؤون الوطنية الهامة، واتخذت بذلك مقررات أخذ المكتب على عاتقه السعي لتنفيذها». ويبدو أن الاجتماع أهتم أيضاً، بالناحية الإدارية حيث تم تعيين رشاد الشوا مديراً لمكتب الحزب(١).

ثم عقدت الهئة المركزية لحزب الدفاع اجتماعاً ثالثاً للتداول في أمور البلاد والشؤون المتعلقة بالحزب، فجمعت مبلغاً مقداره ٧٥٦ جنيهاً لميزانية الحزب، وأقامت شركة لإنقاذ أراضي بئر السبع وقد جمع مبلغ ١١٢٠٠ جنيه فلسطيني لرأسمالها، على أن يحق لكل عربي الاشتراك في الشركة التي ستكون قيمة السهم فيها جنيهاً فلسطينياً واحداً، ثم أصدر الحزب بياناً بذلك عرف ببلاغ رقم ١٣، نفى فيه أن يكون حسن صدقي الدجاني قدم مذكرة إلى المندوب السامي باسم الحزب يطلب منه تسليم البلاد لحزب الدفاع على أساس التفاهم والتعاون مع اليهود والحكومة، لكن البلاغ تضمن مطالبة الحزب بالغاء الانتداب بصورة رسمية أمام محكمة لاهاي، ومباشرة الاتصال بكبار المحامين الأوروبيين لذلك الغرض(٢).

هذا، وقد كانت سياسة حزب الدفاع ترى أن ترويج المشاريع الاقتصادية أهم بكثير من المواقف العقيمة المعارضة للسياسة الرسمية(٣).

وبعد خمسة أشهر، وجهت الانتقادات إلى حزب الدفاع بسبب عدم ظهور أي أثر لقراراته، لا فيما يتعلق بإقامة الدعوى على حكومة الانتداب في لاهاي ولا بإنشاء شركة الأراضي، واعتبر ذلك العمل خطة للتضليل اتبعها الحزب للوصول إلى بضعة كراسي يؤمنها مستقبلاً في المجلس التشريعي(٤).

---

(١) اجتماع حزبي الدفاع الوطني، فلسطين، العدد ٢١-٢٩٠٤ تاريخ ٢٦/ ٣/ ١٩٣٥.

(٢) فلسطين العدد ٦٦ - ٢٩٥٠ تاريخ ٢٦/ ٣/ ١٩٣٥.

(٣) Porath, The Palestenian Arab National Movement 1929-1939 Volumez, Op, Cit, P. 67.

(٤) الكرمل العدد ١٨٩٦ تاريخ ٢١/ ٩/ ١٩٣٥.

وعندما نادى مؤتمر الشباب بإتحاد الأحزاب نظراً للظروف العصيبة التي تجتازها البلاد، اذاع حزب الدفاع بياناً أكد فيه موافقته على ضرورة الأتحاد، لأنه «على استعداد للتفاهم والتعاون مع سائر الأحزاب الفلسطينية والعربية على خدمة قضية البلاد القومية العربية بصورة واضحة جلية، كما وأنه على استعداد للتفاهم مع سائر الأحزاب العربية في سورية وشرق الأردن وتوحيد الخطط السياسية، بحيث يصبح في الإمكان عقد مؤتمر عربي عام يجمع كافة الأحزاب في هذه الأقطار العربية الثلاثة، سوريا وفلسطين وشرق الأردن، ويقرر الطرق الواجب أتخاذها والسير عليها للوصول إلى الغاية المنشودة، وهي استقلال البلاد العربية وحفظ كيان الأمة العربية من التشتت والأغتصاب»[١].

نشاطات الحزب:

أنشأ الحزب فروعاً قوية بأشخاصها دون أعدادها في بعض المدن الفلسطينية، منها نابلس ويافا والرملة وغزة[٢]، وهناك من يرى أن حزب الدفاع الوطني كان أقوى برجاله من الحزب العربي، ولكن وراء الحرب العربي كانت شخصية المفتي القوية[٣]. وبالرغم من ذلك، فقد كان بعض أنصار حزب الدفاع يعملون في السمسرة ويسهلون عملية بيع الأراضي[٤].

وتلقى رئيس حزب الدفاع برقية تأييد من الطلاب العرب الفلسطينيين الذين يدرسون في الجامعات الإنجليزية، وقرر هؤلاء الاتصال بالحرب لاستيفاء المعلومات حتى يقوموا الدعاية اللازمة للقضية الفلسطينية في الأوساط السياسية الإنجليزية[٥]. كذلك، تلقى راغب النشاشيبي كتاب تأييد من وجوه بيت دجن جاء فيه «القضية الفلسطينية العربية وأبناء البلاد، من شيوخ وشبان ونساء وأطفال، بحاجة شديدة إلى جهادكم الطويل

(١) راغب النشاشيبي «حزب الدفاع الوطني والموقف الحاضر» فلسطين العدد ١٨٩٦ تاريخ ١٩٣٥/٩/٢١.

(٢) المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨، بيروت - دار الطليعة - الطبعة الثالثة، ص:٨٧.

(٣) محمد عزت دروزة - القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها - الجزء الأول - صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٥٩، ص:١١٨.

(٤) الخالدي - مصدر سابق، ص:٢١٢.

(٥) فلسطين - العدد ٣٠٣ - ٢٨٧٦ - تاريخ ١٩٣٥/٢/٣.

وإتمام مساعيكم لأنقاذهم، والبلاد الشهيدة معاً. ونحن والكل جنودك، فسر على بركة الله في جهادكم، وقد أصبح كل واحد يقدر مواقفك المجيدة، سر بارك الله فيك وأبقاك الله لنا رئيساً وذخراً»[١].

وبعث راغب النشاشيبي برقية إلى المشرفين على مهرجان نابلس في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٥ بمناسبة وعد بلفور المشؤوم جاء فيها «لن تموت أمة يعرف شبابها قيمة الاستقلال، ولن تتمكن القوة من قوم يعرفون قيمة الكرامة، وما العسف والأرهاق إلا ليزيدنا عزماً وإيماناً. فلنسر على وعر الطريق، ومن سار على الدرب وصل»[٢].

ثم رد أحد أقطاب حزب الدفاع، سليمان طوقان، في خطاب له في ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٣٦، على الأدون ديزنكوف، رئيس بلدية تل أبيب الذي تهجم على الأمة العربية، فجاء في رده:

«فليعلم الأدون ديزنكوف، أن الأمة التي عرفها العالم بالأباء والكرم وحماية الجار واللاجىء المشهورة بنصرة الضعيف والأخذ بيد المظلوم، هذه الأمة التي تمتاز بهذه الخصال ليست وحشية أبداً، بل لا يجرؤ أحد في العالم أن يصفها بهذا الوصف، إلا إذا كانت الطباع الوحشية متأصلة فيه، أعلم يا دون ديزنكوف أنه لولا الحراب الإنجليزية لما تجاسرت أن تقول حرفاً واحداً ولكان للعرب معك شأن آخر»[٣].

حزب الدفاع والمفتي:

دأب حزب الدفاع على مناوأة زعامة المفتي، ووجه إليه عدة اتهامات، من ذلك إثارته موضوع غياب المفتي عن البلاد إبان الاضطرابات في العام ١٩٣٣[٤]. ومما فعله

(١) «إلى رئيس حزب الدفاع - فلسطين العدد ٣٨٤ - ٢٨٥٧ - تاريخ ٣/ ٢/ ١٩٣٥.

(٢) أكرم زعيتر - الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ -١٩٣٩ -بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٣٥ -١٩٣٩ - بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية - ١٩٨٠، ص٩.

(٣) فلسطين العدد ٤٧-٩٣٤، ٢٥/ ٤/ ١٩٣٥.

(٤) ESCA Foundation For Palestine: Palestine A study of Jewish, Arab and British Policies, Vol 2, New Haren Yale University press 1947, P773.

في سياق مناوأته للمفتي قيامه بنشر وثيقة في جريدة «الجامعة الإسلامية»، هي صورة زنكوغرافية لرسالة إلى المفتي وهي مؤرخة في ٢٠/٢/١٩٣٥ ووجه الخطورة في هذه الرسالة أنها تتحدث عن اتفاق لنشر دعاية لصالح إيطاليا الفاشية في البلاد العربية، إذ أن الزعيم الفاشي الأيطالي موسوليني كان يخشى اندلاع الحرب ويريد أن يحث العرب على مقاومة الأنجليز[١].

وتضاربت الآراء حول صحة هذه الوثيقة. فقد تصدت جريدة «الجامعة العربية» لتكذيبها في مقال جعل عنوانه «نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون». ثم نشرت «الجامعة العربية» رسائل بخط الأمير شكيب أرسلان نفسه يوضح فيها «الفارق العظيم بين الكتابين الأصليين والكتاب المزور، لاختلاف الخط واختلاف التوقيع اختلافاً ظاهراً لا يحمل أية ممارأة أو مكابرة، وكافية لأحاطته علماً، أيضاً، بمبلغ الدسيسة الدنيئة التي اقترف أثمها أولئك المزورون المضللون، الذين اتخذت التدابير لرفع أمرهم إلى القضاء لأدانتهم وإثبات أفكهم وبهتانهم»[٢].

ثم كذب إحسان بك الجابري تلك الوثيقة واعتبرها مزورة برسالة بعث بها إلى «الجامعة العربية» جاء فيها: «اطلعت على صورة الكتاب الذي نشرته جريدة «الجامعة الإسلامية» بالزنكوغراف في عددها الصادر في ١٨ نيسان، الموقع بتوقيع أخي شكيب أرسلان، فرأيي أن الكتاب مزور على لسان الأمير، وأن بعضهم اقنع صاحب «الجامعة» أن الكتاب، حقاً، هو كتاب الأمير بقصد الأيقاع بسماحة الحاج أمين أفندي الحسيني، والحق أنه ليس للأمير أو لي أي علاقة سياسية خاصة برجال إيطاليا السياسيين، وليس هناك أي اتفاق بيننا وبين رجالات إيطاليا فيما يتعلق بالسياسة الشرقية، وإذا كان قابل الأمير أو أنا، في بعض الأحيان، سياسياً إيطاليا في السابق، فإن هذه المقابلات لم تكن لها صفة تزيد عما كان لمقابلاتنا لرجال الدول الأخرى من صفات»[٣].

---

(١) الجامعة الإسلامية - العدد ٨١٣ تاريخ ١٣/٤/١٩٣٥.

(٢) الجامعة العربية - العدد ١٥٦٣ تاريخ ٢٤/٤/١٩٣٥.

(٣) عطوفة إحسان بك الجابري - يعلن أن الوثيقة مزورة «الجامعة العربية» العدد ١٥٦٣ تاريخ ٢٣/٤/١٩٣٥.

ثم دحضت جريدة «الجهاد» تلك الوثيقة بقولها: «اتصل بنا مساء أمس تلفونياً من القدس، الاستاذ منيف الحسيني وكان يخاطبنا من دار المجلس الاسلامي الأعلى وباسم الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس ومفتي القدس، وأكد لنا ما نشرناه عن الوثيقة المزورة على عطوفة الامير شكيب أرسلان الخاصة بالدعاية المزعومة لإيطاليا، وقال أن الإجراءات القانونية قد اتخذت ضد الذين الرسالة المزعومة بعد أن زوروها»[١]. وقد توالت برقيات استنكارية ضد الوثيقة على جريدة «الجامعة العربية» من الكشافة الإسلامية في حيفا، ومن منطقة الشيخ جراح في القدس[٢].

أما جريدة «دوأر هايوم»، فقد اعتبرت وعود موسوليني مزيفة لأن الأمير «كتب اعتماداً على رأيه السياسي، أما ما جاء في الكتاب عن وعود موسوليني للأمير فهو الكلام المزيف . . . لأن المعروف عن إيطاليا أنها، منذ تكوينها الحالي، لا تعمل شيئاً ضد بريطانيا العظمى»[٣].

وهناك من يرى أن الوثيقة ثبت تزويرها فيما بعد، واعتذر الفاروقي صاحب جريدة «الجامعة الإسلامية» بعد مدة[٤]، هذا وقد نفى كل من كامل الدجاني[٥]، ورجائي الحسيني[٦] وأكرم زعيتر[٧]، صحة تلك الوثيقة في هذا الوقت الذي كانت فيه المعارضة تقذف اتهاماها ضد المجلسيين، كان المجلسيون في موقف الدفاع عن أنفسهم.

أما موقف الحكومة البريطانية، فكان التفرج على الفريقين ومراقبتهما، لأن كل همها

---

(١) منيف الحسيني - الوثيقة المزورة على عطوفة الأمير «الجامعة العربية» العدد ١٥٦٣ تاريخ ٢٤/٤/١٩٣٥.

(٢) حملة فاشلة يتبرأ منها المخلصون - الجامعة العربية - العدد ١٥٦٢ تاريخ ٢٣/٤/١٩٣٥.

(٣) ابن أخي «رأي يهودي في الوثيقة الخطيرة» فلسطين العدد ٤٨ -٢٩٣٢ تاريخ ٢٦/٥/١٩٣٥.

(٤) بياض نويهض الحوت - القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨، بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

(٥) كامل الدجاني- مقابلة شخصية - بيروت - تاريخ ٣٠/١/١٩٨١.

(٦) رجائي الحسيني - مقابلة شخصية - بيروت - تاريخ ٣٠/١١/١٩٨١.

(٧) أكرم زعيتر - مقابلة شخصية - بيروت - تاريخ ٣٠/١١/١٩٨١.

أن تزداد الأمور سوءاً، بناء على خطتها «فرق تسد». هذا، ولم يلحظ المندوب السامي واكهوب أي تغيير في موقف المفتي ليؤكد صحة الرسالة فقد ظلت علاقتهما طبيعية، وصفها في تقريره بقوله «لم ألحظ تغييراً في موقف الحاج أمين من الحكومة، فإن موقفه الآن كما كان عليه في العامين الماضيين هو بالتأكيد موقف ودي، ولا سيما بالنسبة لي شخصياً كما تعرفون ذلك. (على أن) ما يقض على المفتي مضجعه هو الخوف من أن يفقد نفوذه بسبب هذا الموقف، ولكنني لا أجد دلائل تشير إلى تضاؤل نفوذه أو انتهاجه موقفاً عدائياً من الحكومة»[١].

المواقف السلبية لحزب الدفاع:

أولاً: اجتماع الحزب الصهيوني كيش:

كان الكونيل كيش وهو صهيوني بريطاني عمل في الوكالة اليهودية بفلسطين[٢] يجتمع برجال المعارضة سراً، ويقدم لهم المعونات المالية لمتابعة نشاطاتهم، وعقد مؤاتمراتهم المناوئة لأخصامهم وتوحيد صفوفهم[٣].

ثانياً: انسحاب الحزب من اللجنة العليا:

انسحب حزب الدفاع من اللجنة العربية العليا، مبرراً ذلك بأن اللجنة تغير شكلها المتفق عليه، وأن اجتماعاتها باتت غير منتظمة وأعضاؤها يجرون كثيراً من الأجراءات والمفاوضات، وأن رئيسها «ترك البلاد في ظروف عصيبة دون أخذ رأي بقية الأعضاء في عملية الصلح الناجحة التي جرت بين السعوديين واليمنيين، هذا بالإضافة إلى الاغتيالات التي وضعت البلاد في حالة خطيرة كان من المفروض على اللجنة العربية العليا معالجتها خوفاً من مزيد من الأنقسام في صفوف الأمة. لكن بيان انسحاب حزب الدفاع من اللجنة العربية العليا لم يلق أذناً صاغية من قبل الشعب ولم يتقبله بالاستحسان[٤].

---

(١) عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث - مرجع سابق، ص: ٢٩١.
(٢) لمزيد من التفاصيل عن الكولونيل كيش، انظر الخالدي، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٠٤.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) دروزة - حول الحركة العربية الحديثة، ج٣، مصدر سابق، ص: ١٩٠.

وكان المفتي، ومعه محمد علي علوبة، قام بزيارة مفاجئة للسعودية واليمن للتوسط بينهما أثر نشوب قتال مسلح، وقد نجحت الوساطة، واتخذ حزب الدفاع تلك الوساطة مدعاة للقيل والقال والهمس والغمز والتذمر، ثم التوقف عن حضور اجتماعات اللجنة التنفيذية العربية، بحجة عدم إطلاع المفتي أعضاء اللجنة التنفيذية على سر عملية المصالحة. وقد فضل البعض السكوت وقبول الأمر الواقع خوف التصدع في الصفوف، وشفقة على الوحدة والتضحيات الجسام التي كان يقوم بها أفرد الشعب العربي عامة، والخطر المحدق من جميع النواحي في ظروف يعمل معه العدو على تفرقة الصفوف[١].

ولو صحت الأمور التي ذكرها حزب الدفاع، فقد كان عليه أن يحتج لدى اللجنة العربية العليا، مبيناً أهمية التشاور وتبادل الآراء في أمر يهم الجميع. لكن الانسحاب ليس له ما يبرره، لأن اللجنة العربية العليا تمثل الفلسطينيين، وليس رئيس اللجنة العربية العليا وحده، وأن المصلحة القومية والوطنية يجب أن تعلو فوق النزاعات والخلافات الشخصية والمصلحية. ونظراً لخطورة الوضع في البلاد، وتأثير الأنسحاب السلبي، فقد أصدرت اللجنة العربية العليا بياناً، بأقتراح من عزة دروزة، إشارت فيه إلى خطورة التصدع والأنقسام في هذه الظروف، موجهة «نداءها إلى ضمير كل فرد من الأمة الكريمة باجتناب كل شقاق وتصدع في اللجنة القومية وبالبقاء صفاً واحداً وشملاً مجتمعاً لتتمكن البلاد من مواجهة الأحداث المقبلة بما تقتضيه المصلحة العامة من الأتحاد والتضامن[٢].

أن تفكير راغب النشاشيبي بالأنسحاب من اللجنة العربية العليا يعود لعدة أمور منها:

أولاً: خوفه من تجدد الثورة بعد فك الأضراب عام ١٩٣٦، وأن عضوي المعارضة، الموالبين له، في اللجنة العربية العليا كانا يقاطعان اجتماعاتها خلال شهري تشرين الثاني (نوفمبر) وكانون الأول (ديسمبر) من العام ١٩٣٦[٣].

ثانياً: التقاء المصالح بين النشاشيبي والأمير عبد الله، فقد توطدت العلاقة بين أمير عمان والمعارضة، وقد هيأت المعارضة للأمير استقبالاً حافلاً في القدس وحيفا ونابلس

---

(١) الخالدي -مرجع سابق، ص: ٢٥٨-٢٦١.

(٢) ملف ب INIL محفوظات مركز الأبحاث. منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت.

(٣) الغوري - مصدر سابق، ص: ١٢٤.

أثناء ذهابه لحضور حفلات التتويج بلندن، فلم يشترك المجلسيون في تلك الاحتفالات، مما يدل على وجود جفاء بين المفتي والأمير عبد الله بسبب محاولات الثاني التأثير على اللجنة العربية لكلا المحاولتين. وزاد الطين بلة استشارية للرياض وبغداد (بخصوص العدول عن مقاطعة لجنة بيل)، حتى ظهر أن المعارضة أضحت فريقاً واحداً ضد المجلسيين والمتعاونين معهم[١]. في هذه الأثناء، كان الأمير عبد الله يؤيد فكرة التقسيم «شرط أن ينضم القسم العربي إلى أمارته[٢] وكان الأمير عبد الله يعمل منذ زمن طويل، لضم أراض غير صحراوية في فلسطين أو سورية أو العراق إلى أمارته، وقد أجرى اتصالات مع الأنجليز بذلك الخصوص[٣]. بينما كانت طموحات راغب النشاشيبي التعويض عن خسارته في رئاسة البلدية، وذلك بالحصول على مركز يليق بشخصيته، حيث لم يعوض ذلك في اللجنة العربية العليا، نظراً لتفوق المفتي عليه في منصب الرئاسة، لذا، وجد فرصته الذهبية في مساعدة العاهل الأردني في مشروع التقسيم وقبوله به مقابل أن يصبح رئيساً للوزراء تحت رئاسته في الدولة المتحدة الجديدة، الأردنية الفلسطينية[٤]. وقد أكد أحدهم، في مذكراته، وجود نوع من المعاهدة السرية بين العاهل الأردني وحزب الدفاع من أجل الموافقة على قرار التقسيم، جاء فيها: «ويقال أن حزباً كبيراً (حزب الدفاع الوطني) وافق سراً على مشروع التقسيم، وأمضى زعماؤه وأقطابه وثيقة خطية إلى المسؤولين في قطر شقيق مجاور ... وقيل، ايضاً، أن هؤلاء المسؤولين استاءوا في إحدى المناسبات، من موقف رجال هذا الحزب وهددوا بنشر الوثيقة المشار إليها، فما كان رجال الحزب إلا أن هددوا بنشر الوثيقة التي يطلب فيها المسؤولون منهم الأنسحاب من اللجنة العربية العليا عام ١٩٣٧، والضغط الذي استعمل للوصول إلى تلك الغاية»[٥]. وبالرغم من ذلك فقد أصدر حزب الدفاع بياناً رفض فيه

---

(١) دروزة – حول الحركة العربية الحديثة ج٢، ص:١٥٦.
(٢) الصايغ – مرجع سابق، ص:١٤٧.
(٣) المصدر نفسه، ص:١٢٤.
(٤) توما، مرجع سابق، ص:١٤٠.
(٥) الخالد مرجع سابق، ص:٩٤.

مشروع التقسيم الصادر عن اللجنة الملكية، لجنة بيل، لأنه، بنظره، يتعارض مع آمال ويضر بمصلحتها ويمزق وحدتها ويهدم كيانها[١].

ويبدو أن هذا الرفض من قبل حزب الدفاع جاء بعد أن شجب الرأي العام الفلسطيني والعربي ذلك المشروع، فأصبح من الصعب السكوت عنه أو المضي في قبوله، ولو ظاهرياً، فكان ان أصدر ذلك القرار الرافض لأن القرائن تشير إلى تعاون حزب الدفاع مع حكومة الانتداب والعاهل الأردني، كما بينا، ثم أن تحركات رئيس الوزراء الأردني إبراهيم هاشم، ورئيس الديوان محمد الأنسي، إلى فلسطين والاجتماع بأركان المعارضة، جعلت النبهاء يؤكدون أن لعمان أصبعاً في انسحاب حزب الدفاع من اللجنة العربية العليا[٢]وهذا الانسحاب كانب بناء على رغبة بريطانيا من أجل تصديع الجبهة الداخلية الفلسطينية، فالسلطات البريطانية كانت تهيىء لحل اللجنة العربية العليا مستقبلاً. فقد ذكرت رواية فريدة من نوعها أن الجنرال ديل، القائد البريطاني، دعا حسين الخالدي لمشاركته طعام الغداء في فندق الملك داود، ولما تم الاجتماع، أخذ رأيه باعتقال رجال اللجنة العربية العليا، فأجابه الخالدي بأن النتائج ستكون وخيمة، فقال ديل مستغرباً «ليس هذا جواب من اجتمعت بهم، خاصة أن زعيم حزب كبير أكد أن القاء القبض على المفتي ورجال اللجنة العربية العليا كاف لإيقاف الثورة في مدة أسابيع»[٣] وهكذا كان تحرك حزب الدفاع المشبوه بإيماء من الأنجليز والأردن نظراً لألتقاء المصالح المشتركة بينهم.

كما أن من عوامل انسحاب حزب الدفاع من اللجنة العربية العليا معرفته بقرار التقسيم قبل صدوره من قبل اللجنة الملكية، وأن موقفه من تلك القرارات سيخالف مواقف اللجنة العربية العليا، ويكون الانسحاب، بالتالي، تبرؤاً من معارضة الأنجليز[٤]، هذا، والجدير بالذكر أن حسن صدقي الدجاني قابل اللجنة الملكية بدون رأي اللجنة العربية العليا العام ١٩٣٧، وخرج على الأجماع العربي بضرورة مقاطتها في البداية[٥].

---

(١) راغب النشاشيبي - حزب الدفاع الوطني يرفض التقسيم، فلسطين تاريخ ١٣/٧/١٩٣٧.
(٢) دروزة - حول الحركة العربية الحديثة، ح٣، مرجع سابق، ص:١٥٨.
(٣) الخالدي - مرجع سابق، ص:٢٦٦.
(٤) الصايغ - مرجع سابق، ص- ١٥٢.
(٥) الخالدي - مرجع سابق، ص:٢٥٤.

وتشير الوثائق البريطانية إلى أن قادة حزب الدفاع لا يريدون الغاء الانتداب ولكن تعديله، فقط، في بعض الأمور المتعلقة بأوضاع العرب واليهود، لأن الغاء الانتداب، برأيهم، يجعل فلسطين فريسة سهلة لطموحات قوى خارجية أجنبية، وكان فخري النشاشيبي يعتقد بأن سياسة الحزب هذه ستلقي تأييد الحلف العراقي - الشرق أردني والممثلين السعوديين(١).

موقف حزب الدفاع من المجلس الإسلامي الأعلى

تآمر حزب الدفاع على المجلس الإسلامي الأعلى، فتعاون مع حكومة الانتداب للوقوف ضده، فقد رسم الحزب خطة تامة لإحداث انقلاب تام يشمل نظام المجلس وموظفيه، ووضعه تحت إدراة الحكومة البريطانية وسلطتها المباشرة، حيث تعين لجنة قوامها إنجليزي وعضوان أحدهما أنجليزي من أجل مراقبة الأوقاف الإسلامية وإدارتها. وقد تم بالفعل فصل فريق من الموظفين ونقل آخرون، والسلطة كانت جادة في تنفيذ تلك الخطة المرسومة في التقرير الذي وضعه بعض أركان حزب الدفاع مع بعض موظفي الحكومة في فلسطين(٢).

أما التقرير المقدم من قبل بعض موظفي حزب الدفاع للسلطة البريطانية، فقد اقترح الكثير ضد المجلس الإسلامي الأعلى، من ذلك، أقصاء بعض الموظفين الذين لا يشغلون وظائفهم بكفاياتهم، بل لمقدرتهم على نشر بعض المبادىء والغايات السياسية، وأن تدار دائرة الأوقاف من قبل السكرتير العام، وبواسطة الموظف المدني في كل بلد، وأن إدارة الوقف يجب أن يكون لها قسم في السكرتيرية العامة وموظفون خاصون مسلمون من أصحاب الكفاءة في هذا الموضوع، وتكون فروع الأوقاف الموجودة في المدن الفلسطينية غير مرتبطة بالمجلس الإسلامي الأعلى، بل بالسكرتير العام، ومن موظفين مدنيين، كما طلب التقرير أما إصلاح قانون المجلس الإسلامي أو إيقافه أو الغائه(٣).

---

(١) Public Record Office, (London) 733l406.

(٢) ملف أوراق ثورة ١٩٣٦ - فوزي القاوقجي - مرجع سابق.

(٣) المصدر نفسه.

حكم الاعدام على فخري النشاشيبي:

خرج فخري النشاشيبي على أجماع الأمة، وقدم مذكرة للسلطات البريطانية تهاون فيها بحقوق البلاد، كما أنه كون فصائل ضد الثورة، وفي ملاحقة الثوار، مما جعلهم يتكبدون خسائر من قبل السلطات الإنجليزية، ويصدرون حكماً بإعدامه جاء فيه:

«لمّا كان فخري النشاشيبي، عضو حزب الدفاع، قد والى الأعداء بمذكرته التي تهاون فيها بحقوق البلاد، وأدعى ما ليس له حق الادعاء به، ولما خرج على إجماع الأمة، واتفق مع السلطة الإنجليزية والصهيونيين، لذلك، فديوان الثورة العربية الكبرى يعتبره مرتكباً لجرم الخيانة العظمى، ويقرر الحكم عليه بالأعدام ويبيح دمه وماله، وعلى كل عربي أن ينفذ هذا الحكم أن استطاع إليه سبيلاً، وكذلك، يعلن ديوان الثورة العربية الكبرى أنه يبيح دم ومال كل مشاريع لفخري النشاشيبي، لخروجه على إجماع الأمة والقضية الوطنية، لا تسامح مع المتآمرين والدساسين، والوطن فوق الجميع، وقد أعذر من أنذر»[1].

ان حزب الدفاع هو تجمع الفئات المعارضة للمجلسين بزعامة راغب النشاشيبي، ويمثل الأغنياء من الأقطاعيين والتجار وأصحاب البيارات، حيث التقت مصلحتهم مع الانتداب، إلا أنه كان يشمل بعض الوطنين المضللين والمنحازين لقاء العصبية العائلية.

اهتم الحزب بالنواحي الأقتصادية دون أن يشير للأماني الوحدوية كبقية الأحزاب، وقد ظهرت منه بوادر وطنية، منها انصهاره في اللجنة العربية العليا في ظرف عصيب كان يتطلب الأتحاد للوقوف في وجه العدو. لكن مطامع زعيمه الشخصية جعلته ينسحب من اللجنة العربية العليا ويخرج على الأجماع الفلسطيني، حتى أن أحد قادته أيضاً قاوم الثوار الفلسطينيين، فدفع حياته ثمن تصرفه المشين.

☆ تأسيس حزب الاستقلال العربي في فلسطين:

الظروف العامة التي مهدت لتأسيس الحزب:

من العوامل المهمة التي ساعدت على تأسيس حزب الاستقلال العربي محاولة توحيد صفوف العاملين في الحركة الوطنية الفلسطينية، إثر التشتت الذي أصابها نتيجة التنافس العائلي، وقد أصبحت اللجنة التنفيذية عاجزة بعد موت رئيسها موسى كاظم الحسيني في عام ١٩٣٤.

---

(١) Maurice Pearlman, Mufti of Jerusalem The story of Haj Amin ElHussini London Victor Gollan Ltd, 1947, Po 30.

وقد كثرت الأحزاب مع تماثلها، وفي البلدان المتقدمة نجد الفكرة هي الناظمة للأحزاب، بينما نجد في البلدان العربية وفلسطين، أن الأعتبارات الشخصية هي الناظمة.

أما سبب كثرة الأحزاب التي نشأت في البلاد جاءت متقاربة في المبادىء والمناهج والأساليب، ولم تكن تتميز عن بعضها إلا بأشخاص القائمين عليها، وكثيراً ما نشأت الأحزاب كانشقاقات عن الهيئة الأولى: اللجنة التنفيذية[1]، ولعل هذه الانشقاقات، وموت موسى كاظم باشا الحسيني هما السبب في نشوء هذه الأحزاب.

وقد بلغ هذا التفكك ذروته في وقت كان المشروع الصهيوني في فلسطين قد بلغ ذروته بمساعدة الانتداب البريطاني، وقد تصاعدت الهجرة الصهيونية، وانكشف دور الاستعمار البريطاني كعامل مساعد لتهيئة الظروف الملائمة لولادة الكيان الصهيوني[2]. ومع الأسف الشديد كان يحدث هذا في ظل تفكك الأوضاع الفلسطينية والعربية.

الهجرة الصهيونية وابتلاع الأراضي العربية:

تفاقمت الهجرة الصهيونية بعد تقلد النازيين زمام الأمر في ألمانيا عام ١٩٣٣، وقد تمكنت السلطات الصهيونية أن تستغل النازية أبشع استغلال، وصورت الصهيونية اليهود بأنهم يتعرضون لحرب إبادة مما شكل ضغطاً على عصبة، الأمم ودفعها لتعيين مندوب خاص لدراسة حالة اليهود الألمان وجعلها تفتح أبواب فلسطين أمامها.

كما أن المندوب السامي آرثر واكهوب كان يتبع سياسة أرضاء العرب بالقشور واليهود بالجوهر، كما واكب سياسة الهجرة، سياسة السيطرة على الأراضي في فلسطين لصالح اليهود. هذا بالإضافة إلى عدد مماثل من اليهود المهاجرين غير الشرعيين.

ومن أكبر الصفقات التي نظمت لبيع الأراضي مرج ابن عامر وتبلغ مساحته ٤٠٠ ألف دونم تتضمن ٢٢ قرية ويبلغ عدد سكانها ١٧٤٦ عائلة تعدادها ٨٧٣٠ نسمة.

---

(١) نجيب عازوري - يقظة الأمة العربية (تعريب أحمد أبو مسلم) بيروت - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩، ص:٥٩.

(٢) سميح شبيب - حزب الاستقلال العربي في فلسطين ١٩٣٢- ١٩٣٣ مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية - ١٩٨١، ص:٣٩.

ولم تكن عمليات الأجلاء تمر بسهولة، إذ كان السكان يقاومون متشبثين بأرضهم. ويصطدمون بالسلطات وتسقط منهم ضحايا. ومن الذين استشهدوا دفاعاً عن الأرض أحد عرب الزبيدات سعيد محمد علي الأحمد الذي أودى به الرصاص وهو يدافع عن أرضه[١].

ونتيجة انتقال الأراضي أصبحت علة الفلاح تكمن في ديونه. فلا نكاد نجد قرية ناجية من الديون وترزخ تحت وطأة المرابين وذلك لتسديد ضريبة الأرض.

وقد رافقت حملات تهويد العمل والاستحواذ على الأراضي العربية محاولة لإقامة فرق مسلحة لحماية هذه الانجازات، فعقد في نابلس مؤتمر للهيئات الوطنية في العاشر من آب ١٩٣١ حضره مندوبون عن معظم المدن الفلسطينية، وقرر المؤتمر الطلب إلى المدن أن تتظاهر ضد التسلح اليهودي، وإذا أصرت الحكومة على تسليح اليهود يعهد الى اللجنة التنفيذية التي سينتخبها المؤتمر المذكور أن تتصرف بالأمر بما تراه مناسباً ونافعاً في دفع الخطر[٢].

وكان قرار الأضراب الذي اتخذته الهيئات الفلسطينية في مؤتمر نابلس يعبر عن الخروج عن اللجنة التنفيذية التي لم تر أمام الضغوط الشعبية إلا أن تعقد اجتماعاً مشتركاً مع لجنة مؤتمر نابلس حيث قررتا سوية الأضراب الذي نفذ في ٢٣ آب بدلاً من أن تقودها[٣]. وقد عقد في يافا مؤتمر للدفاع عن الحقوق الصحفية واقترح الطرق المناسبة لتنفيذ قرارته.

ومما لا شك فيه لسياسة المهادنة، التي اتبعتها اللجنة التنفيذية، إزاء الانتداب البريطاني، أسهمت في خلق الأجواء الفكرية والسياسية، لدى المثقفين الوطنيين الفلسطينيين قبل غيرهم، الداعية إلى إعادة تقييم المسيرة الوطنية، فالمتنورون من الفلسطينيين وغيرهم والعديد منهم درسوا في أوروبا وعاشوا التجربة الديمقراطية الفرنسية وغيرها من تجارب الديمقراطية الغربية، رفضوا جر السياسة إلى الصراع العائلي، وذلك لإدراكهم بأن تحرير فلسطين لا يتم بالتناحر مع اليهود بل بمجابهة المحتل: الإمبريالية البريطانية[٤].

---

(١) سميح شبيب - حزب الاستقلال (مرجع سابق)، ص: ٤١.
(٢) أكرم زعيتر - وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ -١٩٣٩ - بيروت - مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٧٩، ص: ٣٥٩.
(٣) سميح شبيب - حزب الاستقلال (مرجع سابق) ص: ٤١.
(٤) أميل توما - ستون عاماً على القومية العربية الفلسطينية - بيروت - دار ابن رشد - ١٩٧٨، ص: ١١٣. =

ولم يلبث المتنورون هؤلاء طويلاً حتى بدأوا بتأسيس التنظيمات السياسية التي كان أولها، خارج إطار اللجنة التنفيذية، مؤتمر الشباب العربي الذي عقد في يافا في الرابع من كانون الأول سنة ١٩٣٢ برئاسة راسم الخالدي وقد بحث هذا المؤتمر مسائل التعليم القومي والصناعات الوطنية، وتبنى الميثاق القومي. وكذلك انخرطت المرأة في الكفاح الوطني. وبرز نشاطها الوطني. وطالبت بحقوق الفلاحين. وسط هذه الموجة الشعبية القائمة ضد السياسة البريطانية والخارجة عن إطار اللجنة التنفيذية، كان الاستقلاليون القدماء يقومون بالتحريض السياسي وبشكل علني وعلى أسس واضحة ضد سياسة الانتداب بغية إحداث تحويل فكري سياسي لمناهضة الانتداب وفضح دوره في تهيئة الأجواء المناسبة لنمو الصهيونية.

تأسيس الحزب:

تم انعقاد المؤتمر العربي في القدس سنة ١٩٣١ وتقرر عقد مؤتمر قومي عام للهيئات الأستقلالية في الأقطار العربية، وهذه الهيئات التي سبق لها أن عملت خلال العهد الفيصلي في دمشق[١] في جمعية العربية الفتاة وفي حزب الاستقلال العربي (١٩١٩-١٩٢٠) أخذ التفكير القومي في فلسطين يتجه لتأسيس حزب الاستقلال العربي. وجرت مراسلات سرية بهذا الصدد بين رجالات الحزب الاستقلالي القديم وكان من أبرزهم نبيه العظمة وكان نبيه العظمة مقيماً مبعداً في القدس وهو المشجع الأكبر لتأسيس هذا الحزب[٢].

وكان يعتقد كبار الاستقلاليين، بأن تأسيس الحزب في فلسطين من شأنه أن يضع اللبنة في إعادة تكوين العمل القومي المشترك وهذا ما جعل كبار الاستقلاليين أن يعملوا في صحافة وأجهزة حزب الاستقلال الفلسطيني.

وقد حدد المؤسسون العلاقة بينهم وبين الحاج أمين الحسيني كالتالي:

١- بقاء الحاج أمين رئيساً للمجلس الأعلى ويكون الحزب على صلة معه، على أن يقوم بتنفيذ السياسة التي يقرها الحزب.

---

(١) سميح شبيب - حزب الاستقلال - (مرجع سابق)، ص: ٤٤.

(٢) أكرم زعيتر - يوميات خاصة - الدفتر الرابع ١٢ و١٣/٤/١٩٣٢.

٢- يترأس الحاج أمين الحسيني الحركة الوطنية الفلسطينية بعد أن يعتزل رئاسة المجلس، وبهذه الحالة يكون الحزب حوله.

٣- في حالة عدم موافقة الحاج أمين على الشكلين السابقين فيعمل كل طرف مستقلاً عن الآخر[١].

ولم يكن الحاج أمين أنذاك على علاقة سيئة بالإنجليز، ولم يرق له أن يتأسس الحزب، نظراً للعلاقة الوثيقة التي كانت تربطه بمعظم مؤسسيه، فتشكل الحزب سيبعد هؤلاء عنه، وهذا يمكن أن تعطي له عدة تفسيرات في مقدمتها عدم الرضا عن سياسته[٢] في وقت هو فيه حاجة لكل فرد لمقاومة المعارضة. لذا لم يستطع الحاج أمين الموافقة على شروط الحزب، وبذلك تأسس الحزب مستقلاً عنه، وأعلن عن ولادته في القدس يوم ٢ آب ١٩٣٢.

وأعلنت الهيئة التأسيسية ولادة الحزب في بيان حددت فيه الخطوط العريضة لرؤيتها السياسية لمجمل الأوضاع التي تعيشها فلسطين. فقد استعرض البيان (١٣٤) «ما طرأ على الحركة الوطنية الأستقلالية في هذه البلاد من ضعف وفتور، فبعد أن كانت قضية استقلالية تحمل خواص القضية العربية الكبرى، وتحتفظ بمزاياها الشريفة وتكافح الاستعمار وجها لوجه، أصبحت قضية محلية تتأثر بالنزعات الشخصية، والأهواء العائلية، والقوى الأنتخابية إلى حد كبير. ووصف موقف الحركة الوطنية بأنه موقف عجز ومسكنة». وأشار إلى الظروف التي استوجبت تأسيس الحزب فرأى أن «فقدان القضية الأستقلالية، واستساغة الأساليب الأستعمارية، والتهافت على نيل رضا الانتداب بالقرب والزلفى، أوجب تأسيس كيان استقلالي يكافح الاستعمار وأساليبه دون مواربة وبوضوح، ثم ذكر الأسس التي سيبنى عليها وسيكون الأساس الذي يبنى عليه هذا الكيان

---

(١) بيان نويهض - القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ -١٩٤٨، رسالة لنيل الدكتوراه - بيروت - الجامعة اللبنانية ١٩٧٨، ص: ٣١٥.

(٢) عزة دروزة - مقابلة معه في دمشق ١٩٧٩/٣/٢٦ عن كتاب سميح شبيب - حزب الاستقلال (مرجع سابق)، ص: ٤٥.

الحزبي الاستقلالي التجانس في المبادىء الصحيحة، والأخلاص الشريف، وحب العمل النزيه، والأبتعاد كل الأبتعاد عن الجري في طريق السياسات المحلية والشخصية والعائلية. وجعل المصلحة العامة فوق كل مصحلة، وعدم الاهتمام لفكرة أكثرية أو أقلية، وما يتبعها من سياسات انتخابية لا يراد بها إرضاء الله، والوطن، وعدم الموالاة لأي كان إلا بما يكون له من موقف أو عمل يتفق أو يتعارض مع المبادىء الحزب وغاياته وخططه».

ودعا البيان، في ختامه، إلى القيام بحركة وطنية على يد حزب سياسي استقلالي يكافح الاستعمار وما جره من نكبات «كفاحاً شريفاً بلا مداورة ولا مواربة». ودعا، أيضاً، جميع الأحرار المخلصين الوطنيين إلى «مد يد المؤازرة والتأييد لهذه الحركة». وقد انضم للحزب كل من حمدي الحسيني، وحربي الأيوبي[١] أما المجلسيون والمعارضون[٢] فقد قابلوا تأسيس الحزب بدهشة وتجهم، فالأولون وجدوا في بيان الحزب طعناً لهم، إذا أنه «لم يستثن أحداً من التقصير والعائلية، والحزبية الشخصية، والمصالح الخاصة، وفتور روح النضال القومي للجميع على السواء، وهذا ما سبب التشاد وعدم الأنسجام بين أركان الحزب والمفتي»[٣]. أما المعارضون، فقد وجدوا في ظهور الحزب واتجاهه أمراً محرجاً لهم، وذلك بسبب ما كان يربطهم بسلطات الانتداب واليهود من صلات وثيقة ومصالح متبادلة، ولعل ما كتبه صبحي الخضرا في العدد الأول من مجلة العرب بعنوان: «لماذا الفّنا حزب الاستقلال العربي»[٤] يعتبر أوضح ما كتب في هذا المجال وأوجزه، فقد أرجع اسباب التأسيس إلى جملة أمور حاول الحزب، خلال حياته القصيرة، محورة نشاطه السياسي على أساس مراعاتها، ويمكن تحديد هذه الأمور بستة هي:

---

(١) دروزة - الحركة العربية الحديثة - صيدا - المكتبة العصرية ١٩٥٩. الجزء الأول ص ٢٠.

(٢) المجلسيون هم جماعة المجلس الإسلامي الذي يرأسه الحاج أمين الحسيني، وقد أطلق هذا الاصطلاح على جميع من يؤيدون الحاج أمين، أما المعارضون فهم من يعارض هذه الكتلة، وقد أطلق هذا الاصطلاح على جميع مؤيدي راغب النشاشيبي.

(٣) المصدر السابق.

(٤) العرب - العدد الأول ١٩٣٢/٨/٢٧، ص: ١٤-١٥.

١- وصول الحركة الوطنية الفلسطينية إلى درجة عدم التوازن بعد «أن انفصلت عن القضية الكبرى وغادرت ميناءها الأمين»، فالهيئات تقوم على أساس الوجاهة والقوة الأنتخابية، مما يفقدها التجانس مجموعات وأفراداً،وحرمان الحركة الوطنية من الأستمرار في الكفاح والعمل على وتيرة واحدة.

٢- تنازع الهيئات الوطنية وركودها، فهذه الهيئات لم تكن تتحرك إلا عند دعوة المندوب السامي لها، «فيشعر الناس أن لنا هيئة تدعى للمقابلات كما تدعى الهيئات الصهيونية، ويؤخذ رأي هذه كما يؤخذ رأي تلك».

٣- توجيه الكفاح الوطني ضد الصهيونية، وبشك «فورات متقطعة»، بدلاً من توجيه ضد الانتداب البريطاني بوصفه احتلالاً. وفي هذا الصدد يقول الخضرا: «ولو نظرنا إلى القضية الفلسطينية من الوجهة القانونية البسيطة، لوجدنا أنها لا تخرج عن كونها قضية اعتداء وغصب لحرية الأمة العربية وحقوقها، فالغاصب بيِّن والمغصوب بيِّن، وما الصهيونية إلا عرض من أعراض هذا الغصب ومظهر من مظاهره، فلو كانت في البلاد محكمة تنظر في هذا النوع من الدعاوى السياسية لما صحت الدعوة إلا ضد بريطانيا العظمى، لا ضد الصهيونية».

٤- وصول بعض الزعماء والوجهاء إلى درجة من التعاون مع الأنجليز أصابت الجماهير باليأس من النجاح «كما يئس الذين كفوروا من أصحاب القبور». فأي معنى للأستقبالات التي يشترك فيها وجهاء البلاد وزعماؤها وأعيانها بالعشرات، بل وبالمئات، فهل يتفضل واحد من هؤلاء فيشرح لنا ما الفرق بين وايزمن، وبين ممثل الدولة الأستعمارية الكبرى يا ترى؟ ويقول لنا أيهما الغاصب الحقيقي لحقوق البلاد»؟.

٥- وبغية تصحيح مسار الحركة الوطنية الفلسطينية الخاطىء هذا، «تقدمت جماعة على مبادىء استقلالية محضة مقلعة عن الأسلوب القديم، وقال هذا الحزب قوله من أنه ليس بسبب أكثرية أو أقلية، وهذا الحزب إنما يمثل أشخاصه وأشخاص الذين يشاطرونه هذه المبادىء الطبيعية التي هي لكل ناهض، بل هي مبادىء القضية العربية الكبرى التي اتفقنا عمرنا وسننفق البقية الباقية منه سبيل نصرتها».

٦- وخلافاً لحالة الزعماء والوجهاء: «فإن الجماهير ما زالت سليمة البنيان وأن معظمهم ينصرون هذه المبادىء نصرتنا بل أشد، فإذا عملنا للقضية الأستقلالية كحزب يمثل عدداً من الرجال، فإننا نعتقد أننا نعمل باسمهم ونقوم بالواجب المشترك، ونعتمد على مؤازرتهم وتعضيدهم ونحن لا ندعي احتكار شيء من الأشياء، فإن في ميدان الوطنية متسعاً للجميع».

وقد حملت جريدتا «هآرتس» و«دوأر هايوم» الصهيونيتان الصادرتان في ٢ آب (أغسطس) سنة ١٩٣٢ على حزب الاستقلال حملة شعواء، ورأتا أن مقرراته الخطيرة ماسة بنصوص صك الانتداب، وبتعهد السلطة البريطانية بإقامة الوطن القومي اليهودي، واتهمتا القائمين على هذا الحزب بأنهم على صلة بزعماء الثورات العربية في سوريا والعراق، وأنهم يعملون يداً واحدة لتنفيذ برنامج معين للوحدة العربية[١].

مبادىء الحزب ونظامه الداخلي:

وضع الحزب، إلى جانب بيانه، قانوناً من أربع عشرة مادة، يتضمن مبادئه وخططه، وينظم علاقاته الداخلية. وقد حددت المادة الثالثة مبادىء الحزب بثلاثة هي:

أ- استقلال البلاد العربية استقلالاً تاماً.

ب- البلاد العربية وحدة تامة لا تقبل التجزئة.

جـ- فلسطين بلد عربي وهي جزء طبيعي من سورية.

المادة (٤) خطط الحزب:

أ- العمل على تحقيق المبادىء الواردة في المادة السابقة بما يستطيعه بنفسه.

ب- الاحتفاظ بالأراضي ومنابع الثروة للعرب.

جـ- إقامة حكم برلماني في فلسطين.

---

(١) أكرم زعيتر - يوميات خاصة - الدفتر الرابع، ١٢، ١٣/٤/١٩٣٢.

د- ألغاء الانتداب ووعد بلفور.

هـ- أنهاض البلاد سياسياً واقتصادياً وإجتماعياً.

المادة (٥) هيئة الحزب هم الموقعون على هذا القانون ومن تقرر الهيئة بثلاثة أرباع أعضائها ضمه إليها من حين لآخر هذا وقد جاء في نص الأشعار الذي وافق عليه حاكم مقاطعة القدس يوم ١٣ آب عام ١٩٣٢ أن هيئة الحزب هي:

«عوني عبد الهادي - أميناً للسر العام، نجاح نويهض - «ساعد أمين السر العام - عزة دروزة - أمين المال، معين الماضي ورشيد الحاج إبراهيم وصبحي الخضراء وأكرم زعيتر وفهمي العبوشي والدكتور سليم سلامة أعضاء.

المادة (٦) للحزب أعضاء مختارون من قبل هيئة الحزب، وحينما يبلغ الأعضاء في أي ناحية ثلاثة فما فوق فلهيئة الحزب أن تشكل فرعاً فيها تختار هيئة إدارية منهم.

المادة (٧) ليس لأعضاء هيئة الحزب وفروعه أن ينتسبوا إلى حزب سياسي آخر إلا بإذن من هيئة الحزب.

المادة (٨) يؤدي أعضاء الحزب القسم التالي:

«أقسم بالله العظيم أن أكون مخلصاً لمبادىء الحزب وخططه، خاضعاً لمقرراته متضامناً مع إخواني فيه على تنفيذها وإعلاء شأن الحزب، متعاوناً وإياهم على ما فيه الحق والخير والكرامة وأن لا أستغل الحزب ولا أوظفه لمآرب أو منصب أو نفوذ شخصي أو عائلي».

المادة (٩) للحزب أعضاء مؤازرون وفخريون، وهم الذين يناصرون مبادىء الحزب وخططه ومقرراته ويدفعون لصندوق الحزب اكتتاباً شهرياً لا يقل عن عشرة «ملآت» ويسجل أسماء هؤلاء الأعضاء في سجلات هيئة الحزب، أما برأي الهيئة أو رأي هيئات الفروع.

المادة (١٠):

كل من ثبتت خيانته للحزب أو مبادئه أو خططه يطرد منه.

أما عن الأمور المالية فقد نصت الثانية عشرة من قانون الحزب على أن «مالية الحزب تتكون من الاكتتابات السهر التي يدفعها أعضاء الحزب ومن التبرعات، وهيئة الحزب هي التي تقرر ميزانيتها، وتصادق على ميزانية فروعها». ولم يشر القانون إلى رئاسة الحزب:

إذ تم الأستغناء عنها بسكرتير عام للحزب. «وبذلك فقد جاءت نصوص منهج الحزب منسقة مع مبادىء الأستقلال، والعربية الفتاة، والميثاق القومي الذي وضعه المؤتمر العربي في القدس ١٩٣١».

وعلى الرغم من التأييد الشعبي الواسع للحزب، فإنه لم يحاول توسيع قاعدته التنظيمية، ولهذا بقي أعضاؤه لا يتعدون الخمسين أو الستين، وكان أبرزهم الأعضاء المؤسسون، وهم: عوني عبد الهادي، رشيد الحاج إبراهيم، معين الماضي، عزة دروزة، صبحي الخضرا، د. سليم سلامة، فهمي العبوشي، أكرم زعيتر، عجاج نويهض، وأنضم إلى المؤسسين، فيما بعد، كل من حمدي الحسيني، حربي الأيوبي.

أما في الفروع فقد كان أبرز أعضائه

نابلس: د. صدقي ملحس، رئيس اللجنة الفرعية، ممدوح السخن، راشد أبو غزالة، محمد علي دروزة، عادل كنعان.

يافا: نمر عودة، جورج منصور، إبراهيم الشنطي.

حيفا: توفيق منسي، رمزي عامر، الشيخ عز الدين القسام.

غزة: خضر جعفراوي، رفعت بورنو، حلمي المباشر، سامي الحسيني.

قلقيلية: هاشم السبع.

وكانوا فريقاً متجانساً من الناحية الفكرية والسياسية، فجميعهم تقريباً من المثقفين في فلسطين، وغالباً ما كانت القوى السياسية في فلسطين تدعو الحزب بالسبعة البررة. وقد أثرت هذه السياسة التنظيمية على الحزب، وأبقته في نطاق ضيق، وذلك على الرغم من وضوح دعوته، وأسباب انبثاقه في تلك الحقبة الزمنية من تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية.

رد الفعل العربي على تأسيس الحزب:

استقبلت الهيئات والشخصيات الأستقلالية العربية تأسيس حزب الأستقلال العربي في فلسطين بالإرتياح، والتأييد، وذلك لأنهم وجدوا، كما تقول مجلة العرب، في هذه الحركة الأستقلالية الجديدة «استئنافاً للعمل القومي على المبادىء الأستقلالية الأولى التي يعرف تاريخها وتاريخ ضحايا الأمة في سبيلها، كل عربي له إلمام بتاريخ بلاده السياسي، منذ إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨»[1].

---

(١) مجلة العرب - العدد ٣، ١٠/٩/١٩٣٢.

فقد أرسل ياسين الهاشمي، من بغداد، برقية لأمين سر حزب الأستقلال في فلسطين اعتبر فيها تأسيس الحزب «خطوة في سبيل إعادة بناء القضية العربية على الاستقلال».

وقد أرسل من بغداد برقيات كل من جعفر أبي التمن ومولود مخلص والدكتور عبد العزيز الكنفاني وأحمد عزت الأعظمي وسعيد ثابت ومظهر المالح.

ومن سوريا شكري القوتلي وأديب خير.

ومن بيروت رياض الصلح.

ومن قادة الحزب: عوني عبد الهادي، عزة دروزة، صبحي الخضرا، أكرم زعيتر، الدكتور سليم سلامة، معين الماضي، عجاج نويهض، حمدي الحسيني، حربي الأيوبي، رشيد الحاج حسن.

أبرز نشاطات حزب الاستقلال العربي في فلسطين

كانت أهم نشاطات حزب الاستقلال إصدار:

-بيانات سياسية:

وتشمل مواجهة الانتداب، وتنبيه العرب إلى مخاطر الصهيونية، الاهتمام بالقضايا القومية العربية، فضح التيارات الأنفصالية في الوطن العربي.

- إقامة مهرجانات وطنية:

يوم حطين، مهرجان يافا، مهرجان نابلس، اجتماع القدس في يوم احتلالها سنة ١٩١٨.

مهرجان نابلس لمناسبة قدوم اللنبي - احتفال الحزب بذكرى القافلة الأولى من الشهداء الذين أعدمهم جمال باشا في ٦ أيار سنة ١٩٣٣.

الاحتفال بذكرى الشهداء الثلاثة.

- إجراء اتصالات بالحركات القومية في الأقطار العربية وقادتها:

فضح الخديوي عباس، العرب صحيفة قومية.

إنحسار الحزب وتوقف نشاطه:

استمر الحزب نشطاً ستة عشر شهراً لم يعمر بعدها، فقد نشأ في تموز عام ١٩٣٢ إلى كانون الأول سنة ١٩٣٣.

وقد تلاشى الحزب نتيجة لأسباب عدة:

١- لقد كان قانون الحزب وبيانه يؤكدان على نبذ العائلية والعشائرية من العمل السياسي واعتماد العمل السياسي الذي يجب أن يوضع فوق رابطة العائلة مشيراً بذلك إلى الحسيني والنشاشيبي.

٢- أن خروج العديد من أصدقاء الحاج أمين وتكوينهم حزب الأستقلال العربي في فلسطين إيذاناً بتجاوز المفتي، ومحاولة تكوين حالة سياسية متقدمة عليه، ولعل هذا السبب، ولعل هذا الموقف كان السبب الرئيسي لمحاربة الحاج أمين للحزب، وكما يقول عزة دروزة في مقابلة معه: «لهذا كان بين أركان الحزب والحاج أمين الحسيني شيء من التشاد وعدم الأنسجام»(١).

وقد ترجمت هذه الأمور بحملة دعائية ضد الحزب جمدت نشاطه. وأخطر هذه الحملات، الحملة التي شنها المجلسيون على عميد الحزب عوني عبد الهادي بسبب موقفه من اليهود والذين اشتروا وادي الحوارث في أواخر العشرينات، وكذلك حرمانه من وظيفته كمحام في مجلس الأفتاء الإسلامي(٢) وقد تم ذلك بعد أن أصبح للحزب نفوذ في الأوساط المؤيدة للحاج أمين الحسيني.

٣- ويقال، أن الحزب حزب ملك العراق فيصل إلا أن الحزب لم يتلق أية معونة مالية من العراق. بل بالعكس فإن صداقة فيصل للحزبين كان عامل حسد من الفئات الأخرى.

٤- افتقار الحزب للشعبية على المجال التنظيمي، إذ كان يركز على المثقفين فقط مما قلل من قاعدته الشعبية عدداً من جهة وأضعف موارده المالية.

٥- تركيزه على القومية العربية فقط لحل مشاكل الأمة العربية مبتعداً عن البعد الإسلامي والتحالفات الدولية.

٦- موقف الحزب من الحاج أمين الحسيني حيث ساوى المجلسيين بالمعارضين، وقد نصح الملك فيصل وأسعد داغر بالتفاهم مع الحاج أمين الحسيني الذي يتمتع بقوة عربية وإسلامية لا حدود لها.؟

---

(١) دروزة - مقابلة معه في دمشق ٢٦/٣/١٩٧٩.

(٢) Yehoushva - Parath, Tke Palestinean Arab National Movement 1929-1939. Frank Cass 1973, 3 C11, P. 126.

٧- طغيان خط «اللجنة التنفيذية على أعمال الحزب»:

حيث كان تقدير الحزب في حزيران سنة ١٩٣٣ أن اللجنة التنفيذية لم تعد تستطيع عمل شيء بعد أن رفضت الحكومة البريطانية المطالب الوطنية الفلسطينية المسلحة ومن قبيل المصادفات أنه عقد في آن واحد اجتماع لحزب الأستقلال في حيفا، وقد خصص حزب الأستقلال إجتماعه للبحث في الوسائل التي يجب أتباعها لمقاومة السلطة الأنتدابية.

كما أن اللجنة التنفيذية قررت في اجتماعها القيام باضطرابات عامة ومظاهرات، على أن تكون أول خطوة في هذا المجال في القدس في الثالث عشر من تشرين الأول سنة ١٩٣٣.

وسرعان ما أيد الأستقلاليون قرار اللجنة التنفيذية والتزموا به[١]. تجاوب الحزب بذلك مع اللجنة التنفيذية، من حيث العمل السياسي وأساليب النضال ضد الأنتداب، ولم يستطع أتخاذ خطوة متميزة عن اللجنة التنفيذية.

٨- عدم توفر أموال كافية للحزب.

لقد انبثق الحزب في فلسطين في فترة تاريخية تميزت بالأفتتار إلى القيادة الفلسطينية القادرة على قيادة الصراع ضد العدو الصيهوني والانتداب البريطاني في آن معاً، وقد حاول الحزب القيام بهذه المهمة وحمل الفرقاء السياسيين في فلسطين مسؤولية الحالة السياسية، المتردية، كما طرح برنامجاً سياسياً أكثر جذرية يقوم على توجيه العداء للصهيونية والأنتداب معاً، لكن الحزب عجز عن التحالف مع الأطراف السياسية الأساسية وبخاصة الحسينيين، ولم يوسع قاعدته الشعبية بل بقي أسير النخبة المثقفة، وقد عمل الحزب بدل ذلك إلى توسيع قاعدته العربية، لكن البعد القومي للحزب لم يستطع أنقاذه من الداخل، حيث موقعه الأساسي في النضال.

هذا وقد لعب الحزب دوراً أساسياً في النضال العربي الحديث في التاريخ الفلسطيني[٢].

(١) دروزة – مقابلة معه بدمشق ٢٦/٥/١٩٧٩.

(٢) سميح شبيب – حزب الأستقلال العربي في فلسطين ١٩٣٢ -١٩٣٣ (مرجع سابق) ص:٩٩.

الملحق

بيان تأسيس حزب الأستقلال العربي وقانونه

حزب الأستقلال العربي

بيانه وقانونه

١٣٥١-١٩٣٢

القدس الشريف

لم يبق أحد لم يشعر بما طرأ على الحركة الوطنية الأستقلالية في هذه البلاد من ضعف وفتور، وما وقعت فيه من اضطراب وإنحلال وفوضى، وما تسلط عليها من أهواء ونزعات، زعزعت أساسها، وبدلت أغراضها، ومراميها، فبعد أن كانت قضية أستقلالية تحمل خواص القضية العربية الكبرى، وتحتفظ بمزاياها الشريفة وتكافح الأستعمار وجهاً لوجه، أصبحت قضية محلية تتأثر بالنزعات الشخصية والأهواء العائلية، والقوى الأنتخابية، إلى حد كبير، وإذا كانت الحركة الوطنية وقفت، في أدوارها الأخيرة، موقف الكفاح فلم يكن ذلك منها، في الأعم الأغلب، موقفاً صريحاً لا مواربة فيه، وإنما كان موقف عجز ومسكنة، محصوراً بمقاومة القضية المصطنعة التي نكبنا بها الاستعمار ليلهينا بها من أغراضنا العليا.

بل لقد أصبحنا وليس لنا في هذه البلاد قضية استقلالية نكافح دونها، ونرد الأطماع الأستعمارية عنها، وصرنا إلى حالة نستسيغ معها وطأة الأستعمار، ونستمرىء به ليغلب فريق منا فريقاً سعياً وراء قضايا الأشخاص والأهواء.

ولما كان من الجريمة الوطنية أن تصبح قضيتنا الأستقلالية التي أسس بنيانها على هامات شهداء العرب في جميع الأقطار العربية، ورفعت قواعدها على مناكب المجاهدين الأبرار، رهن القضايا الشخصية، وفريسة تلك النزعات والحزبيات المحلية، وأن لا يكون لفريق الأستقلاليين الذي عمل مع الجماعات العربية في ميدان القضية العربية الأستقلالية الكبرى، ولمن يجري على مبادئهم، وينحو نحو غايتهم، كيان مستقل

ينضوون تحت لوائه لأستئناف الجهاد الوطني وفقاً للمبادىء التي اعتنقت وبشر بها تبشيراً خالصاً لوجه الله، والأمة والوطن، فإن موقعي هذا البيان اعتقدوا أنه آن الأوان لإقامة مثل هذ الكيان، والقيام بحركة وطنية خالصة على يد حزب سياسي استقلالي، يكافح الأستعمار وما جره من نكبات، كفاحاً شريفاً بلا مداورة ولا مواربة، ويعمل على نيل حقوق الأمة الأستقلالية وانهاضها، حاذياً حذو الأحزاب الوطنية التي تعتز بالمبادىء الشريفة وتستمد منها الرشد والهدى.

وسيكون الأساس الذي يبنى عليه هذا الكيان الحزبي الأستقلالي، التجانس في المبادىء الصحيحة، والأخلاص الشريف، وحب العمل، التنزيه، والأبتعاد كل الأبتعاد عن الجري في طريق السياسات المحلية والشخصية والعائلية، وجعل المصلحة العامة فوق كل مصلحة، وعدم الأهتمام لفكرة أكثرية أو أقلية وما يتبعها من سياسات أنتخابية لا يراد بها وجه الله والوطن، وعدم الموالاة والمعاداة لأي كان إلا بما يكون له من موقف أو عمل يتسق أو يتعارض مع مبادىء الحزب وغاياته وخططه.

وقد أجمع القائمون بهذا الحزب أمرهم ووضعوا قانون حزبهم الذي ينشرونه في الناس مع هذا البيان واثقين كل الثقة أن في البلاد فريقاً كبيراً من الأحرار المخلصين يشعرون بالحاجة التي شعر بها القائمون بهذا الحزب، ويألمون مثل ألمهم فيمدون إليهم يد المؤازرة والتأييد في هذه الحركة التي يرجون من ورائها الخير والخدمة الخالصة المنزهة عن كل شائبة، وشين، سائلين الله عز وجل أن يثبت أقدامهم ويهديهم السبيل الأقوم لخدمة القضية الوطنية الأستقلالية، وللخروج بها من هذه الدائرة الضيقة التي حصرت فيها وتخليصها من تلك الأهواء والنزعات التي ذهبت بنضارتها وقللت من كرامتها، والله ولي التوفيق.

عوني عبد الهادي، رشيد الحاج إبراهيم، معين الماضي، عزة دروزة، صبحي الخضرا، الدكتور سليم سلامة، فهمي العبوشي، أكرم زعيتر، عجاج نويهض.

إنضم إلى الأعضاء المؤسسين فيما بعد: حمدي الحسيني وحربي الأيوبي.

قانون حزب الأستقلال العربي

١- اسم الحزب :حزب الاستقلال العربي.

٢- مركزه الرئيسي : مدينة بيت المقدس.

٣- مبادىء الحزب:

أ- استقلال البلاد العربية استقلالاً تاماً.

ب- البلاد العربية وحدة تامة لا تقبل التجزئة.

جـ- فلسطين بلاد عربية وهي جزء طبيعي من سوريا.

٤- خطط الحزب:

أ- العمل على تحقيق المبادىء الواردة في المادة السابقة بما يستطيعه بنفسه، وبالإشتراك مع الهيئات الأستقلالية في الأقطار العربية.

ب- الأحتفاظ بأراضي البلاد ومنابع الثورة للعرب.

جـ- إلغاء الأنتداب ووعد بلفور.

د- إقامة حكم عربي برلماني في فلسطين.

هـ- أنهاض البلاد سياسياً واقتصادياً وإجتماعياً.

٥- هيئة الحزب هي الموقعون على هذا القانون، ومن تقرر الهيئة بثلاثة أرباع أعضائها ضمه إليها من حين إلى آخر.

٦- للهيئة أمين سر عام ومساعد، وأمين مال، يتولون أمور الحزب الإدارية والكتابية والمالية.

٧- تشكل هيئة الحزب، حسب ما تراه هي، هيئات فرعية مؤلفة من ثلاثة أشخاص على الأقل، وهيئة الحزب هي التي تختار أعضاء هذه الهيئات وتضم إليها من تراه من حين إلى آخر.

٨- ليس لأعضاء هيئة الحزب وهيئات فروعه أن ينتسبوا إلى حزب سياسي آخر إلا بإذن من هيئات الحزب.

٩- يؤدي أعضاء هيئة الحزب وهيئات فروعه اليمين الآتية:

«أقسم بالله أن أكون مخلصاً لمبادىء الحزب وخططه، خاضعاً لمقرراته متضامناً مع إخواني فيه على تنفيذها وأعلاء شأن الحزب، ومتعاوناً وإياهم على ما فيه الحق والخير والكرامة، وأن لا استغل الحزب ولا أوافق على استغلاله لمآرب أو منصب، أو نفوذ شخصي أو عائلي».

١٠- للحزب أعضاء مؤازرون وفخريون وهم الذين ينصرون مبادىء الحزب وخططه ومقرراته، ويدفعون لصندوق الحزب اكتتاباً شهرياً لا يقل عن عشرة ملات وتسجل أسماء هؤلاء الأعضاء في سجلات هيئة الحزب، أما برأي الهيئة وأما برأي هيئات الفروع.

١١- كل من ثبتت خيانته للحزب أو لمبادئه وخططه يطرد منه بأكثرية ثلثي هيئة الحزب على أن يعطى حق الدفاع قبل ذلك.

خطة بريطانيا لإقامة دولة صهيونية:

وقبل موعد إصدار لجنة بيل لتقريرها استقال من اللجنة العربية العليا كل من راغب النشاشيبي ويعقوب فراج بحجة أن المفتي يتصرف دون استشارة بقية أعضاء اللجنة، واستنكر العضوان عمليات الأرهاب التي تجري مثل (محاولة اغتيال فخري النشاشيبي) وقالوا أن المفتي هو المسؤول عنها.

وقد كان يرغب حزب الدفاع الموافقة على التقسيم، وبالتالي يعزل الإنجليز الحاج أمين الحسيني ويتسنى لحزب الدفاع السيطرة على البلاد.

تقسيم فلسطين:

وفي السابع من شهر تموز ١٩٣٧ أعلنت الحكومة البريطانية التخلي عن الأنتداب وتقسيم البلاد إلى ثلاثة أقسام:

- دولة عربية تضم تلك الأجزاء التي يسكنها أكثرية من العرب.
- دولة يهودية تضم تلك الأجزاء التي يسكنها أكثرية من اليهود.
- مناطق تبقى تحت الأنتداب وهي أجزاء ذات أهمية استراتيجية، وذات أهمية دينية خاصة.

وحيث أن الدولة اليهودية المقترحة تضم أفضل أراضي فلسطين، أوصى القترير بأن تتلقى الدولة العربية مساعدة سنوية مالية من الدولة اليهودية[١].

اليهود يرفضون التقسيم ووايزمن يوافق:

احتج الصهيونيون على الحدود التي رسمها المشروع واعتبروها غير مرضيةو ولكن وايزمن وافق عليها ووعد أن يقنع المؤتمر الصيهوني بالموافقة على التقسيم . . ومساعدة البريطانيين على إجلاء العرب عن منطقة الجليل ونقلهم إلى شرقي الأردن. وقال وإيزمن إن الافرنسيين وافقوا على إقامة دولة يهودية كذلك.

العرب يرفضون التقسيم:

وكانت أكثرية العرب الساحقة ضد التقسيم، وفي الثامن من تموز أعلنت اللجنة العربية العليا رفضها لمشروع التقسيم وناشدت الحكام العرب والعالمين العربي والإسلامي التضامن مع الفلسطينيين. وأبلغت اللجنة عصبة الأمم رفضها للتقسيم، وقالت اللجنة العربية العليا أن الأنتداب غير عملي، ويجب إقامة دولة فلسطينية ترتبط ببريطانيا بمعاهدة تضمن مصالح الجميع، وكذلك تضمن مصالح الأقلية اليهودية.

وقد رفع جميع سكان البلاد عرائض إلى السلطات البريطانية ضد التقسيم وكان أشدها عرائض منطقة الجليل لأنها اتبعت للدولة اليهودية.

ونتيجة لذلك تشكلت لجان قومية محلية جديدة ذات قواعد شعبية واسعة وكان ممثلو المناطق القروية في هذه اللجان يشكلون أكثرية الثلثين.

محاولة القبض على المفتي:

حاول الإنجليز في السابع عشر من تموز عام ١٩٣٧ القبض على الحاج أمين الحسيني، ومنعه من إصدار مزيد من النداءات وكان البريطانيون قد فشلوا في ذلك، حيث أن المفتي اعتصم داخل الحرم الشريف، ولما تبين للمندوب السامي أنه لا يستطيع اقتحام الحرم الشريف لجأت الحكومة البريطانية إلى إجراءات لهيمنة الحكومة على إدارة المحاكم الشرعية وأموال الوقف وذلك بغية شل حركة المفتي.

---

(١) للإطلاع على تفاصيل خطة بيل لتقسيم فلسطين راجع تقرير لجنة بيل ص٣٦٠-٣٨٠.

☆ مؤتمر بلودان (١٩٣٧/٩/٨).

طالبت الهيئة العربية بالسماح لها بعقد مؤتمر عربي لنصرة فلسطين على غرار المؤتمرات الصهيونية، لكن بريطانيا رفضت ذلك، حينئذ تولت لجنة الدفاع عن فلسطين في دمشق عقد المؤتمر في بلودان[١] وقد حضره في الثامن من أيلول عام ١٩٣٧ (٤١١) مندوباً عربياً، كانوا موزعين على النحو التالي:

١٦٠ من سوريا، ١٢٨ من فلسطين، ٦٥ من لبنان، ٣٩ من شرقي الأردن، و١٢ من العراق، و٦ من مصر، وواحد من السعودية. ولم يكن بين المشتركين أي مندوبي حكومي أو رسمي. وانتخب المجتمعون ناجي السويدي رئيساً للمؤتمر وهو من رؤساء الوزراء السابقين في العراق، وانتخبوا كلا من علي علويه من مصر، وشكيب إرسلان من لبنان والأسقف حريكه من سوريا نواباً للرئيس ومحمد عزت دروزة من فلسطين سكرتيراً.

وأكد المؤتمر أن فلسطين جزءاً من الوطن العربي، وأن للعرب الحق في الدفاع عنها بل من واجبهم أن يفصلوا ذلك، واعتبر المؤتمرون الدولة اليهودية تهديداً خطيراً للعالم العربي وقاعدة أجنبية دخيلة فيه[٢].

وطالب المؤتمر كذلك بإلغاء تصريح بلفور والأنتداب وعقد معاهدة انغلو - فلسطينية. تعترف بريطانيا بموجبها بفلسطين وتوقف الهجرة اليهودية، وإذا أصرت بريطانيا على تنفيذ التقسيم تعلن الدولة العربية كلها مقاطعة البضائع البريطانية واليهودية.

وقد علق القنصل البريطاني على المؤتمر بقوله: إن الشعور العام لم يكن مناهضاً لبريطانيا بقدر ما كان مناهضاً لليهود. وقد فرض الاعتدال الممثلون المختلفون وعلى رأسهم ناجي السويدي الذي كان لا يرغب الأصطدام مع بريطانيا. هذا وقد قام حوالي ١٠٠ ممثل من الوطنيين السوريون والفلسطينيون الذين أبدوا خيبة أملهم من المؤتمر، بعقد اجتماع سري لبحث أمر اتخاذ إجراءات أشد فعالية.

---

(١) بلودان مصيف سوري معروف.

(٢) محمد عز دروزة (مرجع سابق)، ص: ١٨٣-١٨٥.

وكانوا يؤيدون الأعتداء على الشخصيات العربية الصديقة للسلطات البريطانية، وعلى اليهود ومن ثم القيام بعمليات أشد ضد السلطات البريطانية.

وفي الوقت نفسه كان المناضلون الفلسطينيون يجرون اتصالات مع الثوار السوريين الذين كانت لهم مراكز قيادية في ثورة عام ١٩٣٦، واتخذت الترتيبات اللازمة لقيام ٣٠ ثائراً على الفور بالإتجاه نحو منطقة تجمع تقع ما بين بيسان وجنين ونابلس، وفهم أنه بدأ حشد الأسلحة والذخائر حول مدينة نابلس تحت إشراف المفتي نفسه.

وقد لجأت بريطانيا إلى عرض مشروع التقسيم على عصبة الأمم، لكن أيدن طلب إرسال لجنة إلى فلسطين لأعداد التفاصيل المتعلقة بالتقسيم، وفهم من ذلك ضمناً أن بريطانيا لم تصمم نهائياً على تنفيذ المشروع لعنف ردود الفعل العربية كما ذكر إيدن في مذكرة لمجلس الوزراء البريطاني.

بداية المرحلة الثالثة من الثورة

تشرين الأول ١٩٣٧ - أيلول ١٩٣٩

وكانت الثورة تتميز خلال هذه المرحلة بالحقائق التالية:

١- لم تعد القدس مركز النضال، بل انتقل إلى بيروت حين فر عدد كبير من الزعماء.

٢- أصبحت دمشق مركز التموين وتزويد المجاهدين بالسلاح والمال والعتاد، وتألفت لهذا الغرض لجنة سرية عراقية، فلسطينية، سورية، وكانت تقوم بأعمال مع قيادة اللجنة العربية العليا في بيروت.

٣- اقتصر النضال على الفلسطينيين لوحدهم، ولم تدخل البلاد قوات نظامية، بل دفعها متطوعون سوريون وعراقيون وأردنيون ولبنانيون. وانضموا إلى المجاهدين الفلسطينيين بقيادة عبد القادر الحسيني.

٤- ظهر قادة جدد في الثورة وخاصة في شمالي البلاد.

٥- كانت العمليات أوسع من المرحلة الأولى وتميز المقاتل الفلسطيني بكفاءة أفضل.

٦- لم تضرب البلاد كما كان الحال في المرحلة الأولى، وهذا سهل للسكان المدنيين الحركة وتزويد الثوار بمعلومات عن تحرك الإنجليز.

٧- وقعت في البلاد معارك عسكرية ضخمة كان بعضها يستمر بضعة أيام بين المجاهدين والجيش البريطاني. واتخذت هذه المعارك طابع المعارك الحربية، وقد قام المجاهدون بهجمات عسكرية منظمة على المدن، واستطاعوا احتلال بعضها ورفع العلم العربي مكان العلم البريطاني. ومن المدن التي احتلها المجاهدون القدس القديمة، وعكا، وبير السبع، والخليل، وبيت لحم، وبيت ساحور، والمجدل، والفالوجة، ولم يخرجوا منها إلا بعد معارك ضارية مع القوات البريطانية التي كان تعزيزها مستمراً. وتمكن المجاهدون من السيطرة التامة على أكثر من نصف مساحة فلسطين (الريف والبادية) ومن التحكم الكامل بطرق المواصلات الرئيسة طوال مدة الثورة.

٨- اتسعت في هذه المرحلة الهجمات الفلسطينية المركزة على المستعمرات الصهيونية ولا سيما في لواءي القدس وغزة، وتكبدت هذه المستعمرات خسائر مادية فادحة، في حين هلك الكثيرون من حراسها الصهيونيين ومن أفراد المنظمات العسكرية الصهيونية الأرهابية.

٩- ولوحظ خلال هذه المرحلة من الثورة قيام المجاهدين بأعمال النسف والتدمير وتفجير المتفجرات في الأوساط الصهيونية والدوائر الرسمية بشكل دلّ على أنهم قضوا المرحلة الثانية وهم يتدربون على هذه الأعمال[1].

هذا وقد اغتيل في الناصرة أندروس حاكم لواء الجليل وحرسه، فاتخذت السلطات البريطانية ذلك ذريعة وأعلنت اللجنة العربية العليا وكل اللجان القومية غير شرعية بعد هذا الحادث، علماً بأن هذه اللجان استنكرت الحادث علناً. كما تم اعتقال ونفي عدد من أعضاء اللجنة العربية العليا إلى سيشل، وأقصي المفتي عن جميع مناصبه سواء كان ذلك في رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى أو في رئاسة لجنة الأوقاف. أما جمال الحسيني فقد فر من البلاد وأما الحاج أمين الحسيني فقد اعتصم في الحرم.

وفي اليوم الثاني من تشرين الأول عام ١٩٣٧ أضربت القدس احتجاجاً على اعتقال الزعماء، وفي اليومين التاليين امتد الأضراب إلى أجزاء أخرى كثيرة في البلاد.

وقد أصدر المفتي بياناً طلب فيه من السكان العودة إلى العمل فانتهى الأضراب، وفي الرابع عشر من شهر تشرين الأول استطاع المفتي، على الرغم من الأحتياطات التي كان البوليس قد اتخذها، الهروب إلى لبنان.

وفي ليلة ١٤/١٥ من تشرين الأول جرت غارتان على سيارات الركاب اليهودية في ضواحي القدس، وتعرضت المستعمرات اليهودية إلى إطلاق النار، وأتلف جانب من خط أنابيب نفط العراق وأشتعلت النار في النفط المتدفق، كما قطعت خطوط الهاتف ودمرت بعض خطوط السكك الحديدية وأطلقت النار على إحدى دوريات البوليس بالقرب من الخليل، وأطلقت النار على قاطرة حديدية تنقل القوات البريطانية.

---

(١) الموسوعة الفلسطينية - دمشق (مرجع سابق)، ص: ٦٣١.

وفي مساء اليوم التالي اخترق فريق كبير من الثوار مرافق مطار اللد وأحرق المكاتب الخشبية التابعة للمطار وأحرق مكاتب الجوازات والجمارك.

ففرضت السلطات غرامة جماعية مقدارها خمسة آلاف جنيه فلسطيني على مدينة اللد وفرضت عليها نظام منع التجول أربعة متتالية. وأعلنت حالة الطوارىء وأقيمت مراكز البوليس على نفقة السكان في قرى عديدة مختلفة.

ومنذ شهر تشرين الثاني أصبحت قوات الحكومة التي تدخل القرى تتعرض لإطلاق النار، أو يتعرض لها بعض القرويين ويقذفونها بالحجارة وهي ترد بإطلاق النار.

هذا وقد أجرى الدكتور برودنسكي مقابلة مع روينسكون أعلم فيها الأول الثاني «أن العرب اتصلوا باليهود راغبين التوصل معهم إلى اتفاق ضد بريطانيا ولكن اليهود رفضوا ذلك لأنهم يعتبرون علاقتهم مع بريطانيا علاقة جوهرية»[١].

وقد طالب اليهود بتشكيل وحدات يهودية مسلحة للمحاربة إلى جانب القوات البريطانية. وتخلوا عن ضبط النفس وقتلوا وجرحوا عشرات العرب.

☆ اللجنة المركزية للجهاد:

وكان نتيجة الإجراءات التأديبية أن بعض القرى قطعت تعاملها مع الثوار إضافة إلى أن وجهاءها بدأوا يتعاونون مع الحكومة مما حدا بالثوار إلى إرهاب وبث الرعب في نفوس المتعاونين والعودة إلى مسك زمام المبادرة.

وبالرغم من التنكيل والبطش فإن عدد الثوار كان يتزايد وقد فاق عدد ثوار عام ١٩٣٦ .

وقد شكلت لجنة مركزية أطلق عليها اسم «اللجنة المركزية للجهاد»، واتخذت مقرها دمشق، وتولى إدارة عملياتها عزت دروزة، وبتوجه من المفتي الذي كان يقيم في لبنان.

وكان مقر رئاسة الثوار يقوم بإجراء التنسيق والتعاون بين تشكيلات الثوار التي كانت تتمتع إلى حد كبير بالاستقلال. ويتولى رئاسة كل منها قائد محلي يساعده عدد من

---

(١) ١٨/١٢/١٩٣٧ و. م، ٧٣٢-٣٢٨.

رؤساء الفصائل، وكان يتولى قيادة هذه التشكيلات قادة فلسطينيون يرتبطون بأوثق الصلات بالفلاحين وبالقرى التي تقع ضمن مناطق عملياتهم، وكان أبرز زعماء المرحلة الثانية عبد الرحيم محمد وعارف عبد الرزاق (نابلس) وعبد القادر الحسيني (القدس) ويوسف أبو دية «الخليل»[1].

وكانت تتم الاتصالات بين مختلف التشكيلات والقيادة العليا بواسطة الرسل أو الزيارات المبتادلة.

وكانت الرئاسة تزود التشكيلات بالمساعدات المالية والطبية والأسلحة.

أما المكتب القومي العربي في دمشق فكان يقوم بالنشر والأعلام والدعاية للثورة.

ولم يكن الثوار يعتمدون بصورة رئيسية على المساعدات التي كانوا يتلقونها من دمشق بالرغم من أن دمشق كانت تحصل على التبرعات من العالمين العربي والإسلامي، لكن الثوار كانوا يعتمدون بصورة رئيسية على السكان المحليين، ويقيمون في الجبال محاكم ثورية، وكان الثوار بدورهم يجبون الضرائب من السكان ويفرضون على كل قرية تزويدهم بعدد مناسب من المقاتلين[2]، كما استطاع الثوار في أعالي الجبال أن يتصلوا بالمناضلين داخل المدن، وكان عمل المناضلين قد بث الذعر في نفوس العرب المتعاونين مع السلطات البريطانية وذلك من خلال عمليات التهديد والاغتيال.

وكذلك عمل مع الثورة عدد من الشباب العرب المتحمسين، وكانوا ينظمون أنفسهم في زمر صغيرة. ويرتدون الزي الذي كان يرتديه جيش الملك فيصل عام ١٩١٩، ولم يكن هؤلاء الشباب يتقاضون أموالاً أو رواتب، بل كانوا يحصلون على كميات وفيرة من الأسلحة عندما يجتازون الحدود إلى داخل فلسطين.

ورغم الإجراءات التي اتخذها الإنجليز فقد اشتدت الثورة، لقد حاول الإنجليز كبح جماح الثورة بوضع أسلاك شائكة على طول الحدود الشمالية والشمالية الشرقية من فلسطين لمنع وصول الإمدادات للثوار وكذلك أشركوا سلاح الجو والمدرعات في المعارك دون جدوى.

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص: ٣٣٩.
(٢) نفس المرجع. ص: ٣٤٠.

وقد قامت القوات البريطانية بقيادة هانينغ إلى احتلال قرى في منطقتي الخليل والسامرة لمدة طويلة لمنع الثوار من الوصول إلى قواعدهم، فكان من نتيجة ذلك نقصان العمليات في المناطق الأخرى. كما جندت القوات البريطانية اليهود في صفوفها لمقاومة الثورة.

وكانت القوات البريطانية تقوم بأعمال انتقام جماعية من المدنيين كفرض نظام منع التجول عليهم، أو فرض الغرامات الجماعية.

وقد حاول جمال الحسيني أن يتقدم بحل سلمي مفاده أن العرب على استعداد للموافقة على بقاء السكان اليهود الحاليين ومنحهم حقوقاً كاملة في فلسطين مساوية لحقوق المواطنين الآخرين، وأشراكهم بنسبة عدد سكانهم في جميع المؤسسات الحكومة مع منح اليهود في الأماكن التي يقيمون بها حكماً ذاتياً [١].

ولكن هذه البادرة لم تلق أي تجاوب لأن الصهيونيين كانوا مصممين على إقامة دولة يهودية، ولأن البريطانيين كانوا لا يقلون عنهم تصميماً على سحق الثورة قبل البدء بأية مفاوضات مع العرب[٢].

بريطانيا تواجه شعباً ثائراً:

بقي زمام المبادرة بيد الثوار في الأرياف والمناضلين في المدن، وقامت حرب شوارع في كل من القدس ويافا. وفي حيفا انفجرت قنبلة مؤقوتة وضعها اليهود في سوق الخضار فأدت إلى مقتل ٢٣ شخصاً وجرحت ٧٩ معظمهم من العرب[٣].

وأعلن الاضراب العام في البلاد لمدة أسبوع ولولا تدخل الأسطول البريطاني لتطور الأضراب إلى انتفاضة خطيرة. وتبع ذلك انفجارات أخرى وإزدادت العلاقات العربية - اليهودية سوءاً، وقام العرب بسلسلة من الغارات على المستعمرات اليهودية.

وقد نظم اليهود مفارز ليلية بقيادة الكابتن وينغيت، وكانت مهمة هذه المفارز القيام بغارات معاكسة على الثوار وحماية خط النفط الذي يصل العراق بميناء حيفا.

---

(١) ١٩٣٨/٥/١٧ و. م ٧٣٣-٣٧٠.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص: ٣٤٣.

(٣) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص: ٢٤٤.

وفي حيفا ١٩٣٨ بلغت الثورة ذروتها، وبناء على طلب اللجنة المركزية للجهاد عقد مجلس أعلى ضم كبار قادة الثوار وذلك لتعزيز التعاون والتنسيق بينهم، وقرر المجلس مواصلة الكفاح وتصعيده إلى أن تستجيب بريطانيا للمطالب العربية.

وأصبح الثوار في ذروة مطالبهم، وأصبح لدى الثوار الأجهزة الشرعية والإدارية المختلفة، وقد قرر الثوار وقف سداد الديون وأنذروا سماسرة الأراضي والجباة بعدم الذهاب إلى القرى، وقد طلب الثوار من أهل المدن ارتداء الكوفية والعقال بدلاً من الطربوش حتى لا يميز الجيش والشرطة هؤلاء القرويين.

☆ الثوار أسياد الموقف:

وبالرغم من الإجراءات التأديبية الشديدة بقي الثوار الفلسطينيون سادة الموقف وقد سيطروا على الريف وكانوا يقومون بهجمات شديدة ضمن المدن الكبيرة، وكان يشتبه أن للشرطة العربية تواطؤا معهم.

وبالنظر لهذه الغارات حثّ هانينغ ومكدونالد وزير المستعمرات السلطات البريطانية على إرسال فرقة ثانية إلى فلسطين مما أدى إلى دعوة الأحتياطي البريطاني للخدمة.

ونتيجة تدهور الأحوال في أوروبا نتيجة السياسة الألمانية التوسعية قررت بريطانيا احتواء ودعوة ممثلين عن عرب فلسطين واليهود لبحث تقرير لجنة التقسيم (لجنة ودهد) وكانت السلطات البريطانية مصرة على عدم دعوة أي من المنفيين ولكن وزير المستعمرات أسرع ونصح بعدم وضع هذا الشرط. ولما كانت حكومة فلسطينية ضد التفاوض مع المفتي فقد اقترح ميكمايكل إجراء الحوار مع رؤساء البلديات.

وقد طلب مكمايكل تشكيل قوة يهودية إضافية رغم كل الاعتراضات.

ولما كانت مصر معدة لتكون مسرحاً للحرب وكذلك العراق فقد تلهف الإنجليز إلى صداقة العرب. وإلى دخول الولايات المتحدة الأميركية التي يتوفر فيها نفوذاً يهودياً.

ومهما يكن من أمر فإن المصالح الأستراتيجية البريطانية كانت تتطلب تحقيق المصالحة مع العرب الفلسطينيين والأقطار المجاورة، ووضع حد للثورة واقترح مكدونالد وقف الهجرة إذا ما اندلعت نيران الحرب[١].

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص: ٣٤٧.

الفصل الواحد والعشرون

الثورة الفلسطينية الكبرى

١٩٣٦- ١٩٣٩

الثورة الفلسطينية الكبرى
١٩٣٦ - ١٩٣٩

بدأت ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ عمليا قبل إعلان الجهاد المقدس في مطلع آيار ١٩٣٦. وهي في تطوراتها وأحداثها سلسلة ملتحمة الحلقات من أعمال مسلحة. واضطرابات، ومظاهرات شعبية، وحوادث عنف، واصطدامات محلية بين العرب واليهود والبريطانيين، كما اتصفت بالنضال السياسي الشديد، وجهود دبلوماسية ودعائية لصالح القضية الفلسطينية.

لقد مرت الثورة الفلسطينية الكبرى بثلاث مراحل رئيسية:[1]

المرحلة الأولى:

من نيسان ١٩٣٦ إلى تشرين الأول ١٩٣٦، وقد سادها العمل المسلح.

المرحلة الثانية:

من تشرين الأول ١٩٣٦ إلى أيلول ١٩٣٧. واتسمت بنضال سياسي ودعائي، وباغتيال باعة الأراضي والسماسرة والجواسيس، وبالنضال ضد مشروع تقسيم فلسطين الذي كانت بريطانيا تمهد السبيل لتنفيذه.

المرحلة الثالثة:

من تشرين الأول ١٩٣٧ إلى أيلول ١٩٣٩، وكانت ثورة مسلحة مستمرة في داخل فلسطين، وجهوداً دعائية ودبلوماسية خارج فلسطين.

أسباب الثورة:

تجمعت عدة عوامل لنشوب هذه الثورة، ومنها الأسباب البعيدة، والأسباب المباشرة.

١ - الأسباب البعيدة:

من الطبيعي بعد صدور وعد بلفور وبدء الهجرة الصهيونية لاستيطان فلسطين أن يتصدى عرب فلسطين لبريطانيا حامية الصهيوني اليهودي، فكانت ثورات وانتفاضات أعوام ١٩٠٢، و١٩٢١، و ١٩٢٩، و ١٩٣٣، وإلى هذه الأسباب تعود كل الانتفاضات التي وقعت ما بين عام ١٩١٩ وحتى ربيع ١٩٣٦[2].

---

(١) الموسوعة الفلسطينية - دمشق - الجزء الأول - الطبعة الأولى - ١٩٨٤. ص: ٦٢٢.

(٢) الموسوعة الفلسطينية - الجزء الأول (مرجع سابق)، ص: ٦٢٣.

وقد تبين لعرب فلسطين أن بريطانيا لن تغير من سياستها في دعم اليهود، وفي إقامة وطن قومي استيطاني لليهود في فلسطين، وقد تبين لهم أيضا بأن المفاوضات السياسية مع بريطانيا غير مجدية. وأن السياسة الدبلوماسية والوسائل الدعائية للقضية الفلسطينية في أوروبا وأمريكا غير مجديين.

ازداد عدد الفلاحين الذين لا يملكون أرضا، كما ازداد عدد العاطلين عن العمل وبدأ الفلاحون يشعرون بأنه إذا لم توضع قيود على انتقال ملكية الأرض، فإنهم سيفقدون أرضهم، وبالتالي سيصبح عدد العرب أقلية في فلسطين بالنسبة لعدد اليهود.

وكان مريدو وأنصار القسّام لازالوا مستعدين لحمل السلاح، وازداد الشعب العربي الفلسطيني ايماناً بأن طريق الكفاح التي اختطها القسام هي السبيل الوحيد لمقارعة انجلترا والصهيونية، وشجع النضال الوطني في مصر وسوريا عرب فلسطين على نهج نفس السبيل.

وقد وجد النضال المسلح تجسيدا بشكل حي واقعي في ثورة الشيخ عز الدين القسام عام ١٩٣٥[١].

الأسباب المباشرة:

ومن أهم الأسباب المباشرة ما يلي:

١- استفحال تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين وخاصة بعد تولي الحزب النازي الحكم في ألمانيا، وارتفاع أعداد المهاجرين ما بين سنتي ١٩٣٣ - ١٩٣٥. وكانت الهجرة تتدفق ضمن الكوتا المخصصة من قبل حكومة الانتداب، وبشكل هجرة سرية لا شرعية، وكانت الحكومة تحميها وتتستر عليها.

٢- تفاقم خطر استيلاء اليهود على أراضي العرب وأراضي الدولة، واستمرار الحكومة البريطانية في سن الأنظمة والقوانين لتسهيل عملية استيلاء اليهود على أراضي العرب.

٣- قيام الصهيونيون (بمعرفة الحكومة ومساعدتها) بتهريب كميات كبيرة من الأسلحة والعتاد إلى فلسطين وتوزيعها على الأحياء اليهودية في المدن وعلى تل أبيب وعلى

(١) نفس المرجع، ص: ٢٦٣.

المستعمرات المختلفة، بالاضافة إلى نشاطهم السري والعلني بتشكيل منظمات عسكرية وإرهابية واشتراك ضباط بريطانيين في تدريب اليهود فيها، وقد كان لهم منظمات: الهاغاناه، وشترن، وأرغون تسفاي لئيومي.

٤- اقدام الصهاينة على أعمال قتل وفتك وتنكيل بالعرب، ولا سيما في المناطق المحاذية للمدن وللمستعمرات اليهودية.

٥- اتفاق جميع الفئات والأحزاب الفلسطينية على توحيد الكلمة والصف، وانتهاء الفرقة وتشكيل اللجنة العربية العليا.

٦- طرأت قبل نشوب الثورة أحداث عجلت بنشوبها وهي:

(أ) ففي مطلع شهر نيسان ١٩٣٦ ضاعف الصهيونيون هجماتهم العدوانية المسلحة على العرب لإثارتهم وجرهم إلى خوض المعركة قبل أن يتموا استعدادهم للثورة. وكان الانجليز والصهيونيون قد علموا يومئذ باتجاه العرب نحو التأهب والاستعداد. لكن هذه الخطة الصهيونية المبيتة منيت بالفشل، اذ امتنع التشكيل السري عن مجابهة الهجمات الصهيونية السابق ذكرها وترك أمر الرد عليها للآهالي في مناطق الاعتداء.

(ب) لجأ الصهيونيون بعد فشلهم السابق إلى خطة أخرى لاقحام العرب في المعركة في وقت ما زال فيه الخلاف والشقاق قائماً بين الأحزاب العربية. وقد بنيت هذه الخطة على شن أعمال عدوانية ضد يافا أكبر مدينة عربية في فلسطين. ولكن هذه الخطة انقلبت على اصحابها، إذ أنها أدت إلى وحدة صف الفلسطينيين بشكل سريع، فأعلنت يافا الإضراب العام، وتبعتها مدن وقرى فلسطين، وبادر زعماء المدن والقرى على اختلاف مشاربهم وفئاتهم إلى إنشاء اللجان القومية (لجنة في كل مدينة وقرية كبيرة) . وضمت هذه اللجان ممثلين عن جميع الأحزاب و الطوائف والفئات.

(ج) في ٢٥ نيسان، والاضراب العام مازال قائماً، عقدت اللجان القومية مؤتمراً عاماً لها في القدس. وقرر هذا المؤتمر في جو من الحماسة الشديدة تشكيل قيادة سياسية مركزية للحركة الوطنية مقرها القدس، على أن تتمثل فيها الأحزاب والجماعات. فتألفت االلجنة العربية العليا لفلسطين برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني وعضوية ممثلي الأحزاب الفلسطينية جميعها وممثلين عن المستقلين[١] .

---

(١) الموسوعة الفلسطينية - دمشق - (مرجع سابق) الجزء الأول، ص: ٦٢٥.

أهداف ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩:

كانت أهداف عرب فلسطين في كل حركاتهم ومظاهراتهم وانتفاضاتهم منذ عام ١٩١٩ واحدة، وهي عروبة فلسطين، ومنع تهويدها واعلان استقلالها وضمها للوطن العربي، ولكن هذه الأهداف لم تعلن بصراحة ووضوح إلا في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩. ولم تعلن قبل ذلك حتى ينهي العرب استعداداتهم.

وبعد شهر واحد من ثورة القسام، أصدر المندوب السامي البريطاني في فلسطين قراراً بتأليف مجلس تشريعي، وكذلك قراراً يحد من بيع الأراضي، وقد قاوم اليهود الاقتراح الثاني، واعترض العرب على طريقة تركيب المجلس التشريعي وعلى صلاحياته، وظل التحريض مستمرا ضد الحكومة بالرغم من قرار تحديد بيع الأراضي.

وكان للجهود الصهيونية أثرها في مقاومة مقترحات الحكومة لإقامة المجلس التشريعي، وعلى أثر ذلك كشف النقاب عن وجود شك كبير في قطاعات البرلمان البريطاني بشأن ما إذا كان من المرغوب فيه المباشرة بتطبيق تلك المقترحات.

وعلى الرغم من أن اتجاه مجلس العموم كان ضد العرب، فإن حزب الدفاع الوطني الوطني قَبِل مقترحاته.

إعلان الاضراب العام:

وقد أعلنت الحكومة المنتدبة منع التجول في يافا وتل أبيب و أعلنت حالة الطوارىء في كل البلاد وفي الاشتباكات التي وقعت في التاسع عشر من نيسان أصيب عشرات الإشخاص العرب بجروح وأحرقت الكثير من المنازل العربية .

وقد جاء رد الفعل العربي قوياً وعفوياً، فشكلت اللجان القومية في نابلس وفي البلدان المختلفة في كل من حيفا ويافا وغزة بقيادة الاستقلاليين، وأعلن الاضراب المستمر إلى أن تعلن الحكومة موافقتها على المطالب التي قدمت في شهر تشرين الأول السابق.

وقد سارعت الأحزاب مثل الكتلة الوطنية ومؤتمر الشباب والحزب العربي إلى تأييد الاضراب . أما المعتدلون مثل حزب الدفاع الوطني وفئات التجار فكانوا ميالين لتحديد الاضراب لمدة معينة: طلب وقف الهجرة.

وقد طالب واكهوف المندوب السامي البريطاني زعماء الأحزاب بمساعدته في كبح جماح الاضراب والفوضى في البلاد، فكانت اجابتهم طلب وقف الهجرة.

وقد طلب زعماء الأحزاب الخمسة من الشعب مواصلة الاضراب وارجاء سفر الوفود العربية إلى لندن.

وقد اجتمعت اللجنة القومية في القدس وشكلت جهازاً خاصاً للإشراف على االأضراب، ولجاناً لرعاية المحتاجين وقد استثنى من الاضراب مؤقتاً الطواحين الأفران وعيادات الأطباء والمستوصفات والصيدليات ووسائل المواصلات والمقاهي.

وقد انضم إلى الاضراب أصحاب السيارات الخاصة والعامة بزعامة حسن صدقي الدجاني وسيارات الشحن وعمال مرفأ يافا.

وقد- بعد أن قَبِل المقترحات المقترحات البريطانية- الأحزاب الأخرى على قبولها ولكن جمال الحسيني رفض هذه المقترحات.

وفي ٢/ ٤/ ١٩٣٦ استدعى المندوب السامي زعماء الإحزاب العربية المختلفة ووجه لها الدعوة الى ارسال وفود الى لندن لعرض وجهة نظرها العربية، وقد وافقت جميع الأحزاب على ذلك.

ولكن الحزب العربي أصدر بعد ٢٢ يوما بياناً أعلن فيه رفضه مقترحات إقامة مجلس تشريعي، وكذلك فإن انسحاب الحزب آضرّ سفر بقية الوفود.

الشرارة:

كان التوتر بين العرب واليهود يزداد حدة منذ خريف عام ١٩٣٥.

وفي شباط ١٩٣٦ تعاقدت الحكومة مع أحد المقاولين اليهود على بناء ٣ مدارس في يافا، ولم يقم هذا المقاول بتشغيل أي عامل عربي وهناك تألفت في يافا حامية من العمال العرب لتطويق موقع إحدى المدارس المراد بناؤها ومنع العمال اليهود من الوصول إليه[١].

زكذلك قتل في الخامس عشر من شهر نيسان رجل يهودي وأصيب اثنان بجراح خطيرة، وفي الليلة التالية قتل عربيان شمالي مستعمرة ملبّس. وحين تشييع جنازة

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص٣٠٢.

اليهودي تحولت جنازته الى مظاهرة صاخبة حاولت التوجه نحو مدينة يافا، ولكن البوليس حال دون ذلك، فرجمته الجماهير اليهودية بالحجارة[١] .

تشكيل اللجنة العربية العليا

وفي الخامس والعشرين من نيسان عام ١٩٣٥ عقد اجتماع ضم جميع الأحزاب العربية، وشكلت لجنة عليا عرفت باسم «اللجنة العربية العليا» ووافق الحاج أمين الحسيني على رئاستها وتشكلت من:

عوني عبد الهادي سكرتير اللجنة، أحمد حلمي باشا (أمين الصندوق)، راغب النشاشيبي، جمال الحسيني، عبد اللطيف صلاح، الدكتور حسين فخري الخالدي، يعقوب الغصين، يعقوب فراج، الفرد روك.

وقد أعلنت اللجنة استمرار الاضراب حتى تتحقق المطالب العربية المتمثلة: بمنع الهجرة، والميثاق الوطني، ومنع بيع الأراضي لليهود، واقامة حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس تمثيلي.

مؤتمر اللجان القومية:

عقد اجتماع للنساء العربيات في القدس صدر عنه نداء حث اللجنة العربية العليا واللجان القومية على مقاطعة الحكومة والامتناع عن الدخول معها في مفاوضات، كما صدر في جنين بيان مماثل، وفي الثامن من أيار عقد في القدس مؤتمر لجميع اللجان القومية وسيطر عليه الثوريون العرب، ولم يكتف المؤتمر بمواصلة الاضراب بل نادى وتبنى مبدأ «الاضراب بدون تمثيل».

وبعد يومين من المؤتمر عقدت لجان الطلبة مؤتمراً في يافا قررت فيه تأييد المطالب الوطنية ومقاطعة البضائع البريطانية والصهيونية، والانسحاب من الحركة الكشفية التابعة لبادن باول البريطاني[٢] . وقد ألقيت عدة قنابل على مراكز البوليس والحكومة.

---

(١) المندوب السامي الى وزير المستعمرات ٩/٤/٣٦ و.م ٧٣٣-٣١٠ .

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص:٣٠٧.

وقد عقدت اللجنة الوطنية الريفية مؤتمرا لها في نابلس، وتبنى المؤتمر الامتناع على دفع الضرائب والدعوة الى تشكيل لجان قومية في جميع القرى العربية.

وقد بعث واكهوب المندوب السامي بتقرير إلى وزارة المستعمرات وقال «إن جميع سكان القرى والمدن متحدون» وتكهن واكهوب في نفس هذا التقرير بأن كل أسبوع قادم سيحمل معه بعد الآن مزيداً من مظاهر المقاومة للسلطات، وأضاف واكهوب يقول: «فعلى الرغم من القاء القبض على أكثر من (٦٦٠) رجلاً فإن عملية اطلاق النار والقاء القنابل وتخريب السكك الحديدية مستمرة وستزداد حدتها»[١].

ثورة الريف الفلسطيني:

وفي الريف اتخذت المقاومة شكل عدم دفع الضرائب والقيام بأعمال العنف.

فقد عقد اجتماع في قرية أبو غوش حضره الالآف من القرى المجاورة، ونادى المجتمعون بأن الوقت قد حان لحل المشكلة اليهودية مرة واحدة وإلى الأبد ويجب الاستمرار في النضال ضد الحكومة إلى أن يتم تحقيق الأهداف السياسية.

وقد أعلنت الحكومة البريطانية عن برنامج للهجرة يستوعب (٤٥٠٠) مهاجر خلال الأشهر التالية، الأمر الذي زاد من حدة المرارة لدى العرب.

كما أعلنت الحكومة البريطانية أنه تقرر تعيين لجمة ملكية للتحقيق في أسباب القلق والاضطرابات، شريطة أن تعود الحياة الطبيعية للبلاد. لكن العرب رفضوا ذلك واشترطوا اعلان وقف الهجرة.

وهنا بدأت القوات البريطانية تتدفق على فلسطين من مصر ومالطا.

وكانت مشكلة عمال ميناء حيفا بارزة إذ يمكن الاستعاضة عنهم بعمال يهود.

وكذلك فإن موظفي البلديات أمرهم مناط بموقف رؤسائهم، وقد عقد رؤساء البلديات اجتماعاً سرياً بعد أن منعت السلطات اجتماعهم العلني وقد تقرر أن يضرب نصف العمال وأعفي عمال الكهرباء والتنظيفات من الاضراب.

---

(١) كتاب الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص: ٣٠٧ .

أما موظفو الدولة فلم تطلب اللجنة العربية العليا منهم الاضراب، لكنهم أرسلوا بمذكرات احتجاج إلى الحكومة.

هذا ولم يتعرض من أعضاء الجنة العربية العليا للاعتقال سوى روحي عبد الهادي الذي زج به في معتقل صرفند وكذلك محمد عزت دروزة. أما الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا فقد كان واكهوب متمنياً من موقفه وخاصة عدم تحريض خطباء المساجد على الثورة. فقد كتب واكهوب في السابع من حزيران إلى أورسبي وزير المستعمرات الجديد فقال: « إن الحقيقة التي تسترعي الانتباه، أن النداء الديني لم يرفع طيلة الأسابيع الستة الماضية وأما صلوات أيام الجمع وخطبها اقترنت بدرجة من الاعتدال تفوق بكثير ما كنت أتوقعه. وفي وقت بلغت فيه حدة المشاعر عمقاً كبيراً، والفضل في ذلك يعود في الدرجة الأولى للمفتي[1] .

التعسف البريطاني يزيد الثورة التهاباً:

وكانت السلطات البريطانية متفقة بأن الاضراب يتمتع بعطف العرب الكامل وأن العصابات المسلحة كانت تلقى التأييد والمساندة من القرويين، لذلك فإنه أمر بالقيام بتفتيش القرى لبحث عن المسلحين ولايقاع تأديبات اجرائية تأديبية ضدها.

وقد أتلفت الممتلكات خلال التفتيش وسرقت الحلي ومزقت نسخ القرآن الكريم الأمر الذي زاد من هياج الفلاحين. وبالرغم من أن ثورة فلسطين وصفت بأنها ثورة فلاحين، إلا أنها لم تكن مقصورة على قطاع الفلاحين، ففي نابلس نصبت المتاريس ضد القوات المسلحة وتعرضت مخافر المدينة إلى اطلاق النار عليها، وفي ضواحي القدس كانت سيارات الركوب اليهودية والسيارات المدرعة تتعرض لغارات، كما كانت هناك عمليات نشطة للقناصة في جميع المدن والقرى وكان هدفها مراكز الشرطة والجيش.

هدم يافا القديمة:

كانت يافا بأزقتها القديمة، والتصاق بيوتها ببعضها البعض لا تسمح للقوات الحكومية بدخول المدينة، وتجعل من سيارات ودوريات الانجليز هدفاً سهلاً للثوار.

---

(١) و.م ٧٢٣- ٢٩٧.

لذا لجأت حكومة الانتداب إلى هدم عدد من الأحياء القديمة في يافا، مما أدى إلى تشتت سكانها، واقامتهم في أكواخ مؤقتة.

كما صدرت أوامر من السلطات البريطانية بحق اعدام الأشخاص الذين يطلقون النيران على قوات الأمن. وأما علماء الدين فقد ساءهم هدم أجزاء من المساجد في يافا وبذلك أخذت موقفهم المعتدل من الحكومة يتخذ في شهر تموز شكلاً أشد تطرفاً وتحدياً[١].

وقد أخذت تنظيمات الكفاح المسلح تظهر، هذا وإن كانت في البداية زمراً تتألف من ١٥-٢٠ رجلاً فأصبحت الآن زمراً تتألف من ٥٠ - ٧٠ رجلاً وهي ليست عصابات للسلب أو النهب، بل هي تخوض حسب ما تعتقد حرباً وطنية تدافع بها عن بلادها في وجه الظلم والتهديد بالسيطرة اليهودية.

تشكيلات الثورة:

ليس من اليسير تحديد عناصر ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ وذلك لطوق السرية والكتمان الذي ضرب على مرحلة التأهب، وكذلك قصد السياسيون عدم كشف النقاب عن قادة وعناصر الثورة، وعدم ذكر المدن والأماكن التي يفد منها الثوار لأن الانجليز كانوا يضطهدون عائلات الثوار إذا عرفوهم[٢].

كان الثوار يعتمدون داخل المدن والقرى على اللجان المحلية لتزويدهم بالطعام والرجال والمأوى والمعلومات وكانت تشكيلاتهم تنقسم إلى ثلاث فئات:

- الفئة الأولى: مجاهدين متفرغين معتصمين بالجبال. وهم العمود الفقري للثورة ويجابهون قوات الجيش البريطاني ويقومون بنسف خطوط البترول والمنشآت الأخرى.
- الفئة الثانية: وتتألف من فدائي المدن، وهم يمارسون حياتهم المدنية المعتادة، وينجزون مهام عسكرية محددة بناء على تعليمات قادتهم، وعملياتهم كانت ذات أثر فعال بقضية العرب الذي يتعاملون مع الانجليز. وكانوا يغتالون أيضاً الضباط الانجليز الذين يغتالون ويعذبون العرب المعتقلين.

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي- تاريخ فلسطين الحيث (مرجع سابق)، ص:٣١٥.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي- تاريخ فلسطين الحديث(مرحع سابق)، ص:٣١٦.

- الفئة الثالثة: وهي كبرى الفئات عدداً فهي الأنصار أو العاديون الذين يهبّون إلى حمل السلاح ونجدة المجاهدين عندما تنشب معركة في منطقتهم.

وفي غضون شهر تموز كتبت الاستخبارات البريطانية العسكرية تقول: « إنه يجري اعادة تنظيم الثوار على أيدي ضباط سابقين من سوريا وشرقي الأردن الأمر الذي ظهر أثره من خلال ما لوحظ من تحسن كبير في عملياتهم العسكرية الأخيرة[(١)]. »

وكانت تشكيلات الثوار منقسمة إلى أربع جبهات يتولى رئاسة كل منها قائد منطقة يهيمن على تشكيلات يتألف كل منها من عدد يتراوح بين ١٥٠ -٢٠٠ مجاهداً ويرئس كل تشكيل قائد فصيل.

وتتميز الثورة الفلسطينية بما يلي:

١- كان أبناء فلسطين هم العنصر الأساسي والرئيس في الثورة، سواء منهم المجاهدون حملة السلاح، أو عدد من رجال السياسة والقيادة الوطنية، أو عدد من كبار الموظفين العرب في الحكومة الذين قدموا للثورة خدمات جيدة.

٢- كان الحاج أمين الحسيني وعدد من الشبان الذين وثق بهم واعتمدهم، قد أنشأوا خلال الأعوام التي سبقت نشوب الثورة، عدة منظمات وتشكيلات« سرية»، ووفروا لها السلاح والتدريب والتنظيم للقيام بالثورة عندما يأذن الوقت الملائم. وكانت هذه المنظمات والتشكيلات هي في الحقيقة نواة الثورة.

٣- عمل هؤلاء المذكورون على انشاء تشكيلات ومنظمات علنية، ودربوها تحت ستار النشاط الرياضي على أعمال الاسعاف والدعاية، وعلى أعمال تنظيمية ومسلكية تفيد منها الثورة عند نشوبها. وكان من هذه التشكيلات والتنظيمات: جمعيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجمعيات الشبان المسلمين، ومنظمة الفتوة (التابعة للمجلس الإسلامي الأعلى) ومنظمة الجوالة الإسلامية (التابعة للمجلس الإسلامي الأعلى) فضلاً عن نواد رياضية وثقافية كان من أبرزها كشافة الجراح في عكا، ونادي

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث(مرجع سابق)، ص :٣١٦.

روضة المعارف في القدس، والنادي الرياضي الإسلامي، والنادي الأرثوذكسي في يافا، والاتحاد النسائي العربي الفلسطيني، ولجان الاسعاف والعناية بالمنكوبين والأيتام، وكانت هذه المنظمات والتشكيلات أيضاً مَعِيناً ينتقي منه من يرى فيه المقدرة والاستعداد، لضمهم إلى التشكيل السري.

٤- قبيل اعلان الثورة بمدة وجيزة وحدت جميع التشكيلات والمنظمات العسكرية (السرية)، ومن ضم إليها بعد تجربة وخبرة فيما بعد، في منظمة واحدة هي « جيش الجهاد المقدس» الفلسطيني الذي أختير لقيادته عبد القادر الحسيني[١].

٥- كان القساميون من عناصر الثورة.

وقد آزر الثورة عناصر عربية كثيرة ومنها:

١- بعد نشوب الثورة المسلحة في أيار ١٩٣٦ جهز العراق(الرسمي سرّاً والشعبي علناً) قوة عسكرية وافية تألفت من متطوعين للجهاد كان بينهم ضباط وجنود من رجال الجيش العراقي. وأسندت قيادة هذه القوة إلى فوزي القاوقجي. وترك تشكيل هذه القوة رد فعل عميق في الأوساط العربية، فتطوع للعمل تحت لواء القاوقجي الكثيرون من أبناء سورية ولبنان.

وقد دخلت هذه القوة الأراضي الفلسطينية في أوائل شهر تموز ١٩٣٦ واتخذت مراكز لها في منطقة المثلث (نابلس- طولكرم- جنين)، والتحق بها الكثيرون من المجاهدين من أبناء هذه المنطقة. وقامت هذه القوة بأعمال هامة ضد الأعداء. وعندما أعلن وقف الثورة في ١٣/ ١٠/ ١٩٣٦(نهاية مرحلتها الأولى) انسحب القاوقجي ورجاله إلى العراق وسورية وعاد المتطوعون الفلسطينيون في هذه القوة إلى مدنهم وقراهم.

٢- من عناصر هذه الثورة أيضا متطوعون من أبناء شرقي الأردن وسورية ولبنان التحقوا بجيش الجهاد المقدس. وكان من أبز هؤلاء المتطوعين الثائر السوري المعروف سعيد العاص الذي استشهد وهو يتولى قيادة المجاهدين في معركة «الخضر» في أيلول ١٩٣٦ .

---

(١) الموسوعة الفلسطينية - دمشق (مرجع سابق)، ص : ٦٢٦.

٣- دخلت قوة عسكرية شكلها الحزب السوري القومي الاجتماعي باسم «فرقة الزوبعة» شمالي فلسطين في صيف ١٩٣٦ وساهمت في أعمال الثورة والجهاد وعادت هذه القوة الى لبنان في أواخر شهر أيلول ١٩٣٦ وكان عدد أفرادها نحو ٧٥ رجلا عمل معهم بعض المنتمين الى الحزب المذكور في شمالي فلسطين.

٤- تشكلت في العراق وسورية ولبنان وشرقي الأردن لجان وطنية لنصرة أهل فلسطين ودعم ثورتهم. وقد عملت هذه اللجان على جمع الأموال والأسلحة وارسالها الى الفلسطينيين، وقامت باستقبال الجرحى والمصابين من المجاهدين والعناية بهم في بغداد وبيروت وعمان ودمشق.

٥- قام المغتربون (الفلسطينيون والسوريون واللبنانيون) في المهجر الأميريكي بأداء واجبهم في دعم الثورة، مما يجب اعتبارهم من عناصرها.

فقد شكل هؤلاء الجمعيات واللجان للدعاية لفلسطين وقضيتها، وجمعوا الأموال وأرسلوها الى فلسطين[١] .

وعندما أعلن وقف الثورة (مرحلتها الأولى) في ١٣/١٠/١٩٣٦ عاد المتطوعون العرب الى ديارهم، ولكن استؤنف القتال في (المرحلة الثالثة للدورة) في تشرين في تشرين الأول عام ١٩٣٧ تولى جيش الجهاد المقدس الفلسطيني والمجاهدون الفلسطينيون مهمة الحهاد وحدهم، على أن بعض العناصر من أبناء العراق والأردن، وسوري ولبنان تطوعوا للجهاد كأفراد، والتحقوا بقوات المجاهدين الفلسطينيين.

مجموعات أردنية مؤازرة للثورةالفلسطينية

لم يقتصر النشاط العربي في شرق الأردن على المظاهرات وكتابه العرائض والمذكرات،ولم يقتصر كذلك على تشكيل لجان لجمع المال والمساعدات، بل امتد الى تجسيد عملي يتمثل في نسف أنابيب البترول البترول المتجهة من العراق الى حيفا، لتقطع عصب الشريان الحيوي المتمثل في النفط.

---

(١) الموسوعة الفلسطينية - دمشق (مرجع سابق)، ص: ٦٢٧ .

كما قام عرب شرقي الأردن بايفاد المئات من الشباب الأردنيين للمساهمة في صفوف الثورة مع اخوانهم العرب من سوريا والعراق وبقية الأقطار العربية وذلك لمؤازرة اخوانهم عرب فلسطين.

لقد كانت الأردن كما بينا طريقا لعبور المقاتلين والأسلحة والعتاد والمؤن الازمة لاستمرار الثورة .

كما وتشكلت في الأردن مجموعات مسلحة بدات تؤازر الثورة الفلسطينية وتناوش القوات البريطانية وتهاجمها على أرض شرقي الأردن لتخفف الضغط على عرب فلسطين ومن هذه المجموعات مجموعات عجلون والطفيلة، وكانت قوى الثورة المساندة تقوم بالاغارة على الانجليز واليهود.

لقد قام الأبطال محمد المحيسن الملقب بالبطاح ومحمد ذياب القوابعة وحسين المرايات ومبارك المرايات من الطفيلة بمهاجمة مشاريع اليوتاس وكان يساندهم في هذه العمليات بدو أشاوس من الحويطات.

كما كانت قوات أبو محمود قائد الثورة المؤازرة الأردنية في جبال عجلون تقوم بالاغارة المتعددة على القوات البريطانية في شرقي الأردن وفي أرض فلسطين على السواء وكانت القوات الأردنية المساندة للثورة الفلسطينية تصدر بيانات عسكرية حول عملياتها[١] .

(مرجع رقم ١)

وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٣٩

من أوراق أكرم زعيتر طبعة ١٩٧٩ صفحة ٥٠٥

---

(١) يعقوب كامل الدجاني
الدور الذي لعبه أبناء شرقي الأردن في مؤازرة عرب فلسطين في نضالهم ١٩٠٨ - ١٩٤٩ عمان ١٩٩٢ ص: ١٩٥٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» «العدل أساس الملك»

قيادة الثورة العربية الكبرى في شرق الأردن

بلاغ رقم: ٣

٢٨/ محرم ١٣٥٨ الموافق /١٨/آذار/١٩٣٩.

بينما كان فصيل من المجاهدين الأردنيين يتجول في منطقة الحمة بالقرب من الحدود الأردنية الشمالية الغربية يوم الأربعاء الواقع في ١٥/ آذار الجاري التقى بدورية انجليزية وعلى رأسها ضابط انجليزي يدعى «المستر كاس» فألقي القبض عليه ولما حاول الفرار أطلق المجاهدون عليه النار فقتل.

القيادة العامة للثورة العربية الكبرىفي شرق الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» «العدل أساس الملك»

قيادة الثورة العربية الكبرى في شرق الأردن

بلاغ رقم: ٤

في ١٠/ صفر/١٣٥٨ الموافق ٣١/آذار/١٩٣٩.

اصطدم مساء الخميس الواقع في ٢٣/٣/٣٩ فيصل من مجاهدي شرق الأردن المرابطين في غربي اربد بحوالي ستين جنديا انجليزيا واستمرت المعركة حتى مطلع الفجر وأسفرت عن قتل جنديين وثلاثة بغال وجرح خمسة جنود واستولى المجاهدون على بنادق وذخائر القتلى والجرحى وعلى بغل واحد بعد أن دحرو ا الجند وفرقوهم.

القيادة العامة للثورة الكبرىفي شرق الأردن

☆الوساطة العربية :

كان المندوب السامي البريطاني على فلسطين (واكهوب) ووزير المستعمرات - رسبي غور يعّولان كثيراً على الاجراءات القمعية وجدواها، وكذلك كانا يبحثان في الوقت نفسه عن أساليب سياسية لانهاء الاضراب وقمع الثورة.

فلجأ الى تهدئة خواطر العرب المجاورين حتى يعملوا على حمل الفلسطينيين إلى انهاء الاضراب . وقد أجريت اتصالات بهذا الشأن مع المملكة العربية السعودية ونوري السعيد وزير خارجية العراق، وقد شجعت الحكومة البريطانية الأمير عبد الله على التوسط.

وقد دخل نوري السعيد فلسطين وحل ضيفاً على الحكومة، ثم عرض خدماته كوسيط غير رسمي بين الحكومة واللجنة العربية العليا، ولمّا لم يكن بوسع نوري السعيد أن يقدم أية ضمانات باسم حكومته فقد انقطعت المفاوضات، وقد أصدرت اللجنة العربية العليا بأنها في الوقت الذي تثق به بصدق في وساطة حكومة العراق وأصحاب الجلالة والسمو ملوك وأمراء العرب فإن الشعب الفلسطيني سيواصل اضرابه العام بنفس القوة والايمان الذين أبداهما حتى الآن[١].

حرص الأمير عبد الله على الثورة:

وقد بعث أمير شرقي الأردن عبد الله بن الحسين برسالة تاريخية مفصلة بخصوص هذه الوساطة الى اللجنة العربية العليا لسماحة الحاج أمين الحسيني مبدياً سروره لأن الحكام العرب سيتدخلون بالوساطة مع بريطانيا لحل المشكلة الفلسطينية حلاً يحقق أماني العرب، وأنه سُرّ كذلك لزيارة نوري السعيد الى فلسطين، واجتماعه باللجان العربية المختلفة وبالسلطات الانجليزية. غير أن الأمير عبد الله أبدى الحذر وعدم وعد الشعب الفلسطيني بشيء مخافة البلبلة أو فقدان التنظيم. وأنه يجب على الفلسطنيين أن يبقوا حذرين مستعدين ولا يعتمدوا ألا على الله وحده وأنْ يعتصموا به وأن يتذرعوا بالحكمة وهذه الرسالة تدل على مدى حرص الأمير عبد الله، وصراحته وصدقه وجرأته وبعد نظره[٢] .

---

(١) محمد عزت دروزة- قضية فلسطين والوحدة العربية- المكتبة العصرية ١٩٧٣. ص: ١٤٠.

(٢) يعقوب كامل الدجاني - الدور الذي لعبه أبناء شرقي الأردن في مؤازرة عرب فلسطين في نضالهم للفترة ما بين ١٩٠٨ - ١٩٤٩ - عمان ١٩٩٢ ص: ٤٣. =

وفي الوقت الذي دخل فيه نوري السعيد دخل الضابط السوري فوزي القاوقجي[١] على رأس مجموعة مسلحة وأعلن نفسه قائدا عاما للثورة العربية، ومن ثم دخل ضباط ثوريون عرب مثل سعيد العاص[٢]، والشيخ محمد الأشمر، ولولا مؤزارة حكومة شرقي الأردن انذاك لما استطاع القاوقجي والأشمر الدخول من أراضيها.

☆إمدادات بريطانية هائلة:

وقد عقد مجلس النواب البريطاني جلسة تعاقب فيها النواب على الحديث وبنوا الأهمية الاستراتيجية الكبيرة لفلسطين في أوقات الحرب والسلم على السواء، وكان النواب المتحدثون يربطون بين سلامة المصالح البريطانية وبين نجاح الصهيونية في فلسطين ، وقد غيرت الحكومة البريطانية رأيها في موضوع الهجرة لصالح اليهود.

وفي اجتماع لمجلس الوزراء لدراسة الوضع في فلسطين اتخذ المجلس قراراً باتخا إجراءات شديدة اسحق المقاومة العربية. ولتحقيق ذلك، يجب تعزيز القوات البريطانية العاملة في فلسطين، كما قرر ضرورة فرض الحكم العسكري العرفي في فلسطين كلها، لا في أجزاء مختارة منها. وقد تم ارسال فرقة إضافية الى فلسطين على أن يتولى اللفتنانت جنرال ديل القيادة العسكرية العليا في البلاد.

وبعد ثلاثة أيام استدعى المندوب السامي واكهوب الحاج أمين الحسيني وراغب النشاشيبي وعوني عبد الهادي وتحدث اليهم كلا على انفراد، يستفاد أن الزعماء العرب الثلاثة أبدوا استعدادهم للحث على وقف الاضرابات وحل الاضراب شريطة أن يطلب الزعماء العرب منهم ذلك ودون شروط مسبقة.

---

(١) بدأ فوزي القاوقجي كضابط في الجيش التركي ثم عمل مع الفرنسيين بعد الحرب، فحصل على الأوسمة الفرنسية لخدماته في المخابرات. وقد انضم فيما بعد الى ثورة سوريا عام ١٩٢٥ وحكم عليه بالموت، إلا أنه هرب الى الحجاز حيث عمل كمستشار للملك ابن مسعود، ثم ما لبث أن التحق بالجيش العراقي واستقال عام ١٩٣٦ وتوجه الى فلسطين.

(٢) استشهد في تشرين الأول في عام ١٩٣٦.

☆اجهاض الثورة وفك الاضراب:

وفي اليوم التالي نشرت اللجنة العربية العليا بينا أشارت فيه الى فقدان العرب للثقة في جدوى لجان التحقيق، ونفت ادعاءات الحكومة البريطانية بأن الملوك والقادة العرب قد عرضوا وساطتهم بناء على طلب الفلسطينيين ثم أضاف البيان احترام الفلسطينيين للحكام والملوك العرب، وأكد البيان أن توسط الملوك العرب هو أحسن حل للمشكلة . وأصدر القاوقجي بياناً مماثلاً .

وبالرغم من هذه البيانات فقد استمر تدفق الجنود البريطانيين عل فلسطين حيث بلغ عددهم أكثر من عشرين ألف جندي، وشهد شهر تشرين الأول أشد المعارك التي نشبت بين القوات البريطانية والثوار خلال عام ١٩٣٦ .

وفي أواخر شهر أيلول توجه وفدمن اللجنة العربية للاجتماع بالملك ابن سعود، كذلك توجّه عوني عبد الهادي الى شرقي الأردن لمقابلة الأمير عبد الله، ونتيجة لهذه الاتصالات وطبقاً لاستشارات مسبقة مع الحكومة البريطانية، وجّه الملك ابن سعود والملك غازي والأمير عبد الله في العاشر من تشرين الأول نداءً مشتركاً دعوا فيه الى حل الاضراب ووقف الثورة و «الاعتماد على النيات الطيبة لصديقتنا بريطانيا العظمى التي أعلنت أنها ستحقق العدالة»![(١)] .

وقد نشرت اللجنة العربية العليا نداءات ملوك وحكام العرب وقالت أنها قد حصلت على موافقة اللجان القومية وقررت أن تدعوا الأمة العربية الكريمة في فلسطين للعودة الى الهدوء ووضع حد للاضراب، و «الاضرابات»[(٢)] .

وسرعان ما توقف الاضراب وعادت البلاد الى الكون والهدوء وسمح للقوات أن تحل نفسها بنفسها وللمقاتلين العرب من خارج فلسطين أن ينسحبوا. وكانت حصيلة الثورة طبقاً للأرقام الرسمية كالتالي:

---

(١) عبد الوهاب الكيالي - وثائق المقاومة الفلسطينية (مرجع سابق)، ص: ٤٣٩ - ٤٤١ .

(٢) تقرير لجنة بيل، ص: ١٠١ .

(٣) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين القديم (مرجع سابق) ص: ٣٢٠ .

	عرب	بريطانيون	صهاينة
قتلى	١٠٤	٣٨	٨٠
جرحى	٨٠٤	٢٥٢	٣٠٨

فيكون مجموع عدد القتلى ٢٢٢، وعدد الجرحى ١٣٦٤ ومجموع الاصابات ١٥٨٦.

أما لجنة بيل فقد قدرت القتلى العرب بنحو ١٠٠٠ قتيل معظمهم قتل أثناء المعارك[1].

وأعلنت الوكالة اليهودية أن ٨٠,٠٠٠ شجرة من الحمضيات، و ٦٢,٠٠٠ أثمار أخرى. و ٦٤,٠٠٠ من أشجار الغابات و ١٦,٥٠٠ دونم من الحاصلات الزراعية التابعة كلها لليهود قد أتلفها العرب.

اللجنة العربية للتحقيق / لجنة بيل:

أن الأسباب التي حملت اللجنة العربية العليا على الدعوة الى حل الاضراب ووقف الثورة هو خطورة الموقف الناجم بعد وصول الفرقة البريطانية الحديثة، اضافة الى انتشار البطالة واقتراب موسم الحمضيات الذي يمس مصالح الكثيرين.

وفي نفس الوقت الذي غادرت فيه لجنة التحقيق الملكية بريطانيا الى فلسطين في الخامس من تشرين الثاني أعلن وزير المستعمرات في مجلس العموم قرار الحكومة بأن الهجرة اليهودية لن تتوقف طيلة مباحثات اللجنة.

وقد نددت الهيئة العربية ببيان وزير المستعمرات واعتبرته دليلا على سوء النية، ونتيجة ذلك قررت اللجنة العربية عدم التعاون مع اللجنة الملكية. وطلبت من جميع الفلسطينيين ألا يتقيدوا بقرارها.

على أن قرار مقاطعة لجنة بيل هذا كشف النقاب عن مواقف الضعف في الحركة الوطنية الفلسطينية.

فعلى الرغم من ان اللجان القومية كانت ميالة الى الوقوف موقفاً صلباً، وتصدى الأمير عبد الله للحالة فطالب بإلغاء قرار المطالبة، كما هدد الملك إبن سعود بقطع جميع علاقاته باللجنة العربية العليا اذا رفضت المثول أمام اللجنة الملكية[2].

(١) تقرير لجنة بيل: ص:١٠٥..

(٢) قضية فلسطين والوحدة العربية.

ولقد شجع موقف الحكام العرب حزب الدفاع على الجهر بمعارضته لقرار مقاطعة لجنة بيل ففي أواخر شهر كانون الأول انتقدت جريدة فلسطين التي كانت آنذاك قد أصبحت الجريدة الناطقة باسم الحزب المذكور قرار المقاطعة[١]، ثم أعلن حسن صدقي الدجاني أحد زعماء حزب حزب الدفاع أنه سيقابل لجنة بيل لينقل لها مظالم الفلسطينيين، ونرده بالسياسة البريطانية والسياسة الصهيونية وان يتقيد بقرار المقاطعة.

وهكذا وجدت اللجنة العربية العليا نفسها تواجه الانشقاق داخل صفوفها والضغط من الحكام العرب، فاضطرت مرة أخرى الى الاستسلام، فألغت في السادس من كانون الثاني ١٩٣٧ قرار المقاطعة، وقدّم أعضائها شهاداتهمأمام اللجنة الملكية.

وأكد القادة العرب في البيانات التي ألقوها أمام اللجنة الملكية أن فلسطين مشمولة في الأراضي التي تناولتها مراسلات حسين مكماهون، وانكروا شرعية تصريح وعد بلفور، وقالوا أنهم لم يسبق لهم أن أقروا حق الدول الأجنبية بانتداب بريطانيا لحكم فلسطين، ممايجعل منح هذا الانتداب غير منسجم مع مبدأحق تقرير المصير الذي تبنته عصبة الأمم[٢]. وطالبت اللجنة العربية العليا بالغاء الانتداب واقامة حكم وطني مستقل.

وقالت اللجنة الملكية في تقريرها أن خوف عرب فلسطين من الهجرة الصهيونية هو السبب الكامن وراء الثورة، وكذلك فقد حصل إخوانهم على على الاستقلال وهم لم يحصلوا عليه. وأن الطابع المتطرف للقومية اليهودية قد زاد من مخاوفهم.

ولما كانت الثورة لم تنتهي بعد، وكان المسلحون لايزالون يمسكون بأسلحتهم، واللجان القومية لا تزال على اتصال وثيق بالثورة والثوار، فقد كان البريطانيون يقدرون أن الثورة ستجدد على نطاق خطير بعد أن اللجنة الملكية تقريرها وتوصياتها[٣].

---

(١) جريدة فلسطين ٢٤/١٢/١٩٣٦.

(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق) ص: ٣٢٢.

(٣) يبلغون حسب تقديرات الحكومة ربع السكان القرويين.

(٤) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطبن القديم (مرجع سابق)، ص: ٣٣٠.

☆ الفلاحون بلا أرض والعمال بدون عمل

إن نفوذ الشباب والاستقلاليين، وفقراء عرب فلسطين الذين لا يملكون أرضاً[١] كان العنصر الفعلي في الثورة، ويضاف إليها العاطلون عن العمل والذين يشكلون مشكلة خطيرة، وكانت هذه المشكلة تثار في كل قرية أو مدينة زارها المندوب السامي.

وزاد من نقمة العرب التمييز الذي كانت تبديه الحكومة تجاه اليهود، ففي بناء الطرقات العامة كان اليهود يتلقون ضعف ما يتلقاه العامل العربي، اضافة الى أن الحكومة سمحت بدفعة جديدة من المهاجرين اليهود، كما انتشرت شائعات عن توصية لجنة بيل تقسيم البلاد. وزاد الأمور خطورة الاضراب عن الطعام الذي أعلنه ١٨٠ معتقلاً سياسياً في الجليل الأمر الذي أدى الى تصعيد التوتر بعد الاعلان عن الاضراب في كل من عكا وحيفا للتضامن مع المعتقلين، والاعراب عن العطف معهم[٢].

وفي غضون ذلك كان الحاج أمين الحسيني يحث الحكومة على اطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ويحتج على اصدار لوائح الهجرة الجديدة.

لكنه يفعل ذلك بطريقة ودية، ويعرض التعاون على اسكان القاطنين في أكواخ حيفا في أراضي الوقف[٣].

وفي غضون ذلك كان الحاج أمين الحسيني يحث الحكومة على اطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ويحتج على اصدار لوائح الهجرة الجديدة . لكنه يفعل ذلك بطريقة ودية، ويعرض التعاون على اسكان القاطنين في أكواخ حيفا في أراضي الوقف[٤] .

وكانت كلما ازدادت الشائعات حول قرارات لجنة بيل كان الحاج أمين الحسيني يزداد تطرفاً، ففي الثاني من حزيران وصل المفتي أربعة من أعوانه الضباط الى دمشق حيث استقبل جميع زعماء الحرمة الوطنية من صحافيين وسياسيين سوريين ولبنانيين وبعض

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين القديم (مرجع سابق)، ص: ٣٣٠.
(٢) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين القديم (مرجع سابق)، ص: ٣٣٠.
(٣) واكهوب إلى أرومبسي غور ٢٠/ ٥/ ١٩٣٧.
(٤) واكهوب الى أرومبسي غور ٢٠/ ٥/ ١٩٣٧.

العراقيين أيضاً كما استقبل قنصل المملكة العربية السعودية. وقد تركزت محادثات الحاج أمين في دمشق على:

- الموضوع الأول: هو استعراض عام للوضع السياسي في البلاد العربية - بما في ذلك الدمج الفوري لحزب الاستقلال الفلسطيني بالكتلة الوطنية السورية.

- الموضوع الثاني: هومشروع تقسيم فلسطين الوشيك الصدور.

وتقرر بعد ذلك عقد مؤتمر عربي عام للبحث في مستقبل فلسطين، وعقد الحاج أمين اجتماعات مطولة مع عديد من العسكريين مثل الشيخ محمد الأشمر والشيخ عطية.

وقد قال المفتي في مناسبات عديدة أنه سيعلن الحرب على البريطانيين في الثامن من تموز أي على إثر اعلان تقرير اللجنة الملكية.

بعض أبطال الجهاد

حدثت ثورة ١٩٣٦ في عهد المندوب السامي سير ارثّر واكهوب، وفي عهده زادت الهجرة اليهودية، ويعتبره المؤرخون أشد تعصبا من سلفه هربرت صموئيل اليهودي الأصل مع أن واكهوب كان مسيحياً (إن صح ذلك).

وفي آب عام ١٩٣٦ هاجم الشهيد المرحوم سامي الأنصاري احد الأساتذة في المدرسة الرشيدية في القدس وبهجت أبو غربية من كبار المناضلين سيكرست البريطاني أحد كبار ضباط البوليس الفلسطيني والمسؤول عن قوات الأمن في القدس[١]. ونصبا له كمينا قرب المتحف الفلسطيني في القدس، وعند مرور سيارته أطلقا النار عليه فجنحت سيارته وبقي سكرست تحت العلاج لمدة سنتين. أما سامي الأنصاري فقد استشهد وبهجت أبو غربية استطاع الافلات. ومن أشهر معارك عام ١٩٣٦ معركة «بلعا» في جبل نابلس، . ومعرك جورة بخلص في الخليل، ومعارك رأس العامود وأبو ديس، والعيزرية في القدس، وكانت هذه المعارك تجري ليلاً[٢].

---

(١) فؤاد طهبوب - حتمية الحرب وسرابيات السلام - الدار العربية للدراسات والنشر - ١٩٧٩ - بيروت، ص:٤٩.

(٢) نفس الرجع ص: ٥٠.

=

وحين أقرت الوساطة العربية ووافقت عليها اللجنة العربية العليا وتقفت الثورة في المرحلة الأولى رفض الشهيد علي كنعان من قرية حزما التوقف عن القتال، وظل يقاتل منفردا وزمرته، وقد استشهد من قرية حزما حوالى خمس وثلاثين شاباً عندما هرعوا لمساعدة الثوار عند احتلالهم مدينة رام الله عام ١٩٣٨ .

وقد قاتل الشهيد عيسى البطاط وزمرته في أواسط فلسطين منذ سنة ١٩٣٦ ، وفي المرحلة الثالثة من الثورة أعدم الشهيد فرحان السعدي من رفاق عز الدين القسام وقد نظمت بهذه المناسبة القصيدة التي مطلعها:

شكـــوى العبيـــد الـــى العبيـــد ردد علـــى لهـــب القصيـــد

وقد احتل عبد الحليم الشليف الجولاني وجماعته بئر السبع وقد أصبح قائد منطقة الخليل خلال الثورة بين ستني ٣٨- ١٩٣٩ ، وأسقط طائرتين حربيتين بريطانيتين وفي اشترك في القتاا، عام ١٩٤٨ ، ثم أقام في عمان حيث عولج من قبل السلطات من اثار قنابل في جسمه .

ومن المناضلين الأبطال محمد النوباني من مزارع النوباني قضاء رام الله الذي قام باحتلال مدينة رام الله، وعبد القادر الحسيني، وسعيد العاص من حماة .

وقد غصت المعتقلات بالمناضلين ومنها معتقل صفتل وجاسر في بيت لحم وصرفند قرب يافا ومعتقل مزرعة عكا .

الثورة الفلسطينية الكبرى

وكان من رأي هانينغ ان ارجاء تنفيذ التقسيم ووقف الهجرة وقفاً تاماً هما السبيل الوحيد لحلول السلام في فلسطين، ولكن هذا لايعني وقف الثورة العربية في فلسطين، وأضاف يقول، أن المرحلة الثانية من ثورة عام أقل اعتماداً على المساعدة الخارجية من المرحلة الأولى، وليس هناك من يملك نفوذاً لدى الثوار الذين هم ذو ذهنية وطنية[1] .

---

(١) مكما يصل الى ماكدونالد ١٩٣٩/٢/٢٧ وزم. ٧٣٣ - ٣٩٨، ص ن.

وكان هناك عدد من السياسيين العرب يشاطرون بريطانيا قلقها من استمرار أعمال العنف في فلسطين، وعلى رأسهم توفيق السويدي وزير خارجية العراق الذي كان يتردد على وزارة المستعمرات باستمرار، وظهرت أنباء تشير الى أن الوزارة تبحث أمر وقف الهجرة اليهودية مؤقتا، وهكذا ساد لدى كلا الجانبين العربي و اليهودي شعور بأن الحكومة توشك على أن تقدم تنازلات كبيرة للعرب(١).

القيادة العسكرية للثورة:

في عام ١٩٣٨ تمك تنظيم القيادة العسكرية للثورة على النحو التالي:

١- القيدة العامة في دمشق وسرية وتكوّن المجلس القيادي من القائد العام ومن عدد من المساعدين، وعمل عدد من قدامى المحاربين السوريين رجال الثورة السورية مستشارين للقائد العام.

٢- تشكات قيادات ميدان بديلة في حال عدم الاتصال مع دمشق لكل من: المنطقة الشمالية، نابلس، المنطقة الوسطى، القدس. ووضعت قيادات محلية في غزة والمجدل وبئر السبع تنفذ أوامر القيادة العامة وتتعون في بعض الأحيان مع قيادتي القدس ونابلس.

تألفت المناطق الرئيسية من عدد من المناطق المحلية تضم كل منها ما بين ١٥٠ - ٢٠٠ ثائر موزعين الى فصائل، يتأف كل فصيل من ١٥ مقاتلاً وقد حددت مهمات الفصائل الاشتراك بالمعارك الرئيسية وكانت الادارة البريطانية باعتراف هانينغ القائد العام للقوات البريطانية «غير موجود على الاطلاق».

وقد أظهرت دراسة تناولت ٢٨٢ قائدا عسكرياً ممن تولوا مختلف المناصب في الثورة أن : ٦٥٪منهم كانوا فلاحين و ٣٪ فلاحين استقروا في المدن. و ٢٢٪ من سكان المدن و ٨٪ من البدو. وأما الباقين فكانوا من الدول العربية المجاورة(٢).

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص:٣٤٧.

(٢) الموسوعة الفلسطينية - دمشق (مرجع سابق) الجزء الأول، ص:٦٣٣.

(٣) صبحي ياسين - الثورة العربية الكبرى في فلسطين (١٩٣٦-١٩٣٩) القاهرة ١٩٦٧،ص:١٣٢.

وقد قامت الثورة على تحالف الطبقات والقوى الوطنية المعادية للاستعمار البريطاني والصهيوني وهي: العمال والفلاحون والبرجوازيون والجناح المستنير من كبار الملاكين.

ان نظرة الى الأسماء التي أوردها صبحي ياسين وهو أحد الثوار تظهر بجلاء هوية قادة المقاتلين وأصولهم الاجتماعية والطبقية، فهم في الغالب إما فلاحون، و إما من فقراء المدن المنحدرين من أصول ريفية[1].

قوات الثورة

ليس من السهل الحصول على رقم دقيق لعدد الثوار المتفرغين الذين عملوا خلال فترة الثورة. ولكن بعض المصادر العربية تقدر عدد الثوار الذين اشتركوا في الثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ بما يتراوح بين تسعة وعشرة الاف ثائر. من هذا العدد ثلاثة آلاف ثائر تفرغوا لأعمال العصابات، وألف ثائر تفرغوا للعمل في المدن. أما الباقون فكانوا من سكان القرى والبادية الذين لم يتفرغوا للقتال، بل كانوا يمارسون أعمالهم الخاصة، ولكنهم يقومون بنجدة الثوار عند نشوب المعارك بالقرب من قراهم وأماكن سكنهم.

أما السلطات البريطانية فقدرت قوة الثوار المتفرغين للقتال بين ألف و ألف وخمسمائة مقاتل يساعدهم عدد كبير من المتطوعين من سكان المناطق المجاورة كانوا يذوبون بين الجماهير إثر كل معركة بعد أن يخفوا ملابسهم وسلاحهم، ويعودن لممارسة أعمالهم العادية. وقدرت مصادر أخرى (باحثون بريطانيون) عدد الثوار عام ١٩٣٦ بخمسة آلاف بين متفرغ وشبه متفرغ، ثم قفز الرقم الى خمسة عشر ألفا في عام ١٩٣٨.

ومن هنا تبدو تقديرات المصادر العربية لقوة الثوار معقولة بالمقارنة مع تقديرات المصادر البريطانية المحتلة، هذا إذا الى عدد الثوار المتفرغين أولئك الذين يعملون الى جانبهم من سكان القرى المجاورة، والذين سُموا «بالفَزّيعة». وقد قام هؤلاء الثوار غير المتغرغين بأعمال لاتقل في جرأتها عن تلك التي قام بها الثوار المتفرغون، مثل نسف وتخريب طرق المواصلات، ونفذوا الكثير من المهام القتالية كالاغارة على المستعمرات

(١) صبحي ياسين - الثورة العربية الكبرى في فلسطين (١٩٣٦-١٩٣٩) القاهرة ١٩٦٧، ص: ١٣٢.

الصهيونية ومراكز الشرطة، وإشغال العدو بمعارك جانبية لتخفيف الضغط عن قوات الثورة أثناء اندلاع المعارك الكبيرة، وشنّ معارك الالهاء لتوزيع وتشتيت جهود العدو على جبهات مختلفة عند القيام بهجوم أو بعملية حربية كبيرة، وحماية مؤخرة وحدات الثوار عند الهجوم على الدوريات والمستعمرات والمعسكرات التابعة للجيش البريطاني، وتأمين نقل الذخائر والتموين للثوار المتمركزين في قواعد ثابتة في الجبال والمناطق الوعرة، وذلك بالتنسيق مع القيادات المحلية.

التسليح

تكونت الأسلحة التي استخدمها الثوار خلال الفترة من خليط غريب ومتنوع من البنادق والمسدسات، يمكن وصفها بأنها قديمة الطراز وغير فعالة اذا ما قورنت بالأسلحة التي استخدمتها القوات البريطانية والمنظمات الصهيونية. وقد كان لذلك أثر كبير في إبقاء معظم عمليات الثوار مقتصرة على الكمائن والغارات وعمليات القنص. ومن الثابت أنه لم تكن هنالك خطة عامة للتسلح في البداية، وهي الفترة التي انطلقت فيها الثورة بعفوية جماهيرية[١].

استخدم الثوار في البداية بنادق كانت تحتفظ بها الأسر للدفاع عن النفس وتم الحصول عليها قبل الحرب العالمية الأولى من الجيش التركي ومن مصادر أخرى. واستخدموا أيضاً بنادق من صنع كندي وفرنسي وياباني وروسي وانجليزي والماني. وكذلك أسلحة تم تركيبها بطريقة لا تخلو من الخيال والابداع من قطع غيار مختلفة وفي إحدى العمليات استولت القوات البريطانية على بندقية برتغالية مصنوعة في القرن الثامن عشر.

ولكن القسم الأكبر من الأسلحة تم الحصول عليه من مخلفات القوات التركية المنسحبة أثناء الحرب العالمية الأولى، أو تم تهريبه عن طريق البحر وعبر الحدود من الأردن وسورية ولبنان. وفي فترة لاحقة، وبالتحديد بعد وصول القاوقجي إلى فلسطين، استخدم الثوار الرشاشات على نطاق ضيق في منطقة نابلس بعد أن غنموا بعضها من البريطانيين. أما المدافع فلم تكن موجودة على الاطلاق.

ومن الظواهر المعبرة والمؤثرة. فيما يتعلق بموضوع الأسلحة ذلك التعاون الذي كان يحدث بين إخوة السلاح. فالأسلحة التي استخدمت في ثورة ١٩٣٦ في فلسطين هي

---

(١) الموسوعة الفلسطينية- دمشق (مرجع سابق) الجزء الأول، ص: ٦٣٢.

نفسها التي استخدمت في ثورة ١٩٢٥ في سورية ثم نقلت إلى فلسطين بعد ذلك. وقد كانت قوة الشرطة الفلسطينية(١٥٠٠ شرطي) مصدراً سهلاً لإمداد الثوار بالبنادق.

أما الذخيرة التي استخدمها الثوار، فقد كانت مستودعات الجيش البريطاني والشرطة مصدرها الرئيس. وكان بعضها ظروفاً فارغة تم جمعها وتعبئتها يدوياً، أو جرى الاستيلاء عليها خلال المعارك مع القوات البريطانية، أو شراؤها من بعض أفراد تلك القوات، بالاضافة إلى قسم كبير تم تهريبه من المناطق المجاورة. واستخدم الثوار أيضاً كميات كبيرة من القنابل اليدوية البريطانية من نوع «ميلز ٣٦» وقاموا بتصنيع قنابل يدوية أفادوا منها بشكل واسع في عمليات المدن. وحول الثوار أيضاً قذائف مدفعية استولوا عليها من بعض معسكرات الجيش البريطاني الى ألغام نسفوا بها خطوط السكك الحديدية والطرق والجسور.

عمليات الثورة:

عام ١٩٣٧

نوع العمليات	عددها
- هجمات ضد معسكرات ومراكز الجيش والشرطة	١٠٩
- هجمات ضد المستعمرات الصهيونية	١٤٣
- هجمات ضد منازل يملكها البريطانيون	٢
- عمليات نسف سكك حديدية	٥
- عمليان قطع خطوط البرق والهاتف	٨٢
- عمليات نسف طرق	١
- هجمات على مصالح حكومية	٣
- هجمات على أملاك صهيونية	١٨
- عمليات اغتيال ومحاولات اغتيال ضد الجيش والشرطة والصهيونيين	١٤٨

عمليات عام ١٩٣٨

نوع العمليات	عددها
- هجوم وعمليات قنص ضد أفراد صهيونيين	١٧٦
- هجوم وعمليات قنص ضد قوات الجيش والشرطة البريطانية	٩٨٦
- هجوم على وسائل المواصلات	٣٢٥
- إطلاق نار على المستعمرات والأحياء اليهودية	٦٥١
- إلقاء قنابل	٣٣١
- عمليات خطف	٢١٥
- إتلاف أملاك يهودية	٤١٠
- تخريب هواتف	٧٢٠
- تخريب سكك حديدية وطرق	٣٤١
- تخريب أملاك حكومية أخرى	٢٠١
- تخريب خط أنابيب شركة النفط العراقية	١٠٤
- عمليات اغتيال ومحاولات اغتيال[١]	٤٩٠

(١) التقرير السنوي للادارة البريطانية.

☆ بريطانيا تعود فتحتل فلسطين من جديد:

ولما انتهج تشمبرلن سياسة التهدئة أمام هتلر، مما حال دون نشوب حرب بين الدول الأوربية - وقبل أن يعود مكمايكل الى فلسطين في الرابع من تشرين أول، كانت قد وضعت سياسة الى حد مبكر للثورة وحمل العرب على التزام الهدوء في أثناء الحرب المتوقع نشوبها[١] مع ألمانيا.

وفي خلال تشرين الأول تدفق الثوار على المدن، وقد تمكن الثوار من طرد البوليس من البلدة القديمة في القدس، فنقلت انجلترا ادارة لواء القدس من السلطات المدنية الى السلطات العسكرية، وبدأت عمليا باحتلال البلاد من جديد.

ويدأ هانينغ باعادة احتلال فلسطين من جديد بواسطة فرقتين متوفرتين لديه. ويدأهانينغ بنزع السلاح من السكان مستفيدا من العناصر المناهضة للمفتي والتي كانت ترشده على مكان المسلحين.

وقد أدى الضغط المتزايد على الثوار إلى الكشف عن ضعف تنظيماتهم الداخلية وفقدان القيادة العسكرية القادرة على تقويض تفوق القوات البريطانية على قوات الثورة، وفقدان القوة السياسية القادرة على تجنيد الجماهير وحثها.

وكانت الفوضى الناشئة من سوء استعمال وسائل جمع التبرعات والضرائب من أقوى أسباب تشديد سمعة الثوار، وكذلك كثرة الاغتيالات السياسية دون مبرر مما شجع العناصر العربية الموالية للحكومة على تخدي الثوار[٢].

وفي التاسع من تشرين الثاني تم نشر تقرير لجنة التقسيم مرفقاً ببيان الغى مشروع لجنة بل للتقسيم واعتبره غير عملي، وأعلن أن الحكومة تخلت عنه وأنها ستستمر في سياسة الانتداب وأوضح عن رغبة الحكومة عقد اجتماع بين العرب الفلسطينيين واليهود والدول العربية المستقلة.

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث (مرجع سابق)، ص: ٢٤٧.
(٢) نفس لمرجع، ص: ٢٤٨.

ورحب العرب الفلسطينيون بتخلي بريطانيا عن التقسيم، وسرّهم دعوة ممثلين عن الدول العربية إلى لندن، ولكنهم فزعوا من استبعاد موضوعي الهجرة اليهودية وبيع الأراضي من أبحاث المؤتمر، بينما كان اليهود يرغبون في سحق الثورة أولاً، وكانوا يخشون من أن مؤتمر لندن المقترح سيقدم تنازلات للعرب من حيث الهجرة وبيع الإراضي مقابل وضع حد مبكر للثورة[١].

واعتبرت القيادة الصهيونية مشاركة الدول العربية بالمؤتمر سابقة غير مرغوب فيها وأعلنت عن رغبتها في أن «تشترك الولايات المتحدة في المؤتمر بصورة فعالة»[٢].

وقد أبدت المملكة العربية السعودية والعراق الرغبة في بذل نفوذهما لدى زعماء فلسطين لوضع حد للثورة وتهيئة أسباب نجاح المؤتمر، وقد أصيب عدد كبير من الفلسطينيين العرب بخيبة أمل عندما علموا اعتراض الانجليز على اشتراك المفتي.

وقد أعلن خصوم المفتي عن رأيهم حين نشر فخري النشاشيبي رسالة موجهة إلى المندوب السامي وادعى فيها أنه يمثل رأي كثير من المعتدلين وقال إن مصالح العناصر المعادية للمفتي تشكل ٧٥٪ من مصالح البلاد وأن اتباعها يشكلون أكثر من نصف السكان الفلسطينيين[٣].

غير أن راغب النشاشيبي الذي كان متغيباً عن البلاد في مصر أصدر فوراً بلاغاً تنصل فيه مما قاله نسيبه فخري النشاشيبي.

وقد قال مكمايكل أظن أنه أكثر من مرجح أن يكون فخري قد كتب رسالته مدفوعاً من السياسيين اليهود المحليين[٤].

ولكن السكان العرب الفلسطينيين كانوا إلى جانب المفتي وقد وصل مكمايكل ما يقارب (١٨٠) يعرب فيها أصحاب عن ثقتهم بالمفتي وقد جاءت هذه البرقيات من جميع

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي- تاريخ فلسطين الحديث. (مرجع سابق)، ص: ٣٤٩.

(٢) مكمايكل إلى مكدونالد ١٩٣٨/١٢/٢٩ و.م. ٧٣٣- ٣٩٨.

(٣) مكمايكل إلى مكدونالد ١٩٣٩/٢/٢٧ و.م ٧٣٣-٣٩٨.

(٤) مكمايكل إلى مكدونالد ١٩٣٩/٢/٢٧ و.م ٧٣٣-٣٩٨، ص:٥ مرفق رقم (١) و.م ٧٣٣-٣٨٦.

أنحاء فلسطين ومن مختلف فئات الشعب.. من رؤساء البلديات ورجال الدين المسيحيين والمسلمين ومن أصحاب المتاجر والحوانيت.

هذا وقد أعلن ماكدونالد في مجلس العموم أن الوفد العربي الفلسطيني سيمثل جميع الفئات من سكان الوطن العربي، ثم أعلن في أوائل كانون الأول بأنه سيطلق سراح الزعماء المنفيين إلى سيشل وأنه سيسمح لهم بالاشتراك في مؤتمر لندن، ولما وصل هؤلاء الزعماء المنفيون صرح الانجليز بأنه لا مانع أن يتشاوروا مع المفتي. وهكذا ذهب الزعماء المنفيين إلى بيروت وأعلموا المفتي بأنه لن يتم شيء إلا بمشاورته.

واتفق الشركاء العرب على أن يقدم الوفد الفلسطيني المطالب المدرجة في «الميثاق الوطني» للشعب الفلسطيني، والمطالبة بدولة عربية فلسطينية، وأن لا يجلسوا مع اليهود، وطالبوا خلال انعقاد المؤتمر بزيادة العنف ووافق الزعماء كذلك على أن يرأس الوفد الفلسطيني جمال الحسيني، وأن يضم الوفد حسين فخري الخالدي والفرد روك وموسى العلمي وعوني عبد الهادي وأمين التميمي ويعقوب الغصين وأن يتولى سكرتارية الوفد جورج انطونيوس وفؤاد سابا. وبعد رفض المفتي عاد فوافق على ضم راغب النشاشيبي ويعقوب فراج إلى عضوية الوفد. وقبل أن يفتتح المؤتمر أعماله كانت حوادث العنف قد ازدادت وتصعدت حسب ما تم الاتفاق عليه.

فظائع الانجليز ووحشيتهم:

وكان من نتائج حملة هانينغ ضد الثوار المستخفين في الجبال انتقال الثورة إلى المدن حيث ازدادت أعمال التفجير والتخريب[١]، وقد اجتمع عدد من قادة الثورة بدمشق لبحث الخطط المستقبلية، ولما عاد هؤلاء المسؤولين قاموا بالاغارة على الموظفين البريطانيين واليهود وممتلكاتهم وبدأوا بجباية الضرائب من المدن، وقد أضرب سكان القدس لاقامة مركز للبوليس في الحرم الشريف[٢]، وقامت مراكز الدعاية في دمشق ولندن بتوزيع نشرات وكتب وصور فوتوغرافية تبين هذه الفظائع.

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي- تاريخ فلسطين الحديث(مرجع سابق) ص: ٢٥٣.
(٢) مكمايكل إلى مكدونالد ١/٣/١٩٣٩ و.م ٤٠٦/٧٣٣. صفحة ٢٥٣.

ولما كان العرب قد رفضوا الاجتماع بالصهيونيين فقد افتتح تشمبرلن المفاوضات مع العربية ثم في يوم آخر الوفود الصهيونية.

وقد وصف مطران القدس الانطليكاني جورج فرنسيس بعض فظائع القوات البريطانية في رسالة بعث بها إلى أومسبي غو في ١٩٣٨/٤/٦ (و.م ٣٧٠/٧٣٣). كما رفعت السيدات العربيات في القدس مذكرة إلى المندوب السامي حول وحشية القوات البريطانية فيها من الحوادث التي تبرهن على شراسة الاستعمار الشيء الكثير.

وفي التاسع من شباط قدم جمال الحسيني(ممثل المفتي) المطالب العربية.

كتاب ماكدونالد الأبيض:

ولما فشل العرب واليهود من التواصل إلى حل، لجأت بريطانيا لاعلان الحل بمفردها، فأصدرت الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩ بياناً تناول سياستها، وقالت أنه ليست من سياستها أن تصبح فلسطين دولة عربية، وإن سياسة الحكومة البريطانية بالنهاية أن تقام دولة فلسطينية مستقلة يتقسم فيها شعبا فلسطين، العرب واليهود، السلطة الحكومية على شكل يصون الحقوق الحيوية لكل منهما، وترى الحكومة أن ذلك ممكن، أن يتم في غضون عشر سنوات، وترتبط الدولة الفلسطينية بمعاهدة مع بريطانيا تصون جميع الحقوق الاستراتيجية والتجارية لكلا البلدين.

وأن الهجرة اليهودية ستبلغ ٧٥ ألفاً تحظر بعدها إلا بموافقة العرب.

وفي بعض المناطق من فلسطين يحظر بيع الأراضي لليهود وفي مناطق أخرى يكون مقيداً.

اسقبل اليهود الكتاب الأبيض بالاستياء ولم يعودوا يعتبرون بريطانيا حليفاً استراتيجياً لهم، واتجهوا نحو الولايات المتحدة الأميريكية.

أما العرب فلم يستقبلوا الكتاب الأبيض بالرضى على الرغم من مقاومة الصهيونيين له، فالكتاب لم يصدر عفواً عاماً عن الثوار، ولم يذكر مصالحته مع المفتي. أما حزب الدفاع فأعلن رضاه عنه. ورغم رفض اللجنة العربية العليا له، فإن انجلترا كانت تعلم أن بعض الزعماء يوافقون عليه.

وبالرغم من الخلافات بين أعضاء اللجنة العربية العليا إلا أنها رحبت باعتراف بريطانيا بحقوق العرب، ولكنهم عتبوا بأن بريطانيا منحت العرب استقلالاً مؤجلاً وهو خاضع لحق اليهود في نقضه ويتوقف تنفيذه على تعاون الصهاينة واختتمت الجنة العربية العليا بيانها برفض الكتاب الأبيض التي تدعو بحق العرب بالاعتراف بدولة فلسطين والغاء الانتداب البريطاني وعقد معاهدة بين الدولة العربية الفلسطينية المستقلة وبين بريطانيا.

أما ويزمان زعيم الوفد اليهودي فقد طالب بالحفاظ على الوضع الراهن، وأخذ الصهيونيون يسببون الفائدة التي تعود على بريطانيا من وجود حليف لها مخلص تقدمي في هذا الجزء من العالم. بعد أن أحسسوا أن بريطانيا توشك أن تتخلى عن فكرة الوطن القومي اليهودي بالنظر للحاجة الاستراتيجية للعرب في الحرب العالمية الثانية المقبلة كما بدأ الصهيونيون بالتطلع إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

محادثات المائدة المستديرة في لندن:

وفي غضون المحادثات قدمت الحكومة البريطانية اقتراحات تنطوي على انهاء الانتداب وعقد مؤتمر حول مائدة مستديرة في فصل الخريف يوزع خلاله دستور لدولة فلسطينية مستقلة تحت الحماية البريطانية على أن تتمتع الأقلية اليهودية فيها بحماية تعترف بضمانات معينة[١].

وطالب العرب بتطبيق ذلك فوراً، وقد نشرت جريدة الأهرام القاهرية في شباط خبراً مفاده بأن فلسطين ستصبح دولة مستقلة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدة شبيهة بالمعاهدةالانجلوعراقية، فقامت الابتهاجات في فلسطين وحيت الجماهير تشمبرلن والحاج أمين الحسيني وأصدر قادة الثورة أوامر بايقاف العمليات مؤقتاً.

أما اليهود فقد قاموا بسلسلة من الإنفجارات في البلاد فأستشهد ٣٨ عربياً وجرح ٤٤ شخصاً.

ومع أن عرب فلسطين انهك معظمهم، وكانوا تواقين إلى السلام، لكن معظمهم لم يكن يثق بالحكومة البريطانية.

---

(١) الدكتور عبد الوهاب الكيالي- تاريخ فلسطين الحديث(مرجع سابق)، ص: ٣٥٤.

ونتيجة الكتاب الأبيض والجهود الجبارة التي بذلها العرب لتوضيحه إزدادت الثورة، وقام الثوار بإعادة تسليح العصابات.

أما الصهاينة فإن سياسة العنف برزت وزادت خاصة في صفوف الشباب.

وقد تضافرت أعمال العنف التي قام بها الصهاينة، وسياسة الحكومة، وإزدياد الهجرة غير المشروعة مع أذكاء الثورة من جديد.

وحتى قبل أندلاع الحرب العالمية الثانية غدا من الواضح تماماً أنه بعد سنوات من الثورة أصبحت قوة العرب وقدرتهم على مقاومة بريطانيا والصهيونية بقوة السلاح مضعضعة ومستنفذة.

ويدأ زعماء الثورة يغيبون عن المسرح فبعضهم أستشهد وبعضهم أضطر إلى الفرار.

وفي الخامس والعشرين من أيار استشهد عبد الرحيم الحاج محمد، ومن ثم غادر عارف عبد الرزاق فلسطين مع زمرة من رجاله - سلموا أنفسهم للسلطات الفرنسية، وفي الرابع والعشرين من تموز أسر يوسف أبو دية بالقرب من نهر الأردن.

وكذلك قامت فرنسا لأقتراب العالم من الحرب العالمة الثانية على قمع مقر رئاسة الثوار في دمشق.

ومن الطبيعي يان يحجب نشوب الحرب أنباء السياسات والأضطرابات المحلية. وبذلك لاقت ثورة فلسطين الكبرى نهايتها بكل هدوء يكاد يكون مفجعاً.

أسباب فشل الثورة الفلسطينية الكبرى:

١ - كان توازن القوى بين عرب فلسطين وأعدائهم البريطانيين والصهاينة مفقودا.

٢- أن السيطرة على فلسطين جاء جزءاً من خطة سايكس - بيكو لتقسيم الوطن العربي. وجاء تجسيداً عملياً لمقررات مؤتمر نبرمان.

٣- لم تكن قيادة الشعب الفلسطيني السياسية والعسكرية بمستوى الأحداث.

٤- كان الوضع الدولي يسمح لبريطانيا التصرف كما تريد، ولم يكن برغبة العرب التعاون مع العالم الأشتراكي.

ومع كل هذا فقد وجدت بريطاني نفسها أمام ثورة عنيدة، وكان لزاماً عليها مهادنة عرب فلسطين عام ١٩٣٩ نظراً لمقاومتهم العنيدة، والظروف الدولية الناشئة عشية الحرب العالمية الثانية.

خاتمة الثورة:

لقد غزا فلسطين البريطانيون، في مطلع القرن العشرين، كما قام الصهاينة بالهجرة إلى فلسطين، وكان هذا المغزو لأسباب أقتصادية وسياسية.

وقد أثر الغزو الأقتصادي على الفلاحين وهددهم بأرضهم، وعلى العمال والتجار والحرفيين كذلك.

وعلى الصعيد السياسي جاء هذا الغزو مواكباً ليستيقظ الشعور القومي العربي.

وقد أمتنع معظم الملاكين عن بيع الأراضي لليهود، فلجأوا إلى شرائها من الملاكين العرب الغائبين عن فلسطين. كما قام الزعماء الفلسطينيون بالضغط على السلطات العثمانية لمنع بيع الأراضي لليهود.

لقد تشكلت العديد من الجمعيات والنوادي الفكرية التي عملت وحرضت على نيل الأستقلال ولما نشبت الحرب العالمية الأولى قام العرب بثورتهم المعروفة على الأتراك من أجل نيل الأستقلال.

ولكن الحرب تمخضت عن تآلف بريطاني - صهيوني تجسم في وعد بلفور المتضمن إنشاء وطن قومي لليهود.

وقد قام جميع عرب فلسطين لمقاومة وعد بلفور.

ونتيجة الضغوط البريطانية الصهيونية قام عرب فلسطين بأطول أضراب مدني عرفه التاريخ ومدته ستة أشهر، وكذلك قدم الشعب العربي الفلسطيني آلاف الضحايا خلال الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٩) حتى أن بريطانيا أستعانت بالأساطيل وبسلاح الجو وبأمهر القادة.

الفصل الثاني والعشرون

فلسطين

في الفترة ما بين

١٩٣٩-١٩٤٧

السكان وملكية الأرض:

عندما أنتهت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨، كانت فلسطين قطراً عربياً مماثلاً لأجزاء العالم العربي الأخرى. فقد كان لها سكانها البالغون حوالي (٧٠٠٠٠٠) نسمة، منهم (٥٧٤٠٠٠) مسلم و(٧٠٠٠٠) مسيحي و(٥٦٠٠٠) يهودي. وكان معظم هؤلاء اليهود عرباً، يعمل (١٢٠٠٠) منهم كمزارعين، بينما يعيش الباقون ويعملون في المدن الرئيسية، وخاصة في القدس.

جرى جمع معلومات موثوق بها حول جميع سكان فلسطين مرتين خلال الثلاثين سنة من الحكم البريطاني. قد تم أول إحصاء للسكان في ٢٣/١٠/١٩٢٢، بينما تم الثاني (والأخير) في ١٨/١١/١٩٣١. وقد كان الأحصاء الثاني هذا مفصلاً تفصيلاً كبيراً، إذ أنه تم على أسس علمية، فأعطى صورة كاملة عن الوضع السكاني للبلاد.

وبعد إحصاء عام ١٩٣١، ظلت دائرة الأحصاء في حكومة الأنتداب تجري تقديرات ربعية وسنوية منتظمة لعدد السكان، وتصنفهم حسب الدين.

وكانت هذه التقديرات تتم بعملية يضاف فيها إلى أرقام عام ١٩٣١، الزيادة الطبيعية وصافي عدد المهاجرين فيما بين أحصاء ١٩٣١ والسنة التي جرى فيها التقدير.

وقد أحصى أحصاء ١٩٣١ جميع الأشخاص الذين كانوا موجودين في فلسطين عند منتصف ليلة ١٨/١١/١٩٣١، بغض النظر عما إذا كانوا من السكان أم لم يكونوا. أما لم يكونوا. أما السكان الذين لم يكونوا موجودين في فلسطين، فقد أستبعدوا من الأحصاء. وقد جرى تبني هذا المبدأ نفسه في التقديرات التي تمت فيما بين عامي ١٩٣٢و١٩٤٦.

ارتفع عدد سكان فلسطين السبعمائة ألف الذين قدروا عام ١٩٣١ إلى الأعداد المذكورة أدناه:

الدين	إحصاء عام ١٩٢٢	إحصاء عام ١٩٣١	تقديرات عام ١٩٤٤
مسلمون	٥٨٩١٧٧	٧٥٩٧٠٠	١٠٦١٢٧٧
يهود	٨٣٧٩٠	١٧٤٦٠٦	٥٢٨٧٠٢
مسيحيون	٧١٤٦٤	٨٨٩٠٧	١٣٥٥٤٧
آخرون	٧٧٦١٧	١٠١٠١	١٤٠٩٨
المجموع	٧٥٢٠٤٨	١٠٣٣٣١٤	١٧٣٩٦٢٤

الجنس (تقديرا)	١٩٤٤	١٩٤٦	١٩٤٨
عرب (مسلمون ومسيحيون)	١١٧٩٠٠٠	١٢٩٣٠٠٠	١٣٨٠٠٠٠
يهود	٥٥٤٠٠٠	٦٠٨٠٠٠	٧٠٠٠٠٠
آخرون	٣٢٠٠٠	٣٥٠٠٠	٣٥٠٠٠
المجموع	١٧٦٥٠٠٠	١٩٣٦٠٠٠	٢١١٥٠٠٠

طبقاً لهذه الأرقام، ارتفعت نسبة اليهود إلى مجموع السكان من (٨٪) عام ١٩١٨ إلى حوالي (١٢٪) عام ١٩٢٢ وإلى حوالي (١٧٪) عام ١٩٣١، ثم إلى حوالي (٣١٪) عام ١٩٤٤ وفي منتصف أيار ١٩٤٨.

وتصبح سرعة الزيادة في عدد اليهود ادعى إلى الدهشة عندما نأخذ بعين الاعتبار أن معدل صافي الزيادة الطبيعية بين عرب فلسطين كان أعلى من مثيله بين يهود فلسطين بحوالي خمسين في المائة (٣,٢٪ بين العرب و٢,٢٪ بين اليهود). أما السر في هذا الارتفاع الكبير في نسبة عدد اليهود إلى مجموع السكان، فيرجع إلى الأعداد الكبيرة من المهاجرين الذين جلبوا إلى البلاد.

ولم يكن اليهود عام ١٩١٨ يملكون إلا اثنين في المائة (١٦٢٥٠٠) أكر من مجموع مساحة اليابسة البالغة (٦٥٨٠٧٥٥) أكراً.

وقد ابتاع اليهود خلال السنوات الثلاثين التالية أراض أخرى أوصلت مجموع ما كانوا يملكونه عند انتهاء الانتداب في آيار عام ١٩٤٨ إلى (٣٧٢٩٢٥) أكراً أي (٥,٦٧٪) من مجموع أراضي فلسطين، ومع ذلك قدرت حكومة الانتداب أنه «كان لدى اليهود (١٥٪) من أراضي فلسطين الصالحة للزراعة».

ولقد ظل العرب الفلسطينيون يقاومون بيع الأراضي لليهود فيما بين عامي ١٩١٨ و ١٩٤٨، فقد بيع معضمها من ملاكين لبنانيين وسوريين يقطنون خارج فلسطين[١].

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية تعهد الطرفان العربي واليهودي بعدم احراج الحكومة البريطانية، وكذلكالامتناع عن القيام بأي أعمال عنف، وقد شهدت الحكومة البريطانية بأن العرب التزموا بهذا الوعد، حيث قام عدد كبير من الشخصيات بزيارة المندوب السامي لتؤكد ولاءها[٢].

وقد وافق اليهود في فلسطين على تحمل ايقاف أعمال العنف، وأغلقوا محطة الاذاعة غير السرعية، لكنهم زادوا من الهجرة اللاشرعية، وكانت حكومة الانتداب إذا وجدت سفينة تحمل يهوداً غير شرعيين تقودهم إلى قبرص مما حدا بالهود أن يعلنوا على لسان بن غوريون[٣]. بتاريخ ٦/٣/ ١٩٤٠ بأنه على غير استعداد لاتخاذ خطوات فعالة لوضع حد للاضطرابات التي تنجم عن الاحتجاج على الكتاب الأبيض.

اغراق السفينة باتريا وستروما:

غرقت السفينة باتريا في ميناء حيفا وقتل فيها (٤٥٢) فرداً، وكذلك السفينة ستوما في البحر الأسود بفعل المتفجرات أيضاً وكان علها (٧٦٠) يهودياً، وقد أغرق هاتين السفينتين المملوءتين بالمهاجرين من أوروبا اليهود أنفسهم لاثارة الضجة على السلطات البريطانية.

---

(١) سامي هداوي - الحصار المر (مرجع سابق) ص: ٨٠.

(٢) Royal Institute of Intenationaf Affairs Creat Britain and Palestine 1915-1945 New Yourk and London: Oxford unversity Press 1946 P:54.

(٣) ممثل الوكالة اليهودية.

استغلال الصهاينة الحرب العالمية لصالحهم:

لقد قضى الصهاينة السنوات الأولى من الحرب في الاعداد للقتال في فلسطين ضد العرب، فقد جلبوا السلاح من مصادره المختلفة، واستجلبوا المهاجرين غير الشرعيين وقاموا بتجنيدهم وتدريبهم.

وفي المجال السياسي فقد عقدوا مؤتمر بلتيمور (Biltmore) في مدينة نيويورك، وهٰذا المؤتمر رفض الكتاب لحدة من النشاط والهجرة الصهيونية.

وقد قامت الوكالة اليهودية بتقديم طلبات إلى بريطانيا بعد انتهاء الحرب والنصر، وتتلخص هذه الطلبات: جعل فلسطين كلها دولة يهودية، وأن تتحكم الوكالة اليهودية بالهجرة، تمويل الهجرة بواسطة قرض مالي، منح التعويضات العينية الألمانية للشعب اليهودي.

أعمال العنف الصهيونية:

لقد التزم العرب بالهدوء وعدم قيام عنف عام ١٩٣٦، وكذلك التزم به اليهود، غير أن اليهود لجاؤا بعد عام ١٩٤٣ وحتى ١٩٤٨ إلى أعمال عنف ضد القوات البريطانية.

وكان يقوم بالعنف ثلاث مجموعات:

الهاغاناه (تعني الدفاع) وتلتزم بفلسفة اشتراكية وتطيع أوامر الوكالة اليهودية، (الأرغون تسفاي ليؤمي (المنظمة العسكرية القومية) وكانت الأرغون تدين بالولاء للشعب اليهودي، وقد انسقت الأرغون عن الأم عام١٩٣٥.

وبينما كانت هذه العصابات تختلف بالاسلوب إلا أن جميعها كان يسعى على انشاء (دولة يهودية).

وبحلول عام ١٩٤٦ كان عدد الهاغاناه بتشكيلاتها المختلفة ٦٢٠٠٠ جندي مدرب ومسلح تسليحاً جيداً إذا ما قورنت بالمحارب العربي.

وكان عدد أفراد عصابة أرغون تسفاي ليؤمي أربعة آلاف مسلح. وشتيرن ٣٠٠ مسلح خطير.

وكان اليهود يحصلون على السلاح عن طريق تهريبه من خارج فلسطين أو عن طريق سرقته من مستودعات الجيش البريطاني.

وطبقاً لما قالته حكومة الأنتداب «كان هناك أزياد ملحوظ خلال شهر آذار عام ١٩٤٣، في عدد وحجم الأسلحة والمتفجرات التي سرقت من المؤسسات العسكرية[١].

ومع ظهور الدلائل على أن الخطر النازي قد زال، وأن الحلفاء سيسكبون الحرب، بدأت الحملة الأرهابية الصهيونية بجدية وذلك في نهاية عام ١٩٤٤ وأستمرت حتى أنتهاء الأنتداب عام ١٩٤٨. وقد ناشدت السلطات البريطانية الشعب اليهودي والمؤسسات اليهودية إلى التزام جانب الهدوء. ولكن الوضع لم يتغير فأستمر نسف البنايات وتدمير خطوط السكة الحديدية وقطع أسلاك الهاتف وأغتيال الموظفين البريطانيين من قبل اليهود.

وقد أغتال مسلحان صهيونيان من عصابة شتيرن وزير الدولة البريطاني اللورد موين Moyne في القاهرة، وقد فصل أحد الكتاب التهمة الموجهة إليه فقال:

أن موين فيما كان وزيراً للمستعمرات في عامي ١٩٤١و١٩٤٢ كان يعارض الهجرة اليهودية ويقول أن اليهود لم ينحدروا من نسل إبراهيم ولا حق شرعي لهم في فلسطين، وكان يسعى كذلك إلى أنشاء الجامعة العربية كقوة مناوئة للصهيونية.

وفي ٤٦/٧/٢٢ نسف أحد أجنحة فندق الملك داود في القدس، وكان يضم سكرتارية الحكومة وجزءاً من القيادة العسكرية، وقد نتج عن ذلك مقتل مائة شخص من كبار موظفي الحكومة من إنجليز وعرب ويهود[٢].

وقد حنق المندوب السامي من ذلك وأصدر تعميماً لكافة العناصر يحمل فيه مسؤولية ما حدث على اليهود. وحظر على الجنود التعامل مع اليهود إلا ضمن الواجب فقط، ومنع كافة الرتب العسكرية من إرتياد الدكاكين وأماكن الترفيه العائدة لليهود.

وفي ١٩٤٦/١٢/٢٩ أختطف رائد وثلاثة ضباط صف من الجيش البريطاني وجلدوا من قبل اليهود وذلك إنتقاماً لأرهابي يهودي كان قد جُلد بناء على قرار إحدى المحاكم.

---

(١) سامي هداوي – الحصار المر (مرجع سابق) ص:٩٤-٣٠٥.

(٢) سامي هداوي – الحصار المر (مرجع سابق)، ص:٩٨.

وبتاريخ ١٩٤٧/٧/٣٠ وبينما كان رقيبان من الجيش البريطاني يتنزهان على شواطىء بلدة نتانيا أختطفا وشنقا رداً على شنق يهوديين وعلقا وكتب قرب جثتيهما «هذا حكم القيادة العليا للأرغون»[١].

هذا وأصدرت الحكومة بياناً حملت فيه مسؤوليت العنق للوكالة اليهودية والهاغاناه اللذين يعملان بالتنسيق مع أرغون تسفاي ليؤمي وشتيرن وقالت إن إذاعة (كول إسرائيل، التي تدعي بأنها (صوت حركة المقاومة) والتي كانت تعمل بتوجيه عام من الوكالة اليهودية، تؤيد هذه المنظمات[٢].

وكذلك عمد اليهود إلى تخريب السكك الحديدية، ومحطات الرادار ونصبت كمائن للشرطة.

لقد وجدت البرقيات المتبادلة بين مختلف المنظمات العسكرية اليهودية طريقها إلى السلطات البريطانية، وقد فكت السلطات البريطانية رموزها وأصدرتها ضمن كتاب خاص يبين أعمال العنف التي يقوم بها اليهود.

إن منح العطف والتأييد البريطاني لم يكون مقتصراً على يهود فلسطين بل تعداه إلى الولايات المتحدة التي أغدق يهودها الأموال على الأرهابيين ولولا هذه الأموال لما كتب للأعمال الأرهابية النجاح.

وقد نشرت رسالة تشجيعية من هخت Ben Hecht الثري اليهودي المعروف صاحب النفوذ في صحيفة هيرالد تربيون الصادرة في ١٩٤٧/٥/١٥ تحت عنوان «كتاب إلى أرهابيي فلسطين» قال فيه: أن يهود أميركا يؤيدونكم، فأنتم أبطالهم، وأنتم البسمة التي تعلو وجوههم، والريشة المغروسة في قبضاتهم»[٣].

// إنهاء الأنتداب البريطاني:

في عام ١٩٤٧، وعندما كانت الأعمال الأرهابية والتخريبية الصهيونية في أوجهها، قامت الحكومة البريطانية بأخر محاولة، وأقترحت تمديد الأنتداب خمس سنوات لتهيء

---

(١) صحيفة نيويورك تايمز ١٩٤٧/٨/١.

(٢) Cmd. 6873.

(٣) سامي هداوي - الحصار المر (مرجع سابق)، ص١٠١.

فلسطين للحكم الذاتي، وقد وافق العرب على ذلك وقدموا ضمانات للحقوق اليهودية. أما اليهود فقد رفضوا الأقتراح وكثفوا من حركاتهم الأرهابية وأعمالهم التدميرية.

المشكلة الفلسطينية أمام الأمم المتحدة ١٩٤٧-١٩٤٨:

رفع المشكلة إلى هيئة الأمم المتحدة:

في ٢/٤/١٩٤٧ قام مبعوث المملكة المتحدة إلى الأمم المتحدة بتوجيه كتاب إلى الأمين العام للأمم المتحدة يطلب فيه وضع القضية الفلسطينية على جدول أعمال الجلسة العادية التالية للأمم المتحدة[١].

وفي يومي ٢١و٢٢/٤/١٩٤٧ سلمت خمس دول من الدول الأعضاء في المنظمة (هي مصر والعراق وسورية ولبنان والسعودية) مذكرة إلى الأمين العام تطلب فيها إضافة «إنهاء الأنتداب على فلسطين وأعلان إستقلالها»[٢].

وقد أوصت الجمعية العامة بوضع البند المقدم المملكة المتحدة وعدم وضع البند المقدم من الدول العربية.

وفي ٥/٥/١٩٤٧ قررت الهيئة العامة إعطاء الفرصة للجنة العربية العليا للوكالة اليهودية الحق في إبداء وجهة نظرهما.

وقال مندوب المملكة المتحدة في هيئة الأمم المتحدة إن بلاده طيلة سنين طويلة كانت تحاول حل القضية الفلسطينية ولكنها فشلت، لذا رفعها إلى هيئة الأمم المتحدة لتقوم هي بحلها.

وبعد أن أنهت اللجنة الخاصة تحقيقاتها في فلسطين، غادرتها إلى جنيف لتبدأ مداولاتها وتعد تقريرها، وقد شكلت لجنة فرعية لزيارة معسكرات اليهود في ألمانيا والنمسا وأوروبا، وقد أعترض العرب على ذلك. وقد وجدت اللجنة أن الأطفال اليهود في المعسكرات يتعلمون اللغة العبرية وتشبع عقولهم بأنتمائهم إلى فلسطين.

(١) سامي هداوي - الحصار المر (مرجع سابق)، ص: ١٠٤.

(٢) UN Documont A1364 Add. 1 Supplement No II, Annex I,p,I.

وقد رفضت اللجنة تقريرها في ١٩٤٧/٨/٣١ ويتضمن:

«لايمكن أعتبار أي حل للمشكلة الفلسطينية على أنه حل للمشكلة اليهودية بشكل عام»[(١)].

وأما بقية النواحي فهي: إنهاء الأنتداب، أستقلال فلسطين بعد أنتهاء فترة تديرها البلاد هيئة الأمم - المحافظة على الأماكن المقدسة - حماية حقوق الأقليات، الغاء الأمتيازات، إقامة علاقات سلمية - الوحدة الأقتصادية - مناشدة الطرفين لوضع حد لأعمال العنف.

ثم قدمت اللجنة مشروعين لأختيار أحدهما:

١- مشروع تقسيم مع وحدة أقتصادية وقطاع دولي يضم القدس.

٢- مشروع الدولة الأتحادية (الفدرالية).

وقد أستقبل الصهاينة المشروع الأول بحماس زائد.

ورغم من تردد بعض ممثلي الدول، وشكوك البعض الآخر، وتحذيرات الدول العربية وغيرها، فقد تبنت هيئة الأمم المتحدة تقسيم فلسطين وذلك بعد أن صوتت لصالحه (٣٣) دولة وعارضته (١٣) وأمتنعت عن التصويت عشر دول.

وقد شكل لبحث هذه المشكلة لجنة خاصة من:

أستراليا، كندا، تشيكوسلوفاكيا، وغواتيمالا، والهند وايران وهولندا وبيرو والسويد وأرغواي ويوغسلافيا.

وقد أعترض عرب فلسطين بشدة على فكرة تشكيل هذه اللجنة الجديدة التي أنبط بها بحث القضية الفلسطينية من جديد.

المشكلة أمام اللجنة الخاصة:

وصل أعضاء اللجنة الخاصة إلى فلسطين يومي ١٤و١٩٤٧/٦/١٥، وعقدوا، أثناء وجودهم في الشرق الأوسط، ستة وثلاثين أجتماعاً. وقد كان واضحاً لعرب فلسطين أن

---

(١) سامي هداوي - الحصاد المر (مرجع سابق)، ص:١١٣.

غالبية أعضاء تلك اللجنة قد وصلوا إلى فلسطين وهم مهيؤون لقبول «حل» صهيوني للمشكلة الفلسطينية - حل قائم على أساس تقسيم البلاد المقدسة. وكانت النتيجة أن أبرقت اللجنة العربية العليا، بصفتها المتحدث الرسمي بأسم عرب فلسطين، إلى الأمين العام للأمم المتحدة قائلة، أنها بعد الدراسة المستفيضة للمداولات والظروف التي أدت إلى تشكيل لجنة البحث عن الحقائق في فلسطين، ودراسة المناقشات التي أدت إلى تحديد نطاق صلاحياتها، فقد قرر عرب فلسطين الأمتناع عن التعاون معها والتوقف عن الظهور أمامها، وذلك للأسباب الرئيسية التالية:

أولاً: رفض الأمم المتحدة سلوك السبيل الطبيعي المتمثل في ذكر أنتهاء الأنتداب، والأعلان عن أستقلال فلسطين في جدول أعمال الجلسة الخاصة للجمعية العامة وفي صلاحيات اللجنة الخاصة.

ثانياً: أمتناع الأمم المتحدة عن فصل موضوع اللاجئين اليهود العالمي عن المشكلة الفلسطينية.

ثالثاً: الأفتئات على مصالح سكان فلسطين باسم المصالح الدينية العالمية، على الرغم من أن هذه الأخيرة لا تعتبر موضوع نزاع.

ثم أشارت اللجنة العربية العليا إلى أن حقوق عرب فلسطين الطبيعية في بلادهم واضحة جلية، ولا يمكن لها أن تظل موضع بحث، بل أنها تستحق أن يعترف بها على أساس مبادىء ميثاق الأمم المتحدة.

وبعد أن أنهت اللجنة الخاصة تحقيقاتها في فلسطين، غادرتها إلى جنيف كي تبدأ مداولاتها وتعد تقريرها.

أما الدول التي وافقت على التقسيم فهي:

أستراليا - بلجيكا - بوليفية - البرازيل - روسيا البيضاء - كندا - كوستاريكا - تشيكوسلوفاكيا - الدنمارك - جمهورية الدومنيكان - الأكوادور - فرنسا - غواتيمالا - هاييتي - آيسلندة - ليبرية - لوكسمبورغ - نيوزيلنده - نيكاراغوا - النروج - بنما - براغواي - بيرو - الفلبين - بولندة - السويد - أوكرانيا الروسية - جنوب إفريقيا - الأتحاد السوفياتي - الولايات المتحدة الأميركية - أرغواي - فنزويلا.

الدول التي صوتت ضد التقسيم:

أفغانستان - كوبا - مصر - اليونان - الهند - إيران - العراق - لبنان - باكستان - السعودية - سوريا - تركيا - اليمن.

الدول التي أمتنعت عن التصويت:

الأرجنتين - تشيلي - الصين - كولومبية - السلفادور - الحبشة - هندوراس - المكسيك - يوغسلافيا - المملكة المتحدة (بريطانيا).

رفض العرب قرار التقسيم لأنه أنتهاك لميثاق الأمم المتحدة، وأنتهاك للقانون الدولي، وأن قرار هيئة الأمم ليس قراراً ملزماً فهو توصية، كما أن قرار التقسيم يعد أنتهاكاً أيضاً للمبادىء التي نادى بها أعلان روزفلت وتشرتشل الذي عرف بميثاق الأطلسي، وقد قبل الصهاينة قرار التقسيم لأنه أعطاهم رقعة من الأرض أعتبروها موطىء قدم.

العدوان الصهيوني قبل نهاية الأنتداب:

يمكن تقسيم مراحل العدوان الصهيوني على فلسطين إلى ثلاث مراحل في ١٩٤٧/١١/٢٩، المرحلة الأولى تمثل الفترة التي سبقت قرار التقسيم، وفيها كان اليهود ينظمون وينفذون الأعمال الأرهابية، وفي أذهانهن طرد المندوبين الإنجليز أولاً ثم السكان المحليين العرب.

المرحلة الثانية: التي تمثل الفترة فترة الأشهر الستة الواقعة ما بين ١٩٤٧/١١/٢٩. (تاريخ التقسيم) وبين ١٩٤٨/٥/١٤ (تاريخ أنسحاب البريطانيين).

المرحلة الثالثة: التي تمثل الفترة التي تلت ١٩٤٨/٥/١٤ والتي دخلت فيها الجيوش العربية فلسطين.

المذابح التي أقترفها اليهود:

١- مذبحة دير ياسين:

وقد ذهب ضحيتها ٢٥٠ رجلا وأمرأة وطفل.

٢- بلد الشيخ:

وفي هذه العملية قتل أكثر من ستين شخصاً، وكان معظمهم من غير المحاربين.

٣- مذبحة سعسع:

نسف عشرون منزلاً بمن فيهم من السكان، كما قتل حوالي ستين عربياً معظمهم من النساء والأطفال.

٤- في معركة حي القطمون في القدس:

قتلت النساء العربيات اللائي كن يعملن في دير القديس سيمون.

٥- مذبحة اللد:

زعمت البالماخ بأن السكان العرب هبوا ثائرين، وأنه إخماد للثورة، أعطيت الأوامر باطلاق النار على أي شخص يشاهد في الشوارع، ففتح الجنود نيرانا غزيرة على جميع المارة وأخذوا ينتقلون من منزل لمنزل ويطلقون النار على كل هدف متحرك وقد قتل ٢٥٠ عربياً.

٦- مذبحة قرية الحولة اللبنانية:

لم يكن هناك أية مقاومة في القرية، وكان يوجد في القرية حوالي مائة شخص. وكانوا أستسلموا وطلبوا البقاء في بيوتهم، وكان عدد الرجال حوالي الخمسين جمعوا في بيت واحد، وقام جنديان بقتلهما برشاشاتهما. ثم نسفوا البيت ليصبح قبراً لهم.

٧- مذبحة قرية الدوايمة:

حين أحتلال القرية لجأ إلى مسجدها حوالي مائة شخص معظمهم من كبار السن الذين لم يستطيعوا الهرب. وقد دخل الصهاينة وأجهزوا عليهم جميعاً.

جيش الأنقاذ والأردنيون

يقاتلون اليهود قبل دخول الجيوش العربية

تشكيل جيش الأنقاذ[١]؟

في ٨ كانون الأول عام ١٩٤٧ عقد مجلس الجامعة العربية أجتماعاً في القاهرة، وقد حضر هذا الأجتماع رؤساء الحكومات العربية، وبحثوا القضية الفلسطينية على ضوء قرار هيئة الأمم المتحدة، والقاضي بتقسيم فلسطين ما بين العرب واليهود، وإقامة دولتين مستقلتين على أرض فلسطين، وقد قرر المجتمعون أعتبار القرار باطلاً، وقرروا أتخاذ التدابير التي تمنع تنفيذ هذا القرار الظالم.

كما قرروا أيضاً تزويد اللجنة العسكرية بعشرة آلاف بندقية وبثلاثة آلاف متطوع، وقد أسس لهذه الغاية جيش عربي سمي جيش الأنقاذ، دعي للأنخراط فيه الشباب القادر على القتال.

وقد عُين اللواء صفوت باشا من (العراق) قائد لهذا الجيش يساعده العقيد محمود الهندي (من سوريا) للادارة والمقدم شوكت شقير (من سوريا) ووصفي التل (من الأردن) للحركات وأنتدب العميد طه الهاشمي (من العراق) للتدريب والتنظيم، وفي شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٨ تم تأليف جيش الأنقاذ من ثمانية أفواج.

وقد انخرط ستون شاباً فلسطينياً من كافة مدن وقرى فلسطين للتدرب في معسكرات قطنا قرب دمشق للأنضمام لهذا الجيش ليصبحوا ضابطاً فيه.

وقد سلمت الحكومة الأردنية اللجنة العسكرية ألف بندقية و٥٠٠ ألف طلقة وكمية من الرشاشات كما جهزت ٢٠٠ متطوع أردني من مسرحي الجيش وسلحتهم وألفت منهم سرية التحقت بفوج اليرموك الثاني، وقد توجهت هذه السرية إلى دمشق بقيادة الرئيس أميل جميعان والرئيس سامي الفنيش، ومن ضباط هذه السرية كذلك الملازمون محسن يعيش وعلوش داغش وعبد النبي ومحمود علي الصخراوي وكان ينفق على هذه السرية الجيش الأردني وقد أشتركت في معارك صفد في القتال ضد اليهود.

---

(١) يعقوب كامل الدجاني - الدور الذي لعبه أبناء شرقي الأردن في نضال عرب فلسطين للفترة ما بين ١٩٠٨-١٩٤٩ (مرجع سابق ص:٦٨).

كما تشكلت في الأردن سرية أخرى قوامها (١٥٠) مقاتلاً وكان يقودها الرئيس بركات طراد وقد ألحقت هذه السرية بفوج اليرموك الثالث وتمركزت في جبل الزيتون في القدس، وأشتركت في معارك القدس مع المجاهدين الفلسطينيين وكانت تعرف بأسم (سرية منكو) حيث أن السيد إبراهيم منكو أحد أثرياء عمان تبرع بدفع نفقاتها.

وفي ٩ كانون الثاني ١٩٤٨ مر بإربد أول فوج من أفواج جيش الأنقاذ، وبعد أسبوعين مر فوزي القاوقجي من شرقي الأردن إلى فلسطين بعد أن عينته الجامعة العربية قائداً للمتطوعين في الميدان.

لقد كان جيش الأنقاذ قليل التدريب ضعيفاً من حيث التجهيز، وقد بدا ذلك في معركة (مشمارها عيمك)[1].

وقد أخذ على الجامعة العربية أنها لم تعمل على الأستفادة من قوة الحدود الأردنية التي شرع الإنجليز بتسريحها في شهر شباط عام ١٩٤٨ وكان عدد أفرادها ٢٩٢٥ جندياً وضابطاً على مستوى رفيع من التدريب.

وكذلك رفض جمال الحسيني والهيئة العربية العليا الأستفادة من خدمات الضباط والجنود المسرحين الفلسطينيين الذين خدموا في الجيش البريطاني، بينما شكل اليهود من الضباط والجنود اليهود الذين خدموا في الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية قوة البالماخ وهي أفضل قواتهم الضاربة، وقد برهنت خلال القتال في فلسطين على كفاءة عالية.

المتطوعون الأردنيون في فلسطين:

إضافة إلى كتيبة جيش الأنقاذ بقيادة الرئيس إميل جميعان وسرية منكو بقيادة الرئيس بركات طراد، دخلت فلسطين من شرقي الأردن قبل دخول الجيوش العربية القوات المتطوعة التالية:

١- سرية الأخوان المسلمين وقوامها ستون مقاتلاً، وقد دخلت مدينة القدس في شهر نيسان، وتمركزت على جبل الرَبُ المطل على عين كارم وكان يقودها السيدان عبد اللطيف أبو قورة، وممدوح صرايرة.

---

(١) مشمارها عيمك/ مستعمرة يهودية تقع في شمال فلسطين.

٢- باب الواد كانت ترابط مجموعة من الحويطات بقيادة الشيخ هارون بن جازي وقد شارك الشيخ هارون بن جازي بمعركة القسطل.

٣- مجموعة من بني صخر وعرب البلقاء بقيادت الشيخ محمد الفايز.

٤- مجموعة من الجنود القدماء ومتطوعي عشيرتي العدوان والحديد.

وقد عملت القيادة الأردنية على تنظيم هؤلاء المتطوعين في سرايا ووحدات خصوصاً بعد دخول الجيش العربي الأردني إلى فلسطين، وقد سلمتهم القيادة أسلحة من مستودعات الجيش، وأعادت توزيعهم بصورة رئيسية على منطقة باب الواد واللطرون ومنطقة اللد والرملة ومنطقة الطور في القدس وقد أشترك المئات من أبناء الأردن في المعارك ومنهم:

الشيخ هايل السرور والشيخ عتيق الطعنة، والشيخ جدوع بن سالم، وكان كل منهم يقود فصيلاً يبلغ عدد رجاله خمسين مناضلاً.

ويمكن القول أن عدد المتطوعين الأردنيين الذين دخلوا فلسطين قبل دخول الجيوش العربية لها رسمياً كان حوالي (١٢٠٠) مناضلاً.

وقد نال شرف الشهادة من هذه القوات المتطوعة:

علي ذياب (من بني صخر) رزق العمريين (من الطفيلة)، سليمان العجرمي (ناعور)، محمد حمد الحنيطي، فلاح الحنيطي، غالب بن نهار الحديد، عوض المحمود الحديد، نايل حمد الجازي، بهجت منكو، جمال عبد الرحيم، محمد أبو عزام، هذا وقد تألفت في جميع المدن والقرى في شرقي الأردن جمعيات عرفت بأسم جمعيات الدفاع عن فلسطين هدفها جمع المال والمساعدات لفلسطين.

الجيش العربي المترابط في فلسطين قبل دخول الجيوش العربية ينتهز المناسبات للأشتباك مع الصهاينة

كانت تتواجد خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها، قوات من الجيش العربي تقوم بحراسة المنشآت الرئيسية في البلاد، وقد أنتهزت هذه القوات وجودها بفلسطين وقامت بتدريب بعض الشباب العرب على فنون القتال وزودتهم بالأسلحة والذخائر وقد حصلت بين هذه القوات الأردنية والقوى اليهودية عدة أشتباكات وتصادمات أدرج منها ما يلي:

١- ففي ١٤ كانون الأول ١٩٤٧ كانت إحدى سرايا الجيش العربي مرابطة في معسكر بيت نبالا وتقوم بالحراسة المعتادة، فمرت قافلة يهودية تتألف من عدة سيارات، وتحرش اليهود بأفراد الجيش العربي الذي أنتهز المناسبة وأنقض عليهم، وأصلاهم وابلاً من النيران، وكانت حصيلة المعركة مصرع ١٢ يهودياً وجرح عشرة، ولم يصب أي من أفراد الجيش الأردني بأذى، ونتيجة ذلك قامت قيامة اليهود وطالبوا بإخراج هذا الجيش من البلاد.

٢- في ٩ شباط ١٩٤٨ مرت قافلة يهودية قرب معسكر للجيش العربي في حيفا وأخذ رجال الهاغاناه فيها بإطلاق النار على جنود الجيش العربي، وقد أنتهز الجنود هذه الفرصة وأنقضوا على أفراد الهاغاناه، ونتيجة هذا الأشتباك قتل خمسة من اليهود وجرح أربعة عشر.

٣- وفي ١٨ نيسان ١٩٤٨ تحرش سكان مستعمرة نيفي يعقوب الواقعة على الطريق الرئيس بين رام الله والقدس بوحدة من قوات الجيش العربي، فأنتهز رجال الوحدة هذه المناسبة وأنقضوا على المستعمرة، وضربوا أبراجها الرئيسية بالمدافع، فتهدمت أبراجها، وقد قتل من اليهود في برج واحد ١٦ رجلاً وقد خسر الجيش ثلاثة شهداء.

٤- لقد كانت إحدى سرايا الجيش العربي تتمركز على الضفة الشرقية لمشروع كهرباء وتنبرغ، وفي يوم ٢٧ نيسان أخلى رجال الشرطة الإنجليز المخفر وسلموه لليهود،

فأنقض الجيش العربي عليهم، وشاركت مستعمرة جيشر بالقتال، كما تدخلت بعض سرايا أخرى من الجيش العربي لتساند أخوانها المقاتلين، وبدأ الجيش بقصف المستعمرة بمدافعة ولم يتوقف القتال إلا بعد أن تدخل المندوب السامي البريطاني في فلسطين مع الملك عبد الله، وقد أشترطت القوات الأردنية بأنها ستوقف القتال إذا أوقف اليهود ضرب يافا التي كانت تتعرض للقصف المدفعي آنذاك.

٥- في اليوم الأول من شهر أيار إزداد ضغط اليهود على حي القطمون[1]، وكان عدد من الجنود الأردنيين مكلفاً بحراسة القنصلية العراقية، فحاول اليهود التقدم نحوها، فأشتبكوا مع الجيش العربي الذي قتل من اليهود خمسين رجلاً، وأستشهد نتيجة ذلك أثنان من جنود الجيش العربي الباسل، ولم يتوقف القتال إلا عندما تدخل قائد القوات البريطانية في القدس.

٦- وأستنجد سكان بئر السبع، بالجيش الأردني، فأرسلت القيادة لهم خمسين جندياً بقيادة الملازم نزال المفلح، غير أن الحاج أمين الحسيني في فلسطين أعترض على ذلك، فأرسل المصريون مجموعة من الإخوان المسلمين إلى بئر السبع بقيادة المجاهد أحمد عبد العزيز، وأنسحب الجيش العربي من بئر السبع.

٧- كما ساهمت السرية السادسة (مشاة) بقيادة ضرغام الفالح في مؤازرة المناضلين الفلسطينيين في غزة، وكانت تقوم بضرب مستعمرة بيروت إسحق بمدافع المصفحات وكانت السرية تقوم بحراسة مداخل مدينة غزة.

٨- وقد ساهم الملازم أول محمد الحنيطي مساهمة فعالة في معركة فلسطين، إذ ساعد المجاهدين الفلسطينيين في مدينة حيفا، وفي منتصف أذار ١٩٤٨ ذهب الضابط المجاهد إلى الحدود من حيفا وقد أشتبكت هذه القافلة في منتصف الطريق مع اليهود الذين كانوا يترصدونها عند مستعمرة (موتسكين)، وخلال القتال خر المناضل البطل الملازم الحنيطي شهيداً.

(١) حي القطمون حي من أحياء القدس الجديدة.

٩- التحق الرئيس راضي العبد الله الخصاونة من رجال الحامية الأولى بحامية يافا مدرباً ثم كضابط أرتباط الحامية وقيادة الجيش العربي، وقد أحضر معه إلى يافا ١٥٠ بندقية و١٥ مدفعاً من المدافع المضادة للدبابات وقد بقي في يافا إلى أن أنهار فيها الوضع وعاد والتحق بقواته في شرقي الأردن ومن ثم توجه مرة ثانية بعد أن دخلت الجيوش العربية فلسطين إلى القدس.

١٠- معركة بلد الشيخ: نقل الرئيس محمود الموسى عبيدات إلى حيفا في مطلع عام ١٩٤٧ وكانت قيادته بين مستعمرة أسمها (ينشر) في مدخل حيفا وبين (بلد الشيخ) في حينه هاجم العمال العرب المهندسين اليهود الذين كانوا يعملون في مصفاة بترول حيفا وقتلوا عددا منهم، وقد تحسب محمود العبيدات من أنتقام اليهود، فذهب في الليل إلى مختار (بلد الشيخ) السيد عثمان السهلة وحذره من ذلك بحضور وجهاء القرية، وفي الساعة الواحدة والنصف صباحاً شن اليهود هجومهم على البلدة التي ينتمي إليها العمال العرب، ولم يكن الأهالي قد أخذوا بنصيحة محمود الموسى بوضع مراقبين على قمة الجبل لإنذار الأهالي وقد سقط في هذا الهجوم ستون شهيداً من القرية. وهنا تدخل الجيش العربي وقام بإطلاق النار على المهاجمين اليهود فسقط سبعون قتيلاً يهودياً.

١١- معركة كفر عتسيون، لقد كانت خطة اليهود العسكرية إقامة مستعمرات حصينة في المواقع الإستراتيجية وكذلك في المناطق المطلة على الطرق الرئيسية، ومن ضمن المستعمرات كانت مستعمرة كفار عتسيون التي أقيمت في موقع حصين مرتفع بين القدس والخليل.

كان الجيش العربي يتخذ طريق بئر السبع / الخليل / القدس لمرور قوافله ووسائل النقل التي كانت تحمل الذخائر والمؤن لسراياه المتواجدة في غزة ورفح، وكان لهذه الطريق أهمية كبيرة للجيش العربي خصوصاً لنقل السيارات والعتاد الذي حصل عليه من معسكرات الجيش البريطاني في السويس إلى الضفة الشرقية، وقد بذل جهداً كبيراً لنقل هذه الأعتدة قبل نهاية الأنتداب على فلسطين في ١٥/٥/١٩٤٨، وقد كان هذا النقل يتم عن طريق القوافل مع تعزيزها بعدد كاف من الجنود لحراستها كي لا يتحرش بها اليهود.

وقد بدأ اليهود المقيمون في كفار عتسيون يتحرشون بالمدنيين المارين على الطرق الرئيسية فقطعوا الطرق بصورة تكاد تكون تامة.

وفي ٦/٥/١٩٤٨ تحرش اليهود بقافلة تحرسها قوات من الجيش العربي متجهة في طريقها إلى الخليل، وكانت القافلة مؤلفة من ثلاثين سيارة، وقد قصف اليهود سيارات القافلة وتعطلت إحداها وسدت الطريق، وراح الجانبان اليهودي والعربي يتبادلان إطلاق النيران، فأستشهد جندي أردني ومدني عربي وجرح أثنان، فطلب قائد القوة النجدة، فوصلته قوة من القدس مع بضع مدرعات وعدد من الجنود بقيادة الرئيس حكمت مهيار، وهاجمت النجدة اليهود من عدة مواقع وأضطرتهم إلى الأنسحاب ومرت القافلة. وفي يوم ٧/ آيار تعرض اليهود لقافلة عسكرية أردنية، وهي في طريقها من الخليل إلى القدس، فجاءت إلى القافلة نجدات من قوات حراسة القوافل تتألف من ست مدرعات، وفئة مشاة، وثلاثة مدافع هاون فأنقذت القافلة بعد أشتباكها مع اليهود.

وفي صباح اليوم التالي تحركت من حلحول قرب الخليل قوة من الجيش العربي قوامها تسع مدرعات وثلاثة مدافع مورتر وأربعة وثلاثين ضابطاً وجندياً، وقد قامت بقصف دير الشعار وتم أحتلالها وقد خسر اليهود ثمانية عشر قتيلاً، وقامت بعد ذلك مدفعية الجيش العربي بقصف كفار عتسيون كإجراء تأديبي وبعد إنسحاب الجيش الأردني من دير الشعار عاد اليهود فأحتلوه، وأخذوا يتحرشون بالمارة، فذهبت وفود عديدة من الخليل وبيت لحم إلى عمان، وقابلت هذه الوفود الملك عبد الله وشرحت له الموقف، والتمست منه نجدتهم، والأمر بتدمير كفار عتسيون لأنها كالشوكة في المحيط العربي بينهم، وتهددهم بإستمرار ولما قنع الملك عبد الله بمطلبهم أصدر أوامره بتدمير مستعمرة كفار عتسيون وما يحيط حولها من مستعمرات صغيرة. وقد أشتبكت السرية الثانية عشرة صباح يوم ١٢ آيار مع اليهود، وكان يساند السرية ست مدرعات وأربعة مدافع مورتر، وقد أحتلت قوة الجيش العبي دير الشعار، ثم بدأت بمهاجمة المستعمرة بقيادة الرئيس حكمت مهيار.

وقد أبدى اليهود مقاومة شديدة، ووصلتهم إمدادات من الساحل أنزلتها طائرة بواسطة المظلات، وقد استمر الأشتباك من الصباح حتى العصر، وعندئذ وصلت نجدة أردنية بقيادة الملازم محمد السحيم، وقد ساهم في هذه المعركة زهاء خمسمائة مناضل فلسطيني من أهل الخليل وقرأها بقيادة الشيخ محمد علي الجعبري، والسيد رشاد الخطيب، وقد ظل سكان المستعمرة اليهودية يقاومون طيلة الليل.

وفي صباح اليوم التالي جاءت نجدة جديدة من سرية حرس القوافل بقيادة الملازم مشاة نواف الجبر، وجدد الجنود هجومهم على المستعمرة وقذفوها بقنابل المصفحات واقتحم المشاة أسلاك المستعمرة وحقول ألغامها وأعلن اليهود أستسلامهم، وحين تقدم الجنود الأردنيون لأستلام الأسرى أمطر اليهود أبطالنا بوابل من النيران وقذفوهم بالقنابل اليدوية ونتيجة هذا القتال فتك أبطالنا بجميع اليهود المشاركين بالقتال وقد تم أحتلال كفر عتسيون عصر يوم ١٣ آيار ١٩٤٨ وبعد ذلك أتجه رجال الجيش العربي البواسل إلى المستعمرات الثلاث الصغيرة المجاورة لكفار عتسيون بقيادة الرئيس حكمت مهيار. وفي اليوم التالي ١٤ آيار أعلنت هذه المستعمرات إستسلامها بواسطة الصليب الأحمر وهي مستعمرات «ريفادم، سوؤت اسحق، وعين تسوريم».

وكان عدد قتلى اليهود في هذه المعركة متتي قتيل، أما الأسرى فبلغ عددهم ٣٨٧ أسيراً، وقد سلم الشيوخ والنساء والأطفال منهم إلى الصليب الأحمر الدولي، وحول المقاتلون وعددهم ثلاثماية إلى معسكرات الأسرى في الضفة الشرقية.

المراجع

١- **القرآن الكريم**.

٢- الدكتور أحمد سوسة - **العرب واليهود في التاريخ** - العربي للأعلان والنشر والطباعة والتوزيع - الطبعة السادسة - دمشق ١٩٧٣ .

٣- مصطفى الدباغ - **بلادنا فلسطين** - القسم الأول - الجزء الأول - رابطة الجامعيين عمان.

٤- الدكتور محمود السمرة ورفاقه، **فلسطين: أرض وشعب وقضية** - منظمة التحرير الفلسطينية دائرة التعليم العالي.

٥- **التوراة**.

٦- عبد الرزاق محمود الأسود - **الموسوعة الفلسطينية** - المجلد ١-٤ الدار العربية الموسوعات. دمشق.

٧- أحمد الشقيري - **خرافات يهودية**، دار الطليعة بيروت ١٩٨٠ .

٨- الدكتور عبد الوهاب الكيالي - **تاريخ فلسطين الحديث** - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ١٩٨١ .

٩- بسام العسلي - **فلسطين والحملة الصليبية الجديدة**، الديوان - بيروت.

١٠- بولس مسعد - **همجية التعاليم الصهيونية** - الطبعة الأولى - دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٦٩ .

١١- **الإنجيل**.

١٢- وليد الخالدي وآخرون - **القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني** الجزء الأول - الأمانة العامة للجامعات العربية - ١٩٨٣ ، الرياض.

١٣- الدكتور أحمد الظاهر والدكتور محمود الزعبي - **بين الفكرين العربي والصهيوني** - دار ابن رشد، عمان ١٩٨٥ .

١٤- مهدي عبد الهادي - **المسألة الفلسطينية ١٩٣٤ - ١٩٧٤**، المكتبة العصرية - بيروت - ١٩٧٥ .

١٥- إلن تايلور - **المدخل إلى إسرائيل** - ترجمة شكري محمود نديم - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٩ .

١٦- رمزي ميور - **النتائج السياسية للحرب العظمى** - ترجمة محمد بدران سلسلة المعارف العامة - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - مصر .

١٧- الكزاندر شولش - **تحولات جذرية في فلسطين**، ترجمة الدكتور كامل العسلي. - منشورات الجامعة الأردنية - عمان ١٩٨٨ .

١٨- ظفر الإسلام خان - **تاريخ فلسطين القديم** - دار النفائس - بيروت - الطبعة الرابعة ١٩٨٤ .

١٩- جفريز: ج م ن، **فلسطين اليكم الحقيقة**، ترجمة خليل الحاج- مراجعة د. محمد أنيس، دار الكاتب العربي - القاهرة ١٩٧١ .

٢٠- البروفيسور الدكتور إبراهيم الشريقي - **أورشليم وأرض كنعان** - لندن باريس ١٩٨٥ .

٢١- هارونج لانجتر - **آثار الأردن** - اخراج مجلة (رسالة المعلم) عمان ١٩٦٥ .

٢٢- أميل الغوري - **فلسطين عبر ستين عاماً** - دار النهار للنشر - بيروت - ١٩٧٢ .

٢٣- روت بلاد - **يهود لا صهيونية** - ترجمة زكي حسن نسيبة - دار الكلمة للنشر- ١٩٨١ بيروت .

٢٤- الدكتور مصطفى الخالدي، والدكتور عمر فروخ - **التبشير والاستعمار** - المكتبة العصرية - بيروت، صيدا.

٢٥- لينا يعقوب الدجاني «**الأفكار الصهيونية التي تتضمنها كتب الاجتماعيات لصفوف المرحلة الألزامية في إسرائيل** - رسالة ماجستير غير منشورة عام ١٩٣٣ - الجامعة الأردنية - كلية الدراسات العليا.

٢٦- آرثر كوستلر - ترجمة حمدي متولي مصطفى صالح - **إمبراطورية الخزر وميراثها** - القبيلة الثالث عشرة.

٢٧- الكزاندر شولش - **تحولات جذرية في فلسطين** - ترجمة الدكتور كامل العسلي - منشورات الجامعة الأردنية - عمان ١٩٩٨.

٢٨- محمد أديب العامري - **عروبة فلسطين في التاريخ** - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٩٧٢.

٢٩- وليد الخالدي - **الحق العربي في حائط المبكى في القدس** - منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٦٨.

٣٠- أميل الغوري - **فلسطين عبر ستين عاماً** - دار النهار للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان الجزء الثاني.

٣١- يعقوب كامل الدجاني - **الثورة العربية الكبرى** - دار القدس للنشر والتوزيع عمان ١٩٩١.

٣٢- يعقوب كامل الدجاني - **الدور الذي لعبه عرب شرقي الأردن في نضال اخوانهم عرب فلسطين ١٩٠٨-١٩٤٩**- عمان ١٩٩٢.

٣٣- وليام غار كار - **أحجار على رفعة الشطرنج** - ترجمة سعيد جزائري - دار النفائس - بيروت - لبنان.

٣٤- الدكتور أحمد طربية - **قضية فلسطين - ١٨٩٧ - ١٩٤٨** الجزء الأول ١٩٦٨- دمشق - الجمهورية العربية السعودية - السورية.

٣٥- هنري كتن - **فلسطين في ضوء الحق والعدل** -.
٣٦- عيسى السفري، **فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية**، القدس ١٩٣٧ .
٣٧-عبد الوهاب الكيالي **وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الإحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨-١٩٤٨**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٦٨ .
٣٨- سامي هداوي - **الحصار المر - فلسطين بين عامي ١٩١٤ - ١٩٧٩** - ترجمة لدكتور فخري حسين يغمور - رابطة الجامعيين في الخليل - ١٩٨٢ .
٣٩- الدكتور نظام عزت عباسي - **السياسة الداخلية للحركة الوطنية الفلسطينية**، دار هشام للنشر والتوزيع - أربد ١٩٨٤ .
٤٠- مجيد قدوري - **عرب معاصرون** - الدار المتحدة للنشر .
٤١- محمد عزت دروزة - **قضية فلسطين والوحدة العربية** - المكتبة العصرية ١٩٧٣ .
٤٢- الدكتور علي محافظة - **الفكر السياسي في فلسطين** - من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الأنتداب البريطاني.
٤٣- ناجي علوش - **المقاومة العربية في فلسطين** - بيروت - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٦٧ .
٤٤- منيب الماضي وسليمان موسى - **تاريخ الأردن في القرن العشرين**، الطبعة الأولى ١٩٥٩ - عمان.
٤٥- تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب سنة ١٩٢٩ رفعه وزير المستعمرات إلى البرلمان بأمر من جلالة الملك في شهر آذار سنة ١٩٣٠- القدس - مطبعة دير الروم ١٩٣٠ .
٤٦- أميل توما - **جذور القضية الفلسطينية** - بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ١٩٧٣ .

٤٧- عباس عطية جبار - **الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩ في الوثائق العراقية**، مجلة المؤرخ العربي-العدد ٣٤، السنة الثالثة عشر ١٩٨٧، ص ٥٢، إلى ٦٢.

٤٨- سميح شبيب - **حزب الأستقلال العربي في فلسطين ١٩٣٢-١٩٣٣**، بيروت - مركز الأبحاث - منظمة التحرير الفلسطينية.

٤٩- ناصر موسى زيد الكيلاني - **إسرائيل دولة المهجرين** - عمان ١٩٨٥.

٥٠- محمد عزة دروزة - **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها** - بيروت ١٩٥٩.

٥١- بيان نويهض الحوت (إعداد) **وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية** (١٩١٨-١٩٣٩).

٥٢- احسان النمر - **تاريخ جبل نابلس والبلقاء** - نابلس ١٩٧٢.

٥٣- ١٩٣٩ **من أوراق أكرم زعيتر**، بيروت ١٩٧٩.

٥٤- صبحي ياسين: **الثورة العربية الكبرى في فلسطين (١٩٣٦-١٩٣٩)** القاهرة ١٩٦٧.

٥٥- صبحي ياسين: **حرب العصابات في فلسطين**، القاهرة ١٩٦٧.

٥٦- محمد الشاعر: **الحرب الفدائية في فلسطين**، بيررت ١٩٦٧.

٥٧- أكرم زعيتر: **يوميات الحركة الفلسطينية، ١٩٣٥-١٩٣٩**، بيروت ١٩٨٠.

٥٨- خيرية قاسمية: **فلسطين في مذكرات القاوقجي (١٩٣٦-١٩٤٨)** بيروت ١٩٧٥.

٥٩- صالح مسعود بويصير: **جهاد شعب خلال نصف قرن**، بيروت ١٩٦٨.

٦٠- يوسف عبد المنعم الزين - **لمحة عن الأحزاب العربية الفلسطينية ١٩٠٩-١٩٤٨** - دار جاد للنشر والتوزيع - عمان - ١٩١٩.

المراجع باللغة الإنجليزية

1- Bentwich, Herbert Palestine of The Jews, Past, Present, and Future, Kegan and Paul, London 1919.

2- Luke, Sir Henry and Edward Keith Roach, Hard book of Palestine and Trans Jordan, 3rd Ed. Macmillan ltd. London 1934.

3- Kenyon - Kathleen M.The Amorifes and Caranites, British Academy, London 1960.

4- Albright W.F, The Archeology of patestine, penguin books, Baltimore U.S.A. 1961.

5- Government of palestine, statistical of abstract of Palestine 1941.

6- George Antonios, The Arabs Awaking, Khayates, Beirut,

7- Horovits, Agjenda - AArabic Retations in Pre - lslamic Times, lslamic culture, Volume III 1979, p. 161 off.

8- Kewyon, Arch. in the holy land.

9- luke, Sir Henry and edward Keith Roch Hand book of palestine and Transjordan 3rd Macmillan and company ltd. London 1954.

10- Bentwich, Harbert, Palestine of the Jew, Past, Present, and Future, Kegan paul, London 1919.

11- Khaldi, Walid, Arab Perspective, in Louis and stookey eds, The end of Palestine Mandate, London I.B. Tauris, 1986.

12- Louis Wm. Roger and Stookey Robert W. The End of the Palestine Mandate, London, I.B. Tauris and Co. Ltd. Publishers, 1986.

13- Pearl Man, Maurice, Mufti of Jerusalem, the Story of Haj Amin El Husseini - London Victor Gollansc ltd. 1947.

14- Antonius, George: The Arab Awakening, London, Hamish Hamilton 1945.

15- Hout (Al) Bayan Nweihid: The palestine political Elite during the mandate perioal, in Journal of palestine studies, Vol. lx, No. 1, Autumn 191979, pp 85-111.

16- Haining s Report. 19.10.38. Co 733I379I75528I74I38.

17- Hayamson. A.M: Palestine Under the Mandate, London 1950.

18- Tegart Papers, Box 2, File 4. Ds. 126-2.

19- Wavell s Dispatch, 7.4.38. Co. 733I379I75528I74I38.

الفهرس



دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

عمّان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجيري

هاتف ٤٦٢١٩٣٨ فاكس ٤٦٥٤٧٦١

ص.ب. ١٨٣٥٢٠ عمّان ١١١١٨ الأردن

E-mail:daralfiker@joinnet.com.jo

ISBN 9957-07-198-X

9 789957 071981